



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أحمد دراية - أدرار



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

الأسرة البلبالية وإسهاماتها العلمية في منطقة توات خلال القرنين 19 و20م

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه ل م د في التاريخ الحديث والمعاصر

إشراف:

أ د/ مولاي أمجد

إعداد الطالبة:

سالمى كريمة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د. جعفري مبارك	أستاذ التعليم العالي	رئيساً	جامعة أدرار
أ.د. مولاي أمجد	أستاذ التعليم العالي	مشرفاً ومقرراً	جامعة أدرار
أ.د. بودواية مبخوت	أستاذ التعليم العالي	مناقشاً	مركز الجامعي النعامة
د. بلبالي عبد الكريم	أستاذ محاضر - أ-	مناقشاً	جامعة أدرار
د. مرغيث أمجد	أستاذ محاضر - أ-	مناقشاً	جامعة أدرار
د. خي عبد الله	أستاذ محاضر - أ-	مناقشاً	جامعة أدرار

الموسم الدراسي: 1440/1441 هـ - 2019/2020 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء

إلى والدي التي علمتني أن الحياة صبر ساعة ... مبرة مني

والتماساً لرضاك يا أمي

إلى والدي العزيز أطل الله في عمره

إلى زوجي الغالي عبد القادر الذي ساندني طيلة مراحل البحث

إلى بناتي آية ودعاء

إلى رياحين حياتي جميع إخواني وأخواتي وأبنائهم وخاصة أخي عبد الله

إلى جدي أطل الله في عمرها

إلى كل أقاربي وأصدقائي سندي بعد الله

إلى كل من مهد لي طريق العلم معلمي وأساتذتي

إليكم جميعاً أهدي بكونه هذا العمل.

سالمى كريمة

شكر و عرفان :

نحمد الله المعين الذي علمنا البيان وميزنا بالعقل واللسان نسأله القبول.

بعد إتمام هذه الأطروحة أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "مولاي المجد" الذي لم يدخر جهداً في توجيهي وإرشادي، كما أتوجه بشكري "لدكتور بلبالي عبد الكريم" مساعد المشرف علي ما أسدى إلي من نصائح وتوجيهات.

كما أتوجه بشكري إلى الدكتور "جعفري مبارك" الذي كان متابِعاً لبحثي، والشكر موصول إلى أساتذة قسم العلوم الإنسانية الذين لم يخلوا علي بمعلومات حول موضوع البحث وإعانتهم لتغلب علي الصعوبات التي واجهتني ولا يفوتني أن أتقدم بشكري الصادق لكل من أعانني وساعدني في هذا البحث بمصادر أو مراجع وخاصة أرباب الخزائن المخطوطات وعلى رأسهم الحاج الطيب الشاري وبلبالي الحاج عبد الرحمان والسيد بلبالي الحاج الطيب والسيد سليمان سيدي علي والسيد بن الوليد عبد القادر ؛ لكم جميعاً خالص الشكر والتقدير والإحترام.

سالمي كريمة

المقدمة

عرفت منطقة توات نهضة علمية مميزة بداية من القرن التاسع للهجرة، بفضل مراكزها العلمية التي ساهمت في نشر العلم والمعرفة داخل توات وخارجها خاصة بأقاليم فيما وراء الصحراء، فبرزت أسر علمية توارثت العلم وتصدرت التدريس والتأليف وكان لها دورٌ بارزٌ في المشهد العلمي والثقافي أكسبها مكانة إجتماعية كبيرة مثل الأسرة البكرية والأسرة التينلانية والأسرة الزجاجاوية والأسرة البلبلية موضوع الدراسة الموسومة بـ"الأسرة البلبلية وإسهاماتها العلمية بمنطقة توات خلال القرنين 19 و20م".

وتعدّ هذه الأسرة من أشهر الأسر العلمية بتوات فهم أحفاد العلامة سيدي أحمد الفقيه بن أبي زيد القادم من إقليم سجلماسة بالمغرب الأقصى إلى قرية مخلوف بتبيلبالة وتوفي بها، وواصل أبناؤه الخمسة رحلتهم الدعوية إلى إقليم توات فعرفوا بالبلبلين نسبة إلى مكان قدومهم، فأقاموا بقصر بودة ثم انتقلوا إلى قصر أدغاغ وتفقه على يدهم العديد من أبناء القصور المجاورة فكسبوا ود واحترام أهلها ليفكروا بعد ذلك في إنشاء قصر خاص بهم فاشتروا قطعة أرض بإقليم تيممي المجاورة لمقبرة لالة حدية ؛ وبما أنها كانت السبابة في التملك بالشراء نقداً فعرفت هذه الأرض بالأرض المملوكة ليتحول الاسم بعد ذلك إلى اسم ملوكة، وبذلك فيعتبر إقليم توات مزرعتهم العلمية، فجل المدارس والزوايا الموجودة حالياً هي من بنات مفاقسهم العلمية مثل: مدرسة مهديّة ومدرسة الشيخ سيد الحاج بالكبير وبعد اعتلائهم عرش القضاء لقرون متتالية نشروا العدل والصلح بين الناس في المنطقة.

تحديد الموضوع: إن الإطار الزمني الذي تم تحديده لموضوع الدراسة يمثل محطة هامة في تاريخ هذه الأسرة العريقة مع إبراز الخلفية التاريخية للقصور البلبلية بداية من قصر تبيلبالة إلى قصر ملوكة، كما تركز الإطار المكاني للموضوع في منطقة توات بالدرجة الأولى للأهمية التي حضيت بها في تلك الفترة.

دواعي اختيار الموضوع: يعود سبب اختياري لهذا الموضوع العلمي والثقافي إلى عدة دوافع منها:

-الرغبة في إبراز جهود الأسرة البلبلية وشيوخها وعلمائها في مجال نشر العلم والمعرفة بين سكان المنطقة والأقاليم المجاورة ودورها البارز في خدمة المجتمع التواتي من خلال: العدل بين الناس والقُدوة

المقدمة

في العمل والفكر السليم فصلح بذلك حال المجتمع التواتي القريب والبعيد، وكذا استمرارية العلم في هذه الأسرة لعدة قرون متتالية مما أسهم بدعم الحركة العلمية وإثرائها بالمنطقة.

- قلة الدراسات والأبحاث العلمية التي تناولت جهود الأسرة البلبالية وتتبع تاريخها وتقصي أخبارها وجهودها رغم ما قامت به من أدوارٍ كبيرة.

-توجيهات الأستاذ الفاضل جعفري مبارك لدراسة التاريخ المحلي الذي يعتبر جزء من التاريخ الوطني.

-الرغبة في الإلمام بتاريخ وتراث المنطقة الثقافي والاجتماعي والإسهام في نشره بحلة جديدة من خلال الرجوع إلى المصادر المخطوطة والروايات الشفوية، وهذه الأسباب وغيرها فضلت اختيار هذا الموضوع.

أهمية وأهداف الموضوع:

كان للأسرة البلبالية دورٌ كبيرٌ بمنطقة توات حيث عملت المجالس الفقهية والزاوية البلبالية على تقديم المساعدة والتكفل بالطلبة ومن هنا حددت أهداف الدراسة على النحو التالي:

ترصدُ هذه الدراسة التعريف بعلماء الأسرة البلبالية وشيوخها وقضاها، ومعرفة جذورها التاريخية وإنجازاتهم الثقافية والعلمية ومكانتهم الاجتماعية ومدى مساهمتهم في الحياة الإقتصادية كالحرف والمهن التي اشتغلها أبناء هذه الأسرة، وإبراز المعالم التاريخية والمآثر العمرانية للزاوية البلبالية.

إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية الموضوع في التعريف بالأسرة البلبالية وإبراز مكانتها العلمية ودورها الثقافي والاجتماعي في منطقة توات خلال القرنين 19 و20م، ولتوضيح أكثر يمكن طرح الإشكالات الفرعية الآتية:

- ما هي الإسهامات الثقافية والاجتماعية للأسرة البلبالية بمنطقة توات خلال القرنين 19 و20م؟

2- ما هي إسهاماتها وآفاقها في مجالات أخرى؟

المنهج الدراسة :

إعتمدت على المنهج التاريخي لدراسة الوقائع والأحداث التاريخية حسب التسلسل الزمني وتقصى أخبار هذه الأسرة بمقدار ما تيسر لنا من مقابلات، ثم عرضها على ميزان النقد للوصول إلى الحقائق التاريخية الصحيحة، ومن ثمة إثباتها وتنظيمها مع الإلتزام بالموضوعية والحياد في الأحكام دون الإنحياز.

خطة البحث:

يتوزع هذا البحث الموسوم ب"الأسرة البلبالية وإسهاماتها العلمية بمنطقة توات خلال القرنين (13-14هـ)-(19-20م) على مقدمة وسبعة فصول مقسمة إلى مجموعة من المباحث ثم خاتمة وتعبها مجموعة من الملاحق التصويرية والبيانية الإحصائية للتوضيح وسوف نوجز محتويات تلك الفصول فيما يلي:

يتضمن **الفصل الأول** شروحاتاً للمعاني اللغوية والدلالات الإصطلاحية لمصطلح الأسر العلمية، والفروق المتواجدة بين مصطلحين الأسر العلمية والبيوت العلمية وهي مصطلحات تم تداولها بكثرة في الأبحاث العلمية المتعلقة بهذا الموضوع ؛ كما حاولت أن أمهد للدراسة بذكر الصفات والميزات التي اختصت بها هذه الأسر دون غيرها من خلال طرق تعليمهم ومراحلها، كما تناولت دراسة نموذجية لبعض الأسر العلمية القاطنة بتوات- مراعية الفترة المدروسة - بداية من نسبهم ونشأتهم ثم توصلت في الأخير إلى ترجمة بعض أعلامهم المشهورين.

عملت في **الفصل الثاني** على إعطاء لمحة وجيزة عن حاضرة تبلبالة بداية من وموقعها الجغرافي وكذا الظروف المناخية السائدة بالمنطقة من مناخ وشبكة مائية إضافةً إلى أصل تسميتها وقصورها المتبقية والمندثرة، كما يهتم هذا الفصل بدراسة بعض الجوانب من الحياة الاجتماعية والثقافية لتبلبالة وتبيان طبقاتهم الاجتماعية واحتفالاتهم ومناسباتهم وما مدى مساهمة المرأة البلبالية في المجتمع، واللهجة التي تميزت بها المنطقة دون سواها.

أما **الفصل الثالث** خصصته للحديث عن نسب الأسرة البلبالية والتعريف بشجرة أصولها وفروعها المقسمة على عدّة مراكز متناثرة.

كما تضمن الحديث عن نشأة وتأسيس القصور البلبالية الأربعة المدروسة والمتمثلة في (مركز ملوكة، مركز كوسام، مركز بني تامر، مركز برينكان) كما كان لزاماً علي أن أعرج ولو بلمحة تاريخية وجيزة عن عرش تيمي الذي يضم مجموع ثلاثة قصور بلبلية والمتمثلة في قصر ملوكة وكوسام وبني تامر باعتبار أن تيمي كانت تمثل الوحدة الجغرافية والإدارية لهذه القصور الثلاث التي ظلت تابعة لها إلى يومنا هذا.

وتناولت في **الفصل الرابع** دراسة جوانب من الأوضاع السياسية والتاريخية التي شهدتها المنطقة بداية من الصراعات والهجمات المحلية المتفرقة إلى السيطرة الاستعمارية الفرنسية، إضافة إلى دراسة الأوضاع الاقتصادية المتمثلة في الزراعة والصناعة أو الحرف وكذا التجارة ودرست في هذا الفصل أيضاً بعض الأوضاع الإجتماعية التي تختلف كثيراً عن دراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية.

أما **الفصل الخامس** فقد خصصته للحديث عن علماء وأعلام الأسرة البلبالية في جميع مراكزهم بمنطقة توات بدايةً من مركز ملوكة إلى قصر كوسام وبني تامر وأخيراً قصر برينكان كما قمت بعرض إجازاتهم العلمية التي منحت لهم من شيوخهم.

وتطرت في **الفصل السادس** إلى ذكر أهم المؤسسات العلمية البلبالية التي مثلت ركيزة أساسية في الحفاظ على الهوية الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم، وجاءت الزاوية كمدرسة ودار لضيافة الغرباء أما المبحث الثاني من هذا الفصل فقد خصصته لعرض الخزائن العلمية البلبالية المتمثلة في خزائن المخطوطات التي تعد من أغنى وأثرى خزائن المنطقة.

أما **الفصل السابع** الختامي فقد خصصته لذكر مهنة القضاء عند العلماء الأسرة البلبالية بداية من ظروف انتقال القضاء إلى الأسرة ثم ترجمة أهم قضاتها وإسهاماتهم وأخيراً عرض نماذج من الأفضية التي أفتى فيها علماءهم.

الدراسات السابقة ونقدها:

لقد حاولت الإمام بجوانب هذا الموضوع بعد إستقراء مجموعة من الكتب والأبحاث والرسائل الجامعية الأكاديمية التي تناولت موضوع الأسر العلمية، واتضح لي أن معظمها لم تكن موجهة

لدراسة الأسرة البلبالية بالذات وتفصيلها وإنما جاءت في سياق مواضيع لها علاقة بالأسر العلمية بالمنطقة، ومن أبرزها:

- أطروحة علمية بعنوان: البيوتات العلمية بإقليم توات ما بين القرنين 7-11هـ الموافق ل 13-17م للباحثة: زهراء بوكراييلة، إشراف الأستاذ الدكتور: بودواية مبخوت، تحتوي هذه الأطروحة على أربعة فصول عالجت فيها أسماء عديدة من البيوتات العلمية بمنطقة توات، وتختلف هذه الأطروحة عن الدراسة الحالية في تحديد الأسرة المدروسة والمدة الزمنية حيث تناولت الباحثة عدداً كبيراً من البيوت العلمية بتوات خلال القرون الأربعة من (7-11هـ/13-17م) فالمدة الزمنية المدروسة طويلة وستجعل الدراسة مركزة جداً، ورغم ذلك فقد استفدت منها في بعض الآراء والإستنتاجات.

- رسالة علمية بعنوان: غنية المقتصد السائل لما وقع بتوات من قضايا ومسائل (مسائل الطهارة والصلاة وسائر العبادات) للباحث موساوي عبد السلام، وهي رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أدرار، والواقع أن هذه الرسالة تختلف عن الدراسة الحالية كونها تقتصر على مخطوط الغنية البلبالية وعلى الجانب الفقهي فقط، إلا أنني استفدت منها في العديد المحاور.

- أطروحة علمية بعنوان: فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية خزانة كوسام بمنطقة أدرار نموذجاً للباحثة: حلوى فتيحة، إشراف: بن نعيمة عبد المجيد، وهي أطروحة دكتوراه مقدمة لسنة 2016/2015م، إقتصرت هذه الأطروحة على خزانة بلبالية واحدة- كوسام- بينما تتناول الدراسة الحالية أربعة خزائن بلبالية، وكانت الإستفادات منها واضحة في ورقات البحث.

- كما خصص الدكتور بعثمان عبد الرحمان بعض مباحث أطروحته -التي أعدها لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية والمعنونة بعنوان: "القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17 و18م"- إقتصرت دراسته على قاضي مُحَمَّد بن عبد الرحمان وابنه عبد العزيز البلبالي بينما تتناول الدراسة الحالية جل قضاة الأسرة البلبالية في فترة المدروسة.

- ورسالة أخرى للباحثة عليق ريحة نابت بعنوان قصر ملوكة بأدرار (إقليم توات) دراسة تاريخية وأثرية تحت إشراف الدكتور: صالح بن قربة بكلية العلوم الإنسانية بجامعة الجزائر

تناولت هذه الدراسة الجانب الأثري لواحدة من المراكز البلبلية -ملوكة- في حين تناولت الدراسة جميع المراكز البلبلية بتوات.

-وبين الكتب الهامة التي تناولت جزءاً من الموضوع كتاب الشجرة المرجانية للأستاذ بن حسان عريان الرأس الذي تناول موضوع الأسرة البلبلية القاطنة بقصر برينكان، وترجم لعدد كبير من العلماء والفقهاء والقضاة كما أعطى صورة واضحة عن بعض الأوضاع السياسية والاجتماعية التي عاشتها الأسرة البلبلية ببرينكان إلا أنه لم يتعرض للأسرة البلبلية القاطنة في تيمي.

إضافةً إلى بعض الكتب التي ألفها الشيخ محمد بن عبد الكريم البلبالي (مبدوي) والتي ترجمة لعدد كبير من العلماء البلبالين مثل: "كتاب روائح وأزهار من أشواق البلبالين الأنصار في مدح سيدنا محمد المختار" وكذا كتاب "النبذة النيرة من حياة الأبريز الشيخ الحاج محمد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي"، إضافة إلى بعض المؤلفات المتناثرة حول موضوع الأسر العلمية مثل: كتاب الدكتور جعفري مبارك "معجم تراجم علماء توات" والذي تطرق فيه لترجمة العديد من العلماء والقضاة البلبالين، وكذا موسوعة: "تراجم علماء الجزائر" للدكتور عبد الحق حميش ومحفوظ بوكرع بن ساعد التي تناولت هي الأخرى ترجمة جل علماء الأسرة البلبلية وقضاةها.

إلا أن مجملها جاء في سياق سير والتراجم ولم تتناول الجوانب الأخرى لدراسة.

أهم المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة على جملة من المصادر والمراجع المطبوعة والمخطوطة ومن بينها:

المخطوطات:

مخطوط الغنية البلبلية الذي يعد من أضخم المخطوطات التواتية، استفدت منه في الكثير من الأمور المتعلقة بالموضوع، ومخطوط الذرة الفاخرة للشيخ محمد عبد القادر المهداوي التتلافي وكذا مخطوط جوهر المعاني للقاضي محمد بن عبد الكريم البكراوي ومخطوط نقل الرواة للشيخ محمد بن عمر بن مبروك البداوي استفدت منها في كتابة ترجمة الشخصيات العلمية وذكر بعض المعلومات التاريخية.

كما اعتمدت على الكثير من الوثائق المخطوطة التي وجدتھا في خزانة كوسام وملوكة وبني تامر وبرينكان، كلها وثائق مهمة تناولت شجرة نسب الأسرة المدروسة وشراء الأرض التي بنيت عليها الزاوية الملوكية، ووثائق أخرى تناولت مراسلات بين علماء وشيوخ الأسرة البلالية ومن بينها وثيقة أبي زيد بن عبد الرحمان بن القاسم التي جاءت فيها شجرة نسب سيدي أحمد الفقيه البلبالي وموجودة بخزانة كوسام، ووثيقة مراسلة بين السلطان المغربي والقاضي البلبالي سيد الحاج وموجودة بخزانة قصر ملوكة وغيرها من الوثائق الأخرى.

كما استعنت ببعض التقايد الخطية التي عثرت عليها في بعض الخزائن والتي تناولت تراجم بعض القضاة والرسائل والسجلات لبعض أدوار الفقارة وذكر نسب وأجداد الأسرة وغيرها من المعلومات المهمة التي استقيت منها في الموضوع بحثي هذا.

أما عن الكتب المطبوعة فقد تنوعت بين مصادر ومراجع عديدة فمن بين المصادر المعتمدة: بعض كتب التراجم مثل كتاب كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج ونيل الإبتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التمبكتي، وكتب الرحلات مثل كتاب الرحلة العياشية (ماء الموائد) ل أبو سالم العياشي وكتاب رحلة ابن بطوطة المسماة بتحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار وكتاب حسن الوزان وصف إفريقيا والذي يعد من الكتب المهمة في التاريخ.

أما المصادر المطبوعة والمتمثلة في معظمها فيما كتبه ابن مليح في كتابه: أنس الساري من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، وكتاب أبو عبيد الله البكري المعنون ب: المسالك والممالك، وكتاب ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر وكتاب عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان للحاجة إليها في ذكر وتوثيق بعض الأحداث التاريخية المهمة.

إضافةً إلى بعض كتب العلامة محمد باي بلعالم القيمة والتي احتوت على العديد من تراجم لشخصيات علمية كثيرة وخاصة الشخصيات التي كانت لها علاقة مع الأسرة البلالية، ومنها كتاب الرحلة العلية إلى منطقة توات بجزئه الأول والثاني وكتاب قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من علوم المعرفة والمآثر.

أما المراجع فهي كثيرة ومنها: كتاب رجال في الذاكرة للدكتور أحمد جعفري أبا الصافي وكتاب الباحث عبد الحميد البكري: النبذة النيرة في تاريخ توات وأعلامها، إضافة إلى كتاب العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي للدكتور جعفري مبارك، وكتاب سلسلة لنوات في إبراز شخصيات وعلماء وصالحي إقليم توات للشيخ مولاي التهامي غيتاوي إضافة إلى مراجع عديدة اتسمت بالشمولية في حديثها عن بعض الشخصيات البلبلية وسوف يتم عرضها في فهرس المراجع، إضافة إلى بعض المراجع الأجنبية وبعض المقالات.

المصادر الشفوية: وتمثلت في بعض المقابلات الشفوية التي قمت بها مع بعض أعيان الأسرة البلبلية وتزودت منهم بمعلومات مهمة عن الموضوع كما أخذت عنهم بعض الصور التي اعتمدت عليها كملاحق للبحث، فبعد لقائهم ومحادثتهم استخلصت جوانب عديدة من حياتهم وأعمالهم فهي تمثل شهادات حية وتفيد موضوع البحث من عدة جوانب ومن بين هؤلاء: السيد عبد الرحمان بلبالي والسيد الحاج الطيب شاري إضافة إلى العنصر النسوي الذي أفادني في دراسة الجانب الاجتماعي ونذكر منه السيدة بلبالي الحاجة الزهرة والسيدة بلبالي حياة والسيدة بلبالي مليكة.

الصعوبات: لا يخفى على دارسي التاريخ المحلي ما يواجهه الباحث في بحثه من صعوبات وعقبات كثيرة ولعل أهمها قلة المادة العلمية في بعض جوانب موضوع البحث وتشتتها في عدة مصادر يصعب الوصول إليها فسعيت لها بشتى السبل للحصول على بعضها وخاصة المصادر المخطوطة .

ومن بين الصعوبات أيضاً تشابه أسماء علماء الأسرة البلبلية، إضافة إلى دخول ألقاب جديدة بعدما كان لقب الأسرة يقتصر على بلبالي فقط، دخلت بعض الألقاب مثل شاري ومبدوبي.

كما أنني تشعبت في جزئيات البحث حيث تناولت عدة مجالات منها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية كلها مواضيع واسعة.

المقدمة

وفي الختام: فإنني لا أدعي أنني درست الموضوع من كل جوانبه، رغم أنني بذلت قصارى جهدي وتحملت مشاقاً كثيرة في سبيل إعداده حتى خرج بهذه الصورة، وما كان لهذا البحث من صواب من فضل فبتوفيق من الله وعونه، وما وجد فيه من تقصير فمن نفسي والشيطان أسأل الله العظيم أن يعفو عن تقصيري والحمد لله على كل حال.

الفصل الأول:

الأسر العلمية بمنطقة توات خلال القرنين 14/13 هـ - 20/19 م.

+المبحث الأول: الأسر العلمية بتوات ومواصفاتها.

+المبحث الثاني: أهم الأسر العلمية بتوات.

يمثل هذا الفصل فصلاً تمهيدياً، يتضمن شروحاتاً للمصطلح الأسر العلمية، والفروق المتواجدة بين مصطلحين الأسر العلمية والبيوت العلمية وهي مصطلحات تم تداولها بكثرة في الأبحاث العلمية المتعلقة بهذا الموضوع، كما حاولت أن أمهد للدراسة بذكر الصفات والميزات التي اختلفت بها هذه الأسر دون غيرها من خلال طرق تعليمها ومراحلها، كما تناولت دراسة نموذجية لبعض الأسر العلمية القاطنة بتوات مراعية الفترة المدروسة.

المبحث الأول: الأسر العلمية بتوات ومواصفاتها.

يعد موضوع الأسر العلمية التواتية من المواضيع الحساسة، التي لا يستطيع أي باحث أن يخوض في غمارها، لما للموضوع من حساسية تتطلب منه توخي الحذر في التعاطي معها، نظراً لقلّة المادة المصدرية التي لا يزال أغلبها في طابع مخطوط محفوظ في الخزائن الخاصة، ورغم ذلك فإن هذا العائق لم يمنع بعض الباحثين الجادين الذين حاولوا دراسة هذه المواضيع.

وقبل الدخول في حثيات الموضوع إرثاً أتيت أنه من المفيد إعطاء تعريف هام للأسر العلمية:

(1)- مفهوم الأسر العلمية:

هي أسر غلب على أبنائها الاشتغال بالعلم بمختلف فروعها سواء العلوم النقلية مثل الحديث والتفسير والفقه واللغة والأدب، أو العلوم العقلية كالطب والفلك والحساب، كما أن هذا المفهوم لا يقتصر على الجانب العلمي عند هذه الأسر وإنما تجاوز ذلك إلى جوانب متعددة ومختلفة سواءً إجتماعية أو إقتصادية، فتوارث أبنائها العلم فأصبحت منطقة توات مدينة علمية ودينية لكونها محطّ رجال العلم وأدباء عامّة المسلمين¹.

وأريد أن أنبه إلى أن الأسر التي سوف أتناولها في هذا الفصل، ليست كل الأسر العلمية التي شهدتها المجتمع التواتي بالفترة المدروسة، نظراً لكثرة البيوت العلمية في المنطقة فقد اقتصرنا على الأسر الثلاث التي كان لها دورٌ بارزٌ وشهرة واسعة وتأثير كبير في مختلف مجالات الحياة العامة بالمنطقة كما اخترت مجموعة من العلماء وأعلام الأسر العلمية للتمثيل، واكتفيت هنا بذكر

¹ عبد السلام الأسمري: الحياة الفقهية في توات خلال القرنين 12 و13هـ، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، إشراف: سعيد فكرة، قسم الفقه وأصوله، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2015/2016، ص285.

المشهورين منهم وبناءً على ذلك، رأيت أن تكون النماذج المختارة تشمل الأسرة البكرية والتينلانية والأسر الفلانية.

(2)- مميزات وخصائص الأسر العلمية التواتية:

تميّزت الأسر العلمية التواتية عن باقي الأسر العلمية الأخرى في بعض صفات أفرادها وأهلها نتيجة تلقينهم علوم الدين وكذا حرص آبائهم وأجدادهم بتربية صالحة.

(أ)- صفة الدين الإسلامي:

تتميز المجتمع التواتي غالباً بصفة الدين والحفاظ على التعاليم التي نص عليها الشرع في القرآن والسنة، فأحب أهل توات دينهم الإسلامي وبقيت الأسر التواتية محافظة على ذلك وهذا ما أكده جملة من المؤرخين الذين لاحظوا صفة التدين والتضلع في الدين فنص أبو سالم العياشي بقوله عن أهل توات "أنهم أهل تقوى وصلاح"¹ وكذلك الشيخ العلامة الطاهر الإدريسي الذي قال: "أن أهل توات يغلب عليهم التقشف والتّصوف والتّدين"² وكذلك الشيخ محمد بن عبد الكريم التمنيطي الذي ميز توات بالنسبة لغيرها أن أهلها ضعفاء ويكثر بها الصالحون والزّهاد وأرباب القلوب لأنهم علقوا قلوبهم بالله ودينه الحنيف حيث جاء في نصه: "... كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب..."³.

وفي إحدى الروايات التي نصت على تسمية توات بهذا الاسم، أرجع الشيخ الطاهر الإدريسي في كتابه نسيم النفحات أن سبب تسميتها يعود لمواتاتها للعبادة وقوله: "أنهم متمسكون بدينهم"⁴ فعموم التواتيين هم أهل علم ودين وقال أيضاً: "... لكون أهل العلم والصلاح فيها لهم القيادة والريادة والسيادة الاجتماعية والفكرية والروحية والتوجيهية والباقون أنصار وأتباع وموالون

¹ نقلاً عن: فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و19 م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص14.

² أحمد الإدريسي الطاهر: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة قصر كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 60.

³ محمد بن عبد الكريم التمنيطي: ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 11.

⁴ أحمد الطاهر الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط السابق، بخزانة قصر كوسام، الورقة 03.

مما جعل الطابع العام للناس فيها هو التدين...¹؛ فإذا انطبق هذا الوصف على المجتمع التواتي عامةً فما بالك بالبيوت العلمية التي هي أشد تمسكاً بالدين وأشدّ محافظةً على تعاليم الشرع.

(ب)- اتصافها بالأخلاق الحميدة:

اتصفت أغلب الأسر العلمية بتوات بدرجات معتبرة من الأخلاق والآداب الحسنة فكثر فيهم التودد وحسن الصحبة للناس وحسن الوعظ والوقار والهيبة، فكانوا يأمرّون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر، ويتسابقون في مواساتهم للفقراء ويوقرون الشيوخ الكبار وكان الرابط الاجتماعي بين هذه الأسر العلمية وعامة المجتمع مبني على رباطٍ وثيقٍ دلالة على وجود عبارات الود والتآخي، وإهتمام أسرهم التي تربوا وترعرعوا فيها وفق هذه السيرة في حياتهم، فلكونهم يتلقون العلم من شيوخهم ويأخذون معهم التربية الحسنة والسلوك الرفيع فقل أن تجد عالماً من علماء توات لا يحضى على درجة معتبرة من الأخلاق والآداب الفضيلة.

(ج)- انشغالها بتحصيل العلم:

انشغلت أغلب الأسرة العلمية التواتية بتحصيلها للعلم والحرص على تعليم أبنائها وتمكنهم منه منذ نعومة أظافرهم، لأن صفة العلم مرتبطة بهم؛ فيقول العلامة المرحوم مُجّد باي بلعالم عن والده وشيخه: "...عاملي بالإحسان والتربية الدّينية وأخذت عنه مبادئ الفقه والنحو..."².

فاهتم علماء هذه الأسر بالعلم وجعلوه مراداً لهم بتدريسهم للعلوم والمعارف التي نهلوها عن مشايخهم وقد اتضح ذلك جلياً من خلال تأسيسهم للمدارس الدينية تهتم بتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية وتميزوا بحبهم للمطالعة والكتابة وهذا ما دفعهم لتأليف العديد من الكتب في علوم القرآن والفقه والسيرة النبوية والنحو والتاريخ والوعظ والإرشاد، كما قاموا برحلاتهم الكثيرة خارج الديار التواتية وحتى خارج الوطن فمنها ما كان نحو البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج أو العمرة،

¹ فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 37.

² مُجّد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من جهات، ج2، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 385.

فَعِنْدَهَا إلتَقَوْا بَبَعْضِ الْعُلَمَاءِ وَمَشَايِخِ الدِّيَارِ الأُخْرَى وَاطَّلَعُوا عَلَى الكُتُبِ وَالمَخْطُوطَاتِ المَتَوَاجِدَةِ بِأَرْضِ الحِجَازِ وَالشَّامِ وَالمَغْرِبِ الأَقْصَى وَمِصرَ وَتُونِسَ وَلِيبِيَا وَغَيرَهَا مِنَ البُلْدَانِ الأُخْرَى¹.

المبحث الثاني: أهم الأسر العلمية بتوات.

(1)-نسبهم ونشأتهم:

عرفت توات باتساعها الجغرافي فأنجذب إليها العلماء كونها منطقة إستراتيجية، علاوة على ذلك عرفت على مر الزمان بأنها أرض الأمان والاستقرار، فهذه الظروف جعلت المناخ مهيئاً لنشوء أسرٍ علمية وفدت إليها من أماكن مختلفة ؛ فبعضها من "حمير" باليمن ومن شبه الجزيرة العربية وغيرها ؛ وللتعرف على أصول تلك الأسر فلا بد من معرفة أنسابهم وذلك على النحو التالي:

(أ)- نسب الأسرة البكرية:

تنتسب الأسرة البكرية إلى الشيخ ميمون بن عمرو بن مُجَدِّد بن عمر بن عمار الباز بن أحمد بن ابراهيم بن علي الأمري بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق².

وقد اختصر البعض شجرة نسب الأسرة البكرية في السلسلة الآتية:

عمرو من ذرية سيدي أبي عبد الله مُجَدِّد بن عبد الواحد بن يوسف بن مُجَدِّد بن سعيد بن أبي بكر بن حمودة بن عمران بن عيسى بن قاسم بن يحيى بن عبد الله الكامل بن الحسن البسط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه³.

¹ مُجَدِّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المصدر السابق، ص 386.

² وما جاء في سلسلة النسب التي أوردها القاضي مُجَدِّد بن عبد الكريم هو سيد البكري بن عبد الكريم بن أبي مُجَدِّد بن أحمد بن ميمون بن عمرو بن مُجَدِّد بن عمر بن عمار الباز بن أحمد بن إبراهيم بن علي الأمري بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق بن صاحب المذهب المنبر الفقيه مُجَدِّد الغازي بن أبي بكر سرين بن عزوز الملقب بالحمام بن صفوان بن مُجَدِّد بن داود بن المهدي بن علي بن مُجَدِّد بن يحيى بن مُجَدِّد بن ادريس مؤسس مدينة فاس بن ادريس. انظر: مُجَدِّد بن عبد الكريم التمنيطي: الكواكب البرية المناوب البكرية، مخطوط بخزانة البكرية تمنيط، أدرار، الجزائر، الورقة 1-2.

³ عبد الحميد البكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، المطبعة العصرية، الجزائر، جانفي 2010، ص 135.

كما يعود نسب الأسرة البكرية إلى النسب الشريف وزادها العلم بساطة من الشرف نسبةً إلى العالم الجليل الشيخ عمر بن مُجَّد بن عمرو بن عمار الباز الذي جاء من المغرب الأقصى قاصداً توات فاراً من ملوك المغرب الأقصى سنة 809 هـ /1406م، ومعه ولديه الشيخ الميمون والشيخ التهامي، وقد اشتهر هذا الشريف باعتباره أحد كبار علماء فاس بالتفرد والتميز بين جموع العلماء والمعاصرين له، فأحبه الناس وأشاروا عليه بإقامة دولة تنتسب إلى آل البيت، فأظهروا له المبايعة لكنه رفض ذلك لزهده في الدنيا ولما علم السلطان إسماعيل المريني بذلك تخوف منه وعزم للمكر به فقرر الشيخ عمرو الرحيل خشية من الفتنة¹ بعد أن زين له زكريا بن يحيى التمنطيطي مدينته وحينها كان بفاس، فطلب منه عمر بن مُجَّد أن يهيئ له مسكناً بها وأمده بالمال الكثير، ولكنه تفاجئ بعد وصوله مع ابنه ونزوله قصر عمرو يوسف بتمنطيط بإنكار الإتفاق الموجود بينهما، فعندها قرر الرحيل نحو بلاد التكرور إلا أن قبيلة أولاد مُجَّد تعرضت له وطلبت منه البقاء غير أنه عزم الرحيل وترك ابنه ميمون والتهامي بتمنطيط واستقر بأرض الساحل وتوفي هناك سنة 782هـ /1467م².

(ب) - نسب الأسرة التتلائية:

تنتسب الأسرة التتلائية إلى ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان رضي الله عنه، واحد من العشر المبشرين بالجنة له فضائل ومناقب عديدة موجودة بكتب السيرة النبوية، وأرجع العلامة المرحوم مُجَّد بلعالم نسب هذه الأسرة إلى أحد علمائهم أحمد بن يوسف بن أحمد بن يوسف بن مُجَّد بن علي بن الحسين بن الحسن بن يوسف بن أحمد بن داود بن مُجَّد بن سلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مران بن ذادان بن مكناس بن معزور بن قيس بن مُجَّد بن قيس بن مُجَّد بن عثمان بن عفان³.

¹ عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص 140.

² عبد الحق حميش، محفوظ بوكراع بن ساعد: موسوعة تراجم علماء الجزائر، دار زمورة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 290.

³ مُجَّد بالعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص ص82-83.

(ج) - نسب الأسرة الفلانية:

يرجع نسب الأسرة الفلانية كما ورد في العديد من الروايات والنصوص المكتوبة إلى التابع الجليل وفتح إفريقيا وباني القيروان عقبة بن نافع الفهري القريشي ؛ وقد ورد ذلك في كتاب "الإتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور" للسلطان محمد بلوا بن الحاج عثمان بن فوديوي.

كما اختلف الباحثون في أصل الفلان أو فلان أو فلاتة، فهذه الأسماء كلها لها معنى واحد فالاسم القديم آل فلان وعرف في بلاد شنقيط بأفلان وفي مصر والسودان والجزيرة العربية بفلاتة¹.

وقيل أن الجد الأول لفلان هو عقبة بن نافع - كما ذكرنا سابقاً- وأن الأم العليا لهم رومية تدعى "بج مع" وهي إحدى بنات ملك قبائل الروم التي تزوجها عقبة بن نافع وأنجبت له أربعة أولاد والذين صاروا آباء قبائل الفلانية بأسرها في بلاد ونغارة ومالي وغانا وبلاد الهاوسا والتكرور² وبورنو³.

وبعد البحث الجاد الذي قام به فضيلة الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله عن أصول وفروع فلان فقال: "قبيلة فلان قبيلة عربية وعلمية ولقد كنت أسمع من أوئلنا أن قبيلة فلان من حمير، ويمكن أن تكون هذه القبيلة متكونة من عدة قبائل منها ما هو فهري من أولاد عقبة بن نافع ومنها ما هو من أولاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ... أما كون أصلهم من حمير فلقد سمعت هذا القول من علماء لهم دراية وعلم، منهم مولاي عبد الرحمن بن مولاي عبد الله الهياوي وقد قال لي مراراً وتكراراً أن فلان والأنصار من عرق واحد وأن أصلهم من اليمن والله أعلم"⁴.

¹ محمد باي بلعالم: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، دار هومة، 2004، ص 09.

² التكرور: ذكرها العديد من المؤرخين العرب فقال عنها الحميري في الروض المعطار: التكرور مدينة في بلاد السودان بقرب مدينة صنغانة على النيل، وهي أكبر من مدينة سلي وأكثر تجارة، يسافر إليها أهل المغرب الأقصى بالصوف والنحاس والحرز ويخرجون منها بالتبر والخدم وطعامهم السمك والذرة والألبان وأكثر مواشيهم الجمال والماعز ولباس عامة أهلها الصوف وعلى رؤوسهم كراز الصوف والقطن. أنظر: محمد بن ناصر العبودي: سطور المنظور والمآثور من بلاد التكرور رحلة في مالي وحديث ماضيها المجيد وحاضرها الجديد، ط 1، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1420 هـ / 1999م، ص 10.

³ محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، (د د ن)، (د م ن)، (د ت ن)، ص 17.

⁴ محمد باي بلعالم، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر، المصدر نفسه، ص 12.

(2) - أعلام الأسر العلمية بتوات:

اختلفت الأسر العلمية التواتية في ظروف نشأتها، بل يكاد يكون لكل أسرة نشأة مختلفة عن الأخرى ؛ إلا أنهم جميعاً يجتمعون على الحرص والاجتهاد في العلم والإلتزام بأحكام الشريعة المبنية على الفقه والسنة ؛ ولهذا فلعل هذه الدراسة ستكون نبراساً وهدى لمن أراد أن يحدو حذوهم ويسلك طريقهم.

(أ) - أهم أعلام الأسرة البكرية:

(1) - الشيخ الميمون بن عمرو بن مُحَمَّد بن عمر بن عمار البازت: 901 هـ - 1490م:

أجمع كل من ترجم لهذه الشخصية النادرة أنه كان من أهل الصلاح والتقوى، وكرم النفس والإحسان إلى الخلق والإيثار¹ فهو نواة تأسيس البيت البكري، وُلد رحمه الله بفأس قبل سنة 872 هـ وظل بها نشأ فيها وترعرع وتعلم على يد كبار العلماء، أولهم والده الشيخ عمرو والشيخ الإمام ابن غازي المكناسي ؛ دخل توات في سنة 809 هـ مع أبيه وأخيه، ومَنَّ الله عليه فتزوج من ابنة الشيخ العالم عبد الله العصنوني² المسماة فاطمة والتي أنجبت له ابنه أحمد فحينها تفرعت العائلة البكرية وأصبح الشيخ ميمون الأصل الخامس للأسرة البكرية.

(2) - سيد البكري بن عبد الكريم (1042 هـ - 1633 م) - (1133 هـ - 1721 م):

هو سيد البكري بن عبد الكريم مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد بن أحمد بن ميمون بن عمر آل الادريسي والمعروف بلقب "قاضي الصحراء"، وُلد العالم بمسقط رأسه تمنطيط بتاريخ 12 رمضان 1042 هـ الموافق لـ 29 مارس 1633 م³، وسمي بالبكري نسبة إلى أحد الأقطاب الصوفية بمصر يقال له مُحَمَّد البكري حيث جاء في أرجوزة الشيخ البكري بن عبد الرحمن التلاني: "... كان الأصل في اسمي

¹ أورد لنا رسولنا الكريم أحاديث كثيرة تنص على عظمة الإيثار وأهميته ومنها: " إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْعَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ افْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِثَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهَمَّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ". رواه البخاري ومسلم. ويدل هذا الحديث على أن الأشعريين يغلب على طبعهم الإيثار والمواساة عند الحاجة، فتبث لهم بشهادة الرسول ﷺ أنهم كرماء ومؤثرون.

² مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، ذرة الأقبلام، المخطوط السابق، الورقة 30-31.

³ البكري بن عبد الكريم بن البكري، المخطوط السابق، الورقة 7.

واسم كل من يقال له البكري بناء النسب مُجَّد، وسبب ذلك أن كل من انتسب إلى الدوحة الصديقية البكرية ينسب إلى الدوحة العلية فيقال له فلان البكري...¹.

وبعد وفاة والديه ظل في كفالة الشيخ الحاج أُمَّجَّد بن عبد الكريم، واهتم بتعليمه بعد أن أخذ عنه علوم الدين والمقدمات في الفقه والنحو، كما أخذ عن الشيخ أُمَّجَّد بن اعلي الوروقي التمنظي في الأصل² فمكث بزواية أوقروت ثم بعدها سافر إلى فاس ومراكش فتلقن العلوم عن علمائها ونال إجازته هناك، ثم قرر العودة ثانية إلى تمنظيط ليستقر للتدريس بعد أن سار بالعلم خطاه الواضحة، ثم سافر إلى الجزائر العاصمة حيث إتقى بشيخ ومدرس أبيه "سعيد بن ابراهيم قدورة"³، وبقي عنده يفترق من علمه إلى وفاته سنة (1066هـ/1655م)، فعرف بكثرة ترحاله وسفره حيث أنه رجع إلى تمنظيط ثم قرر الذهاب إلى الحج وأثناء مروره بتونس أسس زاوية له هناك، وهي موجودة إلى يومنا هذا، ثم مر بليبيا ودرس أبناءها وتخرج على يده بعض من شيوخها ثم إلى مصر حيث واصل رسالته العلمية وإتقى بالإمام الخرشبي⁴ وتحصل منه على إجازة، ثم بعدها توجه سيد البكري نحو الحجاز لأداء مناسك الحج وزيارة قبر النبي ﷺ وعند عودته إلى الجزائر مر بطريق الزاب⁵ وأسس زاويته بتقرت ومكث بها إلى غاية وفاة أخيه الحاج أُمَّجَّد القاضي سنة (1092هـ/1681م) واستلم العديد من الرسائل التي تطلب منه الرجوع إلى توات، فعاد سيد البكري إلى تمنظيط بعد طول غربته خارج الديار وأسس زاويتين أحدهما بتمنظيط سنة 1112هـ/1701م.

¹ مُجَّد باي بالعالم: المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية، مطابع عمار قرني، باتنة، (د ت ن)، ص 8.

² الشيخ أُمَّجَّد بن اعلي أوقروي التمنظي: فكان أحد طلاب وتلاميذ أبيه، ويعود سبب انتقاله إلى أوقروت إلى اللقاء الذي حصل بينهما في السبخة بتمنظيط حيث حمله الشيخ إيدر إلى الشيخ أُمَّجَّد بن اعلي الوروقي وطلب منه أن يدرسه مثلما درس والده، وظل هناك حتى تمت إجازته، أنظر: مُجَّد العالم البكري، الذرة البهية، المخطوط السابق، الورقة 50.

³ سعيد بن إبراهيم قدورة: من كبار فقهاء المالكية، منى مدينة الجزائر، تونس الأصل، تولى إفتاء المالكية بها أخذ عن سعيد المقري وغيره وأخذ عنه مُجَّد بن إسماعيل مفتي الجزائر.

⁴ الإمام الخرشبي: هو بن عبد الله الخرشبي المالكي أبو عبد الله أول من تولى مشيخة الأزهر ولد سنة (1010هـ/1601م)، ينتسب إلى قرية يقال لها خراش من البحيرة بمصر كان فقيهاً فاضلاً ورعاً وتوفي بالقاهرة سنة (1101هـ/1690م).

⁵ الزاب: قال ابن خلدون: وهذا الزاب وطن كبير يشمل على قرى متعددة ومتجاورة جمعاً يعرف كل واحد منها بالزاب وأولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب زاب مليلي وزاب بسكرة وزاب تهودة وزاب بادس وبسكرة من أهم القرى كلها. أنظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى

السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الإعلامى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص ب 1120.

(أ)- توليه منصب القضاء:

اتفقت الجماعة التواتية على تولية سيد البكري منصب القضاء بتوات بعد وفاة أخيه القاضي الحاج مُجَّد سنة (1092هـ/1681م)، فكانت أفضيته مبنية على الصلح بين المتخاصمين، والنصح والموعظة فكان إماماً جليلاً عالماً محدثاً مدرساً ناظماً شابه آباءه في العلم والفضل ولقبوه بألقاب تليق بمقامه مثل "قاضي الصّحراء" فاستمرت هذه الأسرة بالعتاء في توات طيلة قرون، وكان لهم الأثر البالغ في تنشيط العلوم ورغم هذا كثر له الأعداء الذين وشو به إلى السلطان المغربي مولاي إسماعيل، فعندها أرسل إليه فلما جاء به السلطان تبين له أن الوشاية كاذبة، فأمر السلطان وزيره بان ينادي الناس بقوله: "لا سلطان بعد إسماعيل ولا قاضي بعد البكري" فقلده تنفيذ الأحكام الشرعية في ربوع الصحراء واستغل البكري هذه الفرصة ليسقط بها جباية الزكاة على أهل توات وتوزع على فقراء الإقليم فكان له ما طلب¹.

وترجم له العديد من العلماء من بينهم صاحب القول البسيط الذي ذكره بقوله أنه "... مشهور بالعلم والفضل والصلاح ... وبقي ذلك في أولاده خلفاً عن سلف ..."²، كما قال عنه صاحب جوهر المعاني: "... كان رحمه الله شيخاً عارفاً عالماً حاملاً متفنناً في فنون شتى، قاضي الصحراء وحامل لواء المحجة الغراء..."³.

(ب)- وفاته: توفي بمسقط رأسه تمنطيط يوم الأحد 02 ذو القعدة 1133هـ الموافق لـ 25 أوت 1721م ؛ وراثه العديد من العلماء والشيوخ مثل: مرثية حفيده الشيخ عبد الحق بقصيدة مطلعها:

بِحَمْدِ رَبِّي تَعَالَى نَظْمَ أَبْدَاهِ سُبْحَانَهُ جَلَّ عَن شِبْهِهِ وَعَن عَدَدِ⁴.

¹ السلطان المغربي إسماعيل: بويع مباشرة بعد وفاة أخيه الرشيد سنة 1082 تولى الحكم وهو في سن السادس والعشرون من عمره، إتخذ مكناسة عاصمة له، قام بأعماله التنظيمية لمملكته وجهز جيشه من العبيد والسود وبلغ عددهم 150 ألف فوزعهم على البلاد ليعم الأمن والاستقرار بمختلف أرجاء مملكته.

² مُجَّد بن عبد الكريم، جوهري المعاني، المخطوط السابق، الورقة 11.

³ ابن بابا حيدة (مُجَّد الطيب بن الحاج عبد الرحيم): تحقيق: فرج محمود فرج، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، 1977، ص18.

⁴ مُجَّد بن عبد الكريم، الكواكب البرية، المخطوط السابق، الورقة 34.

وجاءت مجموعة من القصائد في مدح سيد البكري منها قصيدة الشيخ إداو علي الشنقيطي والتي رد عليها سيد البكري في أبيات جاء فيها:

بِسْمِ اللَّهِ وَأَحْمَدُ مَهْلًا وَصَلَى عَلَى خَيْرِ التَّبِيِّينَ بَدءُ تُبْلَعُ الْأَمَلَا.

بَابُ الرَّضِيِّ لَكَ مَفْتُوحٌ فَكُنْ شَاكِرًا أَوْدِعْكَ اللَّهُ شُكْرًا مِنْ صَفَى عَمَلَا.¹

(3) - الشيخ عبد الله بن مُحَمَّد عبد الله بن عبد الكريم الحاجب البكري (1261هـ/1845م):

وردت ترجمته في العديد من المؤلفات المخطوطة والمطبوعات، فذكرت جميعها أنه نشأ وترعرع في بيت علم وصلاح، إلا أنه كان في صغره منهماكاً في زينة الحياة الدنيا ولم يكن من المنشغلين بأمور العلم والفقهاء والدين وهذا ما عرضه في مسيرة حياته إلى موقف محرج قلب مسار حياته ودفعه إلى حب العلم والإقبال عليه أكثر مما مضى في حياته، حيث هتف عليه أحد العامة بسؤال: "عن التميز بين الكوع والبوع"، فعجز عن الإجابة فقال له السائل: "أنت من أبناء العلماء وعجزت عن معرفة أدنى مسألة!" فعندها عزم على تغيير المسار الذي سلكه في حياته والتوجه لطلب العلم وعزم على شراء لوازم الدراسة متوجهاً إلى حاضرة للعلم آنذاك ملوكة عند الشيخ الحاج مُحَمَّد بن عبد الرحمن البلبالي والمعروف بسيد الحاج البلبالي وبعد مرور أربعة سنوات من ملازمته للدراسة تحصل منه على إجازة عامة قرر بعدها الرجوع إلى تمنطيط قصد التدريس والإفتاء، وهذا ما أثار حزن صديقه الوفي أبو فارس عبد العزيز بن الحاج مُحَمَّد الذي أنشد على وداعه بقصيدة جاء فيها:

كَيْفَ إِصْطَبَارِي عَلَى حَلِّ شَفَعْتُ بِهِ

قَدْ كَانَ الْفَضْلُ وَالتَّقْوَى قَدْ إِتَصَفَا.

ثم توفي بمسقط رأسه تمنطيط سنة 1261هـ/1845م وجاء في مراثية الشيخ مُحَمَّد بن مُحَمَّد الجزولي البكري له أبياتاً منها:

لَقَدْ حَلَّتْ مُصِيبَتَنَا وَدَامَتْ وَطَالَ مِنَّا الْحُزْنُ وَالنَّجِيبُ².

¹ مُحَمَّد العالم، الذرة البهية، المصدر السابق، الورقة 61-62.

² مُحَمَّد بن عبد الكريم، جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 15-26.

(4)- الشيخ مُحمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق (ت 1374هـ/1955م):

هو من مواليد سنة 1300هـ/1883م نشأ في أسرة علمية مشهورة حيث بدأ تعلمه بمسقط رأسه تمنطيط، فحفظ القرآن الكريم إضافةً إلى بعض المتون الفقهية ثم انتقل إلى قصر كوسام منارة العلم والعلماء آنذاك مسائراً لعادة أجداده الذين تلقوا العلم بها فدرس عند العالم العلامة الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي اغترف منه العديد من العلوم الفقهية لمدة قدرت بثمان سنوات وتحصل في الأخير على إجازة لكل العلوم عن شيخه المذكور سلفاً، وبعدها رجع إلى مسقط رأسه تمنطيط ليفتح مجلساً علمياً فتولى الخطة القضائية سنة 1932م، حيث تولى التدريس والتحديث والقضاء معاً؛ كما كان مؤرخاً جيداً حيث اشتغل بالتأريخ فخلف لنا العديد من المصادر التاريخية من بينها:

- ذرة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام وهو من الكتب النفيسة في تاريخ توات.

- جوهرة المعاني فيما ثبت لدى من علماء الألف الثاني والذي يضم ترجمة لأهم علماء المنطقة.

- الكواكب البرية في المناقب البكرية: وهو من الكتب الثمينة التي تناولت تاريخ الأسرة البكرية¹.

- حاشية على شرح السيوطي على ألفية ابن مالك.

هكذا أسهم الشيخ مُحمَّد بن عبد الكريم البكري في الحياة العلمية والفكرية بإقليم توات لإنتاجه الغزير في مختلف المجالات من التاريخ وتراجم ورحلات، وتوفي رحمه الله في يوم الأحد 25 من شهر ذي الحجة 1374هـ الموافق لشهر أوت سنة 1955م².

(5)- الشيخ مُحمَّد العالم بن مُحمَّد الجزولي (ت 1305هـ/1888م):

ولد مُحمَّد العالم بمسقط رأسه بتمنطيط سنة (1227هـ/1812م)، فتعلم المبادئ الأولية من الكتابة والقراءة بمسقط رأسه ثم أخذه والده إلى الشيخ عبد العزيز بن الحاج مُحمَّد البلبالي إلى قصر ملوكة منارة العلم والعلماء، فتفقه على يده وأخذ عنه الرسالة والمختصر أما في النحو واللغة أخذ

¹ هذه المخطوطة موجودة في العديد من خزائن المخطوطات التواتية مثل خزنة تمنطيط وخزنة كوسام وخزنة ملوكة وغيرها.

² الصديق حاج أحمد آل المغيلي: التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2، دار منشورات الخبر بني مسوس، الجزائر، 2011،

عنه ألفية ابن مالك وغيرها من العلوم الأخرى وبعد أن نال نصيبه من العلم قصد التدريس والإفتاء بتمنيط بعد أن استأذن من شيخه المذكور وكانت له مجموعة من المؤلفات أهمها: حاشية على شرح أبي القاسم بن سعيد العميري على منظومة العمل الفاسي، وحاشية على شرح علي بن عبد الرحمن المنجور لكتاب المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب المالكي، وكان له التلاميذ كثر في توات كلها ومن بينهم: ابنه القاضي البكري والشيخ بوبكر البومديني وبعد مسيرته المشرفة توفي الشيخ مُجَّد العالم بن مُجَّد بمسقط رأسه تمنيط سنة 1305هـ/1888م¹.

(6) - الشيخ البكري بن عبد الرحمن بن الطيب (ت 1339هـ/1921م):

يُعد من كبار العلماء توات، ورث العلم والمشيخة في الحديث ولقاء الشيوخ عن أجداده، فاشتهر ذكره شرقاً وغرباً بعلم الحديث، ولد البكري بن عبد الرحمن عند أخواله بالزاوية البكرية سنة 1260هـ/1844م وقد ورد ذكره في إحدى مؤلفات مُجَّد باي بلعالم، عن سبب تسميته، فجاء في قوله: "...سمتني أمي على الشيخ مُجَّد البكري"².

نشأ البكري وترعرع في بيئة علمية صالحة للعلم فتلقى دروسه التعليمية الأولى على يد والده ثم عند خاله الشيخ الحسن بن سعيد³؛ وترجم له الشيخ مُجَّد باي بلعالم رحمه الله بقوله: كان بحراً لا يجارى فكان همه في الدنيا التدريس والتعليم والتدوين وخدمة العلم فكان من الزهاد في الحياة الدنيا⁴، وتميز الشيخ بقوة الأسلوب والتحكم في اللغة العربية والجزالة في الشعر والنثر؛ فكان يخيّر العوام إذا سأله عن مسألة بالإجابة شعراً أو نثراً؟ وهذا دليل على تمكنه وقدرته الكبيرة في اللغة العربية، وخلف تراثاً ضخماً ومتنوعاً في كتابات متعددة ومتنوعة الأغراض، فله قصائد ودواوين صغيرة ومدح النبي ﷺ وقصيدة هجاء فرنسا بعد دخولها توات جاء في مطلعها:

رَبِّ إِنْ فَرَسْنَا الْكُفْرَ جَارُوا فِي تَوَاتٍ جَازَفُوا بِفَسَادِ.

كما له قصائد شملت أغراض متنوعة منها قصائد طبية ونصائح وأمثال وحكم، وتوفي العالم العلامة

¹ عبد الحميد البكري، النبذة من تاريخ توات، المرجع السابق، ص 169-172.

² مُجَّد باي بلعالم، المباحث الفكرية، المصدر السابق، ص 8.

³ مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج 1، المصدر السابق، ص 162.

⁴ نفسه، ص 168.

رحمه الله بالزاوية البكرية سنة 1339هـ/1921م.¹

(7)- الشيخ سيد أحمد ديدي بن محمد العالم (ت 1370هـ/1951م):

حسب ما ورد في كتاب التاريخ الثقافي للدكتور الصديق حاج أحمد آل المغيلي وما قيده عن نجل حفيده الشيخ عبد الحميد البكري أن الشيخ سيدي أحمد ديدي من مواليد سنة 1300هـ-1883م، نشأ وترعرع في بيت علم وصلاح، أخذ المبادئ التعليمية الأولى بمسقط رأسه تمنطيط ثم ارتحل إلى كوسام منارة العلم والعلماء في تلك الفترة فدرس عند الشيخ علي سيدي عبد الله البلبالي بصحبة ابن عمه الحاج محمد القاضي ونال إجازة على يد شيخه بعد دراسة نحو خمس سنوات، ثم انتقل إلى قصر آخر بتوات ألا وهو قصر أنجزمير لأخذ الطريقة في التصوف على يد علماء أنجزمير،² فلازمهم فترة من الزمن ثم رجع إلى تمنطيط فلأزم التدريس بمقر سكنه فأصبحت تمنطيط مقصداً وقبلة لطلاب العلم من أماكن مختلفة، ثم قام بتأسيس مدرسة داخلية مكلفة بإيواء الطلبة داخلياً في سنة 1929م فتميز صاحب الترجمة بشخصية منفردة فكان خافتاً الصوت قبل الدرس باسطاً له خلال الدرس ومن أقواله المشهورة والتي يرددها دائماً "اللهم من أصلحت ظاهره أصلح باطنه"، ومن بين تلامذته الذين استفادوا ودرسوا على يده حتى أصبحوا علماء أجلاء أمثال سيدي محمد بلكبير³ وابنه الحاج عبد القادر والحاج محمد العالم البكراوي وغيرهم من العلماء الآخرين.⁴

¹ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 173.

² ومن بينهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن.

³ سيدي محمد بلكبير: هو محمد بلكبير بن محمد عبد الله بن عبد الكريم بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان، ولد عام (1330هـ / 1911م) بقصر الغمارة جنوب مدينة أدرار، درس عند الشيخ محمد عبد الرحمن وتفقه على يد خاله فدرس المتون الفقهية والنحو ثم رحل إلى تمنطيط ودرس عند الشيخ أحمد ديدي وأخذ منه مختصر خليل وحفظه في ثلاث سنوات ثم بعدها خرج خارج المنطقة متوجهاً إلى تلمسان ودرس ببلدة العريشة ثم عاد إلى توات وفتح مدرسته الأولى بتيميمون وكانت له اتصالات ومحاورات مع علماء زمانه مثل القاضي عبد الكريم البلبالي ومحمد بن عبد الكريم البكري كما كان له دور في مساندة تنظيم جبهة التحرير الوطني وكرم من قبل رئيس الجمهورية عبد العزيز بوتفليقة بمنحة وسام الأثير عام

1999م، وتوفي يوم الجمعة 16 جماد الثانية 1421هـ/ 15 سبتمبر 2001م. أنظر: جعفري مبارك، مقلاتي عبد الله، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 317.

⁴ الصديق حاج أحمد آل المغيلي، التاريخ الثقافي لإقليم توات، المرجع السابق، ص 110-111.

(ب) - أهم أعلام الأسرة التينلانية:

اشتهرت الأسرة التينلانية بالعلم والفضل والصلاح ومحبة الصالحين فنشروا العلم وتصدروا التدريس والإفتاء بتوات، فبلغوا مكانة عالية وسط المجتمع التواتي بعدة اعتبارات في مقدمتها علاقتهم العلمية وصلاتهم بآخرين الذين استفادوا من خيراتهم وصفاء عقولهم، ومن بين علمائهم البارزين:

(1) - الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التلاني:

هو سيدي أحمد بن يوسف بن مُجَّد بن علي بن الحسين ابن الحسن بن يوسف¹، ولد سنة 1002هـ/1593م بأولاد أونفال التابعة لقصور تيمي، أخذ عن الشيخ عبد الكريم بن مُجَّد بن أبي مُجَّد التمنطيبي المعروف بعالم توات، ثم انتقل إلى "قصر تنلان"² بيوم الأربعاء 1058هـ- 1648م؛ فشرع ببناء زاويته التي سماها "رزق الله الواسع، لعباده النافع" فعمل هذا الأخير على حفر فقاير وفلاحة البساتين وجعل ذلك لينفع به المسلمين ولوجه الله تعالى وأصبحت زاويته مشهورة يقصدها العوام والخواص وتستقبل طلبة العلم وضيوف من كل النواحي؛ ترجم له صاحب الذرة الفاخرة فقال عنه: "...جدنا سيدي أحمد بن يوسف أسبغ الله عليه نعمه الفاخرة وأسبل عليه ضوافي العوافي في الدين والدنيا والآخرة، فكان أحد الأئمة العلماء وكان صالحاً ورعاً زاهداً"³. توفي الشيخ سيدي أحمد بن يوسف التلاني رحمه الله عن عمر يناهز 76 سنة بقصر تنلان التي مضي بها حوالي 20 سنة - منذ سنة 1078هـ - ودفن بها ولازال قبره مشهوراً بها⁴.

(2) - سيدي عبد الرحمان بن عمر التلاني:

هو شيخ الشيوخ العالم العلامة راسخ الفهامة أبو زيد سيدي عبد الرحمان التلاني التواتي،

¹ بن أحمد داود بن مُجَّد بن السلطان بن تميم بن عمر بن ملوك بن موسى ابن مدام بن دان بن سكتناس بن معزوز بن قيس بن مُجَّد بن مُجَّد بن إبان بن عثمان بن عفان ثالث خلفاء الرسول ﷺ. أنظر: تقيد لشجرة أنساب العائلة التينلانية، خزانه ابن الوليد بقصر با عبد الله، أدرار، الجزائر.

² سميت باسم تنلان نسبةً إلى قصر قديم كان بقربها فانتشر وتفرق أهله فانتقل هذا الاسم إلى المنطقة المعروفة بتنلان.

³ مُجَّد بن عبد الكريم، الذرة الفاخرة، المخطوط السابق، الورقة 4.

⁴ مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، طبع بمطبعة دار هومة، الجزائر، 2002، ص 79.

تعلم وقرأ القرآن الكريم على يد شيخه السيد أحمد الحبيب السجلماسي اللمطي فأجازه إجازة مطلقة، تفقه على يد أكابر فقهاء توات منهم الشيخ عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التلاني والشيخ عبد الرحمان الجنتوري وسيدي مُحمَّد بن أب المزمرى وسيدي عمر بن مصطفى الرقادي فأخذ عنهم وانتفع بعلومهم¹.

وردت ترجمته في العديد من المؤلفات منها مخطوط الذرة الفاخرة الذي قال فيه صاحبه "كان رحمته عالم العصر"².

وترجم له أيضاً صاحب جوهر المعاني فقال عنه: "شيخ الشيوخ، وبقية الرسوخ، العالم العلامة البحر الفهامة علم الأعلام مرشد الإسلام، كان رحمه الله عالماً عاملاً حافظاً، ثاقب الذهن، صحيح العينين، فصيح اللسان رحب الجنان مع عفة وصيانة ووقار وديانة قطب الشوري، انتهت إليه الرياسة الفقه بالديار الصحراوية، وكان من مجتهدي عصره في المذهب المالكي، صادق في القول ثابت في النقل"³.

وبعد أن نال حظاً وافراً من العلم والمعرفة عمل على التدريس فتخرج على يده علماء أجلاء ذكرهم صاحب جوهر المعاني بأنهم: "ابنه سيد مُحمَّد بن عبد الرحمن والقاضي عبد الحق عبد الكريم البكري الأمريني والشيخ سيدي مُحمَّد بلعالم الزجلأوي"⁴.

قام بتأليف فآلف "مختصر السمين في إعراب القرآن الكريم"، وكتب بعض التقايد الخطية التي تناول فيها رحلاته العلمية وطلب العلم وأشياخه وتلاميذه وله نسخ محفوظة بخزانة كوسام منسوخة بخط يد الشاري طيب⁵.

كما اختلف المترجمون له في تحديد تاريخ وفاته فحدده صاحب "جوهر المعاني" في عام 1189هـ واتفق معه صاحب "كتاب قطف الزهرات"، أما صاحب الذرة الفاخرة فقد حدده سنة 1289هـ واتفق معه صاحب "كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات" للدكتور الصديق حاج آل

¹ عبد العزيز سيد أعمار، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 99.

² مُحمَّد بن عبد الكريم البكري، الذرة الفاخرة، المصدر السابق، الورقة 5.

³ مُحمَّد بن عبد الكريم البكري، جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 4.

⁴ نفسه، الورقة 5.

⁵ الصديق حاج أحمد آل المغيلي، المرجع نفسه، ص 119.

المغيلي، وإلا أن الجميع اتفقوا على وفاته بمصر عند ذهابه لأدائه فريضة الحج ودفن بالمقبرة التي دفن فيها الشيخ عبد الله المنوفي ورثاه تلميذه سيد مُحَمَّد ابن المبروك بقصيدة¹ مشكلة من ستة وعشرون بيتاً شعرياً².

(3) - الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن عمر التيلاني:

هو الشيخ العلامة الفقيه الجليل أقام مقام والده المذكور سابقاً بعد وفاته في التدريس والفتوى وسكن بقصر أولاد علي أحد قصور تيمي فتخرج على يديه فحول من العلماء.

ترجم له صاحب "ذرة الأقلام" مُحَمَّد بن عبد الرحمان بن عمر التيلاني العالم العلامة البحر الفهامة رئيس المهرة وسلطان الأئمة البررة تاج العارفين وملاذ الخاشعين ويقنطُ الراسخين أبو عبد الله، فكان إماماً في المذهب حافظاً له متفنناً بالنحو والمنطق والبيان والعروض والمنطق³.

ويذكر صاحب "جوهر المعاني في ترجمته له أنه رحل إلى نواحي كرزاز، وفقد بصره في آخر عمره ولا زالت فتاوى في كتاب الغنية البلبالية⁴، كما ذكر صاحب الذرة الفاخرة أن "صاحب الترجمة" انتهت إليه الرياسة في علم التوحيد وعلم القراءات بتوات⁵، وتوفي رحمه الله بعد صلاة المغرب يوم الإثنين عام 1233هـ⁶.

¹ جاء في نصها:

- أَلَا بِمِصْرَ قَدْ أزدَدتْ فخرَ بِحَبْرٍ حلَّ مقبرة المُنوفي
- بُعيدَ زيارَةِ الهادي المُنْبأ مَن حَجَّ البَيْتَ حَقاً بِالوقوفِ.

² القصيدة موجودة بالكامل في كتاب: مُحَمَّد بن عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 100-101.

³ نفسه، ص 103.

⁴ توجد بعض مؤلفاته المخطوطة في العديد من الخزائن التواتية منها خزنة برينكان وقد كتب سيدي أحمد عبد العزيز السلجماسي إلى والد صاحب الترجمة:

إن الهلال إذ رأيت نموه ايقنت أن سيكون بداراً كاملاً.

⁵ مُحَمَّد بن عبد الكريم، الذرة الفاخرة، المخطوط السابق، الورقة 5.

⁶ الصديق حاج أحمد آل مغيلي، المرجع السابق، ص 124.

(ج) - أهم أعلام الأسرة الفلانية:

قدمت الأسرة الفلانية دوراً مميّزاً في نشر تعاليم الإسلام، فتقلدت وسام العزة والشرف ونالت إعجاب العلماء والمشائخ وحتى الدارسين والمختصين في مراكز البحوث والجامعات، فأثبتوا نضال علمائها في العلم والمعرفة وأقروا أصولها وفروعها ونسبها فأصبحت مرجعاً مهماً يستعان به في حل الأمور الدنيوية والدنياوية ومن بينهم:

1- الشيخ العلامة حمزة بن الحاج أحمد الفلاني القبلاوي الساهلي التواتي:

ولد بناحية أقبلي بدائرة أولف سنة 1259هـ، تعلم المبادئ الأولى لتعليمه بمسقط رأسه بقرية الساهل، دخل كتاب القرية وحفظ القرآن الكريم وجاهد من أجل العلم والتعلم حتى نال منه ما ينال فبلغ من الشهرة بفضل علمه وتولى مهنة التدريس وأصبح مفتياً تأتيه المسائل من كل صوب واجتهد لحلها فأصبح عالماً من أعلام توات فقيهاً نحويّاً محدثاً لغويّاً وعروضياً فكانت له اليد الطولى في العلوم الشرعية والعلوم اللسانية وبعد مسيرته المشرفة توفي في عام 1335هـ¹.

2- الشيخ مُحمَّد الحسن بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن السيد الحاج أعمار الفلاني بن مُحمَّد مالك²:

من مواليد سنة 1283هـ، بمسقط رأسه الساهل من قرى أقبلي من أسرة عظيمة في العلم والمعرفة، فحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره ثم إلتحق بالمدارس العلمية التواتية فلأزم مجموعة من الشيوخ الذين إستفاد من علمهم مثل الشيخ حمزة بن الحاج أحمد والشيخ الجليل السيد المختار بن سيد أحمد العالم، فواصل دراسته في العلوم الفقهية والتّحوية والحديث النبوي الشريف وغيرها من العلوم الأخرى، فكان لا يميل من المطالعة ليلاً ولا نهاراً وعرف بكثرة ترحاله طالباً العلم ملازماً للعلماء من داخل الوطن وخارجه مثل: ليبيا ومالي، كما كانت له علاقة طيبة ومتدينة مع العديد

¹ مُحمَّد باي بلعام، قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم المعرفة والمآثر، المصدر السابق، ص 12-16.

² نفسه، ص 40.

من العلماء داخل الوطن وخارجه مثل: الشيخ باي بن عمر والشيخ مُجَّد بن بادي والشيخ مُجَّد بن البكاي¹.

كما أنه التقى مع الشيخ المختار بن إسماعيل بن وديعة الله السلاوي فقد نال من أجداده الدرجات العليا من المعرفة سخرها لخدمة الدين والعلم متمسكاً بكتاب الله والسنة نبيه فتولى الفتوى والقضاء شرعاً في قضائه بين الناس معتمداً بكتاب وسنة رسوله، وتوفي بمسقط رأسه ببلدة الساهل عام 1352هـ مخلفاً خزانة من أثرى الخزان العلمية التواتية بها العديد من المخطوطات وألف العديد من المؤلفات منها شرح على الأجرومية في النحو سماه "تفريج الغموم على متن مقدمة ابن آجروم"، وكذلك بعض الرسائل التي بعث بها إلى الشيخ مُجَّد الكنتي² في شأن حكم بالشفعة المستحقة والتي ذكر فيها بعض النصوص الفقهية التي سرد بها أسماء فقهاء توات، كما تلقى مجموعة من الإجازات مثل إجازة عمه الشيخ حمزة القبلاوي والشيخ السيد مُجَّد الحبيب والشيخ سيد المختار بن إسماعيل السلاوي³.

(3) - الشيخ الحاج مُجَّد عبد القادر بلعالم القبلاوي:

ولد بقصر ساهل أقبلي أدرار سنة 1298هـ تلقى تعليمه في بداية نشأته بمسقط رأسه فحفظ القرآن الكريم ولازم تحصيل العلم والعلماء فأخذ من علوم الفقه والنحو والفرائض والعروض وكان معروفاً بحبه للمطالعة وقراءة القرآن الكريم.

¹ الشيخ مُجَّد بن البكاي: ولد سنة 865هـ وارث العلم درس عند الشيخ المغيلي وهو من بلاد التكرور وكثير الرحلات، أنظر: مبروك المصري: المدرسة الفقهية التواتية المنتقى الوطني الأول: المذهب المالكي في الجزائر، جامعة أدرار، 2-3 ربيع الأول 1425هـ/21-22 أبريل 2004م، ص 106.

² الشيخ مُجَّد الكنتي: وهو عالم من الأعلام الكنتيين الذين عرفوا بكثرة التأليف إذا كانت تجارة أبنائها هي العلم وطلب المعرفة، عرفوا بحبهم له وشغفهم واقتناء المخطوطات وألّفوا في التاريخ والفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والصرف وتنافسوا على نسخ المخطوطات وشرائها بأعلى الأثمان فاقتناء المخطوطات وألّفوا في التاريخ والفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والصرف وتنافسوا على نسخ المخطوطات وشرائها بأعلى الأثمان فإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ولوع هذه القبيلة بالعلم والمخطوط. أنظر: خديجة غنيشل: التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزواية كنته، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مجلة الذاكرة، جامعة ورقلة، ع5، ص 107-108.

³ مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج 1، المصدر السابق، ص 278.

كما عرف بكثرة ترحاله، فزار عدة مناطق من الوطن كعين صالح وأولف وتوات وورقلة وأصبحت له علاقات وروابط متينة مع علماء هذه المنطقة.

وكان يقرأ صحيح البخاري كل سنة ويقيم الإحتفال لبدايته وختمه إقتداءً بأسلافه علماء توات، كما أخذ إجازة عن الشيخ حمزة القبلاوي وعن الشيخ السكوتي¹ وخلف طلبة كثر في أقبلي وورقلة وأولف ومن بين تلاميذه: السيد بن مالك الحاج مُجَّد بن مُجَّد الحسن وصنوه الحاج أحمد ومُجَّد عبد القادر بن السيد أحمد الفلاني، كما قام بمجهودات جبارة في سبيل العلم وتحصيلاً له فألف العديد من القصائد الشعرية منها القصيدة المسماة حال أهل الوقت في فعل ما يجد للمقت².

توفي رحمه الله يوم 05 ربيع الثاني 1372هـ بساهل أقبلي³.

(4)- الشيخ مُجَّد باي بن الحاج عبد القادر بلعالم:

ولد الشيخ باي بلعالم سنة 1930م بقرية الساهل بلدية أقبلي أدرار نشأ وترعرع في أسرة علمية متدينة محافظة، فحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان بن المكّي بن العالم، تلقن مبادئ تعليمه الأولى على يد والده الحاج مُجَّد عبد القادر بلعالم القبلاوي، كما أخذ عنه المبادئ النحوية والفقهية ثم بعثه والده إلى مدرسة الزاوية بالعلوشية بسالي للشيخ العلامة مولاي الطاهر الإدريسي وتحصل على العلوم الشرعية من فقه وأصول ونحو وفرائض وتفسير وحديث.

كما أنه عرف بكثرة ترحاله لطلب العلم وزيارة العلماء وقد أرخ لعدة رحلات منها رحلته إلى المغرب الأقصى التي قدم من خلالها العديد من التوجيهات القيمة أثناء جولته للعديد من

¹ الشيخ السكوتي: وهو عالم العلامة الذي كانت له علاقات وطيدة مع علماء وأعيان الأزواد، فقام بمجهودات جبارة لنجاح الدعوة في ورقلة وعين صالح والسودان. أنظر: مقالني عبد الله، رحابلي حياة، دور إقليم توات في التواصل الحضاري مع منطقة السودان الغربي، ص 13، متاح على الرابط: www.univ-eloued.dz، 2018/05/13 على الساعة: 11:20.

² جاء في نصها: أهل زَماني اشْتغلوا يا حَسرتي بِكُلِّ فعل جالب للبدعة
يَتخذون قبة للأصياد يحضرها أهل الضلال والفساد.

³ مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 280-281.

القرى والمدن المغربية مثل مدينة فاس ومكناس، وقام بزيارة أضرحة بعض السلاطين العلويين بالإضافة إلى رحلته الحجية (المدينة المنورة)¹ وتونس وليبيا ومصر وغيرها.

بعد دراسته في المدرسة الطاهرية بسالي والتي مكث بها حوالي سبع سنوات، عمل جاهداً على تأسيس مدرسة دينية سماها "مصعب ابن عمير" مع بداية الخمسينيات من القرن الماضي، واستطاع أن يقضي على الجهل والبدع والخرافات التي انتشرت بالمنطقة، وتخرج على يده مئات الطلبة ومن أبرزهم الشيخ الحاج أحمد بن مالك والشيخ لعروسي عبد القادر بن الحبيب ومن بين الطلبة الأوائل الذين درسوا على يده مع بداية سنة 1956م هم الشيخ عبد الرحمن الثابت والشيخ حامد لمين عبد الرحمان بن عبد الرحمان.

ألف الشيخ باي إثنان وأربعون مؤلفاً في علوم القرآن والفقه والميراث والنحو والتاريخ ومصطلح الحديث والسيرة النبوية ومنها ما يشمل على جزئيين أو ثلاثة أجزاء أو أربعة ويصل بعضها إلى عشرة أجزاء، وهي موسوعة في الفقه المالكي بعنوان: مرجع الفروع إلى التأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل" وكتابه في التاريخ المعنون "بالرحلة العلية إلى منطقة توات" الذي يحمل جزئيين الأول والثاني وغيرها من المؤلفات الأخرى.

توفي العالم مُجَّد باي رحمه الله يوم 24 ربيع الثاني 1430هـ/19 أبريل 2009م بأولف رحمه الله².

¹ مُجَّد باي بلعام، إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، المصدر السابق، ص 72-73-76.

² أسماء أبلالي: الإسهامات الاجتماعية والثقافية للشيخ مُجَّد باي بلعام بإقليم توات (1348-1430هـ/1930-2009م)،

رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2012-2013، ص 91-133-208.

خاتمة الفصل:

يمكننا القول إن دراسة الأسر العلمية بتوات تميزها دراسة تاريخية مرزة أصولها النسبية وترجمة أعلامها المشهورين في المجتمع التواتي لتوليهم بعض المناصب القضائية والاجتماعية وتأثيرهم في المجتمع بطريقة مباشرة وغير مباشرة تعريفاً بجهودهم العلمية لما بذلوه في سبيل العلم والتعليم والتأليف فاتصفت الأسرة البكرية بدرجات معتبرة من الأخلاق والآداب الحسنة فكثير فيهم التودد وحسن الصحبة للناس وحسن الوعظ والوقار والهيبة، فكانوا يأمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر وعُرفت الأسرة التنلانية أيضاً على أنها أسرة العلمية المشهورة بالعلم والفضل والصلاح ومحبة للصالحين فنشروا العلم وتصدروا التدريس والإفتاء بتوات، فبلغوا مكانة عالية وسط المجتمع التواتي بعدة اعتبارات في مقدمتها علاقتهم العلمية وصلاتهم بأخريين الذين استفادوا من خيراتهم وصفاء عقولهم، كما قدمت الأسرة الفلانية دوراً مميّزاً في نشر تعاليم الإسلام، فتقلدت وسام العزة والشرف ونالت إعجاب العلماء والمشائخ وحتى الدارسين والمختصين في مراكز البحوث والجامعات، فأثبتوا نضال علمائها في العلم والمعرفة وأقروا أصولها وفروعها ونسبها فأصبحت مرجعاً مهماً يستعان به في حل الأمور الدينية والدنيوية.

الفصل الثاني:

حاضرة تبالة الموقع والتاريخ.

- المبحث الأول: نشأة حاضرة تبالة.
- المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية بحاضرة تبالة.
- المبحث الثالث: الأوضاع التاريخية والاقتصادية بتبالة.

الفصل الثاني: حاضرة تلبالة الموقع والتاريخ.

حاولت في هذا الفصل إعطاء لمحة وجيزة عن حاضرة تلبالة بداية من موقعها الجغرافي¹، وكذا الظروف المناخية السائدة بالمنطقة من مناخ وشبكة مائية إضافة إلى أصل تسميتها وقصورها المتبقية والمندثرة، كما إهتمينا في هذا الفصل بدراسة بعض الجوانب من الحياة الإجتماعية والثقافية لتلبالة وما مدى مساهمة المرأة البلبالية في المجتمع؟ وما هي اللهجة التي تميزت بها المنطقة دون سواها؟

المبحث الأول: نشأة حاضرة تلبالة.

قبل التعريف بمنطقة تلبالة استوجب علينا أن نعطي لمحة وجيزة عن ولاية بشار بحكم أن منطقة تلبالة تابعة إدارياً لولاية بشار.

ولاية بشار هي إحدى الولايات التي تقع بالجنوب الغربي الجزائري تبعد عن الحدود المغربية بحوالي 58 كيلو متر إلى الجنوب، فهي تقع على خط عرض 31,616670 وخط طول 2,216670 كما أنها تقع على ارتفاع 780 متراً فوق مستوى سطح البحر، وتتميز بموقعها الإستراتيجي والجيوسياسي الهام، كون نظام المواصلات في مجموعة المنطقة الغربية منظم حولها بفصل الطريقين الوطني رقم خمسة وستة بالإضافة إلى خط السكة الحديدية².

تأسست مدينة بشار عام 1905م لتكون مركزاً عسكرياً للقوات الفرنسية وذلك من أجل السيطرة على الحدود المغربية الجزائرية التي كان يكثر فيها أعمال الشغب، وفي عام 1998م وصل عدد السكان بها حوالي 191,010 نسمة، وحسب إحصائيات 2015م بلغ عدد سكانها

¹ تنقسم الجزائر من الناحية الجيولوجية إلى قسمين الأول شمالي والثاني جنوبي، وتفصل بينهما سلسلة الأطلس الصحراوي التي تعد حداً طبيعياً بين أقدم وأحدث التكوينات الجيولوجية في الجزائر فالصحراء في الجنوب قاعدة قارية قديمة تظهر بها تكوينات قديمة تعود لزمن الأركي. أنظر: مُجد الهادي لعروق: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى لنشر والتوزيع، (د ت ن)، (د م ن)، ص15.

² غوزي سليمان: إشكالية التوسع الحضري بمدينة بشار، مذكرة ماجستير، إشراف: حداد مُجد، قسم تهيئة قطرية وتنمية المستدامة كلية العلوم الأرض الكون، جامعة وهران2، 2017/2016، ص52.

142,382 نسمة، لذا فإن تلبالة تعد أكبر مدينة في ولاية بشار كما أنها تعتمد على توقيت المنطقة الزمنية (CEST)¹.

تعد مدينة بشار عاصمة الولاية، وقد سميت بهذا الإسم نسبة إلى جبل بشار الذي يقع بجوارها حيث يبلغ ارتفاعه 488 متراً، وكانت تعرف سابقاً باسم بشار كلومب أو كلومب بشار، فهي تمثل مركزاً مهماً في استخراج المعادن الطبيعية مثل الفحم والنحاس والمغنيزيوم والحديد، كما أنها تمثل المركز الرئيسي الثاني لشحن الفحم في الجزائر.

ويوجد بها مناظر طبيعية متنوعة بالقرب من الحدود المغربية، أرضها عبارة عن هضاب صخرية مكونة من الحجر الرملي، ومن الجنوب الشرقي تكثر فيها الكتبان الرملية وفي جهة الشمال يوجد واد السّاوره حوالي 320 كيلو متر وفي الجهة الغربية تتقاطع المدينة مع العديد من الأودية لتشكّل سبخة².

أولاً: الموقع الجغرافي لحاضرة تلبالة.

تقع تلبالة بالجنوب الغربي الجزائري الكبير وهي تتبع إدارياً لولاية بشار على نحو 270 كلم، وتعلو على مستوى سطح البحر بـ 525م، وتقع على سفح الجبل "تدموست" البالغ ارتفاعه 736م، ويوجد غرب هذا الجبل كتبان رملية معروفة بعرق شاش أما شرقاً فتحدّها كتبان رملية معروفة بعرق "السّراوى" أو عرق الراوي، ومن الشمال الغربي "حمادة الدورة" التي بها "واد الدورة"؛ فالزائر إلى تلبالة يلمحها من بعيد كواحة صغيرة، أرضها بحر من الرمال تقع تقريباً على خط بني عباس إلى تندوف على حافة عرق الرّاوي تمتد هذه الواحة على بعد 1400 كلم جنوب غرب الجزائر العاصمة، كما لها حدود مع المغرب الأقصى على بعد 150 كلم من السهل الذي يفصل بينها وبين عرق الراوي³.

¹ سعد أبو سفح: مدينة بشار الجزائرية، متاح على الرابط: www.maudoo3.com تاريخ الزيارة: 2018/06/ 2 الساعة: 9:52 صباحاً.

² عبد الله عبد الرحمان: دراسة ولاية بشار، الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار، متاح على الرابط:

www.andi-dz/index.com، تاريخ الزيارة: 2018/04/03 على الساعة 19:35 ليلاً.

³ chait Imêm: le korandyé en question, Doctorante en didactique du FLE, Laboratoire : Dynalimed Université : Abou Bakr Belkaid Tlemcen/ Algérie ,P 01.

تعد تلبالة دائرة حديثة النشأة بالموسم الإداري لسنة 1999م، وقد حدّد موقع الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة حدود واحة تلبالة، يحدها من الشمال بلدية عرق فراج ببلدية العبادلة، ومن الجنوب بلدية تساييت أدرار ومن الشرق بلدية بني عباس ودائرة لواته، ومن الغرب الحدود الجزائرية، كما يوجد بالمنطقة جبالان هما جبل لكحال وجبل بن طاجين ؛ أما الحمادات فهي عديدة مثل: حمادة قير وحمادة الدورة وحمادة ماندا وحمادة توناسين ؛ بالإضافة إلى تشكيل بعض العروق الرملية مثل: عرق الراوي وعرق العطشان.

وتُشكل حمادة الدورة وعرق الراوي اللذان يتّصلان بجبال تادموست وبلقاسم وسلماني سلسلة جبال لكحال وهي موجهة لشمال شرق وجنوب غرب، ويمتد طولها على مسافة 180 كلم بالتقريب على رباط محصور، كما توجد سلسلة جبلية من تلبالة إلى أدرار على شكل حدود عرق الراوي، أما عن الجبال توجد جبال أوقرتا وبشكلها مع عرق الراوي فهي تشكل حاجزاً رملياً لسكان بني عباس فهم مجبرون على الدوران من الجهة الأخرى للوصول إلى واحة تلبالة¹.

وذكر ابن مليح تلبالة في رحلته وقال: " أن منطقة تلبالة كثيرة الرعي وبها جبال ورمل فكانت تمثل منطقة عبور للحجاج والتجار من المغرب إلى توات..."².

وتبين لنا من خلال بعض الوثائق أن المنطقة ترجع إلى الزمن الجيولوجي الرابع بتكوينات حجرية رملية ومن بين هذه الوثائق تلك التي وجدت عند القائد الفرنسي التي نشرت في إحدى المنشورات الجغرافية الفرنسية سنة 1914م بأن المنطقة أرضيتها تتميز بصلابتها فهي عبارة عن طبقة صخرية وحصوية من فوق ويصل عمقها إلى 300 متر تحت الأرض وهذه الأرضية هي امتداد للسلسلة الجبلية المتمثلة في جبال أوقارتا (augarta)³، كما أن المنطقة معمرة منذ العصر

¹ موقع الجغرافي لبلدية تلبالة: موقع الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة الثلاثة، تاريخ النشر: 19 / 01 / 2010 ، على الساعة 10:15، تاريخ الزيارة: 2018/05/15.

² ابن مليح: أنس الساري والساري من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (1040-1042هـ)، تحقيق: محمد الفاسي، المملكة المغربية، فاس، طبعة 1388هـ / 1986م، ص 28.

³ archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle tome Ix. Année 1931
Algerie P: 38.

الحجري الحديث، حيث وجدت بعض الآثار القديمة مثل سهم حجري عمره حوالي 30.000 سنة ق.م ووجدت فأس حجري عمره 100.000 سنة¹.

الموقع الفلكي لتلبالة:

حُدّد موقعها فلكياً فهي تقع على 3,25261 – 29,41005 خط طول أما تحديدها بدوائر العرض فهي تقع بين دائرتي عرض 29,24,36 N دائرة عرض، أما عن الرمز الجغرافي هو 2479008 وتبلغ مساحتها الإجمالية لها حوالي 60960 كم² أي ما يعادل 37% من مساحة ولاية بشار.²

ثانياً: المناخ والشبكة المائية.

يغلب على المنطقة المناخ الصحراوي الجاف المتميز بقلة الأمطار وارتفاع درجة الحرارة التي تتراوح ما بين 30-40° في فصل الصيف وشتاء بارد يقل فيه هطول الأمطار بداية من شهر أبريل مع إمكانية سقوطه بشهر ديسمبر ويناير ومارس³، كما أن طبيعة المناخ بتلبالة متشابهة لمناخ بني عباس، وتتراوح درجات الحرارة بها ما بين 40° و 50° أما ليلاً تتراوح من 30°، فقدرت درجة الحرارة شهر جويلية سنة 1930م 49° أما ليلاً تتراوح ما بين 30 إلى 36°، أما الأمطار فهي نادرة وقليلاً ما تسقط بعض القطرات في فصل الصيف والتي تساعد بدورها في إنتاج المحاصيل الزراعية، وظلت منعدمة السقوط لمدة ثلاث سنوات من سنة 1927 – 1930م⁴.

أما عن الرطوبة فإن درجاتها ضعيفة ومنخفضة طيلة شهور السنة ويصل معدلها إلى 22% وترتفع في فترات سقوط الأمطار إلى 35% وتنخفض في فصل الصيف لتصل إلى 14% فقط؛

¹ جميل أبو بكر: تلبالة عادات وتقاليد وصور، متاح على الرابط www.tabelbala.ahlamontada.net، تاريخ الزيارة: 2018/03/15، على الساعة: 13:12.

² متاح على الموقع: www.google earth.com. تاريخ الزيارة: 2018/03/18، على الساعة: 15:18.

³ يوسف بوعاسل: دراسة تنميطية وتكنولوجية لصناعة حجرية على شطايا تلبالة منطقة الساورة، مذكرة ماجيستر في الآثار، إشراف: عبد القادر حدوش، مجموعة متحف الجيولوجيا بجامعة الجزائر(1)، معهد الآثار، 2014-2015، ص 12.

⁴ archives de l'institut pasteur d'Algérie ,op.cit. pp 384– 385.

وتهب على البلاد بعض الرياح جنوبية الغربية والشمالية الشرقية وتكون في الغالب رياحاً قوية وحارة ويبلغ متوسط سرعتها ما بين خمسة وثمانية عقد في الساعة¹.

يمكننا القول بأن حاضرة تلبالة تتميز بفصلين بارد وجاف من شهر نوفمبر إلى مارس وفي الصباح تكون درجات الحرارة متوسطة إلى منخفضة في الليل وفصل آخر من شهر أبريل تقريباً إلى أكتوبر فهو الفصل الطويل والمتميز بالحرارة والجفاف وإستحالة سقوط الأمطار إلا نادراً.

المياه بحاضرة تلبالة:

الشبكة المائية فيها كثيفة، لكن أوديتها عموماً جافة، وكذا الحال لواد السّاورَة المرتبط بمناخ الأطلس الصّحراوي وينتهي مجرى هذا الواد الكبير في سبخة الملاح ب "كرزاز"، أما عن منسوب المياه الجوفية بها مرتفعاً نسبياً مما يجعل الزراعة مروية ممكنة حيث استعملت تقنية الفقارة بواحة تلبالة لاستخراج مياهها الجارية في كل مكان، فأينما حفرت بئراً وجدت ماءً ؛ وهذا ما أكده المؤرخ عبد الله الإدريسي بقوله: "... ومنسوب المياه الجوفية مرتفع جداً مما يجعل الزراعة المروية ممكنة، التي تصل إلى البساتين عن طريق الفقارة وتسمى بواحة تلبالة بإسم "بونج بيتي" باللهجة البلبالية المحلية².

وتوجد بعض المناطق التي يقل فيها منسوب المياه وبعضها غير صالح للشرب، مثل المنطقة التي شيدت بها فرنسا برجها العسكري وبها قاعدة عسكرية صغيرة، وكانت بها مياه قليلة وغير صالحة للشرب -والتي تبعد عن مقر القاعدة بحوالي 1500 متر- فعملت فرنسا على جلب تلك المياه عن طريق الأنابيب مستعملةً مضخةً الكهربائية للمياه ليصل إلى الحزان، وقد تم تحليل المياه الخاصة بالمنطقة في المستشفى العسكري لوهراّن سنة 1930 وجاء تحليله أنه ماء صافي بدون لون ولا رائحة وبذوق مالح وبه مواد عضوية متطورة وهذه المواد العضوية الممتصة عن طريق الأكسجين³

¹ يوسف بوعسال، دراسة تنميطية وتكنولوجية لصناعة حجرية على شطايا تلبالة منطقة الساورَة، المرجع السابق، ص ص 14-19.

² عبد الله حمادي الإدريسي: قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس سلجماسة وورثيتها تافيلالت تاريخاً وأمجاداً وجهاداً، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص 225.

³ archives de l'institut pasteur d'Algérie ,op.cit. p 38

ثالثاً: أصل التسمية حاضرة تبلبالة.

اختلفت آراء المؤرخين حول أصل تسمية حاضرة تبلبالة ففتح عن ذلك روايات مختلفة فنذكر منها:

أطلق عليها الحسن الوزان الفاسي اسم تَبْلَبَلْت في كتابه وصف إفريقيا فقال: "... هو مكان مأهول في وسط صحراء نوميديا، على بعد نحو مائتي ميل من الأطلس ومائه ميل جنوب سلجماسة..."¹.

وعرفها الباحث بوشيبية أنها الجنة الضائعة، وتوحي إلى جملة من المعاني: فهي تعني شجرة البلبل التي تتواجد بكثرة في المنطقة هذا الرأي الأول، أما الرأي الثاني الذي ذهب إلى أن أصل التسمية يرجع إلى طائر البلبل للدلالة على أنها بلابل صداحة².

أما المؤرخ محمد تلمتين الذي كتب عن تاريخ المنطقة يرى أن "اسم تبلبالة" مركب ويحمل في لفظه اتجاهين، إتجاه بربري والآخر عربي:

(أ)- **الإتجاه البربري:** حيث أكد أن الإسم عبارة عن تناغم بربري في مدلوله الصوتي وأن المتمعن في الجوانب التاريخية للمنطقة يلاحظ أن أهالي المنطقة لا يطلقون اسم تبلبالة على المنطقة وإنما كانوا يطلقون عليه تسميات عربية مثل: زاوية سيدي زكري وسيدي مخلوف، أو سنغاي مثل: كوراياي، وفرنيو³.

(ب)- **الإتجاه العربي:**

أما الوجه الآخر يرى في هذه الفرضية أن أصل الاسم تبلبالة عربي ويرجع إلى الفعل بَلَبَل يُبَلَل بمعنى التكلم بطريقة مبهمه وغير واضحة ثم بعدها أضيفت لها حرف التاء كالاستعمال

¹ حسن بن محمد الوزان الفاسي: وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983، ص129.

² بركة بوشيبية: دور الرقصات الشعبية في التعبير عن الهوية الثقافية لرقصة تكدة تبلبالة نموذجاً، مجلة مقاربات للعلوم الإنسانية، مج 08، ع 15، 2014، ص146.

³ chait Imêm: le korandyé en question , op.cit. P: 03.

المؤنث البربري، ثم بعدها تم دمج الإسم العربي¹ بلبل باللهجة البربرية الأمازيغية فتحول الإسم إلى تبلبلة حيث أضيفت له حرف التاء أوله وآخره فيقال ل: التجارة على سبيل المثال: تماجارت².

ويمكنني القول أن اسم تبلبالة في أصله اسم بربري لأن معظم أسماء القصور البربرية الأمازيغية تبدأ بحرف التاء وتنتهي به في الغالب، إضافةً إلى ذلك أن البربر هم أول من سكن منطقة تبلبالة.

كما تقول الأسطورة التاريخية أن أول الأولياء قدوماً إلى تبلبالة وهو سيدي زكري من نسل مولاي إدريس، بعد أن خرج من فاس باحثاً عن ناقة ضالة فلم يجدها إلا في مكان بعيد هو المكان المسمى البلبل وأصبح منذ ذلك الوقت يدعى بتبلبالت³.

وتعرف عند قبيلة العرايش التي لازالت تردّد في زاويتهم باسم لغة أو لهجة السّلحة والتي هي في أصلها من منطقة تمبكتو بمالي وتوجد عدة أمثلة على تشابه في لغتهم فمثلاً:

- البئر يعرف باسم بثقو، وعند أمم مالي باسم باتقو.

- عقد تزيين المرأة يعرف بتبلبالة باسم هيري وفي مالي هايري.

- الماء في تبلبالة إيري - مالي آيري⁴.

ويرى البعض أن سكان تبلبالة تشكلوا من قبائل متفرقة، حيث كانت تبلبالة منطقة عبور للقوافل التجارية فنجد أن كل من مر بها إلا وترك بصمة خاصة به وظهر ذلك في اللهجة المحلية للسكان التي أصبحت خليطاً من المصطلحات، فثلث من مصطلحاتها عربية والثلث الآخر بربرية وسودانية وتارقية فامتزج هذا الخليط ونتج عنه لهجة محلية عرفت بأسماء عديدة منها الكورنجي والسّلحة⁵.

¹ بركة بوشية، دور الرقصات الشعبية في التعبير عن الهوية الثقافية لرقصة تكدة تبلبالة نموذجاً، مرجع السابق، ص145.

² Mohamed tilmatine: un parler berbère. songhay du sud –ouest Algérien (tabalbal) éléments d'histoire et de linguistique: etudes et documents Berbères 14، 1996,p:05.

³ حمزة زكراوي: تاريخ تبلبالة، متاح على الموقع:

www.alwessal.alafdal.net تاريخ الزيارة: 2018/04/15، على الساعة: 11:15.

⁴ موقع تلفزيوني للقناة الشروق: لغة أهل تبلبالة: www.echorouk.neus.tv، تاريخ الزيارة: 03 ماي 2018.

⁵ archives de l'institut pasteur d'Algérie . op.cit. P387.

يتضح لنا أن اللهجة البلبلية لها تأثير شديد بين اللغة العربية والبربرية ولها كلمات أساسية هي لأصل سونعاي ولكن لا تعتمد عليها كلياً؛ فنجد الأرقام مثلاً من واحد إلى ثلاثة بلفظ سونعاي (أفو، إنكا، اتزا) أما الباقي فهي عربية (أربعة، خمسة، ستة...).

-أما الألوان فبعضها ينطق باللفظ العربي والبربري والسونعاي¹.

أصل	سونعاي
أسود	← بيبي
الأبيض	← كواراي
الأحمر	← تسيراى

4- القصور البلبلية بتلبالة:

إن التكوين العمراني العام لجميع القصور² الصحراوية يبنى على عدة تفاعلات وعوامل إجتماعية وثقافية وفق تقاليد يسير عليها مجتمع القصر؛ فهي مستمدة من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مبنية على الحرمة وإحترام الآخرين والنظافة والتعاون والتماسك فيما بين سكان القصور البلبلية مصداقاً لقوله تعالى: "وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"³.

ونظراً لذهنية الإنسان الصحراوي المتمسك بعاداته وتقاليده ودينه الحنيف، تم بناء القصور البلبلية بشكل تضامني وتراضي وكأنها كتلة واحدة، فاحتوى كل حي من الأحياء على مصلى لتأدية الصلوات الخمسة، أما المسجد الكبير فهو مخصص لصلاة الجمعة وصلاة الأعياد وإحياء بعض المناسبات الدينية مثل المولد النبوي الشريف.

¹ chait Imém: le korandyé en question, op.cit P: 11.

² القصر يعرف أنه المنزل مصداقاً لقوله تعالى: "حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ" الواردة في سورة الرحمن الآية 70.

³ سورة آل عمران الآية: 103.

وعليه فإن الباحث عن القصور الصحراوية عامة والبلبالية بتلبالة تواجهه عدة مشاكل أو عراقيل أهمها: إنعدام المعطيات التاريخية من جهة وتعرض هذه القصور للإنذار والهدم والتي لم يتبقى منها سوى أطلالها سواءً أكان سبب هدمه طبيعياً أو بشرياً مثل قصر:

مخادة قاحد ايو، وقصر ايرازن، وقصر ماينسكافن¹، كلها قصور بلبالية مندثرة كلياً وأغلب المعلومات التي جمعتها حول هذه القصور هي عبارة عن روايات شفوية وبعض الكتابات الأجنبية مثل: كتاب الباحثة "دومينيك شومبو" التي زارت المنطقة مع زوجها وتعرضت لوصف هذه القصور رغم أنها ركزت على الجوانب الإجتماعية داخل هذه الوحدات كالعادات والتقاليد، كما أكدت في إحدى صفحات كتابها أن سكان المنطقة يحرصون على عزل غرفة لتخزين الأكل بقولها: "... وجدوا مخزن للأكل ولتخزين التمر ... ومن المحتمل أن هذه المخازن جاءت من المشرق العربي"، وأكدت أن هذه الطريقة في طريق الإنقراض بقولها: "مخازن الأكل في طريق الإنقراض بتلبالة"².

أ- أهم القصور بتلبالة:

استناداً إلى الجريدة الرسمية الخاصة بالاتفاقيات الدولية والإعلانات والمناشير لـ 19 ديسمبر 1984 فقد وردت فيها بعض أسماء القصور البلبالية المتمثلة في: قصر زاوية سيدي زكري، قصر مخلوف، قصر حاسي خارت وكذا قصر بورنيق وقصر زايب وشرايا³.

ووجدت في بعض الكتب الأجنبية أن بتلبالة بها العديد من القصور ومن أهمها قصر الشرايا وقصر مخلوف وقصر سيدي زكري أما الباحثة الفرنسية **دومينيك شومبو Dominique champaul**⁴ فقد عدت القصور البلبالية استناداً إلى الروايات الشفوية وبعض الكتابات القديمة وذكرت أن بتلبالة كانت أهلة بسكان وأهالي بالقرى والمداشر وأهمها:

¹ لم يتبقى أي شيء من هذه القصور سوى القليل من الحجارة التي بقيت بها.

² Dominique champaul: Une oasis sahara Nord occidental tabelbala. In: Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée n:8.1970 P: 176.

³ الجريدة الرسمية 19 ديسمبر 1984 ولاية بشار، جريدة الرسمية اتفاقيات الدولية قوانين، مراسيم، قرارات و آراء، مقررات، مناشير، إعلانات، ص 1490.

⁴ أنجزت هذه الباحثة الفرنسية أطروحة دكتوراه معنونة ب: "واحة الصحراء الشمالية الغربية بتلبالة" استغرقت هذه الباحثة في إنجاز هذا العمل 13 سنة منذ سنة 1948 إلى 1961م، وطبعت هذه الأطروحة في شكل كتاب في سنة 1969م يحتوي على 450 صفحة جمعت فيه كل شاردة وواردة عن الواحة البلبالية من موقع الجغرافي وجوانب عديدة من حياة البلبالين

(1)-القصر الكبير المعروف بقصر المرابطين ويسمى باللهجة البلبلالية "كرا":

أسسه المرابطون المعروفون بأهل زكري والذي يعود نسبهم إلى الأشراف الأدارسة، قدموا من موطنهم الأصلي ببلاد الساحل الأطلسي بالصحراء الغربية، ويعد هذا القصر أول القصور البلبلالية من حيث النشأة إلا أنه دمر على يد السلطان أبو الحسن المريني المعروف بالسلطان الأكحل¹ وبعد فترة من الزمن عاد سيدي زكري مع أهله من بلاد الساحل وأسس زاوية دينية جديدة وبني دُوراً له ولأولاده ولقومه فغرسوا النخيل وحفروا الآبار وبني قصره الكبير وأسس الزاوية التي ذاع صيتها ووصلت شهرتها إلى مكناس².

واستشهد المؤرخ الباحث حمادي عبد الله الإدريسي في بحثه حول المنطقة بما وجدته الباحثة الفرنسية دومنيك شومبوا في مخطوطات محفوظة بجوف قصبة بخت الفقيه عبد الله الحاج بن مُجَّد البلبالي الملوكي إمام مسجد زاوية سيدي زكري وقتها وهي محفوظة عند عائلة سيدي العربي بتبلبالة، وكتب هذا المخطوط في حدود عام 1379هـ/1959م وجاء نص المخطوط كالتالي: بعد البسملة.

الحمد لله: هذه شجرة سيدي أبي زكريا بن مولاي ناصر بن مولاي عبد الله بن مولاي مُجَّد بن مولاي علي بن إدريس بن مُجَّد بن عبد الله الكامل بن الحسن بن فاطمة الزهراء...³.

الإجتماعية والاقتصادية وحتى الدينية، فقد استحق هذا الكتاب أن يوضع كواجهة وثائقية عامة على الجنوب الصحراوي بصفة خاصة. لتعرف أكثر على الموضوع ينظر: عبد الله حمادي الإدريسي، نبذة مختصرة من تاريخ تبلبالة.
¹ السلطان أبو الحسن المريني المعروف بالسلطان الأكحل: يرجع جميع المؤرخين أصل ونسب بنو مرين إلى مجموعة قبائل زناتة البربرية بقولهم أن بني مرين فخر من زناتة، ويعتبرون بنو مرين أنفسهم أعلى قبائل زناتة حسباً وأشرفها نسباً إذا يرجعون جذورهم القبلية إلى أصول عربية. أنظر: عامر أحمد عبد الله حسن: دولة بني مرين تاريخها وسياساتها تجاه مملكة غرناطة الأندلسية والممالك النصرانية في اسبانيا (668-869 هـ / 1269-1465 م)، مذكرة ماجستير، إشراف: عدنان ملحم، كلية الدراسات العليا، بجامعة فلسطين، 1424هـ/2003م، ص 85.

² مكناس: هي نقطة إلتقاء بين الهضاب الأطلسية والمرتفعات الشرقية وبين الأطلس المتوسط والشمالي والتلال الريفية، تنعم بروعة التناقض الطبيعي، بما قصور فخمة والقصبة والمساجد والمدارس القرآنية وحدائق وأحواض مائية ومتاحف، وتعتبر ثورة معمارية حيث تأسست هذه المدينة في القرن العاشر من قبل قبيلة زناتة المكناسية أنظر: المكتب الوطني المغربي للسياحة - مكناس في المغرب - (مطوية) ص 5-6.

³ Dominique champault. Une oasis sahara Nord occidental tabelbala، OP cit P: 277 -278.

وبعد مدة من الزمن قدم رجل صالح يدعى سيدي العربي فأقام بزاوية سيدي زكري وسكن بها واشتهر بتجارته الواسعة من بلاد درعة إلى أروان¹، فربح منها مالاً كثيراً إقتسمه أبناءه من بعده إلا أن هذه الزاوية لم تعمر كثيراً فتعرضت إلى انهيار على يد برايرة² بدو من الصحراء المغربية فخرج أهل زاوية سيدي زكري وأسسوا قصرًا آخر يحمل نفس إسم الأول.

(2)-**قصر مخلوف:** يطلق عليه "أيامي" باللهجة البلبلية ويقع هذا الأخير على بعد 01 كم جنوب شرق قصر سيدي زكري، أسسه الولي الصالح مخلوف البلبالي المتوفى في حدود عام 1543/950م حيث وجد اسمه في العديد من المصادر التاريخية مثل ترجمة أحمد بابا التمبكتي المتوفى عام 1626/1036م في كتابه نيل الإبتهاج ذاكراً لمخلوف بن علي بن صالح البلبالي: الفقيه الحافظ الرحلة، إشتغل بالعلم على كبره، فأول من أخذ منه الشيخ الصالح عبد الله بن عمر بن محمد فانتشر علمه واشتهر بقوة الحفظ من ذكرانه عنه فيه العجب حتى قيل أنه يحفظ صحيح البخاري³.

وترجم له أحمد بابا التمبكتي في كتاب آخر له "كفاية المحتاج" وقال عنه ابن القاضي المكناسي في جدوة الإقتباس: "مخلوف بن علي بن صالح المخلوفي البلبالي الفقيه أخذ بفاس عن ابن الغازي ومن نظمه مدح السلطان أحمد الشريف أبي عبد الله المهدي بقوله:

فَاللّٰهُ هَذَا الْهَاشِمِيُّ وَفَضْلُهُ
فَلَوْلَا صَال الْكُفْرُو أَعْظَمَ صَوْلُهُ.

¹ مدينة أروان (علينا أن نفرق بين أروان المغربية والسودانية).

² وتحذر الإشارة إلى أن غالبية القصور المحيطة بمدينة بشار ((منها تبلبالة)) سيطرت عليها القبائل البربرية البدوية، بحكم تفوقها في القوة والعدد الأمر الذي مكنتها من الإستيلاء على واحات النخيل والبساتين التابعة لسكان القصور وقد وصف لنا صاحب مخطوط الرحلة الحجية 1150-1737 ل العباس أحمد الشيخ بن عبد العزيز الرشيد الهلال السلجماسي بقوله: "... ثم ارتحلنا من القنادسة ومررنا قرب الزوال بقرى بشار، فتلقينا أهلها وقرونا تمراً جزاهم الله خير وبلدتهم ذات نخل وتمر لا بأس والأعراب غالبية عليهم ويطيب معم المقام في تلك البلدة ... ثم مررنا بقرية وكدة ... ماءهم محبوب بالفقاير، أكثر نخيلهم تملكه الأعراب وهم مدرون بيهم غاية. أنظر: العباس أحمد شيخ بن عبد العزيز الرشيد الهلالي سلجماسي: الرحلة الحجية 115هـ-1737م، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ أحمد بابا التمبكتي: نيل الإبتهاج بتطريز الديقاج، تحقيق علي عمر، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، القاهرة، 2004، ص 304-305.

توفي في حدود (950هـ / 1543م)¹.

وترجمة له العلامة الكبير المغربي الأصل المجدوب الفاسي (1295هـ - 1887م) في كتابه تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين قائلاً: "توفي مخلوف البلبالي في حدودها أي مع سنة 950هـ - 1543م"².

أما الباحثة "دومينيك شومبو" فعرفت على أنه من أعيان قبيلة الأنصار قصر "واد قير" من بلاد فقيق المغربية حيث دخل تبلبالة مهاجراً ورحب به سيدي بو زكري واقتطع له أرضاً بني فيها قصره المعروف بقصر مخلوف، فعرف هذا الرجل بعلمه وقيل أنه جلب معه من بلاد أروان السودانية في إحدى رحلاته إليها أربعين جملاً يعير الكتب، إلا أنها أُتلفت بعد وفاته من قبل أحد الفقهاء يدعى باسم "أحمد الخضر" خوفاً من وقوعها في أيدي الجهلة يفسدون علمه³، وقد حظي سيدي مخلوف وأبناءه بمكانة عالية الشأن فكان محل احترام ووقار حتى من أعيان الرجال الساسة الفرنسيون أيضاً وذاع صيته خارج الديار وسافر إلى بلاد السودان كبلة "كانو" وغيرها، وكانت له فيها عدة نوازل وأبحاث مع فقهاؤها ثم دخل تمبكتو ودرس هناك وبعدها رجع إلى المغرب الأقصى ودخل مراكش درس فيها وسمى هناك فمرض ورجع لبلاده وتوفي فيها في سنة 940هـ / 1533م⁴.

3- قصر القليعة: فهو مصنف ضمن القصور المندثرة والتي لم يبقى منها إلا بعض الآثار القديمة أسسه الفقيه الولي الصالح سيدي علي بن عثمان، يقع هذا القصر جنوب قصر مخلوف ولا زالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا، وذكر المؤرخ حمادي الإدريسي في كتابه نبذة في تاريخ تبلبالة أن هذا القصر يعد متأخر النشأة والتأسيس عن القصرين آنفا الذكر، ويرجع أصل مؤسسه إلى بلاد ينبع بالجزيرة العربية حيث قدم إلى تبلبالة برفقة خمس قبائل وهي: أولاد سيدي، أولاد عثمان، أولاد سيد الحاج، أولاد بوزيد، أولاد طالب وبعد دخولهم القصر واستقرارهم به عمدوا إلى حفر الفقاقير

¹ أحمد بابا تمبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ط1، دار ابن الحزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002، ص 484.

² أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي: جدوة إقتباس في ذكرى محل من الأعلام مدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973، ص 334.

³ وحسب رأي الشخصي أنه كان بدل إتلافها الحفاظ عليها أشد حفاظ حتى لا يفسدها الجهلة.

⁴ أحمد بابا تمبكتي، نيل ابتهاج في تطريز الديباج، المصدر السابق، ص 304-305.

لسقي مزروعاتهم وبساتينهم لكن كل هذا مكان ليملك طويلاً أمام هجمات عرب الرحامنة¹ من ذوي الحسان العرب المعقلين فهدموا هذا القصر عند إمتناع أهله من دفع المستحقات المفروضة عليهم فهجموا وخرّبوا البلاد وقتلوا الرجال وحملوا معهم الغنائم نحو بلاد الساورة، ولم يعيش فيهم إلا من كان مسافراً أو خارج البلاد وقلة النجوة من هذا الهجوم الذي ألحق بالقصر كارثة حقيقية قضت على الأخضر واليابس، فهاجر من تبقى منهم إلى توات وأسسوا بها قصرهم الشهير بملوكة.

والجدير بالذكر أن هؤلاء المهاجرين النجاة هم من أعيان البلباليين الأنصار الذين استقر بهم الوضع في بلدة برينكان وكوسام وملوكة وبني تامر هم من أجداد الأسرة البلبالية القادمة من تبلبالة، وذكر الأستاذ الدكتور حمادي الإدريسي: أن هؤلاء المهاجرين حملوا معهم ما تبقى من خشب باب قصرهم القليعة وصنعوا به باب قصرهم الجديد ملوكة، فهم من نسل سيدي علي

أو عثمان وهو الحاج بلقاسم بن أحمد، سيدي الحاج مُحمَّد الملقب "محمون"، سيدي الحاج حمى الله بن أحمد، سيدي الحاج عبد الرحمان بن المد المتوفي بالسودان الغربي، وسيدي الحاج علي بن أحمد.

وهاجرت الطائفة المتبقية من أهل قصر القليعة بعد خرابه إلى واد قيير² عند أولاد بلقيز من ذوي المنيع³ وكذا إلى واد زوزفانة ببني قومي بصحراء بشار وسكنته طائفة منهم قصر مخلوف بتبلبالة⁴.

¹ الرحامنة: قبيلة الرحامنة هي من القبائل المعقلية العربية التي وفدت إلى المغرب من شبه الجزيرة العربية عن طريق مصر وليبيا ثم صحراء موريتانيا. أنظر: عبد الرحيم العطري: الرحامنة القبيلة بين المخزن والزواوية، ط4، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، طوب بريس، الرباط، فبراير 2013، ص13.

² واد قيير: موجود في مدينة العبادلة، وأثناء هطول أمطار فجائية تتسبب في حدوث سيول أو فيضانات بهذا الواد.

³ ذوي منيع: تخبرنا المصادر التاريخية أنهم كانوا مستقرين قبل هجرتهم إلى سهل سابس في الحدود المغربية الجزائرية، والبعض الآخر كان مستقراً بمنطقة تافيلالت وبالضبط بسهل عبد الله بواد قيير وتتميز هذه القبائل بمهارتها في فن ركوب الخيل، والوالي الذي ترتبط به روحياً هو سيدي الغازي، الذي لا يزال ضريحه قائماً إلى يومنا هذا في دوار النواجي، واعتقاداً منهم أن ما كان يقوم به أولاد سيدي مليانه من ألعاب بالنار دون أن تحرقهم من بركة سيدي الغازي، أما الروايات الشفوية تثبت أن جدهم الأول هو سيدي مناع وكانت هذه القبيلة مستقرة في الأصل بالساقية الحمراء بمنطقة أم دريكة وعند دخول الأسبان إليها هاجروها. أنظر: حليلة بنكري: قبائل جيش العرب سايس ما بين الرواية الشفوية والمصادر الموثوقة 1832-1912، (دط)، (د ن)، ص ص 26 - 27 - 28.

⁴ عبد الله حمادي الإدريسي، نبذة مختصرة من تاريخ تبلبالة، ط1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 12 - 13.

إضافةً إلى وجود بعض آثار القصور المندثرة بتلبالة مثل قصر مخادة قاخدايو: الذي يقع فوق جبل المحيط بواحة تلبالة شيده الفرنسيون عام 1910م وفوقه برجهم العسكري أثناء احتلالهم البلاد البلبالية ويمتد هذا البرج أو قاعدة العسكرية فرنسية صغيرة إلى الهضبة تتمركز على بعد 25 متر وتوجد هذه القاعدة بأعلى الجبل، أما أسفله توجد قرية صغيرة يسكنها بعض التجار والعائلات الفقيرة، أما وفي الأماكن المجاورة لها توجد بعض أطلال القصور قديمة التي لم تعد مسكونة مبنية من الحجارة الصلبة ويظهر من خلالها أنّها كانت جدّ مهمّة في الحركة التجارية لوجود بعض آثار الفقاقير التي أصبحت مية¹.

بالإضافة إلى قصر إديران الذي يقع بالقرب من مقبرة البلدة أسّسه الشيخ بن ترائي الذي توفي بلاد ولاتة من موريتانيا حالياً وكذا قصر ماينسكافن هو الآخر يصنف ضمن القصور المندثرة، وله جدران مائلة ومربعة الشكل، إلا أنه اندثر ولم يبق له أثر بسبب الهجوم الذي قام به أهل قصر أنكاف الذي كان مجاوراً له فخرج أهله بعد هدمه متوجهين إلى بلاد السّاورا وتوات.

إضافةً إلى القصور الشمالية الغربية للواحة البلبالية والتي لاتزال أطلالها قائمة إلى يومنا هذا، ولكن لا يعرف تاريخ تأسيسها ولا مؤسسها ولم يبق منها سوى أسمائها الخالدة ومنها: قصبة كرون، قصر سراحنة وقصر تنادة، تينارست وقصر تكانت وغيرها من القصور المندثرة الأخرى².

إن المتمعن في أسماء هذه القصور يلاحظ أنّها سميت بأسماء تعود إلى اللهجة البلبالية الكورنجي بحيث لا يمكننا معرفة معانيها إلا عن طريق السكان الأصليين الذين يتقنون هذه اللهجة ولهذا فإنهم هم السكان الأصلي للمنطقة على رغم من دخول هجرات عربية وغيرها من القبائل الأخرى.

¹ archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle tome IX. OP cit P: 382

² عبد الله حمادي الإدريسي، نبذة مختصرة من تاريخ تلبالة، المرجع السابق، ص ص 10-11.

المبحث الثاني: جوانب من الحياة الاجتماعية بحاضرة تبلبالة:

أولاً: التركيبة السكانية.

ساهمت العوامل التاريخية والثقافية والحضارية وجغرافية في جعل هذه المنطقة مركز استقطاب للعديد من الأجناس، فشهدت قدوم خليط من السكان القادمين من المناطق المجاورة مثل المغرب الأقصى والسودان الغربي، وانتقلت هذه الفئات عن طريق القوافل التجارية والهجرات الجماعية لبعض القبائل العربية، وقد وجد في مركز تبلبالة أرشيف خاص بسكان المنطقة القدامى والذي قدمه الضابط الفرنسي بونافو (Bonafos) وهي عبارة عن دراسة قديمة ومهمة تجمع القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي¹ ومن بين هذه الفئات أو العناصر السكانية هي:

(1)- البربر: وهم قوم عرفوا بالشجاعة والنخوة والفروسية والشدة، أسلموا بعد الفتوحات الإسلامية وهذا ما أكده ابن خلدون بقوله إنهم ارتدوا على الإسلام واستقاموا عليه منذ أيام موسى ابن نصير².

وقدم البربر إلى تبلبالة من جنوب المغرب الأقصى وخاصة بعد وقوع نزاع مع سكان سيدي زكري مؤسس قصر شريعة أو القليعة الذي يقع في الجانب شمال الغرب للواحة³ كما إن المتمعن في جوانب من تاريخ المنطقة لا ينكر أن البربر هم الأوائل الذين استقروا بتلبالة وتكيفوا مع أوضاعها والعيش في وسطها، فكان لهم تأثيرهم في شتى الميادين وتركوا بصمتهم من خلال أسماء أغلب قصورها ولهجاتها وأسماء نخيلها وفقاقيرها وغيرها، وتميز البربر عن بقية الأجناس الأخرى بوجود بعض الخطوط وهي بارزة تلمحها من بعيد، كما تميزوا بصلاية أبدانهم وتفتح أذهانهم⁴.

(2)- العرب: أطلق عليهم اسم نومانديون العرب ومن بين القبائل العربية التي دخلت تبلبالة قبائل الغنامة والشعابنة التي قيل أن دخولهم المنطقة سبق القافلة الفرنسية سنة 1903⁵ ثم تواصلت

¹ archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle tome Ix, OP cit P 389.

² أبو الحسن علي الحسن الندوي: أسبوعان في المغرب الأقصى رحلة ومذكرة ومشاهدات وانطباعات، (د ط)، (د ن)، ص 17.

³ Mohamed tilmatine: un parler berbère. songhay du sud –ouest Algérien (tabalbal) éléments d'histoire et de linguistique, op.cit. P: 163.

⁴ archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle tome Ix, OP cit P : 389

⁵ Mohamed tilmatine: un parler berbère. songhay du sud –ouest Algérien (tabalbal) éléments d'histoire et de linguistique, op.cit. p: 169.

الهجرات العربية بوصول عرب بني هلال إلى بلاد المغرب منذ سنة 442هـ/1051م، فتوجّهوا في طريقهم نحو مقيدن مروراً على توات وصولاً إلى تبلبالة، بالإضافة إلى دخول المرابط الإدريسي سيدي زكري إلى تفيلالت خلال القرن السادس هجري الحادي عشر ميلادي، بالإضافة إلى دخول بعض العائلات المرابطين مثل عائلة سيدي إبراهيم وعائلة سيدي مخلوف الذي أسّس قصر مخلوف بتلبالة وبضببط في جنوبها وكذلك بعض القبائل العربية التي عرفت باسمي داوي حسن و غيرها.

تشير الدّراسات التّاريخية إلى هجرة بعض القبائل الكنتية ذات أصول عربية، فكان لهم دورٌ فعّالٌ في نشر الإسلام بإفريقيا وتعريب العديد من القبائل الإفريقية وكانت لهذه القبيلة فروعاً في الصحراء الجزائرية والتي يرجع أصلها إلى الشيخ سيدي أحمد الرقادي¹ وتميز العرب عن بقية الأجناس الأخرى بتلبالة بلون بشرتهم الغامق ويميل بعضهم إلى الإسمار وبعضهم إلى السّواد والبعض الآخر إلى اللون النّحاسي أو المحمر².

(3) -السود: دخلت هذه العناصر من السّودان الغربي عن طريق القوافل التّجارية واستقروا بالمنطقة امتزجوا مع المجتمع نتيجة المبادلات التجارية القائمة بين تبلبالة والسّودان الغربي وعرفت هذه الفئة بسوادها الداكن وبقوة بنيتها الجسدية فكانوا يباعون في العديد من الأسواق التجارية بالمنطقة وأوكلت لهم بعض الأعمال الشاقة مثل حفر الفقاقير وفلاحة الأرض وغيرها³.

¹ العلامة سيدي أحمد الرقاد الذي كان عالماً وعاملاً على المعرفة وهو أول من عرف بالرقادي لكرامة وقعت له وهو ابن الشيخ أحمد المعروف بالأترم بن سيدي عمر الشيخ، عمل على تأسيس الزاوية الرقادية الكنتية وهي خاضعة لشرفاء سيدي حمو بن الحاج في منطقة توات أنظر: مُجد الكنتي الرقادي: علاقة الأسرة الرقادية بآل السي حمو بلحاج جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية والثقافية لولاد سي حمو بلحاج: كتاب ندوة أولاد سي حمو بلحاج أعلاماً وآثار، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2016، ص 99.

² archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle tome Ix. OP cit P:389.

³ مريم بخدا: أعلام العائلة التينيلانية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11 و12 هجري و17 و18 ميلادي، رسالة ماجستير في تاريخ المغاربي عبر العصور، إشراف: خير الدين شترة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية وإجتماعية، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 2012/2011، ص 18.

ثانياً: الترتيب الاجتماعي لسكان تبلبالة.

(1)-الأشراف: أكدت الباحثة دومينيك شومبوا (Dominique champaul) أن هؤلاء يأتون في الترتيب الأول وفي قمة هرم التسلسل الاجتماعي، وينتمي هؤلاء في الغالب إلى أحفاد الشخصيات الدينية المهمة ويملكون الأراضي والبساتين الواسعة، كما ذكرت بأن هؤلاء الأشراف سيطروا على المنطقة مع منتصف القرن التاسع عشر فهم قبائل شريفة موجهة من المغرب الأقصى¹، وفي الأصل أن هؤلاء ينحدرون عن الأسرة الأدرسية أو العلوية الشريفة التي تنتسب إلى بيت الرسول ﷺ، ويتمتع هؤلاء بمكانة معتبرة بين أهالي المنطقة ولهم احترام كبير، ولا زالت هذه الحفاوة مستمرة إلى يومنا هذا فتسعى جمع الطبقات الأخرى إلى تكريمهم والأخذ برأيهم ومن بين هؤلاء عائلة سيدي زكري التي تعود إلى الأسرة الشريفة².

(2)-المرابطين: فهم يتقدمون إلى المرتبة الثانية في الهرم التسلسلي بعد الشرفاء ويتمتعون بوضعية إجتماعية لأبأس بها، فهم ينتسبون إلى الصحابة الأوائل أبو بكر وطلحة والزبير وعثمان، وعرفوا بأنهم أهل علم وصلاح وتقوى³.

(3)-الأحرار: فهم يصنفون في المرتبة الثالثة من التصنيف الاجتماعي بالمجتمع البلبالي وينحدر أفراد هذه الجماعة من العرب والبربر وتعرف بالعوام⁴.

(4)-السود أو العبيد القدامى: كما أطلقت عليهم الباحثة شومبوا بينجي (benga) والتي أكدت أن مجتمع تبلبالة كان يتكوّن من فئة الحراطين التي تعني مدلولها الأصل أنها تنقسم إلى كلمة الحر: أي الطليق والثاني بمعنى أنه حر طليق من المرتبة الثانية، فهؤلاء هم خليط من العبيد المعتوقين⁵.

¹ Dominique champaul: Une oasis sahara Nord occidental tabelbala.op.cit. p 175.

² فرج محمود فرج، إقليم توات خلال القرنين 18 و19 م، المرجع السابق، ص 34.

³ أبو الحسن على الحسن النبوي، أسبوعان في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص 31.

⁴ عليق ريحة نابت: قصر ملوكة بأدرار (إقليم توات) دراسة تاريخية أثرية، بحث لنيل شهادة ماجيستر، إشراف: صالح بن قربة،

كلية العلوم الإنسانية، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 2001 / 2002، ص 29.

⁵ Dominique champault:op.cit. p: 175.

كما عرف المجتمع بتبليالة تشكيل بعض الطبقات على حسب المستوى المعيشي لسكان المنطقة فنجد ثلاث طبقات وهي: الطبقة الفقيرة والتي اقتصر طعامهم على الخبز والكسكس والتّمر والطبقة المتوسطة وهي ميسورة الحال والطبقة الغنية التي تتنوع أطباقهم فكانوا يتمتعون ببعض المأكولات المعلبة مثل: المعجنات والسّردين والقهوة والحليب وغيرها¹.

فرضت الطبيعة القاسية على سكان تبليالة منذ إستقرارهم بحفر الفقاقير وممارسة الزراعة في البساتين والحقول لتأمين قوتهم وهذا ما جعلهم مجبرين على الإستقرار وبناء مساكن لهم والتي كانت مصنوعة من الطوب والتربة الممزوجة بالطين، كما وجدت بعض القصور مبنية بالحجارة وخاصة وأن المنطقة معروفة بانتشار الشظايا والحجارة الصخرية، أما بالنسبة للسقف فكانت تسقف بسعف النخيل وجذوعه، وتحدثت الباحثة دومينيك شومبوا (Dominique champaul) على ميزانية الأسر القاطنة بتبليالة التي لها ميزانية قليلة فهي تعاني من قلة الدخل وعدم قدرتها على شراء حاجياتها الضرورية منها فقط، وحددت لنا ميزانية العائلة لمدة عام من الحاجيات الأساسية بتكلفة الفرنك القديم، فحددت 5050 فرنك للعائلة الفقيرة و3015 فرنك للعائلة المتوسطة و499450 فرنك للعائلة الغنية، أما نفقات الشاي السنوية بتكلفة 10800 للفقراء و12150 للأغنياء².

ثالثاً: الإحتفالات الدينية.

من أكثر الأشياء التي تشد الزائر لمنطقة تبليالة آثار قصورها القديمة التي تعود بالذاكرة إلى الزمن الجميل، فحافظ البلاليون على معظم عاداتهم وتقاليدهم التي توارثها جيل بعد جيل، رغم أن معظمها يسير إلى طريق النسيان في ظل التغيرات الإجتماعية الحاصلة وأصبحت رهينة في ذاكرة كبار السن فقط.

ومن خلال بعض الشهادات الشفوية القيمة في هذا المجال والتي جاءت على لسان بعض أهالي المنطقة أن الإحتفال بالمولد النبوي الشريف يشكل مناسبة دينية مميزة حرص البلاليين على تخليدها من خلال بعض الطقوس وتقاليد أصيلة ولدت بالمنطقة، ومن خلال هذه المناسبة يعكس لنا البلاليون مظهراً من مظاهر حب خاتم الأنبياء والرغبة في تسليط الضوء على تاريخ سيرة

¹ Dominique champault, OP cit.P: 177.

² ibid: 176.

الرسول ﷺ الحافلة بالعبير والرقي والأخلاق الحميدة تكتسي طابعاً دينياً وإجتماعياً في آن واحد فلها جانبين الأول ديني والثاني فلكلوري، مع غروب الشمس تتعالى الأصوات إلى غاية وقت صلاة العشاء لقراءة البردة الخاصة بمدح الرسول ﷺ لمدة اثنا عشر يوماً ثم بعدها يأتي يوم الذكرى ويلتقي الجمع في ساحة كبيرة حيث يبدأ الفلكلور بمدح النبي، متبوعاً بطلاقات البارود التي يطلقها الرجال المخصصون للإحتفال ويلبسون اللباس التقليدي، وتقام في تبلبالة من كل عام وعدة تسمى بوعدة سبعة رجال فهي تظاهرة إجتماعية تعكس لنا عراقة المنطقة ففي اليوم الأول من الذكرى يتوجه الجميع إلى المسجد العتيق ويتناولون التمر والحليب ثم يقرؤون القرآن والمعروف عندهم باسم السلركة، أما في اليوم الثاني: وهو يوم الإحتفال فيخرج النساء والرجال والأطفال ويلبسون أحسن ما عندهم من لباس متوجهين إلى الساحة الكبيرة ويستمتعون باللوحات الفلكلورية مثل: البارود والدربوكة وقرقابوا¹.

ومن أهم الفرق الفلكلورية المتواجدة بالمنطقة هي فرقة سيدي بلال التي تتواجد بالمنطقة على مدى عشرات السنين فهي فرقة متوارثة ومعروفة بالمنطقة لإحياء المناسبات الدينية والوطنية وكل المناسبات الخاصة كالأعراس والختان وغيرها، كما لها عدة مشاركات عبر الوطن مثل حضور زيارة تيندوف بشهر أفريل من كل سنة، فتوارثها أصحابها أب عن جد ولها لباس خاص والمتمثل في سروال أبيض وقميص أبيض ومجدولة بخيط بلونين أبيض وأخضر طويل فوق الكتف حيث يجلس الرجال على الحصيرة للإستمتاع بالسهرة الفنية الفلكلورية، كما تفتش النسوة الأرض مرتدية اللباس التقليدي والمعروف عندهم باسم ليزار وتزيينه بأسوار من الفضة، أما بالنسبة للأهازيج التي تردها الفرقة كلها تتمثل في مدح والصلاة على النبي ﷺ ويسعى شباب المنطقة جاهداً للحفاظ على هذا الموروث الثقافي من الزوال لتوريثه للأجيال القادمة²، وبعد شهر رمضان مناسبة مواتية كذلك مناسبة لإحياء بعض تقاليد وبعض السلوكات حيث يتسحر البلباليون بأكلة المسفوف ويفطرون على حبات التمر والحليب ويتناولون طبق الحريرة متبوعة بكأس من الشاي

¹ أمينة بكيرات، إحدى سكان تبلبالة، مقابلة عن طريق هاتف: يوم 2019/02/18، على الساعة 15:20.

² مجهول: فرقة سيدي بلال وأفراح تبلبالة، التلفزيون بالشروق، متاح على الموقع: www.Echorouknews.tv.com

تاريخ الزيارة: 18 / 05 / 2018، على الساعة 16:15.

وبعد أداء صلاة التراويح يأتي بعدها دور وجبة العشاء المتمثلة في طبق الكسكس متبوعة بالسهرة الرمضانية تلتقي فيها العائلة لشرب الشاي أو القهوة¹.

رابعاً: المرأة في حاضرة تلبالة.

المرأة تلبالية شأها شأن النساء الريفيات في العديد من القرى الجزائرية لها دور كبير في بيتها الصغير فهي تربي أطفالها وتحضر لهم طعامهم وتعجن الخبز بيدها وتقوم بإعداد الكسكس² الذي يعتبر من أشهر الأطباق بالمنطقة، وتهتم المرأة التلبالية بأبنائها حيث تصنع بأناملها ما يلبسونه من صوف الحرارة فتصنع لهم قمصان وسراويل وجوارب لتقيهم من البرد الشديد شتاءً؛ كما تقوم بنسج أفرشة تفرشها في بيتها وأغطية لتغطية أفراد عائلتها إلى جانب ذلك فالمرأة تعمل في الحقول جنباً إلى جنب مع الرجل بكل مثابرة وجد تمسكت بخدمة الأرض والحقول وترسخ هذا النشاط مع مر السنين ليصبح ثقافة سائدة في المنطقة، فالفلاحة في هذه المنطقة ليست حكرًا على الرجل فقط وإنما مع طلوع الفجر كل يوم تقوم أغلب النسوة فرداً أو جماعة لخدمة الحقول والبساتين فتزرع محاصيلها وتسقيهم وتهتم بهم وتنزع الأعشاب الضارة المحيطة بهم لتقطف في آخر المطاف ثمار جهوداتها وتحصد محاصيلها المتمثلة في الخضر والفواكه؛ فالمرأة هنا تتحمل قساوة الطبيعة الصحراوية وفرط حرارة شمسها وتصبر لتجعل من تلك الحقول جنات تسر الناظرين وزوار المنطقة، ورزقاً لمئات العائلة ترويه النسوة بكدهن وعرق جبينهن³.

رغم استمرار هذه العادات لدى المرأة التلبالية إلى يومنا هذا، إلا أنه مع مطلع القرن العشرين بدأت تتغير ذهنية المرأة التلبالية فبعدما كانت رهينة لمجموعة من العادات والتقاليد التي تفرضها السلطة الأبوية التي ترى لا جدوى من تعليم المرأة وتثقيفها ووظيفتها تقتصر على الزواج والإنجاب ومكانها هو بيتها وبستانها فكانت غالبية النساء غير متعلمات، إلا أن ذهنية المرأة

¹ نورة أ: عادات وتقاليد تلبالة، متاح على الموقع: www.aljazairiess.com، تاريخ الزيارة: 02 جوان 2018، على الساعة: 12:16.

² الكسكس هو: طعام يشيع في المغرب العربي، يتخذ من طحين القمح المفروك وينضج على البخار. أنظر: تعريف ومعنى الكسكس في معجم المعاني الجامع، المعجم الوسيط، ص 1، الوارد في الموقع: www.almaany.com تاريخ الزيارة: 16 جويلية 2018، على الساعة: 11:18.

³ مجهول الاسم: السواعد الناعمة لتطويع الأرض بتلبالة حصة أخبار بتلفزة الشروق متاح على الموقع الإلكتروني: www.Echorouk news.tv.com، تاريخ الزيارة: 08 ماي 2018، على الساعة: 20:13.

تغيرت وأصبح لها إنتاج ثقافي وفكري نظراً للظاهرة التطورية التي شهدتها الجزائر بعد القرن العشرين، وعالجت الباحثة دومينيك شومبوا (Dominique champault) بدقة حياة المرأة البلبالية ولباسها وحلي ونشاطها حيث سمح لها فضولها للدخول في خصوصيات المجتمع النسوي وأعطتنا جزء من أسرارها، فمثلاً: ذكرت في إحدى صفحات كتابها أنه لربط العروس بسكنها الجديد يضعون وقداً صغيراً من الخشب بين أصابع أرجلها اليمنى وأم العريس هي التي تقوم بوضعه للعروس "العود مع حجر صغيرة" وذكرت أن هذه الطقوس والتعويذات مجلوبة من إحدى القبائل بالسينغال مستدلةً في ذلك على ما لاحظته السيدة كومت قيبرر (coumte gibrre) بقولها: "جاء من شيء منفعي ليصبح شيء فني وثقافي في هذه الطقوس القديمة وربما تكون مفتاح لبعض ألغاز الحضارات القديمة والحديثة بمنطقة الصّحراء...". وذكرت بأن هذه العادات الموجودة في تلبالة موجودة عند قبيلة الطوارق الجزائرية وهي في أصلها منحدره من المناطق الإستوائية¹.

خامساً: الأطباق التقليدية المعروفة بالمنطقة.

1- كُسْكُسن "الورقية" من أعرق الأطباق بمنطقة تلبالة:

كشفت لنا السيدة أمينة عن خصوصيات الكسكس التلبالي وقالت: "أنه رغم التشابه الكبير مع غيره من كسكس باقي القصور والولايات الأخرى إلا أن المرأة البلبالية بمهارتها المتوارثة عن السلف تمكنت من تحويل حبات القمح الصافية إلى حبات من الكسكس بذوق منفرد يعكس لنا أصالة الذوق المتميز، فنجد أن هذا الطبق رئيسي بالمنطقة إذ لا يخلو البيت من وجوده وعلى مدار السنة ويقدم مع المرق الأحمر الذي يعد بلحم الإبل أو الغنم، مع إضافة الكثير من الخضروات المتمثلة في الجزر والقرع واللفت والبصل وغيرها من الخضر ويرتبط تحضيره ببعض الولائم الخاصة كالأعراس والزيارات والمناسبات².

2- طبق المخلع: ويسمى بهذا الاسم لأنه يوجد ضمن مكوناته اللحم المقدد والمعروف عندهم باسم الخليع، حيث يشرح اللحم إلى قطع رقيقة وينشر لينشف ويصبح جافاً وله رائحة عاتقة فعندما يضاف إلى الأطباق يعطي طعم جميل، ومن أهم مكونات هذا الخبز هو الدقيق والبصل

¹ Dominique champault, OP cit P: 176.

² أمينة بكيرات: إحدى سكان تلبالة، مقابلة عبر الهاتف: يوم 2019/02/18، على الساعة 15:30.

وشحم والفلفل الحار وتقدم هذه الوجبة مع الشاي بالنعناع وهي معروفة في أنحاء بشار ويسميتها البعض بإسم "خبز البصلة"¹.

أما الباحثة دومينيك شومبوا (Dominique champaul) التي تطرقت إلى الأطباق أو الأطعمة المعروفة بمنطقة تلبالة فأكدت على وجود أنواع عديدة ومن بينها فطيرة أو خبز الخميرة إلا أنها لم تتعرض للوصف الدقيق لها وأيضاً تعرضت إلى كلمة مستكة والتي تعني بها المسك الحر حيث أن النساء البلاليات تضعن المسك الحر في بعض أطعمتها واستمرت هذه العادة إلى يومنا هذا، حيث أنه أثناء إعداد طبق الكسكس في المناسبات يتم وضع القليل من المسك الحر مع المرق لأنه يزيد طعم وذوق لمرق الطعام².

إضافة إلى الشاي الذي يشلل ورقه بالماء الساخن ثم يملئ الإبريق بالماء ويوضع على النار (جمر) حتى يطبخ ثم يصفى في إبريق آخر ويضاف إليه السكر والنعناع، ويشترط أن يكون من الأنواع الرفيعة لإعطاء طعم المتميز.

سادساً: اللهجة بحاضرة تلبالة.

(1) - تعريف اللغة واللهجة والفرق بينهما:

اللغة أصلها لغوة وقالوا فيها لغات ولغون وقيل منها: لغى يلغى: مصدره اللغا وكذلك اللغو³، قال سبحانه وتعالى: "وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا"⁴ أي بالباطل.

تعريف اللغة إصطلاحاً: اختلف العلماء قديماً وحديثاً في تحديد تعريف محدد اللغة فعرفها البعض أنها النسق من الإشارات والرموز تشكل أداة من الأدوات المعرفة وهي من أهم وسائل التفاهم، كما عرفها ابن جني أن حدها: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم⁵.

¹ أمينة بكيرات: إحدى سكان تلبالة، مقابلة عبر الهاتف: يوم 2019/02/18، على الساعة 15:30.

² Dominique champault: Une oasis sahara Nord occidental tabelbala. op.cit. p: 177.

³ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (لغا)، ط2، القاهرة، ص233.

⁴ سورة الفرقان: الآية 72.

⁵ عبد المجيد الطيب عمر: منزلة اللغة العربية بين اللغات المعاصرة (دراسة تقابلية)، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، إشراف:

بكري الحاج أحمد، قسم الدراسات النحوية واللغوية، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، 2010، ص18.

(2)-**اللهجة:** جاء في المقاييس: اللام والهاء والجيم: أصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، والأصل الآخر يدل على اختلاط في الأمر واللهجة: اللسان بما ينطق به من الكلام.

أما اصطلاحاً: فاللهجة تسمى العامية أو المنطوقة أو المحكية أو المحلية أو الدارجة، وهي اللسان الذي يستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجياتهم والتفاهم فيما بينهم.

واللهجة في الإصطلاح العلمي الحديث: هي مجموعة من الصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة¹.

لأهل تلبالة لسان خاص يطلق عليه اسم "الكورانجي" وميزة هذه اللهجة أنها شفوية وليست مكتوبة وهذا ما جعلها مهددة بالزوال وخاصة أن كبار السن لم يُعلموها إلى الجيل الجديد ؛ ويقال أن لهجة الكورانجي ممزوجة بين اللغة العربية والنيجرية الإفريقية حيث تعايش سكان تلبالة في وسط إجتماعي متركز على الإسلام متأثرة بالوثنية التي نجد لها تفسيراً في بعض العادات وألعاب المجتمع مثل الرقص، ولهذا وجدت تأثيرات كبيرة على هذه المنطقة الصغيرة بوجود عدة لهجات وهي:

○ سونغاي: بتدقيق حرف k "ك" الذي يتحدث به أغلب السكان.

○ البربرية: المستعملة في بعض العائلات وتستخدم القليل من لهجة حرف k.

○ العربية المغربية: وهم يستبدلون حرف k "ك" في كل الحالات.

بالإضافة إلى اللغتين العربية الفصحى الوحيدة المعترف بها وطنياً والفرنسية لغة الإستعمار المستعملة في كل مناطق الجزائر تقريباً².

أكد الباحث مُحمد تيلمتين (Mohamed tilmatine) أن السكان جنوب تلبالة يتكلمون لغة السونغاي وإذا رجعنا إلى تاريخ السونغاي فإننا نجده متأثراً كثيراً كبير بلهجة الجنوب لتلبالة، كما أن لها ارتباطاً بلغات كثيرة منها العربية، الطوارق، الحسانية أما سكان شمال بتلبالة تأثروا بالبربر (الطوارق) وبعض لهجات القبائل المغربية وكذلك لغة الهوسا والعربية.

¹ عبد القادر سلامي: نماذج تعبيرية في لهجة بشار ونواحيها وسبل ترقيتها بلطف الصنعة والتأويل، مجلة الدراسات، جامعة

تلمسان، ع 5، جوان 2017، ص 8.

² Mohamed tilmatine: etudes et documents Berbères 14، 1996، OP cit ، P: 7 – 8.

كما وضح لنا الباحث من جهة أخرى الفرق في لهجات الشمالية المقسمة بين اللهجة الحضرية واللهجة البدوية، فلهجة الشمال لها نظرة صوتية سمعية متميزة قريبة جداً من اللغات السامية والبربرية فهي خاضعة لتأثيرات البربرية والعربية عكس لهجة الجنوب¹.

ويبدو أن هناك تناقض عندما نرى أن الموقع الجغرافي لتلبالة بعيداً جداً من منطقة سونغاي²، فكيف وصلت هذه اللغة إلى هذه المنطقة؛ فهناك بعض الكلمات تتوارثها الأجيال منذ القدم بل أن مئات الجمل والألفاظ تستعمل عند شيوخ المدينة وحتى أنها أصبحت حكراً على المنطقة دون غيرها.

وعليه فإن المنطقة كانت تمثل نقطة عبور ومنطقة تلاقي القوافل حتى قيل أن يوسف بن تاشفين مرّ عليها، وهذا التفسير الوحيد الذي يُمكننا الاعتماد عليه في تأثيرهم باللهجة سونغاي، كما اعتمد بعض تجار تلبالة في معاملاتهم التجارية مع المغرب وبلاد السودان بمترجمين لتسهيل التفاهم بين رجال القبائل السودان والتجار المغاربة، وكان هؤلاء المترجمين يجلسون في الدكاكين التجار مع السماسرة، وكان من آثار هذه التجارة أنه تم وضع أسلوب جديد لتسهيل العلاقات المالية بينهم³.

أما الجيل الجديد فهم لا يتحدثون بها ولا يفهمونها باعتبارهم ترعرعوا في بيئة تميزت بلسانها العربي، وقد أكدوا أن لغة الكونراحي تنطق ولا تكتب وقد عمل أحد أهم الباحثين المختصين في الأدب واللسانيات بحصرها وبحث في جذورها إلا أن أعماله لم تترجم بعد⁴.

سابعاً: مقبرة سبعة رجال بتلبالة.

تعد هذه المقبرة أحد أهم المعالم الأثرية الضاربة في أعماق التاريخ، حيث كشفت الرياح القوية درجة قدمها مع وجود أواني فخارية وبجانباها هذه المقبرة يوجد معلمين من القبور العملاقة

¹ Mohamed tilmatine: etudes et documents Berbères, OP cit ، P: 9 – 11.

² فاللغة أو اللهجة البلبالية الموجودة بواحة تلبالة بالصحراء الكبرى هي إحدى أشكال لغة السونغاي المتأثرة باللغة الأمازيغية والتي تستخدم بشكل واسع بالجنوب بالقرب من نهر النيجر وغيرها.

³ صالح بن قرية: أهمية تلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، جامعة وهران 2، ع1، 2012، ص104.

⁴ إسم مجهول: لغة أهل تلبالة، فيديو الشروق TV، متاح على الموقع: www.Echorouknews.tv.

وقد فسر أحمد مسعود أحد المهتمين بالتراث المحلي في إحدى مقابلاته الصحفية أن سبب وجود القبور العملاقة يعود إلى عاملين اثنين هما: إما أن يكون قبر لإنسان طويل الجسم أو إلى احتلال الشخص المدفون مكانة مرموقة في مجتمعه ؛ كما أكد بعض أعيان المنطقة أن هذه المقبرة توجد منذ زمن بعيد وذات قيمة تاريخية كبيرة لازالت تنتظر إلتفاتة الجهات الوصية لتصنيفها ضمن التراث التاريخي المحلي والوطني ؛ تقول الأسطورة حول هذه المقبرة أن مؤذن القرية عندما إستيقظ في فجر يوم من الأيام كعادته رأى قافلة مع إبل تمر من هذا الطريق وعندما أشرقت شمس ذلك اليوم وجدوا هذه القبور السبعة مبللة بالماء¹.

أما عن علاقة هذه القبور بالمدينة الحمراء مراكش يقودنا إلى تساؤل: فقبور الرجال السبعة أجسادهم في مراكش وأرواحهم في تبلبالة؟ فما المقصود من هذه الأسطورة؟

إن فكرة سبعة رجال موجودة منذ زمن بعيد حيث أرجعها الدكتور المغربي حسن حلاب إلى ما قبل الفتح الإسلامي للمغرب وأكد أيضاً على وجود الرجال السبعة في عدة بلدان منها مصر والجزائر والمغرب².

لم تسعفنا المصادر التاريخية بتراجم واضحة عن حياة هؤلاء الرجال السبعة، فهذه الحادثة التاريخية مجهولة حتى أهل القصر ليست لهم دلائل تاريخية أو وثائق تترجم هؤلاء ولهذا فقد اقتصرنا على بعض ما قاله الحاج بابا يحيياوي وهو أحد أعيان قصر تبلبالة في إحدى مقابلاته التلفزيونية، فقد صرّح السيد يحيياوي أن هؤلاء الرجال غير معروفين وكأن الأرض انشقت لهم ودفنوا بها وأحصى بعضهم بقوله: سيدي عيسى وسيدي علي بناصر، وسيدي بوزكري، والحاج سيدي العربي جد يحيياوي وهو الشخص الوحيد المعروف بينهم حيث أكد أنه ذهب إلى الحج ثلاث مرات على قدميه³.

¹ حميدة هواري: السبع رجال والقبور العملاقة: أهم المعالم التاريخية بالمنطقة، تلفزيون النهار، متاح على الموقع:

.www.Ennaharonline.com

² حسن حلاب: الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب الحركة الصوفية بمراكش (ظاهرة سبعة رجال)، ط1، المطبعة الوراقية

الوطنية، مراكش، 1994، ص166.

³ زوير بونون، قبور الرجال السبعة، متاحة على اليوتيوب، www.youtube.com

كما وجدنا في بعض الكتابات الفرنسيّة أنهم وجدوا قبوراً كبيرة الحجم وتحمل بعض الكتابات التي ليست لها أهمية وأن هؤلاء لا يُعرفُ عنهم أي معلومة، واعتبروها قصة رائعة في تاريخ تلبالة وفضولية ولكن ليست لها أهمية تاريخية كبيرة¹.

أما عن الرجال السبعة المتواجدين بمراكش فهم معروفون حيث تلقب مدينة مراكش بالمدينة الحمراء لغالبية اللون الأحمر على بنائها كما أنها تعرف اسم مدينة سبعة رجال من كبار العلماء والفقهاء والصوفية الذين عاشوا بالمدينة الحمراء ودفنوا بها وكان هؤلاء دوراً كبيراً في نشر الوعي السياسي والفكري والتربوي وسط سكانها وهم على التوالي:

(1)- يوسف بن علي الصنهاجي: ولد بمراكش وترعرع فيها ومات فيها ودفن بها عرف عند العامة باسم "مول الغاز" وقد شهد له بالزهد والتصوف، ومن عادته أن يصوم شهر رمضان في سبته وتوفي عام 1196هـ.

(2)- عياض بن موسى اليحصي: والمعروف بالقاضي عياض وقيل فيه: "لولا العياض لما عرف المغرب" ولد بمدينة سبته وترى على الصلاح والتقوى، حفظ القرآن صغيراً وأخذ عن علماء سبته، رحل إلى الأندلس وتلمذ على يد علمائها وفيها برع واشتهر وتولى القضاء وهو ابن خامس وثلاثين سنة وقد كانت له عدة كتب علمية من أشهرها: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى توفي ودفن بمراكش سنة 1149هـ.

(3)- أبو العباس السبتي: وهو أكبر أولياء مراكش ولد بسبته سنة 1129هـ، أقام بها وورث الولاية كابر عن كابر، ثم ارتحل إلى مراكش لطلب العلم وهو أشهر رجالات مراكش السبعة على الإطلاق رحل صغيراً إلى مراكش الحمراء لطلب العلم وقيل أن التصوف حلمه وتوفي في سنة 1204هـ².

(4)- محمد بن سليمان الجزولي: المكنى بـ "مول الدليل" وهو مؤسس الطريقة الجزولية الشاذلية، قضى طفولته في بلاد مجزولة من أقاليم السّوس، بعد أن نال حظاً وافراً من التعليم في جزولة، أرسله أهله

¹ archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle Ix,OP cit P 389.

² مجهول المؤلف: مخطوط أجوبة تتعلق بالسبعة رجال دفن بمراكش، الخزانة الحسينية بالقصر الملكي، الرباط، المغرب، الورقة 327، 331، 332.

إلى فاس إلتقى بالعارف الكبير سيد أحمد رزوق وتلمذ على يده توفي مسموماً من صلاة الصبح يوم الأربعاء 16 ربيع الأول سنة 1465هـ.

(5)- سيدي عبد العزيز التباع: المكني "بمول الطابع" درس وتعلم بمراكش وقد بلغ مبلغاً في العلم مستوى جعل كتاب التراجم بصفوته بالشيخ العالم صاحب الشيخ الشهير مُجَّد بن سلمان الجزولي وتعلم على يده وكان في الإمامة والجلالة بمكانة عالية وتوفي الشيخ سنة 1509هـ.

(6)- الشيخ سيدي عبد الغزواني: ولد بفاس وعاش بها والمكني بـ "مول القصور" وهو الفقيه الصالح صوفي من تلاميذ الشيخ سيدي عبد العزيز التباع، قتل الغزواني وهو يشجع جيوش السعدين على اقتحام أسوار مراكش سنة 935هـ.

(7)- الإمام السهلي: الإمام عبد الرحمان ابن أحمد السهلي، صاحب كتاب الروض الإتفاق في السيرة، ترعرع السهلي بملقة في أسرة فقيرة لكن كانت معروفة بالعلم والدين، وقد اشتهر بالزهد في الدنيا والصبر على البلوى وهو علم من أعلام اللغة والحديث والفقہ في الغرب الإسلامي، دفن بروضة باب الشريعة الذي سمي الآن باب الرب وتوفي سنة 1185م¹.

وقد أشار العلامة مُجَّد باي بالعالم في كتابه الرحلة العلية التي سماها الرحلة إلى المغرب الأقصى إلى زيارة قبور الرجال السبعة بمدينة مراكش في يوم الاثنين 25 ربيع الثاني 1414هـ، وكان الهدف من زيارتهم هو ما حدده الرسول ﷺ في زيارة الأموات من التذكر بالآخرة وتذكر أعمالهم وطاعتهم، فلهم كرامات لا ينكرها إلا الجاهل وأعدهم على التوالي وهم: الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي الصنهاجي دفن الغار وأبو الفضل القاضي عياض المتوفي سنة 544هـ، وأبي العباس السبتي المتوفي سنة 601هـ، والشيخ مُجَّد بن سلمان الجزولي المتوفي سنة 870هـ، والشيخ عبد العزيز التباع المتوفي سنة 914هـ، والشيخ عبد الله الغزواني المتوفي سنة 935هـ، والإمام السهلي المتوفي 533 هـ².

¹ عبد الكامل البوعمرى: أحد أعيان مراكش والمهتمين بالتاريخ المحلي، مقابلة شفوية، مراكش، المغرب، بتاريخ: 19 فيفري 2018، على الساعة: 10:30.

² مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المصدر السابق، ص ص 241-242.

المبحث الثالث: الأوضاع التاريخية والإقتصادية لتلبالة.

أولاً: تلبالة وحركة الأحداث التاريخية¹.

في سنة 1905م وبعد معركة النخيلة إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر، أرسلت قوات الفرنسية النقيب ريفنولت (Rifnolte) للقيام بعمليات إستطلاعية لتلبالة من أجل جس نبض أهالي المنطقة لثقرر في سنة 1908م إرسال النقيب مارتان (martan) الذي عمل على قصف قصر الشرايع، وفي سنة 1910 تمت السيطرة المباشرة على تلبالة وتم فيها إنشاء مراكز عسكرية وإدارة فرنسية بقيادة النقيب كليرمون (klirmone) ومن بين هذه المراكز: مركز بمنطقة الكيحل الموجود بأعلى الجبل ليساعد في عمليات المراقبة الفرنسية أما أسفله توجد قرية صغيرة لسكان المنطقة وشهد فيما بعد بعض الإنجازات الواسعة²، وشهدت المنطقة الكثير من الحملات العسكرية الفرنسية والقضايا من بينها:

أ)- قضية أوديكا في جوان 1914:

أرسل الملازم كيتو (kiuitot) دورية متنقلة إلى الواد العلوي بالداورة³ بقيادة "مارشال"

فواجهته بعض الإحتكاكات من طرف المجاهد البشير ولد حميدى الذي تمكن من القضاء على ثلاث رجال فرنسيين في حين أنه فقد ثلاثة من رجاله وهذا ما جعل الدورية الفرنسية تتراجع في

¹ سنة 1923م بدأت الحملات الإستطلاعية الحاسمة والتي كانت لها نتائج عظيمة في إحتلال مدينة تندوف وخاصة في قاعدة الهجانة المتمركزة بمدينة تلبالة على بعد 500 كلم تقريباً شرق مدينة تندوف واختتمت هذه العملية الإستكشافية بعملية إستطلاعية أكثر دقة ما بين شهر فبراير وأفريل من سنة 1928م انطلاقاً من تلبالة التي كانت بها قاعدة قوية وهامة أسسها الفرنسيون بعد إجراء العديد من الدراسات المستفيضة مباشرة بعد إحتلال تلبالة من سنة 1910م بشهر جوان، كان ذلك مؤشراً قوياً على التمهيد الفعلي للاستيلاء على منطقة تندوف ومن بين أروع القصائد التي قالها الشاعر علي فويشل، قصيدته المشهورة في تاريخ لأهم الإشتباكات التي جرت على أرض الصحراء وهي أبيات باللغة الحسانية ورد فيها:

وَالْمَهْجَمَةُ فِي الدَّوَارَةِ بَالِي تَسَال سُول حَيِّي وَبَلْبَالَةَ
سَمِعُوا فِيهَا حَسَنَ الرِّقَالِ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْهَيْلَالَةَ.

أنظر: مصطفى بن دهيبة: قطوف من تاريخ تندوف مقارنة في مسيرة الكفاح الوطني بمنطقة تندوف وخلال فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، 2010، أصدر المجلس الأعلى للغة العربية، دار راجعي للنشر، الجزائر، ص 19-56.

² archives de l'institut pasteur d'Algérie publication trimestrielle Ix. OP cit p: 382.

³ الداورة: هو واد فاصل بين ولايتي بشار وتندوف.

ظروف غامضة، وفي هذا الوقت ابتعدت هذه الدورية خوفاً من أية احتكاكات جديدة وهجمات غير متوقعة يمكن أن تؤدي إلى تعقيدات أخرى.

(ب) - قضية بولعظام في سبتمبر 1914م:

في 16 سبتمبر 1914م إقتحمت مجموعة فرنسية مشكلة من خمسين رجل مسلح منطقة تبلبالة، وفي اليوم الموالي - 17 سبتمبر - وصلت مجموعة من الثوار مشكلة من خمسة وعشرين رجل بقيادة القائد "ميلود بن ناصر" إلى منطقة بولعظام بالقرب من ناحية الداورة أين كان العدو يحرس جميع المرتفعات المحيطة بنقطة مصدر المياه، وبعد أن كشفهم "القائد ميلود بن ناصر" قام بمناورة خطيرة وبدون خوف حيث سيطرت على قمة من المرتفعات المحيطة بنقطة مصدر المياه ببولعظام، ثم بعدها اشتعلت نار القتال بين الطرفين وبشكل غير متوقع فقتل في وقت وجيز ثلاثة عشر مجاهداً والعديد من الجرحى في صفوف الثوار وخسر العديد من الجمال فلم يتسنى للقائد "ميلود بن ناصر" التفكير في الإستمرار بعد أن ضَعُفت قُوته إلا أنه أبلى بلاءً حسناً في أرض المعركة.

(ج) - هجوم قافلة في "ميات شعبة" (Miat chaaba) مارس 1916م:

دخلت فرقة فرنسية المسلحة إلى جبال جنوب شرق تبلبالة، وتسللوا معبر ضيق للوصول إلى منطقة "ميات شعبة" وبعدها قَدِمت قافلة فرنسية أخرى تحمل بعض الأسلحة والذخيرة وكانت هذه القافلة مرفوقة بحماية كافية وبعد لحظات تعرضت القافلة الفرنسية إلى هجوم مفاجئ من طرف الثوار.

وفي 23 ماي 1916م قرر بعض الثوار إعادة وقائع قضية "ميات شعبة" حيث نصب كمين في مضيق جبال "فم الطليع" (feum el Tlaia) في انتظار مرور القافلة، إلا أنها كانت مؤمنة من طرف الحائن مبريست (Mébaristes) تحت أوامر الملازم سيزر (Cesar) وهذا ما صعب المهمة أمام الثوار فعندها اندلعت معركة شرسة بين الطرفين أين تم القضاء على ثمان عشر رجلاً من الثوار في حين تكبد الفرنسيون بعض الجرحى فقط من بينهم الفرنسي أوت (Autet).

وبعد هذا النجاح الذي حققته هذه السارية الفرنسية فقد تحصلت على عدة ميداليات عسكرية وأوسمة حربية حيث من خلالها أوقفت العديد من الهجومات خوفاً من تكرار الهزائم في صفوف الثوار وكذلك عززت روح الهجوم للسنوات القادمة بالنسبة للعسكر الفرنسي¹.

ثانياً: الأوضاع الاقتصادية بتبليالة.

لدراسة الحياة الاقتصادية لأي إقليم كان لابد من الوقوف على أهم الركائز التي تقوم عليها والمتمثلة في الزراعة الصناعة أو الحرفة والتجارة:

(1)- الزراعة: تعد الزراعة من أهم الموارد الأساسية لسكان تبليالة حيث لجأوا إليها بعد استقرارهم بالمنطقة، فمن خلالها كانوا يلبون مطالبهم اليومية من مأكّل ومشرب، فتغلبوا على قساوة الطبيعة وقلة خصوبة أراضيها لكسب قوتهم وتأمين حياتهم، فمارسوا نشاطهم الزراعي على قطع صغيرة من الأرض تعرف باسم البساتين وتكون في الغالب بعيدة ولو بالقليل عن مقر سكنهم².

عندما تبحث في أهم الخصائص الفيزيائية المؤثرة في واحة تبليالة تجد أنها تتجمع في منطقة أقل فقراً من منسوب الماء بالصحراء، ولها حدودها ونصيبها من المياه الجوفية المعروفة بالفقارة أو الخطارة، ووجود بعض الأودية المحيطة بها.

(أ) - النخلة: تمثل النخلة أهم المزروعات بمنطقة فهي العمود الفقري للمزروعات بتكيفها مع الأجواء الصحراوية القاسية في حين إعتبرها البعض على أنها شجرة مباركة، فبارك الله في ثمرها وجعل منه قوت للإنسان في سفره كما أنه يمثل مصدر قوة العديد من العائلات الفقيرة مع الخبز حيث أكدت الباحثة **دومنيك شومبو (Dominique champault)** أن غذاء العائلات الفقيرة بمنطقة تبليالة يقتصر على الخبز والتمر فقط³.

وظلت النخلة مورد أساسي ومحلّ تبادل تجاري بين السودان والمغرب الأقصى آنذاك ويكثر تواجدها في البساتين الممتدة على طول يقدر بنحو خمسة كيلو متر وخمس مائة متر عرض⁴.

¹ Impimerie Administrative et militaire a maugun Blida "Historique de la campagne saharienne de la saoura de 1914 à 19 18 A2g . 37 85 PP: 5 – 6 – 7.

² Archives de l'institut pasteur OP citP: 382.

³ Dominique champault OP cit P: 176.

⁴ Archives de l'institut Pasteur OP cit P: 382.

فتميزت هذه المنطقة بواحات النخيل التي زادت جمالها ولها أراضي خصبة وصالحة للزراعة وقد أكد ذلك الحسن الوزان مع بداية القرن السادس عشر بقوله: "...أراضيها الصالحة للفلاحة المغروسة بالنخيل، الماء فيها قليل وكذلك اللحم..."¹.

(ب)- الكمأة أو الترفاس:

عرفه الحسن الوزان أنه عبارة عن جذر نباتي أكثر ماهو ثمر ويشبه الكمأة ولكنه أضخم منها ذو قشرة بيضاء، ينبت في الرمل بالأماكن الحارة، وبعضه في حجم الجوز والبعض الآخر في حجم البرتقال، وهو ثمر منعش في نظر الأطباء الذين يدعونهم كمثاً، ويتلذذ الأعراب بأكله لو كان سكرًا،² فهو من الفطريات الكبيرة الحجم تنمو تحت سطح الأرض حيث لا بد من وجود بعض النباتات والأعشاب الصحراوية لتنمو على جذورها مكونةً معها نوعاً من أنواع المنفعة تسمى علمياً (الميكروهيذا)، كما أن هذه الفطريات تنمو على شكل درنة البطاطا في الصحاري، فهو ينمو بالقرب من نوع الفطريات الصحراوية أو ربما يحلو له أن ينمو قريبا من جذور الأشجار الضخمة كشجر البلوط على سبيل المثال وشكلها كروي لحمي رخو منتظم، وسطحها أملس أو درني ويختلف لونها من البني إلى الأسود وأفضل وقت للبحث عنه هو عند الفجر أو الأفضل أن تنكشف أشعة الشمس الخفيفة وعند العثور عليه يجب حفظه في مكان مظلم، وصدق الرسول ﷺ في حديثه الشريف من صحيح مسلم: عن سعيد بن زيد بن عمر بن نفييل، قال: قال رسول الله ﷺ: "الْكَمَاءُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ"³.

فهذه التبتة الفطرية من الله بها على عباده بحيث أنها تنبت بلا تكلفة لا بذور ولا زرع ولا سقاية فهي لا تزرع ولا تستزرع، وأثبتت البحوث العلمية أن محاولة استزراعها باءت بالفشل لكي تبقى مئة من الله على عباده وتوجد عدة أنواع وأصناف وأجودها على الإطلاق الترفاس الأسود المدبب السطح-على شكل حبة ألماس- وأقلها جودة الترفاس الأبيض أو ما يسمى بـ "البلهروش" وهو الأكبر حجماً وتشتهر ولاية بشار عموماً وحمادة تبلبالة خصوصاً بوجود هذه الفطريات

¹ حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 129.

² نفسه، ص 129.

³ أخرجه البخاري في صحيحه 1627/4 برقم 4208.

حيث تشهد المنطقة سقوط كميات معتبرة من الأمطار، ويظل موسم البحث عن الترفاس إلى غاية شهر مارس، رغم توفر كميات كبيرة من الترفاس في الوقت الحالي إلا أن سعره المرتفع نوعاً ما حوله إلى مادة صالحة للنظر والفرجة.

(2)-الصناعة بتلبالة: لم تقتصر منافع النخلة على الجوانب الزراعية فقط بل ساهمت بعض أجزائها في صناعة الأدوات المنزلية، فاستعملت جذوعها كما ذكرنا سابقاً لتسقيف المنازل والأبواب وصناعة القفة لتسهيل الأعمال ولوضع الخضر والفواكه كما استعمل حطبها للطبخ والإنارة وصناعة الخزائن لحفظ الملابس والكتب.

أما بالنسبة للأواني الفخارية فقد اكتشفت صناعة الفخار سنة 7500 قبل الميلاد فهذه الصناعة عرفت منذ القدم خاصة بمنطقة القنادسة وتلبالة ولا زالت لحد الآن متمسكة بأصالتها وقيمتها التراثية، فيعتمد الحرفيون في هذه الصناعة على بعض الأدوات التقليدية البسيطة المستخلصة من الطبيعة كالطين الذي يعتبر أساسها، كما أنها مثلت كمصدر رزق لعيش العديد من العائلات بينما يعتبرها البعض فن من الفنون أو حرفة تجسد فيها الطموحات والآمال¹.

أما عن الألبسة التقليدية² المتوارثة والمعروفة في المنطقة والتي توارثتها الأجيال إلى يومنا هذا، وهي المفضلة في الأعياد والأفراح والمناسبات فقد ظهر اللباس بظهور الحياة البشرية على وجه الأرض، كما أن نوعية اللباس كانت ولا زالت تمثل انعكاس المجتمعات ورمز تطورها عبر الزمن، فيختلف اللباس باختلاف الثقافات والمناطق والأقاليم والديانات، ففي الجزائر مثلاً كل منطقة لها لباسها الخاص بها، واشتهرت المنطقة بتلبالة اللباس الرجالي يعرف باسم البرنوس، القندورة، الدراعة، القشابية أما التّسوة يرتدون ليزار³.

¹ Archives de l'institut pasteur d'Algérie OP cit P: 390.

² أما بالنسبة للنساء فلها لباسها الخاص والمتمثل في "اليزار" وهناك أنواع عديدة فبعضها خاص بالأعراس والمناسبات والبعض منها تستعمله في حياتها اليومية.

³ أدلي فور: أنواع الصناعات التقليدية والحرف بولاية بشار، متاح على موقع الإلكتروني: www.alwahalech.net ، تاريخ الزيارة: 05 / 05 / 2018، على الساعة: 13:05.

(3) - التجارة بتبليباة:

تعد القوافل التجارية الصحراوية قديماً من أهم العوامل المساهمة في توثيق العلاقات بين الشعوب، وهمزة وصل محكمة بين اللغة والعقيدة والثقافة والفكر والتفاعل الحضاري، فبرزت حركة تجارية بصحراء كبرى تموج بقوافل التجار والعلماء والدعاة والرحالة المسلمين الذين كانوا ينتقلون ويتجولون حول بلدان العلماء فقد مثلت القوافل التجارية في العهد الإسلامي بالصحراء الكبرى وسيلة لنشر الدين الإسلامي وحضارته ووصلت إلى البلدان الإفريقية ونظراً للدور المتميز الذي قدمته القوافل في الحركة التجارية فقد استوجب علينا التطرق لتعريفها:

مفهوم القافلة لغةً: يقال جاءهم القفل والقفل واشتق اسم القافلة من ذلك لأنهم يقفلون، وقد جاء القفل بمعنى القُفول (الضم) وقال أبو المنصور سميت القافلة قافلة تفاعلاً بقُفولها عن سفرها الذي ابتدأته، قال وظن أن قتيبة أن عوام الناس يغلطون في تسميتهم الناهضين في سفر القافلة¹.

أما اصطلاحاً: هي تنظيم مسبق تقوم به جماعات أغلبها تجار قد تختلف أصولهم ولكن هدفها الاقتصادي هو الربح التجاري والمتاجر بيعاً وشراءً، وهذه القافلة مكونات بشرية وحيوانية المتمثلة في الجمال ومجموعة من التجار الذين تربطهم مصلحة الطريق² واتخذ تنظيم القوافل التجارية تنظيمًا محكمًا من الانطلاق إلى غاية الوصول والهدف من ذلك هو العودة السالمة فكان التجار يسرون في قوافل كثيرة وكل جزء منها مخصص لبعض البضائع والمتمثلة في السلع وكذلك الزاد وبعضها مخصص كخزائن للمياه فقط³.

¹ الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور: لسان العرب المحيط، مج5، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005، ص 634.

² محمد مبارك الملي: صحراؤنا، (د ط)، (د ن)، تونس، 1958، ص 23.

³ الهادي المبروك الدالي: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية 18، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ربيع الثاني 1420 هـ/ أوت 1999م، ص 76.

وتحكمت العوامل المناخية في تغيير سير القوافل التجارية بسبب ارتفاع درجة الحرارة في الصحراء مثلاً فحسب رواية الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي قال: "...ودخلنا صحراء شديدة الحر.... وكنا نرحل بعد صلاة العصر ونسرى الليل كله وننزل عند الصباح..."¹.

وكانت هذه القوافل الصحراوية تغدو إلى أسواق واحات الصحراء الكبرى في التشاد والنيجر ومالي وإفريقيا الوسطى والسنغال وغيرها، ومن بينها القوافل تبلبالة باعتبار أن هذه المنطقة كانت منطقة عبور العديد من القوافل الصحراوية فتعود محملة بريش النعام وأعداداً معتبرة من العبيد السود الموجهين للخدمة والأعمال التي تتطلب الجهد والقوة والصبر وكذلك للخدمة في منازل طبقة الأغنياء².

كما كان هؤلاء التجار يستقبلون بحفاوة في مملكة سنغاي ويهيئون لهم كل ظروف الأمن والسلامة ويستقبلون في بلاط الأمراء ويوحي هذا إلى الأهمية الاقتصادية لهؤلاء، وجاء في قول ابن بطوطة مشيراً إلى هذا الأمر: "...ثم أن مشرفو الاتن ويسمى متشاجو، استدعى من جاء في القافلة ضيافته ... فتوجهت فيمن توجهه..."³.

كان للقوافل التجارية الصحراوية تأثير ثقافي وإجتماعي على حاضرة تبلبالة وذلك من خلال الإتصال الثقافي المتوارث بين أهالي تبلبالة والمغاربة والأفارقة، وظهر ذلك جلياً في انتشار لغة الكورانجي التي تنتمي في أصولها إلى أهالي مالي ومع اختلاط مصطلحات من القبائل المغربية، كما يغلب الظن أن التجارة القوافل والمشرفين عليها أسهموا إسهاماً كبيراً في حفر الآبار بالمنطقة وذلك من أجل تزويد بالمياه الصالحة للشرب التي يحتاجونها أثناء تنقلاتهم وقد أثرت هذه الظاهرة مع

¹ أبو عبد الله محمد ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق وتقديم: وتعالى على المنتصر الكتاني، ج1، ط4، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405 هـ/ 1985م، ص 775.

² يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، طبع دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009م، ص 528.

³ ابن بطوطة: المصدر السابق، ص 776.

مرور الزمن على المنطقة فاستقرت بعض القبائل حولها وبعدها تكونت بعض الواحات المنتشرة في أغلب مسالك القوافل التجارية مثل واحة تلبالة مثلاً¹.

ومن المتوقع أن المسلك الذي كانت تسلكه القوافل التجارية المارة على تلبالة هو مسلك مراكش إلى تمبكتو حيث كان يمر على تارودانت وتاوريرت ثم تندوف التي تقع تلبالة في طريقها وتخترق رمال ايقدي وعرق شاش ويتجه إلى تاوديني وهذا المسلك فرع من تندوف يتجه إلى الجرف الأصغر ويمر بعدة مناطق ليصل إلى تمبكتو².

وذكر ابن مليح في رحلته لمدينة تلبالة: أنها كانت منطقة كثيرة الرعي وبها الجبال والرمال، ولغة أهلها البربرية، وكانت منطقة عبور الحجيج والتجار من المغرب إلى توات³.

أما الحسن الوزان فتحدث عن تجارهم بقوله: "... ورغم أن القوم يتاجرون مع بلاد السودان فإنهم فقراء لكونهم خاضعين للأعراب..."⁴.

وكانت التجارة في المنطقة تقتصر على جني التمور الذي كان يصدر من أجل جلب السكر والشاي وبعض الحبوب، وكانت بها أنواع كثيرة من التمور وكلها جديدة وأثناء عملية جني التمور يتعاون سكان المنطقة فيما بينهم فيعيش السكان في هذه الفترة أزهي فصول السنة أما باقي الفصول الأخرى - التي يقل فيها جني التمور- فإنهم يعيشون في فقر⁵.

ولما كانت تلبالة تعيش على المبادلات التجارية مع المغرب والصحراء الكبرى فلا شك أن السلع الرئيسية التي تنقلها القوافل إلى السودان الغربي شملت الحبوب والتمور والتين والأقمشة والمصنوعات المعدنية والجلدية وصوف والزجاج والحزف والأصداف والخواتم والقطران والملح الذي

¹ أوزايد بالحاج: تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلة روافد البحوث والدرسات، جامعة غرداية، العدد 2017/2، ص 114-115، متاح على الموقع:

www.raufid.univ.ghardaia.dz

² مياسي إبراهيم: مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830-1962 م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 35.

³ ابن مليح: أنس السارى والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الأمل والمآرب سيد الأعاجم والأعراب، (1040 هـ- 1042 هـ) تحقيق محمد القاسي، فاس، المملكة المغربية، ط (1388 هـ-1986م)، ص 28.

⁴ الحسن الوزان القاسي، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 129.

⁵ Archives de l'institut pasteur d'Algérie OP cit P: 390.

كان السودان في أمس الحاجة إليه، أما الواردات التي كانت تستقبلها تلبالة من السودان فكانت متنوعة وزادت أصنافها وإحجامها زيادة ملحوظة نذكر في مقدمتها الذهب، وأكد المؤرخون أن ذهب السودان كان يغطي احتياجات بلدان المغرب والأقطار الأروبية وكان يشحن في أكياس صغيرة بشكله المسحوق أو أوراق مطوية، بالإضافة إلى ريش النعام وبيضه الذي كان يستعمل لزينة واستخدامه أيضاً في بعض المركبات لعلاج بعض الأمراض الجلدية، فازدهرت أسواق تلبالة وزادت معروضاتها تبعاً للتوسع التجاري مع المغرب والسودان ومثلت عاصمة للتجارة الداخلية ومركز تبادل تجاري خارجي¹.

¹ صالح بن قرية، أهمية تلبالة في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط، المرجع السابق، ص 103-104.

خاتمة الفصل:

من خلال ما تم عرضه في مباحث هذا الفصل والمتعلق بموقع وتاريخ حاضرة تبليالة نستنتج أن حاضرة تبليالة تميزت بشساعة مساحتها وتباين مناطقها الجغرافية التي ضمت العديد من القصور والقصبات المميزة بتاريخها العريق مستمدة في بنائها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مبنية على الحرمة والنظافة والتعاون، إلا أن الكثير منها تعرض للهدم والإندثار ولم يتبق منه سوى الأطلال مثل: قصر مخادة وقاحدايو وقصر ماينسكافن، كما تميز مناخها بشدة حرارته صيفاً وبرودته شتاءً وسقوط بعض الأمطار الفجائية، وهذا ما جعل سكانه يعتمدون على نظام الفقارة في جلب المياه الباطنية لنشاطهم الفلاحي لتلبية حاجياتهم اليومية والضرورية، ونظراً لأهمية سياسية وإجتماعية وثقافية لتبليالة أهلتها أن تتبوأ مكانة مرموقة بالمنطقة جعلتها محطة لأنظار المستعمر الفرنسي الذي شن حملاته الإستطلاعية التي تحولت إلى هجمات إستعمارية استولت بها فرنسا نحو خمس عشرة سنة على المنطقة، كما امتلكت تبليالة ميراثاً اجتماعياً شعبياً متميزاً خاصة بعد دخول العديد من القبائل العربية بلمستها العربية الإسلامية مكتسبة معتقداتها قدسية والسماوية، إضافة إلى تأثير القوافل التجارية على المنطقة والذي ظهر جلياً في انتشار لهجة الكورانجي التي تنتمي في أصولها إلى أهالي مالي وبورنو مع اختلاط مصطلحاتها بالقبائل المغاربية.

الفصل الثالث:

الأسرة البلبالية ومراكزها بتوات.

المبحث الأول: التعريف بالأسرة البلبالية.

المبحث الثاني: نشأة المراكز العلمية للأسرة البلبالية بتوات.

المبحث الأول: التعريف بالأسرة البلبالية.

خصّصت هذا المبحث للحديث عن نسب الأسرة البلبالية، حيث إذا اجتمع عند الشخص شرف النسب وشرف العلم، فهذا من النعم التي يجب أن تشكر والمين التي يحق لها أن تحمد، كما يركز هذا المبحث للإجابة على بعض التساؤلات مهمة منها: ما أسباب انتقال الأسرة البلبالية من تبلالة إلى توات؟ وماهي الأماكن التي نزلوا بها في توات؟

وأيضاً التعريف بشجرة أصول وفروع الأسرة البلبالية المقسمة على عدة مراكز متناثرة.

أولاً: نسبها.

معرفة الأنساب من أعظم النعم التي كرم الله تعالى عباده بها، لأن تشعب واشتباك الأنساب على افتراق القبائل والطوائف أحد أسباب المهددة لإنخفاض الإهتمام به نسبياً وكذا اختلاف الألسنة والصور وتباين الألوان وغيرها، مصداقاً قوله تعالى: "وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ"¹، ولهذا فإن علم الأنساب وتعليمه من أهم العلوم التي عرفها المسلمون لتحقيق المعرفة وتثبيت الأنساب التي وصفها الله تعالى بقوله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"².

ورغم كل هذا إلا أن التفاخر بالأنساب محرم وهو من خصال الجاهلية المذمومة، قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ"³.

ويمكننا أن نعطي تعريفاً عن الفخر في النسب على أنه الاعتزاز بالنسب والانتماء للمجموعة كالعائلة أو العشيرة أو القبيلة؛ والفخر يكون شعوراً داخلياً ويجب عليه أن لا يظهر

¹ سورة الروم الآية 22.

² الحجرات: الآية 13.

³ الحجرات: الآية 11.

على الإنسان أثناء تعامله مع الآخرين بالكبر والتعالي، وهو الشعور بالإعتزاز الناتج عن الإنتماء لمجموعة تتمتع بصفات محمودة وطيبة يتولد عنه زيادة الثقة بالنفس والتي تصل إلى حد الغرور¹.

1- نسب الأسرة البلبالية القاطنة بتيمي:

حسب ما ورد في التقييد الذي سجله السيد شاري الطيب عن نسب الأسرة البلبالية الذين قدموا إلى توات يقول فيه: "وما بلغنا وتواتر علينا من أخبار علمائنا أنه وبعد مضي من الزمان خرج السيد أبو زيد الخزرجي من المغرب إلى تافيلالت وهو مقبور بها رحمه الله ونفعنا بعلمه ولما مات أبو زيد خلف ولدان هما: أبو القاسم المقبور ببني يخلف بواد السّاورَة والسيد أحمد المقبور بواد السّاورَة بتلبالة" بالضبط والذي خلف أبناءه الخمسة هم الذين ارتحلوا من تلبالة إلى توات وهم على التوالي: "الحاج المُجّد، الحاج بلقاسم، الحاج علي، الحاج عبد الرحمن، الحاج عبد الله"، وكانت لهم رحلات وانتقالات بإقليم توات سوف نتعرض لها بالتفصيل².

وعليه فقد عثرنا على سلسلة نسب الوليّ الصّالح أبي زيد الذي أكدت قدومه من شبه الجزيرة العربية، فأصبح انتسابه إلى قبيلة الأنصار أمراً معروفاً ومسلّم به ولهذا فقد تداول أفراد الأسرة هذا النسب فيما بينهم منذ زمن بعيد ودوّنوه في كتاباتهم ومراسلاتهم ووثائقهم ورسومهم وأملاكهم³ وجاء نصه الأكيد في قصيدة الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي إلى مناقب والده معرضاً نسبه فيقول⁴:

أبي وشيخي ومُعتمدي مُجّد بن أبي زيد علا شرفا
بلبالي نسبه توات منشأه ملوكة بلدته آباؤه حنفا
أنصاري الأصل قد أتانا عن نبأ من الآباء فصن طرفا.

¹ سالم مُجّد سالم عباد: الاعتزاز بالنسب في ضوء الشريعة الإسلامية، متاح على الموقع: www.ayad.com/forums/mdex.php، تاريخ الزيارة: 2018/03/13 الساعة 18:12.

² شاري الطيب: تقييد خطي حول نسب الأسرة البلبالية، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ شاري الطيب: تقييد خطي حول شجرة أبي زيد، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر.

⁴ عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المرجع السابق، ص 58.

وعليه فإن الأسرة البلبلية القاطنة بقصور توات ارتبط نسبها بقبيلة الأنصار الذين نصرُوا النبي ﷺ وقد أثبتت شجرة الجد أبي زيد الأنصاري أن الجد الأول لأسرة أبي أيوب والذي عُرف أنه كان من أكابر أصحاب الرسول ﷺ ومن أقدمهم إسلاماً¹.

كما ذكر الشيخ سيدي عبد الكريم حفيد الأسرة المترجم لها، ومن فقهاء العائلة البلبلية موضعاً نسب أجداده بقوله²:

جَدُّ أَجْدَادِنَا أَلْتَزِيدُ فْقِيهِ بَعْدَهُ نَالَهُ حَفِيدُ شَرِيهِ
تُمْ قَاضِيًا بَعْدَ ذَلِكَ الْمَلِيهِ مَن يُكْنِي بِالْحَاجِّ شَيْخِ نَبِيهِ
بَعْدَهُ قَدْ أَتَى وَوَلِيدُ وَجِيهِ هُوَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَاضِيِ نَزِيهِ.

وذكر مُجَدُّ عبد العزيز نسبه في أبيات كتبها إلى أبي العباس أحمد زروق بن مُجَدُّ بن موسى البداوي فقال³:

وَقَدْ قَالَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ مُحَمَّدُ بَلْبَلِي يُدْعَى إِذَا كَانَ يُنْسَبُ
وَأَنْصَارُ خَيْرِ الْخَلْقِ ظَرًّا جَمِيعُهُمْ بِهِمْ جَدُّهُ الْأَعْلَى الْكَرِيمُ الْمَهْدَبُ.

كما ذكر أيضاً في رثاء صاحبه عبد الله بن عبد الكريم الحاجب بن مُجَدُّ بن مُجَدُّ البكري مبيناً نسبه بقوله⁴:

بَلْبَالِي نَسَبْتُهُ تَوَاتٍ مَنشَاؤُهُ مَلُوكٌ بَلَدْتُهُ أَبَاؤُهُ حُنْفَا
أَنْصَارِي الْأَصْلِ قَدْ أَتَانَا عَنْ نَبَأِ مِنْ الْأَبَاءِ وَغَيْرِهِمْ ضِمْنَ طَرْفَا.

وقال مُجَدُّ بن الطالب البلبالي في أجداده البلبالين مايلي:

حَسْبُكُمْ يُنْسَبُ الْأَنْصَارُ بِذَلِكَ حَزْمٌ نَيْلَ الْقَحَّارِ¹.

¹ شاربي الطيب: تقييد خطي حول شجرة أبي زيد، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر.

² مُجَدُّ عبد الكريم البلبالي: تقييد خطي نسب الأسرة البلبلية، خزنة بني تامر، أدرار، الجزائر.

³ عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 56.

⁴ نفسه، ص 60.

(2) - نسب الأسرة البلبالية القاطنة بقصر برينكان:

تنتسب الأسرة البلبالية إلى العالم الفقيه سيدي مبارك بن مُحَمَّد بن سيدي أبي القاسم بن سيدي مُحَمَّد المختار سيدي مبارك الولي الصالح سيدي ابن مسجد الأنصاري البلبالي الذين يرجع نسبهم إلى قبيلة الحَرْج الأنصار الذين نصرُوا النبي ﷺ وآووه بعد هجرته من مكة إلى المدينة² وهذا ما تأكده الوثيقة التي تم تدوينها في أوائل شهر جمادى الأول عام 1222 هـ الموافق لعام 1807م والتي تضمنت شهادة بعض أعيان منطقة تبلبالة الذين قاموا بآدائها بناءً على رغبة السيد المختار بن سيدي مبارك البلبالي رحمه الله³.

هؤلاء شهود كلهم من تبلبالة وعُرفوا بعدالتهم، وهذه الوثيقة تمثل دليلاً قوياً لإثبات النسب البلبالين برينكان وبناءً على هذا فإن الأسرة البلبالية القاطنة بقصر برينكان ترتبط في نسبها بقبيلة الأنصار والبلبالين القادمين من تبلبالة.

(أ) - الأسرة البلبالية القاطنة بتميمون فرع من فروع الأسرة البلبالية الركانية:

تنتسب هذه الأسرة البلبالية إلى العالم الفقيه سيدي مبارك بن مُحَمَّد بن سيدي أبي القاسم بن سيد مُحَمَّد المختار الذي يرجع نسبهم إلى قبيلة الخزرج الأنصار الذين نصرُوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فجدهم مشترك مع أبناء الأسرة البلبالية بقصر برينكان إلا أنهم استقروا بمدينة تميمون ويحرص بلابلة تميمون على زيارة أقاربهم في برينكان في العديد من المناسبات الدينية مثل الأعياد

¹ نظم أُمَّحَّد بن الطالب البلبالي: خزانة بن الوليد، باعبدالله، أدرار، الجزائر.

² هذه السلسلة وجدت بخط السيد البشير بن سيدي أمبارك البلبالي.

³ جاء نص الوثيقة كما يلي: الحمد لله وكفى والصلاة على النبي المصطفى.

شهود المنقول عنهم عقب تاريخه يشهدون بمعرفة المرابط السيد المختار بن الفقيه السيد أمبارك بن مُحَمَّد بن أبي قاسم البلبالي معرفة تامة عيناً واسماً وبها ومعها يشهدون ويعلمون أنه من ذرية بن مسجد الأنصاري القاطنين بلاد توات ولم يبق من ذرية بن مسجد الأنصاري القاطنين بلاد توات ولم يبق من ذرية المرابط المذكور أعلاه سوى السيد المختار وإخوانه وهذا ما علمنا وشهدنا به والشهادة لله الذي لا رب سواه ولا معبود غيره والدار الآخرة شهادة رضى وطوع وممن شهد بذلك كل من: السيد العربي بن يحيى بن آل السيد مزكر والفقير موسى بن رحمون والفقير عيسى بن حيده والفقير أحمد بن يوسف والفقير مُحَمَّد بن أحمد بن ورزان والسيد مُحَمَّد الطيب والسيد الحاج بن عبد القادر والسيد طاهر بن عبد الكريم والفقير مُحَمَّد بن الكروم. تحصلت على هذه الوثيقة من طرف السيد أحمد بن مُحَمَّد بن حسان عريان الراس وعندي نسخة منها.

وكذلك المناسبات الاجتماعية المتمثلة في الأعراس والزيارات وخاصة زيارة جدهم سيد أمبارك التي تقام في كل سنة يوم التاسع والعشرون من شهر أفريل الموافق ليوم السادس من شهر أبريل الفلاحي، وأكد لي بعض أعيان الأسرة البلبلية القاطنة ببرينكان أنه حين حان رحيلهم إلى بلدة تيميمون أخذوا نصيبهم من الكتب المخطوطة وأهدوها إلى السيد الحاج الطيب البلبالي الكوسامي وهي محفوظة إلى يومنا هذا بعدما خصص هذا الأخير لها خزائناً خاصة¹.

ب)- الأسرة البلبلية القاطنة بأولاد راشد فرع من فروع الأسرة البلبلية بتيمي:

تنسب هذه الأسرة إلى العالم الفقيه الفاضل الجليل أبو زيد السيد السالم البلبالي الأنصاري نسباً، فجدهم مشترك مع أبناء الأسرة البلبلية بتيمي إلا أن جدهم المذكور انتقل إلى ناحية أولاد راشد واستقر هناك بعد أن أخذ من علماء ملوكة وأشهرهم الشيخ أبو العباس سيد أحمد البلبالي².

وعليه فإن الأسرة البلبلية القاطنة بتيمي هم أبناء عمومة الأسرة البلبلية القاطنة ببرينكان وتيميمون وأولاد راشد، إلا أن الأسرة البلبلية القاطنة بتيمي وأولاد راشد جدها هو سيد الحاج بالقاسم والأسرة القاطنة في برينكان وتيميمون جدها العالم الفقيه سيد أمبارك بن محمد بن سيدي أبي القاسم ولكنهم يجتمعون في الجد الكبير وهو سيد أحمد (الفقيه) المقبور بتبلباله بناحية واد الساورة رحمته الله.

ج)- علاقة العمومة بين الأسرة البلبلية بتيمي وبرينكان:

وجدنا في إحدى الوثائق المخطوطة بخزانة بني تامر التي أقرها السلطان المغربي مولاي إسماعيل في 29 رجب 1089هـ/1678م، أصدر ظهيراً شريفاً بإعفاء الزاوية البلبلية بملوكة من الجبايات والزكوات والأعشار والغرامات المالية، فهم مَعْفِيين من كل ما يُطلب من أهل توات، والمهم من هذه الرسالة تأكيد على رابط العموم والأخوة بين الأُسرتين البلبليتين بتيمي وتساييت بقوله: " لا يخاطبون بقليلاً ولا بكثير ... زاويتهم المحترمة بملوكة وكذلك أخوانهم المرابطين المقيمين بقري تساييت"³.

¹ الطيب بلبالي: مقابلة شفوية، بمقر الخزانة، بقصر برينكان، يوم: 2018/06/18م، على الساعة: 18:30.

² محمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 137.

³ وثيقة موجودة بالخزانة البلبلية بقصر بني تامر.

وروى لنا الشيخ الحاج أمجد مبدوي أن النسب الروحي بين هذين الأستين كان قائماً ونكتفي بالشيخين، الشيخ سيد الحاج البلبالي مؤسس الخزانة وهو تلميذه وابن عم والده، كما أن جل علماء الأسرة البلبالية البركانية درسوا وتعلموا على يد أبناء عمهم بتيمي فبعضهم درس عند الشيخ سيد الحاج والبعض الآخر عند شيخ كوسام¹.

هناك قواسم مشتركة تقاسمتها الأسرة البلبالية القاطنة بتيمي وبرينكان تمثلت في اشتراكهم بالإنتماء إلى قبيلة الأنصار الذين نصروا النبي ﷺ، وأثبتت دراسات علماء الإقليم الذين أقرؤا بذلك في مكاتباتهم ومراسلاتهم ومخاطباتهم حتى صار أمراً معروفاً بين الجميع ومسلماً به، وكذلك اشتراكهم في مدينة التي قدموا منها إلى توات؛ فإنتمائهما إلى الموطن الأصلي مدينة تبلبالة مؤكداً عند الجميع فهتان الحجتان دليل على حقيقة العمومة الموجودة بين أعيان الأسرة البلبالية القاطنة بتيمي وقصر برينكان.

وجاءت بعض المراسلات التي أكدت لنا رابط العمومة مثل مراسلة العالمين الفقيهين سيدي أمبارك بن سيدي المختار بن سيدي أمبارك البلبالي الركاني وسيدي أمجد بن عبد الرحمان بن أمجد السالم البلبالي الملوكي والتي جاء فيها بعد الحمد لله والصلاة على النبي ﷺ... "أدام الله عافية الحاج الأود والشبل المعتمد بالتحقيق والجد الفقيه البركة سيدي أمجد السالم البلبالي ألف سلام عليك الأعم وكافة الإخوان وبني العم هذا وليكن في كريم علمك...".

وكانت هذه المراسلة متعلقة باستشارته في حكم الشرعي بشأن قضية نزاع بين الطرفين مختلفين وبيان وجه الصواب فيها فرد عليه الآخر بقوله: "...الحمد لله وحده وعلى ابن العم الأوصى والقنديل الذي لا يطفأ المذكور بمحوله سيدي امبارك بن سيدي المختار..."².

كما ورد تصريح آخر بلفظ العمومة في ما صدر به سيدي أمجد بن عبد الكريم بن أمجد بن عبد المالك البلبالي الملوكي ديوان صغير به بعض أشعاره يطلب من سيدي أمجد بن أمبارك البلبالي البركاني فقال رحمه الله: "...لما طلب من كاتبه أمجد بن عبد الكريم بن أمجد بن عبد المالك البلبالي

¹ الشيخ الحاج أمجد مبدوي: مقابلة شفوية مع المشرف على الخزانة حالياً، بقصر بني تامر، يوم الأحد 16/08/2018م، على الساعة 10:30 صباحاً.

² نص الوثيقة بخزانة البلبالين بقصر برينكان.

... ابن العم السيد مُحَمَّد بن الفقيه المرحوم بكرم الله السيد أمبارك بلدينا القاطن بالبلدة الركانية صانها الله من كل داهية ...¹.

تمثل هذه المراسلات دليلاً صريحاً يعتمد عليه في إثبات رابط العمومة بين الطرفين، إضافة إلى ذلك شهادة حية التي إستخلصتها من بعض المقابلات الشفوية مع بعض أعيان الأسرة البلبلية مثل السيد الحاج الطيب الشاري، وكذلك الأستاذ عبد الرحمان البلبالي الذي أكد على رابط العمومة الموجود بين الأسترتين وزيادة على ذلك بعض المؤلفات التي كتبت عن الأسرة وأعيانها مثل ما جاء في كتاب الشجرة المرجانية لسيد بن حسان عريان الرأس الذي علق على ذلك في الكثير من المواقع، إضافة إلى الزيارات المتبادلة في العديد من المناسبات مثل: الأفراح والمناسبات وخاصة زيارة سيدي أمبارك بربنكان التي تشهد قدوم غفير لأبناء الأسرة القاطنين بتيمي وتيميمون.

وعليه فيجب علينا أن نفرق بين الأسرة البلبلية القاطنة بتيمي وربنكان وفرع منها بتيميمون وأولاد راشد، والبلباليون المتواجدون في بعض القصور الأخرى مثل تدمين وسالي فهم لا يصلون بالقرابة لهذه الأسرة ينتمون لنسب آخر غير نسب الأسرة المدروسة.

ثانياً: تنقلاتها.

أ- دخولهم تبلبالة:

حسب ما ورد في التقييد الخطي لكاتبه السيد الطيب الشاري والذي أبرز فيه سبب إنتقال هذه الأسرة من تفيلالت المغربية إلى أرض تبلبالة يعود إلى أهل هذه البلدة الأخيرة الذين تعطشوا لطلب العلم والمعرفة والخروج من إطار الجهل والتقييد، فاجتمعت جماعة من أهل تبلبالة وتشاوروا على الخير وكتبوا رسالة إلى السلطان المغربي² يحثونه على إرسال فقيه وعالم لينور أذهانهم بالعلم والمعرفة فلبى طلبهم هذا وأجاب عن رسالتهم وأرسل إليهم الفقيهان "سيدي أحمد الفقيه وأخيه سيد أبي القاسم" أبناء سيدي أبي زيد بن عبد الحاكم بن يوسف بن يحيى، فشدا رحالها من تفيلالت مروراً بقصر لودغير بناحية فقيق ثم إلى بشار وأخيراً بتبلبالة، وسأقت الأقدار الفقيهين إلى

¹ نص الوثيقة موجود بخزانة البلبالين بقصر بربنكان.

² لم يذكر اسم السلطان المغربي هذا.

تلك الديار بدون معرفتهما للمنطقة وإنما الصدقة الحسنة وتلبية لطلب سلطانهما، ولما علم أهل تلبالة بقدمهم فرحوا رجالاً ونساءً لملاقاتهما فأكرموهما بالضيافة وغارت عليهما البلد بأحسن ما يكون من المعاملة الحسنة والوقار واحترام الناس فأصبح أهل المنطقة منقادون إليهم سامعون لقولهما عاملون به لأنهم أهل خير وصلاح يتسابقون إلى فعل الخيرات، وبعد أن استقرت الأوضاع رحل أبي القاسم إلى بني يخلف وبقي أحمد الفقيه بين أهالي تلبالة فقيهاً ومرشداً ورزقه الله بخمسة أولاد كلهم تحصلوا على العلم والفقه وهم على التوالي: سيد الحاج المجد أبو القاسم، والحاج علي والحاج عبد الله الملقب بحم وسيدي الحاج عبد الرحمان المنقطع النسل¹.

(ب) - دخولهم توات:

اختلفت الآراء حول دخول البلبالين إلى توات حيث ذكرت الباحثة الفرنسية **دومنيك شومبو (Dominique champault)** أن هؤلاء المهاجرين البلبالين هربوا من تلبالة إلى توات عندما تم تدمير أحد قصورهم من قبل البدو الرحل الرحامنة بسبب امتناعهم عن دفع الضريبة²، ولا أحد يستطيع إنكار حقيقة الهجمات التي كانت تشنها البدو الرحل الرحامنة³ على العديد من القصور والواحات الصحراوية والتي وصلت غاراتها إلى توات ولكن وحسبما ورد في أواخر القرن التاسع للهجرة ما بين (870 - 899 هـ) (1470 - 1499 م) أن أنفسهم إشتاقت إلى ما يحمل عنهم علمهم وكانت الأخبار تنتقل إليهم عن أهالي توات بأنهم متعطشون لطلب العلم والمعرفة⁴، فكان هذا سبب إرتحال الإخوة الخمسة إلى توات؛ أما عن التقييد الموجود بخزانة أدغاغ أرجعوا سبب مجيئهم إلى القحط والجفاف الذي ضرب منطقة تلبالة ففكروا في الرحيل⁵، ويعد هذا سبباً مقنعاً لدخولهم توات ويمكن أن تجتمع الأسباب الثلاثة لقدمهم.

¹ شاري الطيب: تقييد شجرة البلبالين الأنصار، الورقة 1 - 2.

² عبد الله حمادي الإدريسي، نبذة مختصرة لحاضرة تلبالة، المرجع نفسه، ص 14.

³ أكد المؤرخ المغربي الدكتور عبد الرحيم عطري في "كتاب الرحامنة القبيلة بين المخزن والزواية" أن هذه القبيلة تشكل مزيجاً من العناصر يصعب فهم وتفسير مكوناتها ببعض أجزائها، فهذه القبيلة من قبائل المعقلية العربية التي وفدت إلى المغرب من شبه الجزيرة العربية عن طريق مصر وليبيا ثم صحراء موريتانيا واستقرت بها لزمان طويل. أنظر: عبد الرحيم العطري: الرحامنة القبيلة بين المخزن والزواية، ط4، منشورات دفاثر العلوم الإنسانية، طوب بريس، الرباط، 2013، ص 12-13.

⁴ الشاري الطيب: تقييد خطي حول نسب الأسرة البلبالية، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

⁵ سليمان بن البركة: تقييد بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار.

فارتحلوا إلى توات التي سمعوا من شأنها ما سمعوا عن تلك الأراضي الطيبة المملوءة بالبركة والخير والتي وجدوا بها ضالتهن المنشودة وخاصة أنهم لم يدخلوها في سابق زماهم قط عدا سيد الحاج المجد أبو القاسم الذي مر بها في إحدى رحلاته الحجية.

نزلوا بقصر تسايت باعتباره أول عمالة تواتية، فدخلوا قصر عريان الرأس سنة 1010هـ ولم يستقر بهم الحال فهاجروا إلى بودة المنصور¹ والتي خرجوا منها هي الأخرى إلى أن استقر بهم الوضع في قصر أدغاغ² عام 1013هـ فاستقام بهم المقام بها في أطيب عيش، وشيدوا زقاقهم المعروف بزقاق بلباله وحفروا فقارة مكناس.

(ج)- سبب خروجهم من أدغاغ وتأسيس زاويتهم بملوكة:

اختلفت الآراء حول سبب خروجهم من أدغاغ وحسب ما وجدناه في التقايد الخطية التي سجلها السيد الشاري الحاج الطيب: "...بعد أن استقر بهم الوضع في أدغاغ لمدة من الزمن وقع لهم ما وقع بين أبناء الحاج العباس فقرروا الهجرة إلى مكان آخر..."³ وهذا الرأي يختلف مع ما قاله لنا السيد سليمان مولاي علي الذي نفى خلافهم مع أبناء الحاج العباس بحيث لم ترد هذه المعلومة في الوثائق الموجودة عنده بالخرانة، ولم يُذكر سبب رحيلهم من أدغاغ لكن رغبة سيد الحاج بلقاسم في تشيد زاوية له في المكان مناسب.

يمكن أن نرجح سبب خروجهم من قصر أدغاغ إلى عدم وجود المساحة الكافية - في حينهم السكني بأدغا المعروف بزقاق بلباله - لبناء زاوية بلبالية واسعة، وهذا ما جعله يفكر في إيجاد أرض أخرى يطبق فيها مشروع بناء زاويته، فأثناء زيارة سيد الحاج بالقاسم لقصر ميمون لفتت أنظاره تلك الأرض الخالية الواقعة بين قصر بربع وقصر ميمون ووجدتها صالحة للعمارة فتملكوها في البداية من مولاتنا لالة حدية⁴.

¹ بودة المنصور: وهي قصر من قصور بودة التي وصل عددها إلى مجموع 13 قصراً.

² يعتبر قصر أدغاغ القصر الوحيد في توات الذي يطلق على قصباته اسم زقاق بدل القصبه ومن بينهم زقاق بلباله، زقاق يخلف، زقاق الشهود، زقاق مكناس.

³ طيب شاري: تفيد خطي حول نسب الأسرة البلبالية، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

⁴ بن البركة سليمان: تفيد عن زاوية ملوكة بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.

دخلها الإخوة الخمس المذكورون سالفاً ونزلوا بها واستقروا، وبعدها وفاتهم المنية قامت جماعة تيمي لأبنائهم ظناً منهم أنهم اغتصبوا هذه الأرض وسكنوها وقامت عليهم بالدرك ثانياً ثم قوموا الأرض مرة أخرى ودفَعوا ثمنها مرة أخرى وهو "عشرون فرفور" على يد القاضي سيدي مُجَّد عبد الكريم التمنظيبي ثم بعد هذا العقد شرعوا في تعميرها وسكنوا بها، وأطلقوا عليها اسم ملوكة وبحدودها الموثوقة في رسمها القديم فيحدها من الشرق الحجارة البيضاء التي فوق نخلات أولاد بلقاسم بين برع و فوقاً إلى منتهى الفقارة التي تصل عدد آبارها نحو سبعمائة بئرٌ إلى قرب امرقن وجوفاً فقارة الحديد قرب ميمون¹.

ثالثاً: شجرة أصول وفروع الأسرة البلبالية.

"شجرة سيدي أحمد الفقيه" هو السيد أحمد الفقيه المقبور بتبلبالة بناحية واد الساورة رضي الله عنه ابن بوزيد بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن عبد الرحمن بن مخلوف بن صالح بن عبد الرحمن بن علي المكني ما يخاف بن ابراهيم بن عيسى بن خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار أبو أيوب الأنصاري².

¹ بن البركة سليمان: تقييد عن زاوية ملوكة بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.

² البخاري المعروف باسمه وكنيته وأمه هند بنت سعيد بن عمرو من بني الحارث من الخزرج من السابقين روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عن أبي بن كعب وروى عنه البراء بن عازب وزيد بن خالد والمقدام بن معدي كرب وبن عباس وجابر بن سمرة وأنس ويرهم من الصحابة وجماعة من التابعين شهد العقبة وبدراً وما بعدهما ونزل عليه الرسول لما قدم المدينة فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجد، وأخى بينه وبين مصعب بن عمير وشهد معه قتار الخوارج قال ذلك الحكم ابن عيينة وروى عن سعيد بن المسيب أن أبا أيوب أخذ من لحية النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال له لن يصيبك السوء يا أبا أيوب وأخرج أبو بكر بن أبي شيبة وابن أبي عاصم من طريق أبي الخير عن أبي زهم أن أبا أيوب حدثهم أن النبي ﷺ نزل في بيته وكنت في الغرفة فهريق ماء في الغرفة فقمتم أنا وأم أيوب بقطيفة شفقاً أن يخلص إلى رسول الله فنزلت إليه وأنا مشفق فسألته فانتقل إلى الغرفة قلت يا رسول الله كنت ترسل الي بالطعام فانظر فأضع أصابعي حيث أرى اثر أصابعك حتى كان هذا الطعام قال أجل ان فيه بصلا فكرهت أن أكل من أجل ذلك أما أنتم فكلوا، وروى أحمد من طريق جبير بن نغير عن أبي أيوب قال لما قدم النبي إلى المدينة اقترعت الأنصار أيهم يؤويه فقرعهم أبو أيوب "أي فاز بالقرعة".

وقال ابن سعداً أخبرنا ابن عليّة عن أيوب عن مُجَّد شهد أبو أيوب بدرًا ثم لم يتخلف عن غزاة إلا وهو في الأخرى إلا عاماً واحداً استعمل على الجيش شاب فقعد فتافه بعد ذلك وقال ما ضرتني من استعمل علي فمرض وعلى الجيش يزيد بن معاوية فأتى، يعود، فقال ما حاجتك قال حتى إذا أنا متّ فاركب بي ما وجدت مساعاً في أرض العدو فإذا لم تجد فادفني ثم ارجع ففعل وروى أبو اسحاق الغزالي عن هشام بن مُجَّد وسيدي الشباب عبد المالك بن مروان ولزم أبو أيوب الجهاد بعد النبي إلى

سنشرع في أصول وفروع هذه الذرية الخزرجية الأنصارية أبناء جدنا الشيخ سيدي أحمد الفقيه المقبورين ببلدهم ملوكة واحداً واحداً على قدر الإستطاعة.

الإبن الأول وهو سيد الحاج أمجد: بن أحمد الفقيه خلف ابنين وهما سيدي حمو سيدي وعبد القادر.

ذرية عبد القادر: بن الحاج أمجد بن أحمد الفقيه خلف عبد الرحمن وسيدي العربي وأحمد بوزيد وعبد المالك.

ذرية عبد الرحمن بن عبد القادر: خلف الشيخ سيد الحاج أمجد البلبالي رحمه الله.

ذرية الشيخ سيد الحاج: خلف ثمانية أبناء وهم الشيخ سيد عبد العزيز ومحمد عبد الكريم ومحمد عبد الله ومحمد الحسن ومحمد صالح ومحمد عبد الرحمن الصغير وعبد الله وولد محمد عبد الرحمان الكبير وهو المهدي.

ذرية الشيخ سيد عبد العزيز: بن الشيخ سيد الحاج رحمه الله: خلف سيد البكري وسيدي سالم.

ذرية سيدي الحاج بن سيدي البكري بن محمد عبد العزيز: خلف خمسة أبناء وهم عبد العزيز وسيدي المبروك وسيدي البكري وسيدي محمد والشيخ.

ذرية عبد العزيز بن سيدي الحاج بن سيدي البكري رحمه الله: خلف عبد الرحمن وبنيتين بين أدغاغ وتينلان.

ذرية سيدي المبروك بن سيدي الحاج رحمه الله: خلف ابنه الحاج وأربع بنات.

أن توفي في غزة القسطنطينية سنة خمسين 50 وقيل إحدى وخمسين وقيل اثنين وخمسين 51 - 52 وهو الأكثر وقال أبو زرعة الدمشقي عن دحيم عن الوليد عن سعيد بن عبد العزيز قال أغزا معاوية ابنه يزيد سنة خمس وخمسين 55 في جماعة من العصابة في البرّ والبحر حتى أجاز القسطنطينية وقتلوا أهلها على بابها. انظر شاري الطيب: تقييد شجرة نسب البلبالين، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر.

ذرية سيدي البكري بن سيدي الحاج رحمه الله: خلف ثلاثة أبناء وبنات هم عبد القادر ومُحَمَّد والبكري والحاجة.

ذرية مُحَمَّد بن سيدي الحاج رحمه الله: خلف الشيخ لم يترك شيئاً وأربع بنات.

ذرية الحسن بن الشيخ سيدي الحاج البلبالي رحمه الله: خلف الحاج اعمر والحاج عبد الرحمن والحاج لمين وعبد الله.

ذرية الحاج اعمر بن الحسن بن الشيخ سيدي الحاج رحمه الله: خلف الخادم ولالة الزهرة المعروفة بلالة عمرية ولالة الشيخة أما الحاج عبد الرحمن لم يترك شيئاً.

ذرية الحاج لمين بن الحسن بن الشيخ سيدي الحاج رحمه الله: خلف خمسة أبناء وهم عبد القادر والحسن ومُحَمَّد العربي وسيدي الحاج ومُحَمَّد.

ذرية عبد اقادير بن الحاج لمين بن الحسن رحمه الله: خلف الحاج مُحَمَّد ومريم والخادم.

ذرية الحسن بن الحاج لمين بن الحسن رحمه الله: خلف الحاج مُحَمَّد والحاج سالم وبناتين.

ذرية الحاج مُحَمَّد بن عبد القادر بن الحاج لمين: خلف الحاج بوفلجة والحاج الكبير وستة بنات.

ذرية الحاج العربي بن الحاج لمين رحمه الله: خلف بنت.

ذرية مُحَمَّد بن الحاج لمين بن الحسن رحمه الله: خلف الحاج البركة وعبد القادر وثلاث بنات وهن لالة عائشة وفاطمة والزهرة.

ذرية الحاج البركة: خلف الحاج مُحَمَّد ويوسف وخمس بنات.

ذرية الحاج عبد الحق بن سيد الحاج مُحَمَّد بن عبد الرحمن البلبالي رحمه الله: خلف أربع ذكور وبناتين وهم الحاج مُحَمَّد والحاج أمبارك وسيد المبخوت وسيد علي ولالة صفية ولالة أب حقية.

أما عن قدوم الأسرة البلبالية القاطنة بقصر برينكان إلى المنطقة لا يزال يشوبه الغموض لعدم توفر أية وثائق تتضمن معلومات ثابتة بهذا الشأن، إلا أن الشيء المؤكد أن السيد أمُحَمَّد بن سيدي أبي القاسم البلبالي والد سيدي أمبارك كان موجوداً بقصر برينكان سنة 1145هـ، فكان

من أعيان القصر وذوي الوجاهة والمنزلة فيه ويؤكد ذلك خطه المدون في كثير من وثائق ورسوم الأهالي إضافة إلى وثائق الأملاك الخاصة به من الأراضي والديار والبساتين في القصر المذكور¹.

وكان لسيدي أمجد أخ يسمى موسى خلف ولداً يسمى عبد الله وهو بدوره خلف ولدين أحدهما يسمى محمد والآخر يسمى عبد العزيز وقد خلف الأول منهما ولداً يسمى أمبارك ولم يظهر له عقب بعد أما سيدي أمجد المشار إليه فقد خلف خمساً من الأبناء وهم: سيدي المسعود وسيدي بحم وسيدي أحمد وسيدي محمد وسيدي أمبارك ؛ ولم يخلف هؤلاء الإخوة الخمس فيما يظهر سوى شخصين فقط وهما سيدي بحم، وسيدي أمبارك، فسيدي بحم: فقد أنجب ولداً أسماه أحمد وقد إشتري منه عمه سيدي أمبارك نصيبه من الجنان المعروف لهم (بتقجمت) وذلك في أواخر رجب من عام مائتين وألف هجرية ولم يظهر له عقب بعد ذلك، أما سيدي أمبارك فقد تزوج من السيدة لالة خديجة بنت سيدي محمد الصالح بن سيدي عبد الواحد بن سيدي الحسن وخلف منها سبع أبناء ذكور وهم: سيدي المختار وسيدي بدر الدين وسيدي عبد القادر وسيدي عبد الوهاب وسيدي أمجد وسيدي المأمون².

أما سيدي المختار فقد أنجب ولدين وهما سيدي المدني وسيدي أمبارك الفقيه، أما سيدي المأمون فقد تزوج بالسيدة لالة الحاجة بنت سيدي المكّي بن عبد الكريم حفيده سيدي أمجد عريان الرأس وخلف سبعا من الأبناء وهم: سيدي أمجد وسيدي أمبارك وسيدي محمد العربي وسيدي محمد الطاهر وسيدي عبد العزيز وسيدي أحمد وسيدي محمد الصالح، ولم يعقب من هؤلاء الإخوة السبع سوى الثلاث الأوائل أما سيدي أمجد وسيدي محمد العربي فأغلب ذريتها تقيم بقصر برينكان وقلة قليلة بأدرار، أما السيد أمبارك فقد تولى القضاء بمدينة تميمون وخلف هناك ذرية بعضهم انتقل إلى مدينة أدرار والبعض الآخر لا يزال مقيماً بمحله وله فرع مقيم بقصر برينكان أيضاً³.

ومن هنا ندرك بأن الأسرة البلبالية القائمة حالياً كلها تلتقي في العالم الفقيه المأمون وهو يمثل فرعاً واحداً من فروع كثيرة ترتبط بالأسرة إلا أنها اندثرت ولم يكتب لها الدوام والبقاء.

¹ أحمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 24.

² نفسه، ص 25.

³ نفسه، ص 26.

المبحث الثاني: نشأة المراكز العلمية للأسرة البلبالية بتوات.

قبل الحديث عن نشأة وتأسيس المراكز البلبالية الأربعة المدروسة والمتمثلة في (مركز ملوكة- مركز كوسام-مركز بني تامر-مركز برينكان) فكان لزاماً علي أن أعرج ولو بلمحة تاريخية وجيزة عن عرش تيمي¹ الذي يضم مجموع ثلاث مراكز البلبالية والمتمثلة في مركز ملوكة وكوسام وبني تامر باعتبار أن تيمي كانت تمثل الوحدة الجغرافية والإدارية لهذه المراكز الثلاث التي ظلت تابعة لها إلى يومنا هذا.

الموقع الجغرافي لتيمي: توات كما يقال لها تسعة عمالات وقصورها متتالية وحدودها من اسبع إلى تيلولين الشرفة² ومن بين هذه العمالات عمالة تيمي التي تمثل أهم عمالاتها وأغناها والتي تقع بوسطها وفي الأصل كانت تسمى تيمي باسم توات ثم اتسع هذا الاسم ليشمل مناطق عديدة³، وله حدوده الشرقية مع تمنظيط ومن الغرب فنوغيل⁴ ومن الشمال اسبع ومن الجنوب بودة.

وتمت دراسة وضعية لعمالة تيمي لعدد من المؤرخين المحليين والأجانب معرجين على أهميته السياسية والإقتصادية والقضائية ومن بين المؤرخين المحليين الذين وصفوا عمالة تيمي هم:

الشيخ مولاي طاهر الإدريسي الذي يقول في معرض حديثه عن الأهمية التي يكتسبها عرش تيمي في كتابه نسيم النفحات: "...وقرب تمنظيط قصور تيمي وبها أخلاط من الناس الشرفاء والمربطين والعرب، وكانت في القديم محل العقد والربط ومجتمع السلم والحرب لأن القيادة العظيمة كانت بها وكان التنافس بين تيمي وعين صالح وتيميمون، وبها كثير من الأولياء الصالحين ومن أبرزهم الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي والولي الصالح سيدي مُجَّد النونقالي..."⁵.

¹ تيمي تعني باللغة العربية: الجبهة.

² مجهول المؤلف: علامات على توات سكان قصور تجارة صناعة، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 13.

³ مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 58.

⁴ فنوغيل: تسفاوت فهي تضم 17 قصرًا تقع جنوب تمنظيط وغرب بوفادي في منخفض واسع بمحافات واد مسعود ومن أهم

قصورها تسفاوت من الناحية الشمالية وقصر منصور من الناحية الجنوبية وقصر عباني في المعروف بقصر العلوشية وبه زاوية

سيدي يوسف، أنظر: نور الدين عبدالله: العمالة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى وقوراة بين ضوابط النص الديني وحدود

الواقع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص 118.

⁵ أحمد الطاهر الإدريسي، نسيم النفحات، المخطوط السابق، الورقة 161.

كما وردتنا بعض المعلومات المتعلقة بالإحصائيات السكانية لتوات بصفة عامة سنة 1909م، وقسمت كل عمالة على حدى وقد ذكرت عمالة تيمي وجميع قصورها التي وصل عددها إلى ثلاثين قصراً وهم على التوالي: أولاد عيسى، أولاد أونقال، أولاد عروسة، أولاد اوشن، أدرار، أوقديم أولاد علي، بربع، أولاد أحمد، ملوكة، تاريدالت، أولاد ابراهيم، ميمون، واينة، بوزان، كوسام، بني تامر، المنصورية، أولاد بوحفص، زاوية سيدي البكري، تسفاوت، تينلان، مهدية، زاوية الشيخ بن عومر، بن دراعو، بخلا، زاوية العفر، الشومارة، قصبية سيدي سعيد أمراقن وقد وصل مجموع سكان عمالة تيمي لسنة 1909م إلى حوالي 2113 نسمة¹.

أما عن بعض الدراسات الحديثة والتي وردت في كتاب العالم الشيخ مُجَّد باي بلعالم أن تيمي يجمع واحاتها وقصورها مثلت أهم منطقة وأغناها بتوات عموماً محدداً موقعها بقوله أنها تتوسط توات الأصلية وفي الأصل كانت تيمي هي توات ثم اتسع اسمها ليشمل المناطق المجاورة كما توفرت بها المياه الأرتوازية الغزيرة والتي ستخرج بواسطة الفقارة بالغة سواقيها الطويلة جداً مئات الأمتار، أما عن المزروعات التي أشهرت بها منطقة تيمي: القمح والشعير والتبغ وبعض أنواع الذرة والرمان والعنب وغيرها.

أما عن سكان تيمي ذكر الشيخ مُجَّد بلعالم أنهم كانوا خليط من العرب والبربر وفيهم عدد كبير من الأسر الشريفة من العلويين أمثال سلالة الولي الصالح مولاي سليمان بن علي بقصر أولاد اوشن وغيرهم، كما حدد لنا مولاي الطاهر الإدريسي الفئات السكانية المختلطة به من شرفاء ومرابطين وعرب، وعلى الأهمية الكبيرة التي كان يكتسبها فكان محل العقد والربط ومجتمع السلم والحرب باعتبار أن القيادة العظيمة كانت بعرض تيمي، وعُرج إلى الأهمية الروحية التي بلغها بكثرة أولياء الله الصالحين².

ووصف سيدي مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيبي عمالة تيمي أثناء حديثه عن توات فقال: "...وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مئتان قصر أوسطها بودة وتيمي وتمنطيط

¹ مؤلف المخطوط مجهول: علامات على توات سكان قصور تجارة صناعة، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 7.

² مُجَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص58.

فهذه القصور قاعدة توات لم يزل سكن قضاة الجماعة بأحد هذه القصور الثلاثة من لدن تقررت الأحكام الشرعية إلى هلم جرأ، رؤساء هذه الوساطة أهل سياسية وقوة جأش وذكاء¹.

هذه التعريفات الخاصة ببعض المؤرخين المحليين أما عن المؤرخين الغربيين فقد تمثلت في أهم الرحالة الفرنسي ألفرد جون بول مارتن A.G.P.Martin الذي حدد أن تيمي تقع على بعد مسافة قليلة من مقاطعة بودة وفي حين أنها تضم عشرين قصراً، وجاء في معرض حديثه: "...على بعد مسافة قليلة من مقاطعة تيمي ... نجد تيمي وهي مقاطعة كبيرة تضم عشرين قصراً منها أدغاغ خمس مائة وعشرين ساكن...².

(2)- الضابط الفرنسي واتان (watin): الذي عمل على إحصاء قصور توات عموماً والتي بينها قصور تيمي التي جمعها في أربعة وعشرون قصراً وهي: "كوسام بوزان واينة، ميمون ملوكة زاوية سيدي البكري بني تامر، أقبور، أولاد بوحفص، قصبية ابن ابا، قصبية أولاد أحمد، أولاد عيسى، أولاد عروسة، تاريدالة، أولاد ابراهيم، با عبدالله، أولاد اوشن، تينلان، أولاد أونقال، أولاد علي، أوقديم بربع، أدغاغ³.

وتعرض سكان مقاطعة تيمي لدخول في بعض الصراعات والنزعات حيث انقسم سكان توات عموماً إلى فريقين، فرقة يحمده وفرقة سفيان⁴.

كان سكان مقاطعة تيمي ينتمون إلى معسكر يحمده التي كان مقرها بقصر أدغاغ وكل فئة اتخذت حليفاً لها، فئة يحمده تحالفت مع عرب ذوي منيع والطوارق وبينما فئة سفيان تحالفت مع

¹ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي: ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، المخطوط السابق، ص 01.

² Martin (AGP): quatre siècles D'histoire, marocaines au Sahara de 1504 a 1902 au Maroc de 1894a 1912 p: 80.

³ Watin leuis. (officier interprété): origines peuples toute par les romans. Populaires dans le pays géographique société bulletin· l'Algérie et l'Afrique du Nord l'année 10,1905m، triple-seconde p p : 218-220.

⁴ أنظر الصفحة رقم: 116.

عرب الغنامة¹ والشعانية وبقي البربر يستعين الفئتان-يحمد وسفيان- وكل فئة تغريهم مرة على ضدها فهم بين الكل².

ومثل قصر أدغاغ أهم قصور تيمي وأكبرها لذا أخذ هذا القصر عاصمة لتيمي التي ظلت تابعة إدارياً إلى قائد قصر أدغاغ إلى غاية سنة (1354هـ/1945م) عندما قسمت الإدارة الفرنسية عرش تيمي إلى قسمين هما: تيمي التحتانية بمعنى السفلى وعاصمتها قصر أولاد ابراهيم وتضم إثني عشر قصراً، وتيمي الفوقانية والتي اتخذت قصر أدغاغ عاصمة لها وهي الأخرى تضم إثني عشر قصراً، إلا أن القيادة الكبرى ظلت موجودة بقصر أدغاغ³، وورد هذا التقسيم في مخطوط ذرة الأقالام حيث ذكر سيدي عبد الكريم بن عبد الحق أنه في سنة 1371هـ ابتدأت العمارة التي كانت بين تيمي الفوقانية وتيمي السفلانية⁴.

وفي سنة 1952م غيرت الإدارة الفرنسية تسمية تيمي الفوقانية ببلدية أدرار⁵ وأصبحت تمثل عاصمة تيمي بل وكل توات التي تقع على الطريق الرئيسي الذي يتحكم في المواصلات فهي نقطة إستراتيجية هامة وهمة وصل لربط شمال إفريقيا بجنوبها لهذا فقد اتخذتها فرنسا كمركز عسكري وإداري لتنفيذ مخططاتها الاستعمارية⁶.

¹ عثرنا على وثيقة أو رسالة من المولى الحسن المغربي ينوه بإستقامة قبيلة الغنامة القاطنة بواد الساوره جنوب بشار ويحثها على مواصلة عملها بتأمين الطريق وحماية عابري السبيل. لدراسة الوثيقة أنظر: خالد بن الصغير: واحات التخوم وحدود المغرب الشرقية (1800-1903)، مراجعة: لحسن حافظي علوي، تصدير: محمد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المغرب، 2013، ص 106.

² محمد بن عبد الكريم التمنيطي، المخطوط نفسه، الورقة 17.

³ حليلة سليمان: قصر أدغاغ دراسة اجتماعيات وثقافية من القرن 12هـ-18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ-20م، مذكرة ماجستير في تاريخ الإجتماعي والثقافي المغربي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، 2015-2016، ص 73.

⁴ محمد بن عبد الكريم التمنيطي، مخطوط ذرة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام، المخطوط نفسه، الورقة 59.

⁵ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 58.

⁶ كلمة أدرار أول اسم أطلق على هذا الموقع من الصحراء كلمة أزقور ومعناها بالشلحة البيوت المبنية من جذوع الأشجار ولأن سكانها كانوا يبنون بيوتهم من جذوع الأشجار وحمل واد قير وجرف معه هذه البيوت التي كانت تسمى بلد ازقور فأصلحوها مرة أخرى وأطلقوا عليها اسم يوصلح لكن الواد جرفها مرة أخرى فاتفق سكان البلدة على بناء بلدهم فوق الحجارة وسموها أدغاغي وبقيت تسمى بهذا الاسم إلى أن اختلطت بسكانها الوفود العربية واختصر كلمة أدغاغي بكلمة أدغاغ

وبتاريخ 20 أوت 1958م تم تأسيس بلدية أدرار إثرى نتائج التقسيم الإداري الذي أعلنت عنه الإدارة الفرنسية تبعاً للمرسوم رقم: 866/58، وبعد استقلال الجزائر سنة 1962م وبموجب التقسيم الإداري لسنة 1974 تم الإعلان عن تيممي ولاية أدرار واعتبرت بلدية أدرار مقرأً لها¹ وتشمل الولاية على دائرة أدرار وبلدياتها على القصور الآتية: تنلان، واينة ميمون، ملوكة، بوزان، كوسام، بربع، أوقديم، أدغاغ أولاد أونقال، أولاد أوشن، أولاد علي، أولاد أحمد، أولاد إبراهيم، بني تامر، المنصورية، أولاد بوحفص، مهديّة، أولاد عيسى، أولاد عروسة، با عبدالله، زاوية سيدي البكري، مدينة أدرار، مراقن، ومجموعة قصورها أربعة وعشرون قصرًا².

أولاً: مركز ملوكة:

(أ) - الموقع الفلكي والجغرافي:

يقع قصر ملوكة فلكياً بين خطي عرض 27.53° شمالاً و 0.21 غرباً، أما جغرافياً فهو يقع غرب مدينة أدرار بين بلدية بودة غرباً وقصور بربع وأدرار شرقاً ويحده من الغرب بلدية فنوغيل ومن الجنوب قصر بوزان ومن الشرق بلدية أدرار ومن الشمال أراضي فلاحية تابعة لبلدية أولاد أحمد تيممي.

ومركز ملوكة واحد من المراكز التابعة إدارياً لبلدية تيممي، يبلغ العدد الإجمالي لسكانها في الإحصائيات الأخيرة لسنة 2008 حوالي 875 نسمة، ونظراً للتمدد العمراني أصبحت ملوكة تبعد حوالي إثنان كيلو متر بعد ما كانت في العهد الفرنسي تبعد ب خمسة كيلو متر³.

يتواجد قصر ملوكة بموقع استراتيجي مهم حيث بني بموضع يتوفر على المياه الصالحة للشرب والتي جلبت إليه عن طريق الفقارة التي كانت موجودة قبل دخول البلبالي إليها وتمت

وبقت تسمى بهذا الإسم الأدغافي إلى أن إحتل الفرنسيون هذه المنطقة سنة 1900م وبالضبط سنة 1912م ابدلو كلمة ادغاغ بأدرار لأنها كانت في صحراء مالي قرب شنقيط بلد تسمى كذلك أدغاغ، فأبدلوا أدغاغ التواتية بكلمة أدرار لأن البريد كان يكتلف بين أدغاغ التواتية وأدغاغ شنقيطية. أنظر: سليمان بن البركة: تقيد خطي كتب وجد بأحد سجلاته، أدغاغ، أدرار، الجزائر.

¹ حليلة سليمان، المرجع السابق، ص 74.

² محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 61.

³ وثيقة صادرة عن الفرع البلدي لبلدية أولاد إبراهيم تيممي، الإحصاء الأخير عام 2008.

الإشارة إلى وجودها في الوثيقة المتعلقة بشراء أرض ملوكة فجاء نصها "...التماساً لبركة السيد المذكور مع ما احتوت عليه من الفقائير القديمة..."¹.

كما ورد أنه مباشرة بعد شراء الشيخ بلقاسم البلبالي هذه الأرض أمر خادمه عبد المؤمن² وعلاماته بخدمة فقائير قصر ملوكة وتشيد قصبته المشهورة.

(ب)- أصل التسمية: أصل كلمة ملوكة هو من كلمة المملوكة، أطلق هذا الاسم على هذا القصر بعد شرائهم قطعة أرض خالية بيضاء على سيدة تدعى لالة حدية³ بقيمة عشرون فرفور⁴، فعندها عرفت هذه الأرض بالأرض المملوكة لأنها كانت السبابة في شراء الأرض نقداً بتوات كلها، ثم بعدها تحول هذا الاسم إلى أرض ملوكة وأسسوا بها زاويتهم ملوكة لملكيتهم هذا المكان سنة 1010هـ⁵.

(ج)- تأسيس مركز ملوكة:

يعود تأسيس مركز ملوكة إلى أسرة العالم أحمد الفقيه بن أبي زيد الأنصاري القادم من إقليم سلجماسة، فارتحل أبناؤه الخمسة إلى توات وكانت لهم انتقالات عديدة، فاستقروا بقصر أدغاغ، وكان سيد الحاج بلقاسم يزور سيد الميموني بقصر ميمون فلفت نظره أرض خالية تقع بين قصر بربع وقصر ميمون، وجدها صالحة للعمار ولم يكن سكنها سوى عبيداً قدموا لها من غانا سنة 986هـ، فعندها طلب من أعيان قصر أدغاغ وهم الحاج محمد بن أحمد بن نصر الله وهو مؤسس القصبنة السفلانية بأدغاغ، والشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان والشيخ سيد عبد الله بن أبي الخير شراء الأرض المعنية، فقوموا هذه الأرض بعشرين مثقالاً على يد القاضي سيد محمد البكري

¹ وثيقة شراء أرض ملوكة، خزنة ملوكة، أدرار، الجزائر.

² وهو خادم العائلة البلبلية جاء معهم من تلبالة.

³ لالة حدية: هذه المرأة لم يرد نسبها أبداً في الكتب المخطوطة ولا في الوثائق الخاصة بعملية الشراء وبما أنها معروفة باسم لالة حدية يمكن أن يرجع نسبها إلى شرفاء توات.

⁴ وهنا يظهر الاختلاف حيث نجد في الكثير من المخطوطات والوثائق المتعلقة بأرض ملوكة أن أبناء أبي زيد الأنصاري اشتروا هذه الأرض الجرداء على امرأة تدعى السيدة لالة حدية والبعض يسميها لالة حورية وجاء في تقييد بخزنة مولاي سليمان بن علي أن ملوكة كانت في السابق ملكاً لمولاتنا حورية ثم بعدها تملكها الحاج بلقاسم وإخوانهم من تلبالة عام 1010هـ.

⁵ شاري الطيب: تقييد خطي وثيقة نسب البلبالين، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر.

التمنيطي بعدما باع كل ما يملكه بقصر أدغاغ بخمسة وأربعين مثقالاً ولم يبق له في قصر أدغاغ إلا المشار المعروف بالمشار القاضي الشيخ سيد عبد العزيز الذي جعله مجلساً للقضاء بتيمي، وفي سنة 1034هـ أسس سيد الحاج بلقاسم زاويته المشهورة والمعروفة بزاوية البلباليين بملوكة وعند تدشينها حضرها جمع غفير من أعيان تيمي وما جاورها وحبس على الزاوية دوراً زاوية العلم وبساتين لإطعام الطلبة وعابري السبيل وقد أشهد على هذا الحبس بعض من أعيان منطقة تيمي¹.

وجاء في نص الوثيقة عقد شراء أحفاد أبي زيد الأنصاري البلبالي للأرض البيضاء الجرداء على يد القاضي محمد البكري بن عبد الكريم في أوائل جماد الثانية سنة 1120هـ: "... يعرف شهوده أعيان جماعة تيمي الأخص منهم السيد الحاج محمد بن أحمد نصر الله والشيخ محمد عبد الرحمان والشيخ عبد الله بن أبي الخير...أنهما تدافعا المجلس الحكم لدى العلامة السيد الحاج محمد البكري في جامع السيد عبد الكريم مع أولاد السيد أحمد ابن أبي زيد البلبالي بل أحفاده في الأرض البيضاء المقومة عليهم بإذن السيد الحاج محمد بن عبد الكريم محكم بينهم أن يدفع أولاد السيد أحمد المذكورين القديمة للأعيان المذكورين...فقدم الجميع للصياغين ببلاد تمنيط يقوموا السكة ذلك الوقت فقوموها وهي 20 فرفور به قيمة 20 مثقالاً فدفعوها كاملة..."².

وتحيلنا وثيقة أخرى ثبتت عند قاضي العدل سيدي الحاج محمد بن عبد الكريم بخصوص الأرض التي بنيت عليها الزاوية المملوكية أن أهل بوزان تبرعوا وأهدوا السيد الفقيه سيدي أبي القاسم بن أحمد ابن أبي زيد البلبالي أرضاً بيضاء التي تلي بلادهم من جهة الشمال أي فوق قصرهم والتي تصل حدودها إلى أرض أهل بربر وفي العرض بمعنى الجنوب إلى حدود أرض أهل ميمون وجاء في نصها: "...لما ثبت لدى قاضي العدل سيد الحاج محمد بن عبد الكريم سدّد الله تعالى أن أهل بوزان تبرعوا ووهبوا وتصدقوا على المكرم السيد الفقيه سيدي أبي القاسم بن أحمد ابن أبي زيد البلبالي بجميع الأرض البيضاء التي فوق قصرهم وهي...المسمات مبروكة إلى حدود أرض أهل بربر وفي العرض إلى حدود أهل ميمون..."³.

¹ الوليد بن الوليد: تقييد خطي بخزانة بن الوليد بقصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

² وثيقة الشراء أرض ملوكة، بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

³ وثيقة حول تأسيس، ملوكة بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

وما فهمنا من نص الوثيقة أن أهل بوزان أهدوا وتصدقوا بهذه الأرض الجرداء إلى السيد الفقيه سيدي أبي القاسم بن أحمد بن أبي زيد البلبالي ولم يبيعونها إليه وذلك لوجه الله العظيم وثوابه الجزيل والدار الآخرة ودليل ذلك ما جاء في نص هذه الوثيقة أثناء قوله: "...لبركة السيد المذكور... وذلك لوجه الله العظيم وثوابه الجزيل والدار الآخرة"¹؛ في حين نجد في بعض الوثائق الأخرى أن هذه الأرض عرضها القاضي على قومين عارفين ثم قومت هذه الأرض بقيمة عشرون مثقالاً فدفعت ثمنها على أكمل وجه.

وأشار الدكتور بعثمان عبد الرحمان إعتقاداً منه على نازلة في الغنية أن أبا القاسم البلبالي أكد أنهم عند دخولهم ملوكة وجدوها أهلة بأناس آخرين فاشترى منهم الأرض حتى خلصت البلاد لهم وهذا إقرار منهم إلى العائلة البلبالية لم تؤسس ملوكة بل أنها كانت موجودة ومأهولة قبل ذلك بسنين².

في حين أننا وجدنا في ثلاثة وثائق تخص تأسيس زاوية ملوكة أن الأرض التي دخل إليها البلبالين كانت أرضاً جرداء لا عمار فيها وجاء في نص الوثيقة: "...والأرض المذكورة أرضاً بيضاء لا عمارة فيها ولا شيء من العمار فيها..."³. وورد في نص الوثيقة أن بهذه الأرض الجرداء احتوت على مجموعة من الفقاقير القديمة وهذا إقرار منه أن البلاد كان بها سكان قبل دخول البلبالي إليها وبإشارته إلى الفقاقير القديمة التي توحى أن البلاد لم تكن مأهولة بأناس آخرين في ذلك الوقت.

كما عثرنا على وثيقة أخرى بخزانة مولاي سليمان بن علي بقصر أدغاغ تفيد أن السيد الحاج بلقاسم عند زيارته لسيد الميموني وقعة عيناه على أرض خالية بين قصر برقع وقصر ميمون ووجدتها صالحة للعمار وأكد على أنها كانت خالية ولم يكن يسكنها سوى عبيداً قدموا من غانا سنة 986هـ حيث جاء في نص الوثيقة أن "... سيد الحاج بلقاسم يزور سيد الميموني نظراً إلى الأرض الخالية التي هي بين قصر برقع وقصر ميمون ووجدتها صالحة للعمار ولم يكن يسكنها سوى

¹ نفس وثيقة التأسيس، خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

² بعثمان عبد الرحمان: القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18، إشراف: مُجَدِّد بن معمر، رسالة دكتوراه في تاريخ

وحضارة إسلامية، جامعة وهران، 2016/2015م، ص 166.

³ وثيقة عقد شراء أحفاد أبي زيد البلبالي للأرض البيضاء خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

عبيد قدموا من غانا عام 986هـ...¹ وهذا إقرار من منهم أن الأرض التي بنيت عليها الزاوية البلبالية كانت خالية في حين أن البلاد كان بها بعض العبيد فقط.

(د) - عمران مركز ملوكة:

مثلت قصور تواتية عموماً معلماً أثرياً بطابعه هندسي الذي يتماشى مع البيئة الصحراوية المعروفة بمناخها الحار وكذا وتوافق مع نمط تفكيرهم المسير لظروفهم المعيشية والطبيعية المتمثلة في المواد الأولية التي تساعد في بنائه، كما أن للهاجس الأمني دوراً كبيراً في بناء قصوره وخاصة وأن المنطقة عاشت فترات طويلة غير مستقرة سياسياً لعدم خضوعها لأي سلطة مركزية قبل الإحتلال الفرنسي جعلهم يفكرون في حماية والدفاع على قصورهم فصمموا أبراج دفاعية للقصر.

مثل قصر ملوكة واحد من القصور التواتية محصنة بأبراجها الأربعة بها بيوت سكنية متلاحة فيما بينها تسكنها مجموعة بشرية في الغالب تكون من أسرة واحدة ومتقاربة يحيط بها سور سميك ومرتفع به أزقة ضيقة وممرات ملتوية في الغالب تكون مغطات لتؤمن الرطوبة في فصل الصيف وتعمل على تدفئة الجو في فصل الشتاء وبنية هذه المنازل من مواد محلية مكونة من الطين الحمراء الرمال لتوفرها بالمنطقة فهي سهلة الحصول ولا تكلف، تبني على أساس قوي وصامداً من الأسفل إلى الأعلى وهذا ما جعل جدرانها تبقى لقرون طويلة رغم الظروف المناخية الصعبة من الرياح القوية وأمطار فجائية أحياناً.

وما يميز شكل قصر ملوكة أنه مستطيل الشكل له أربع أبراج يقسمه شارعين رئيسيين وكل شارع به مجموعات سكنية به حوالي أربعة عشر منزلاً، وله مدخل واحد وهو المدخل الرئيسي للقصر حيث يبلغ باب هذا المدخل من الطول 1.95 متر و 1.65 متر من العرض يتكون من أحد عشر جذع نخلة ويقال أن هذا الباب هو نفسه الباب الذي كان موجوداً بالقصبة بتبلالة جلبه أجداد الأسرة من هناك ووضع بقصر ملوكة².

أما عن أسوار يحيط مبنى القصر خارجياً سور سميك قصد التصدي للهجمات الخارجية وخاصة وأن المنطقة كانت معرضة لكذا هجمات من حين لآخر من طرف بعض القبائل المجاورة

¹ وثيقة سكان قصر ملوكة بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاخ، أدرار، الجزائر.

² عبد الله حمادي الإدريسي، نبذة مختصرة عن تبلالة، المرجع السابق، ص 14.

وغيرها، ولهذا فقد لعبت الأسوار دوراً هاماً في حماية القصر من الخارج فبني سور قصر ملوكة من قاعدة أساسها حجارة الغير منتظمة أما باقي السور فقد بني بالطوب المشكل باليد ؛ يوجد بالقصر أربعة أبراج في أركانه برجان منها اندثر والبرجان مازالا في حالة لا بأس بها وكان للأبراج دوراً في الحماية والدفاع عن قصر وبه أربع فتحات مستطيلة الشكل¹.

مواد البناء: كما هو معروف هناك مادتين أساسيتين معروفتين لبناء القصور التواتية عامة وقصر ملوكة خاصة وهما مادة الطين ومشتقاتها ومادة الخشب ومشتقاته.

1 الطين: هو عبارة عن صخر غير متماسك تتألف من الصلصال ومشتقاته بنسبة كبيرة من الماء ويحتوي على أنواع كثيرة من المعادن ويتغير لونه من الأسود والأبيض والأصفر والأحمر.

2 الخشب: حيث يستعمل خشب النخيل بكثرة في الواحات الصحراوية من أجل بناء السقوف و الدعائم لتوفر أشجار النخيل وهذا ما نلاحظه في قصر ملوكة، فاستخدم لبناء الأبواب والسلام والسقوف وتثبيت النوافذ العليا وحتى في الأعمدة.

يستخرج من النخلة "الجريد" وهي أغصان النخيل بعد قطعها وتترك هي الأخرى تحت حرارة الشمس لتزيد لها صلابة وتستعمل لتسقيف البيوت والأزقة وكذلك يستخرج "الكرناف" المسمى محلياً، لتفريشه فوق السقوف مع خلطه بالألياف التي تنمو بين جذع النخيل ويوضع التبن الممزوج بالطين ليقوي سقف المبنى².

3 وسُقف مبنى القصر من جذوع النخيل فبعد قطعه يترك لينشف وتم يغطس في الماء المالح قصد تقويته ويلقى به في أعلى البناء كما يحيط بالسور الخارجي خندق يبلغ متر من العمق وثلاثة أمتار من العرض وهذا لتعزيز الجانب الأمني وللمساهمة في محاربة الأعداء وخاصة وأن القصر قد تعرض لعدة هجمات حتمت على سكانه تدعيمه وتحصنه.

¹ معاينة شخصية لقصر ملوكة.

² عليق نابت ربحة، المرجع السابق، ص 70.

³ بخصوص السقف: يقول ابن خلدون "...ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت، ومن فوقها الألواح والفسائر ويصب عليها التراب والكلس ويبلط المراكز حتى تداخل أجزائها وتلتحم ويعال على الكلس كما عول على الحائط..."، أنظر: ابن خلدون، كتاب العبر، المجلد الأول، بيروت 1922، ص 435.

كما يوجد داخل القصر جهة مخصصة لتربية الحيوانات والتي تسمى "بتاقمين" حيث يوجد بهذا الإسطبل ساحتان صغيرتان وبه غرفة مغطاة تودع بها الحيوانات في فصل الشتاء خوفاً من البرد والحرارة المفرطة في الصيف وهذا الإسطبل موجود في أغلب القصور التواتية وذكر الباحث سوتر كارل (sotr karle) فأشار بأن قصر ملوكة يودع في إسطبله الحمير بالإضافة إلى المعز والأغنام¹.

أما المطبخ الخاص بقصر ملوكة فنجد أنه بدون سقف لتفادي تراكم البخار والدخان لأن الطهي كان بالحطب فهو مكشوف تماماً، إضافةً إلى ساحة المطبخ التي قل ما تستخدمها المرأة لتحضير طعامها بسبب هبوب الرياح المحملة بالرمل، أما عن أرضية القصر فهي مفروشة بالرمل الصافي من أجل إعطاء نوع من الرطوبة داخل القصر؛ ويوجد خارج القصر ضريحين الأول لسيدي بن عبد العزيز البلبالي والذي يبعد عن القصر ببضعة أمتار شكله مستطيل تعلوه قبة ذات رأس مدبب ويوجد بسطحها الخارج ثقب مكثفة ومدخل صغير ومقوس ويحتوي هذا الضريح على عدة قبور بالإضافة إلى قبر سيدي عبد العزيز، أما الضريح الثاني الذي يبنى على شكل هرمي به ثلاث فتحات فهو يجمع الإخوة البلبالين².

المسجد:

المسجد من الأركان الأساسية المتواجدة بقصر ملوكة فكان المسجد يحتوي على مدخل من جهة الجنوب طوله 1.73 متر وعرضه 95 سم، به مجموعة من الأقواس متوازية وتتصف دعائمه بالبساطة والأناقة، بني بمادة الطوب الطيني الجاف الممزوج بالتبن والمغطى سقفه بالجريد والطين والتبن ويستعمل في عملية التسقيف بعض الأعمدة الخشبية من النخلة و"كرناف" الذي يخالف فيساعدهم في عملية التسقيف وقيهم من الحرارة والبرودة والرياح، أما بالنسبة لهندسة المسجد فهي تعتمد على مجموعة من الأعمدة واستعمالهم للأقواس الضيقة بدلاً من الواسعة لكي تحمل

¹ Suter(k): etude sur la population et l'habitat d' une region du sahara algerien le touat revue de gegraphe alpine n: 41 grenoble 1953. P: 459.

² معاينة شخصية للقصر ملوكة.

العلو الارتفاع، وكان المسجد قبل ترميمه في سنة 1984م مزخرفاً بالزخرفة السبّاعية، موجودة في مساجد الساحل الإفريقي ليقى هذا المسجد شاهداً على نشر تعاليم الدين في القطر التواتي¹.

ثانياً: مركز كوسام.

يقع قصر كوسام فلكياً بين خطي طول 0.3494 وخط عرض 27.8444، أما جغرافياً فهو يقع بمنطقة تيمي أدرار يبعد عن مقر الولاية بحوالي 7 كيلومتر يحده شمالاً بعض الأراضي الفلاحية تابعة لبلدية أولاد أحمد تيمي وغرباً قصر بوزان أما من جهة الجنوب بلدية فنوغيل وشرقاً قصر مهدية، ويتبع القصر إدارياً إلى بلدية أولاد أحمد تيمي أدرار نظراً للتمدد العمراني أصبح قصر كوسام يبعد من مقر الولاية بـ 3 كيلومتر فقط وبلغ عدد سكانها في الإحصائيات الأخيرة لسنة 2008 حوالي 208 نسمة².

(أ) - أصل التسمية كوسام:

حسب الوثائق التاريخية لهذا القصر كان موجوداً قبل سنة 598هـ، وكان يحمل اسم تيسان وفي سنة 1278هـ الموافق لـ 1860م دخل البلبليون هذا القصر بعد شراء جزء منه³ وأسسوا به مدرسة المعروفة ونصب فيها الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بن الشيخ سيدي أحمد الحبيب البلبالي، ويعتبر قصر كوسام أقل القصور البلبلية من حيث التعداد السكاني قديماً وحديثاً رغم المساحة الكبيرة التي يحتويها، وقد عثرنا على جريدة خاصة بقصر كوسام تعود إلى سنة 1245هـ سجل فيها عدد رجالها الأحرار الذي وصل إلى 20 رجل وعدد نسائهم 12 امرأة حرائر وعدد الصبيان 10 أحرار وعدد الإناث 11 صبيات، كما تواجد هذا القصر في موضع يتوفر على المياه الصالحة للشرب الذي تصله عن طريق حفر الفقاقير التي وصل عددها إلى ستة فقاقير أربعة تستعمل واثنان

¹ نشرة الأخبار: قناة الشروق يوم: 8 جويلية 2016، تاريخ المشاهدة 2018/02/22، ساعة 11:42، متاح على الموقع:

www.Echorouk.com.

² وثيقة صادرة عن الفرع البلدي لبلدية أولاد إبراهيم تيمي، الإحصاء الأخير عام 2008.

³ لم نجد وثيقة عقد شراء الأرض التي بنيت عليها الزاوية بمركز كوسام.

لا تستعمل فكانت هذه الفقاقير تزودهم بمياه الشرب وكذلك تزويد بساتينهم التي كانت تمثل مصدر رزق لهم¹.

(ب)- انتقال البلبالين إلى مركز كوسام:

لم تسعفنا المصادر ولا المراجع التاريخية بمعلومات وافية عن سبب انتقال البلبالين من ملوكة إلى كوسام فقد اقتصرنا على ما رواه لنا السيد الطيب الشاري حيث أكد لنا سبب انتقالهم هو أن الشيخ سيدي الحبيب البلبالي كان له أبناء مشاغبون فخاف من وقوع مشاكل مع أبناء عمه بملوكة فأخذهم إلى كوسام وأسسوا مدرستهم هناك ونصب فيها الشيخ سيدي عبد الله البلبالي بن الشيخ سيدي أحمد الحبيب البلبالي للتدريس، وبذلك انتقلت المدرسة البلبالية وكل معالم العلم والقضاء من ملوكة وبرزت كوسام كمركز إشعاع علمي حيث أنشأت بها خزانة وفي سنة 1318هـ الموافق لـ 1905م أسس مجلس القضاء التواتي وبني هذا المجلس القضائي أمام مدخل القصر وبالقرب من المدرسة²، وبعد هذا الانتقال والنجاح الذي تلقاه علماء كوسام عملوا على استبدال كنيثهم من البلبالين إلى لقب شرعي حيث أن الشيخ سيدي الحبيب البلبالي أراد أن يعزل اسم عائلته القاطنة بكوسام باسم شرعي الذي قصد به الشرع وعلوم الدين ليتحول هذا اللقب بعد دخول الإستعمار الفرنسي إلى لقب الشاري ومن بين دلائل ذلك وثيقة وجدناها في خزانة مولاي سليمان بن علي بقصر أدغاغ حيث كتب فيها عن قصر كوسام أهلها من ملوكة من قبيلة بلبالية ويلقبون بالشارعي³.

(ج)- قصبة مركز كوسام:

رغم قرب هذه الزاوية من فلاح العلم في تمنظيط وتتلان فإنها أثبتت وجودها وحافظت على خصوصياتها العلمية وتمكن البلباليون من وضع أساسها المتين فتوارثوا ريادتها التي تحطت حدودها وتجاوزت قصور ملوكة وبني تامر وغيرها حتى أن وقع عليها الإختيار من قبل العديد من

¹ الوليد بن الوليد: تقييد خطي بخزانة بن الوليد، با عبد الله، أدرار، الجزائر.

² الطيب البلبالي: مسؤول عن خزانة كوسام، بمقر الخزانة، يوم 2018/03/23، على الساعة 15:18.

³ وثيقة القبائل التي سكنت قصور تيمي، بخزانة مولاي سليمان بن علي أدغاغ.

العلماء للتدريس في رحابها¹ وقد خط الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي قصيدة على قصر كوسام مبيناً موقعه في أرض من بوزان السفلانية فهي تقع أسفل بوزان وشبه كوسام على كونها الثريا والكل يراها في السماء العالية وأكد على دورها المهم في الحفاظ على الهوية الإسلامية ونشر العلم والمعرفة².

(د) - عمران مركز كوسام:

بني قصر كوسام على أرض جرداء خالية، وبالضبط أسفل قصبه بوزان لتوفر المنطقة لشروط الضرورية للتعمير وإنشاء القصور مثل: وجود الأمن والسلام والهواء السليم وتوفر المياه لوجود الفقاير عند مدخل القصر وكذلك توفر البساتين القريبة من القصر.

لقصر كوسام مدخل واحد رئيسي به باب خشبي صنع من جدوع النخيل يحتوي على تسعة أجدع، له مفتاح خشبي كبير مصنوع من اللوح ويغلق بطريقة أفكر المتخذة في قصور توات، يفتح الباب في الصباح الباكر عند طلوع الشمس بعد صلاة الفجر ويغلق في الليل بعد صلاة المغرب ويحرسه حارس ويكلف بحله وإغلاقه في الأوقات المناسبة، يوجد بالقصر العديد من الممرات الضيقة والمسالك الرئيسية، فنجد مسلكين رئيسيين ويضم كل مسلك وحدات سكنية فهناك مسلك خاص بأبناء العالم سيدي بوعلام ومسلك آخر من الجهة الأخرى خاص بأبناء

¹ أحمد بوسعيد: الحياة الاجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري في القرن 12هـ-18م، مذكرة ماجستير، إشراف: محمد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أدرار، السنة 2010/2012، ص 125.

² وقد خط الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي قصيدة على قصر كوسام مبيناً موقعه بقوله:

سلامٌ على قصر حوى علماً ضاويًا

كُوسام في أرض من بُزان سفلانية

فَمَنْد حل فيه العلمُ صاك الثُريا

فكل راء يراها في سَما عالية

به دركنا شيوخاً في وقت صَافيه

بنو قعدد أحوالٍ وَالدِ جدياً.

أنظر: محمد بن محمد عبد الكريم البلبالي مبدوي: كتاب المصباح البياتي من أختيار التابعين ورأس الصالحين أويس بن عامر القرني م ت 37هـ، (د ط)، بوزريعة، الجزائر، 2010، ص 129.

سيدي سالم¹ وتتميز الممرات القصر بالضيق والإلتواء وهذا ما يجعلها أقل عرضة لأشعة الشمس فتكون باردة في الصيف ودافئة في الشتاء أما عن سقف هذه الممرات فهي متنوعة فنجد بعضها مسقف بالأكمل ويطلق عليه بزقاق الظلمة لأنه مظلم لحمايتها من الرياح والحرارة والأمطار الفجائية وبعض الممرات نجدها مغطاة ولكن بشكل جزئي فقط².

وأغلب المنازل الموجودة بالقصر متشابهة حيث نجد بها غرف متوسطة المساحة ويتوسطها صحن الدار وبه قوس كبير يزين به الصحن محور المنزل، بالإضافة إلى مطبخ الذي يكون فيه جزء كبير غير مسقف لخروج دخان الحطب الذي يعد للطبخ، ويطل صحن الدار على جزء يسمى الرحبة معرأة ليؤمن الضوء والتهوية لجميع غرف المنزل وكذلك دخول الهواء النقي وخاصة في فصل الصيف، ويوجد بأحد زوايا المنزل سلم الذي يصعد به إلى سطح المنزل الذي كان مكان النوم في فصل الصيف ليلاً، أما تسقيف المنزل فهو يسقف بأخشاب النخيل التي تغرس بين تقبين في الجدار ويرتب الكناف بطريقة عكسية نظراً لصلابته ومقاومته للحرارة والأمطار والرياح ثم يوضع بين فرغاته ما يسمى بالفدام المستخرج من النخلة وبعدها الجريد ثم توضع طبقة البلاط المشكلة من عجينة الطين وجدران المنزل مملسة بالطين والتربة أما الأرضية فهي مفرشة بالرمل الصافي³.

ويوجد مجلس للقضاء الذي يتربع على مساحة متوسطة ويضم بجانبه بعض الملحقات الأخرى مثل مسجد والذي يقع عند مدخل القصر وكذلك الكتاب التابع للمسجد والذي خصص للتدريس وتعليم الصغار والكبار والذكور والإناث على حد سواء وعند مدخل باب القصر يتعرض إليك نصب يعرف في المنطقة باسم الدكانة، وهو عبارة عن مصطبة مبنية بالطوب ومملسة بالطين والتربة تستعمل للجلوس وهي قريبة من المسجد أيضاً فيجلس عليها المصلين قبل وبعد الصلاة وكذلك يجلس عليها الضيوف أثناء قدومهم للقصر.

¹ يوجد بهذا الشارع أي شارع سيدي سالم البلبالي المنزل سيدي سالم الذي تزوج من امرأتين الأولى من طبقة الأحرار والثانية من فئة العبيد وهي على قيد الحياة.

² معاينة شخصية للقصر كوسام.

³ كما خصصت بعض الغرف واسعة ومفتوحة كمطبخ لأعداد الوجبات والتي بها موقد الحطب ولازالت آثار حرق الحطب وسواد الدخان موجودة في جدران المطابخ.

وحسب ما وردنا من بعض أعيان القصر تواجد بعض الممرات ركائن وأزقة التي يزورها البلباليون في الأعياد والمناسبات للدعاء لأجدادهم بالرحمة والمغفرة ومن بينها: "ركينة الحمراء"¹ والتي خصّصت لجلوس أحد العلماء يدعى "سيدي أمجد" البلبالي الذي كان يطيل الجلوس بها وحتى أن جميع زوار القصر كانوا يستقدمون إليه عارفين مكان وجوده بالركينة الحمراء يقصدونه للإفتاء في أمور دينهم ودنياهم ويفصل في أمورهم بهذه الركينة.

ويوجد بشارع سيدي سالم ركينة أخرى مباركة هذه الركينة في عُرفهم كانت تجلس بها أم العالم سيدي سالم الذي كان يقصده العامة من الناس ليدعوا لهم الله بالخير لهم ولأولادهم فكان يشير لهم بالذهاب إلى "ركينة أمه لآلة الزينة" ويقول لهم ادعوا الله هناك فإن الله يستجيب لكم ما طلبتم.²

وهنا تظهر لنا قوة العلاقة بين الأعراف والسلوك في حياة البعض منهم رغم أن الغوص في أعماق هذه المعتقدات آثار واضحة في بناء شخصيتهم.

كما أن القصر كان يتمتع بالحصانة والمِنعة حيث أدرج برج بكل ركن من أركانه عددها أربعة أبراج برجان منه لازلت قائمة إلى يومنا هذا الثالث تحطمت قمته وبقية قاعدته أما الرابع فلم يتبقى منه أي أثر؛ وكان للخدم حظ في السكن داخل القصر حيث خصص منزلين بجهة سيدي سالم للخدم وكانت هذه المهنة تتوارث في الأسرة ولازالت خادمة تدعى "خيرة" موجودة بالقصر وتسكنه إلى يومنا هذا يعتمدون عليها فتخدمهم في أعراسهم ومناسباتهم.³

ثالثاً: مركز بني تامر.

يقع مركز بني تامر فلكياً بين خط عرض: 0.268912 غرباً و 27.831021 شمالاً، أما جغرافياً يقع شرق منطقة تيمي وينتمي إدارياً إلى بلدية أولاد أحمد ويبعد عن مقر الولاية بـ 5 كلم؛ يحده من الغرب قصر المنصورية وقصر مهدية وقصر أولاد بوحفص ومن الجنوب قصر زاوية

¹ عبارة عن زاوية في جدار يقصدها الزوار يوم العيد وقيل أنه كانوا يتبركون بها فعندما يقصدهم البعض من العامة ليدعوا لهم الله ليسر أمورهم فكانوا يرشدوهم بالذهاب إلى الركينة الحمراء ويدعوا الله فإن دعائهم مقبول عند الله.

² معاينة شخصية لقصر كوسام.

³ سمية بلبالي: مقابلة شفوية معها بقصر كوسام، يوم: 2018/06/13، على الساعة 17:35.

سيدي البكري ومن الشرق مطار ولاية أدرار ومن الشمال بلدية أدرار؛ يبلغ عدد سكانه في الإحصائيات الأخيرة لسنة 2008 حوالي 1050 نسمة¹.

يقع مركز بني تامر بموقع إستراتيجي مهم يتّوفر على المياه الصالحة للشرب عن طريق الفقاقير التي وصل عددها إلى سبع فقاقير لتزويدهم بمياه الشرب والسقي لزراعة الحقول، ومن أهم فقاقيرها الحية: فقارة بوعيسى وفقارة التاغجم أما الميتة والتي ولم يبق لها أثر: فقارة سيدي سالم، فقارة أقيان، فقارة قاضي حاجة، فقارة جيفة وفقارة تروكان².

حسب ما ورد في إحدى التقايد الخطية التاريخية للخزانة مولاي سليمان بن علي بقصر -آدغ- أن هذا القصر تأسس سنة 833هـ من طرف سكان أقبور وعلى رأسهم سيدي أعمر المعروف باسم تامر، ليتحول بعدها كاسم يطلق على القصر بأكمله، كما لقصر بني تامر العديد من التسميات منها: بني ثامر أو زاوية بني تامرت أو بني تامر، وتشير التقايد الخطية التاريخية الموجودة بخزانة مولاي سليمان بن علي بقصر آدغ أن الشيخ موسى من أقبور³ تحول إلى قصر بني تامر ثم نزل عليه الشيخ مبارك والشيخ عيسى الذي تولى حفر فقارة بوعيسى بني تامر سنة 910هـ.

وورد في "مخطوط ذرة الأفلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" للعالم سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي التواتي أنه سنة 862هـ جاء سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني إلى توات وتوطئة قدماءه أولاً في بني تامر ثم بعدها إنتقل إلى بلاد تمنيط⁴.

وفي عام (930/929هـ) بعد أن عاد سيدي سالم العصنوني من مكة المكرمة إستقر بقصر بني تامر حيث توفي سنة (969هـ - 1562م)¹ أمّا عن سكان بني تامر معظمهم مرابطون من

¹ وثيقة صادرة عن الفرع البلدي لبلدية أولاد إبراهيم تيمي، الإحصاء الأخير عام 2008.

² ابن الوليد عبد القادر: تقيد الخطي عن قصر بني تامر، خزانة بن الوليد، قصر با عبد الله، أدرار، الجزائر.

³ أقبور: قصر خالي اندثر ولم يبق إلا أطلاله، يظهر بجوار الولي الصالح سيدي الحسن بقصر المنصورية. ينظر: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم البلبالي: المصباح البياني من أخبار التابعين ورأس الصالحين، أويس بن عامر القرن ت 37هـ، دار هومة، الجزائر، 2010 ص 93-98.

⁴ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي التواتي: مخطوط ذرة الأفلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 19.

العرب ويتبعون الطريقة الطيبية² التي أسسها مولاي عبد الله بن إبراهيم الوازاني (1089هـ/1267م) من وژان بالمغرب الأقصى ؛ بعد أن درس في تطوان دارسته الأولية إنتقل بعدها إلى فاس أين تتلمذ عند الشيوخ وعلماء القروين ثم قام بعد إنهاء دراسته بتأسيس زاويته التي خلفه أبناؤه وأحفاده في رعايتها³، وكان لهذه الطريقة إنتشار كبير في معظم قصور توات⁴.

لقصر بني تامر العديد من التسميات منها بني تامر، أو زاوية بني تامر أو بني تامر، وتشير التقايد الخطية التاريخية الموجودة بجزنة أدغاغ أن الشيخ موسى من أقبور⁵ تحول إلى قصر بني تامر ثم نزل عليه الشيخ مبارك والشيخ عيسى الذي تولى حفر فقارة بو عيسى بني تامر سنة 910هـ، أما الشيخ محمد بن أحمد أصله من تافيلالت وبعضهم ينتسب إلى سيدي موسى بأقبور والبعض ببني محمد والبعض لأولاد بحمو من عين صالح والبعض الآخر للكتاوين.

كما أنه لم تشيد قصبة خاصة بالأسرة البلبالية بقصر بني تامر وإنما خصص شارع أو زقاق خاص بهم وهو معروف إلى يومنا هذا تسكنه هذه الأسرة فقط⁶.

والأمر المعروف والمسلم به هو تغير لقب أو كنية بلبالين القاطنين بقصر بني تامر إلى مبدوي وعندما سألت الشيخ الحاج محمد مبدوي عن سبب ذلك؟ أجابني أنه: أثناء فترة الإستعمار الفرنسي بالمنطقة لم يكن هناك إهتمام بوضع الألقاب على العموم ؛ وعندما شرعت فرنسا بالتسجيلات في الحالة المدنية كان لديهم عم معروف باسم المجدوب فوضع لقب العائلة عليه دون

¹ سليمان سيدي علي: تقيد خطي للقبائل التي سكنت عرش تيمي، خزنة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.

² عرفت هذه الطريقة انتشاراً واسعاً بتوات للتوسع أكثر عن الموضوع أنظر: تقيد خطي عن الطريقة الطيبية، بجزنة مولاي سليمان بن علي بقصر أدغاغ، أدرار، الجزائر.

³ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 515.

⁴ مبارك جعفري: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن 12هـ، وزارة الثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع، ط1، 2009، الجزائر، ص 141.

⁵ أقبور: قصر خالي اندثر ولم يبقى إلا أطلاله، يظهر بجوار الولي الصالح سيدي الحسن بقصر المنصورية. ينظر: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم البلبالي: المصباح البياني من أخبار التابعين ورأس الصالحين، أويس بن عامر القرن ت 37هـ، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 93-98.

⁶ الحاج محمد مبدوي: مسؤول عن خزنة بني تامر، مقابلة شفوية في يوم 16 سبتمبر 2018، على الساعة 10:15 بمقر الخزنة دار القراءة، بني تامر، أدرار، الجزائر.

مبالاة كما هو الشأن بالنسبة لغالب الألقاب في الناحية، وفسر البعض هذا الحدث على أنه أمر جلي ثم بعدها عرفت الأسرة بلقب مجدوبي تحول بعد ذلك إلى لقب مبدوبي نظراً لاختلاف الكتابة في اللغة الفرنسية والعربية فأطلق عليهم لقب مبدوبي بدلاً من محجوبي وبلبالي¹.

(أ) - الأولياء الصالحين المعروفين بقصر بني تامر:

1- الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن الحاج مُجَّد التامرتي:

هو من بين أولياء الله الصالحين الذين ساهموا في البناء الجانبي الروحي والنفسي بقصر بني تامرت ثم إنتقل بعدها إلى قصر أدغاغ بأمر من أبيه حيث كان مع أبيه بقصر بني تامر مسقط رأسه، ثم وجهه والده بالذهاب إلى قصر أدغاغ ولازمها ليلاً ونهاراً، وفي يوم من الأيام كان مريضاً فجاءت جماعة تيممي لزيارته ومعرفة أخباره، فقال بأن النهاية مزالت بعيدة ولكن سوف تأتية في مكان اسمه امراقن²، فقالوا له أي مكان ندفنك فيه؟ فسكت، فقال له أهل بني تامر ندفنك مع عمك، فسكت قليلاً ثم قال إعملوا بوصيتي يوم موتي، فإذا مت فصلوا عليّ بمراقن واستدعوا جماعة كل بلد فمن يحملني أدفن ببلدها، فكان ما كان أن قدر الله بموته بمراقن فقدمت وفود تيممي وصلوا عليه³ وتوجهت لحمله كل جماعة بلد على حدة فلم تستطع ذلك إلى أن جاء وفد من أدغاغ فحملوا من الأرض وساروا به إلى بلدهم أدغاغ ودفن بمقبرتها التي سميت بمقبرة "سيدي عبد الرحمن بن مُجَّد"، وفي حياته حذرهم من تبيض قُبته بالجير إلا أن بعض من سكان أدغاغ لم يلتزموا بهذا الشرط وعملوا على تبيضها وسرعان ما تنهمر عليها أمطاراً غزيرة من السماء غسل الجير جميعه ولم يبقى له أثر⁴.

¹ الحاج مُجَّد مبدوبي: مسؤل عن خزانة بني تامر، نفس المقابلة بنفس اليوم والساعة.

² امراقن: يمثل بداية قصور تيممي.

³ مُجَّد عبد القادر ابن عمر ابن عبد الرحمان التتلائي: الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشرف والإدرسيين

والعلويين وما فيها من قبور الزيارة من الشرفاء والمرابطين، المخطوط السابق، الورقة 16.

⁴ المؤلف المجهول: مخطوط علامات على توات سكان قصور تجارة صناعة، المخطوط السابق، الورقة 15-16.

(2)- الولي الصالح سيد محمد اعزيز 1150هـ وولده سيد الحاج عبد الله:

كان سيد محمد اعزيز رحمه الله صاحب الباطن ومن قصده في حاجة يقول له أنظر ولدي سيدي الحاج عبد الله لأنه على قدمي والتصرف له في البلد وهو صاحب الأحوال وخرق العادة ولم يكن لأهل بني تامرت ماءً للوضوء بالبلد فجاء أهل بني تامر لسيد محمد اعزيز يطالبون منه الماء في البلد وقال إذهبوا للسيد الحاج عبد الله، فلما جاؤه أمرهم عليه السلام ألا يخرج أحد من بيته بعد العشاء إلى غاية طلوع الفجر، فإمثلوا لأمره فلما جاء اليوم الأول وجدوا الساقية محفورة في وسط البلد واليوم الثاني وجدوا الماء بها يجري، ومن كرامة ابنه أنه عليه السلام إذا وقف عليه سعيداً يخبره بسعوده وشقي بشقاوته وكان عليه السلام مصاحباً للسيد محمد بن عبد الله الونقالي، ومن كرامته أنه جاءه يوماً شخص فقال له: سيدي يزيد منك أن تدعي لنا الله نريد الغرس فقال له: أت الغرس الذي تريد غرسه فاجمع الغرس وأعطاه نصيباً من التراب وأمره يجعل التراب في حفرة الغرس فامثل لأمره فلم تُمّت نخلة واحدة، وكرامته لا تعد ولا تحصى¹.

رابعاً: مركز برينكان.

قبل أن نعرف بمركز برينكان يجب أن نعطي ولو لمحة وجيزة عن دائرة تسابيت بحكم أن هذا القصر تابعاً لها إدارياً.

تسابيت تعني المكان المعزول عن الطريق² وهي تقع على بعد 50 كلم عن عاصمة الولاية أدرار، مصنفة ضمن أكبر دوائر الولاية إذ تتكون من 12 قصرًا، وقد تم تحديد موقعها في كتاب توات الأزواد لدكتور محمد حوتية على أنها تقع في جنوب غرب مقاطعة الدغامشة علي بعد 40 كلم من واد مسعود³، أما عن إحداثياتها فهي ما بين 0.25 w - 28.3666657 N

¹ سليمان بن البركة: تقييد خطي الولي الصالح سيد محمد اعزيز 1150هـ وولده سيد الحاج عبد الله، بخزانة مولاي سليمان بن علي، خزانة أدغاغ، أدرار، الجزائر.

² محمد باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، ج1، المصدر السابق، ص15.

³ محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، ص31.

.وتقدر مساحتها ب 13263 كلم وارتفاع قدر ب 257متر، أما عن عدد سكانها لإحصائيات 2008 قدرت ب 14895 نسمة بكثافة تساوي 1.1ن/كلم¹ .

ورد اسم تساييت في العديد من المصادر التاريخية مثل كتابات الرحالة ابن بطوطة² وابن خلدون³ وأبو سليم العياشي⁴ وغيرهم، وجاء تعريف الحسن الوزان لها في كتابه وصف إفريقيا: "... تساييت إقليم مأهولة في صحراء نوميديا على بعد مائتين وخمسين ميلاً شرق سلجماسة، ومائة ميل من الأطلس يضم أربعة قصور وقرى عديدة في تخوم ليبيا على الطريق المؤدية من فأس وتلمسان إلى المملكة أكثر في بلاد السودان، سكانه فقراء جداً لا تنبت أرضهم غير التمر والقليل من الشعير وبشرتهم سوداء إلا أن نساءهم جميلات سمراوات"⁵.

أما قصور تساييت فهي موزعة على إثننا عشرة قصراً وهي على التوالي: غابة مولاي أحمد، بن طلحة، القصابي، الهبلية، المعيز، وجلان، العياد، حماد، عمور، برينكان، عريان الراس، كبرتن.

مركز برينكان:

قصر برينكان واحد من أهم قصور تساييت ويبلغ تعداد النسمة به حوالي 3013 نسمة، يقع شمال مقر البلدية يبعد عنه بحوالي 12 كلم تقريباً، ويعد هذا القصر من القصور القديمة النشأة وقد شهد أحداثاً تاريخية كثيرة تمثلت في هجوم البربر سنة 1857-1841م، وكذلك الهجوم

¹ وثيقة صادرة عن الفرع البلدي لبلدية تساييت، الإحصاء الأخير عام 2008.

² ابن بطوطة: اسمه شرف الدين أبو عبيد الله محمد بن عبد الله ابن محمد ابن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة ولد بمدينة طنجة المغربية من قبيلة لواتة المعروفة بلسان البربر باسم إيلواتن ولد يوم الاثنين 17 رجب 703هـ/24 فبراير 1304، انظر: عادل خلف: الملاحظات اللغوية للرحالة العربي ابن بطوطة، مكتبة الأدب، ط1، القاهرة، مصر، 1994، ص ص 10-11.

³ ابن خلدون: ينتمي إلى أسرة عربية عريقة من حضر موت اليمن، اشتهر بإسم ابن خلدون ولكن إسمه الفعلي عبد الرحمان واسم والده محمد أما تلقيبه بابن خلدون فكان نسبة إلى أحد أجداده القدامى "خلد" المعروف بخلدون. أنظر: محمد الجوهري محسن يوسف: ابن خلدون انجاز فكري متجدد، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2008، ص 10.

⁴ أبو سالم العياشي: وهو العلامة الأديب الرحالة أبو سالم العياشي يلقب باسم العفيف الدين المالكي، يرجع نسبه إلى قبيلة آل العياش البربرية المتاخمة لبلاد الصحراء ويتصل نسبه إلى الأدراسة الأشراف ولد سنة 1007هـ وتوفي سنة 1067هـ. أنظر: جمال القديم: أعلام القرن الحادي عشر هجري أبو سالم العياشي ت 1090هـ، مركز الدراسات والأبحاث والتراث، المملكة

المغربية، تاريخ الزيارة: 2018/05/03م، متاح على الموقع الإلكتروني: www.almarkaz.ma.

⁵ الحسن الوزان، وصف إفريقيا، المصدر السابق، ص 131.

الذي قام به شيخ عين صالح عبد القادر ولد أبا جودة بمساعدة قائد تيمي الحاج أمجد العيادي سنة 1266هـ-1848م، فحاصروا القصر لمدة عشرين يوم، وقطعوا الأشجار وهدموا الفقائير فخربت البلاد بعد هذه الأحداث، وشهد هذا القصر حركة إقتصادية هائلة وذكر الرحالة جيرارد رولف (Gerhard rohlfes) الذي أكد على أن السوق الذي كان يقام بالمنطقة أكبر من السوق المقام بمدينة تافيلالت، نظراً للموقع الإستراتيجي المهم الذي تتميز به المنطقة¹.

(أ) - أصل التسمية:

تؤكد الروايات الشفوية المتداولة عند سكان القصر وجود عدة تسميات له، فكان يدعى هذا القصر باسم " بركان " وهي ملخص " بئر كان " بمعنى أن هذه البلدة كانت في وقت من الأوقات عبارة عن بئر إلا أننا لم نجد مصادر توثق لنا هذا المعنى عدا بعض الأقاويل الشفوية، وهناك من أرجع سبب تسمية قصر بهذا الإسم إلى القبائل الأولى التي استقرت به، ولكن ما وجدناه مدون في العديد من المخطوطات ووثائق الأسرة البلبلية لهذا القصر هو اسم " بركان"، كما سجل مع أسماء العلماء الأسرة قصد عزل بين بينهم وبين علماء البلباليين بقصور توات الوسطى فدل ذلك وثيقة بيع وشراء بين أهلي برينكان سجل في آخرها اسم المقيد الوثيقة " أمجد بن مبارك بن أمجد المأمون البلبالي اركاني" وغيرها كثير².

(ب) - نشأة زقاق بلبلية:

يرجع تأسيس الحي السكني الموجود بالقصبة العتيقة إلى الأجداد الأوائل الذين دخلوا قصر برينكان مع بداية القرنين الحادي عشر والثاني عشر هجريين، أما عن تاريخ قدوم أول البلباليين إلى قصر برينكان فالأمر لازال غامضاً، لعدم توفر الوثائق التاريخية التي تثبت ذلك إلا أنه ومن المؤكد أن السيد أحمد بن سيدي أبي قاسم البلبالي والد سيدي أمبارك كان موجوداً بقصر برينكان سنة 1145هـ فاتضح لنا ذلك من خلال رسوم الأملاك والبساتين والأراضي التي دونت

¹Gerhard rohlfes: voyages et exoloration au sahara tome1 praa. Tafilalet. Sod oranais touat Tidikelt ; Rhedan 1861-1864 centre d'etudes sur l'histoire du , paris edition karlhala83 rue .viell- du temple,sahara 2001,p201.

² حياة بلبالي: إبنة أخ المسؤول عن الخزانة، مقابلة شفوية، بمقر سكنهم بقصر برينكان، يوم: 29/04/2018م، على الساعة: 18:23.

في عهده¹، وهذا زقاق عبارة عن رواق طويل تتوزع به منازل قديمة يميناً وشمالاً، ويضم مدخلين رئيسيين مدخل في الشمال والآخر في الجنوب وخصصت قاعة متوسطة الحجم عند المدخل الشمالي للقصر من أجل تقديم الدروس العلمية والتعليمية المختلفة وكذلك بعض النشاطات الدينية المتنوعة فهي بمثابة دار علم أو مسجد صغير، ويجمع هذا الحي السكني أفراد الأسرة البلبلية دون سواهم، ولا يصح لأي أحد منهم الخروج بسكنه خارج هذا الحي، ولا يدخل هذا الزقاق أي غريب عن الأسرة دون الأستئذان أهله فهو بمثابة الدار الكبيرة، ولا زالت هذه العادة جارية إلى يومنا هذا²، وتؤكد معظم الروايات الشفوية لسكان القصر أن الأرض التي بنيت عليها قصبتهن ومقبرتهن كانت بمثابة هدية قدمها أعيان قصر برينكان للبلبالين وبقيت هذه الأرض حبوس على العائلة بأكملها ولا يصح لهم بيعها أو التصرف فيها³.

(ج) - أهمية مركز برينكان: يقع هذا القصر بموقع استراتيجي مما دعم الحركة التجارية به، وباعتباره من القصور القديمة؛ فشهد أحداثاً تاريخية وهجمات متفرقة جعلت منه قصراً غنياً بالمواقع الأثرية بدءاً من النسيج الوسط السكني المتميز بالقصبة العتيقة ونشاط الحركة الثقافية به مما جعل منه قصراً تتقاطع فيه الثقافات من خلال المشهد العلمي الكبير الذي قامت به الأسرة البلبلية، أما عن سكانه فغالبيتهم البلبالين الأنصار والمرابطين وبعض العائلات الشريفة؛ وقد دون الرحالة جيراد رولوف رحلته إلى قصر برينكان في كتابه المشهور حيث دخل القصر مع خادمه الذي كان على ظهر الجمل، وفي طريقهم وجدوا سلسلة جبلية وكتل تظهر من بعيد من ناحية الشمال وبعد تجاوزهم المنطقة الرملية، نصبوا خيمتهم لمدة ساعة لأجل راحتهم وراحة جمالهم وعند الخامسة صباحاً صعدوا على دوابهم التي كانت جاهزة واستمروا في طريقهم الطويلة نحو 140° جنوباً، وفجأة وجدوا أنفسهم على حمادة خالية من النباتات والأشجار على الساعة الثامنة والنصف في سهل

¹ أحمد بن محمد بن حسان عريان الرأس، الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبلية الركانية، المرجع السابق، ص 146.

² فوزية بلبالي: ابنة أخ المسؤول عن الخزنة، مقابلة شفوية، بمقر سكنهم بقصر برينكان، يوم: 2018/04/29م، على الساعة: 18:17.

³ حياة بلبالي: ابنة أخ المسؤول عن الخزنة، مقابلة شفوية، بمقر سكنهم بقصر برينكان، يوم: 2018/04/29م، على الساعة: 19:27.

شاسع يشبه نهرًا، ثم وجدوا فقارة¹ التي تمثل منابع المياه الموجودة تحت سطح الأرض على مساحة يصل عمقها إلى خطوتين ونصف بها ماء عذباً وسميت هذه الفقارة بفقارة أوت أو أوتلد ولها قيمة جد مهمة لسكان تساييت لوفرة مياهها².

خاتمة الفصل:

يعود نسب الأسرة البلبالية إلى البلبالين الأنصار الذين قدموا من تبلبالة وهم سيدي الحاج أمجد وسيدي الحاج بلقاسم وسيدي الحاج علي وسيدي الحاج عبد الرحمان وسيدي الحاج عبد الله دفين السودان، وهم أبناء الفقيه سيدي أحمد بن أبي زيد دفين تافيلالت المغربية، وعرفت هذه الأسرة بكثرة تنقلاتها من تافلالت إلى تبلبالة ثم إلى توات نزولاً بقصر تساييت ثم قصر المنصور بودة ثم قصر أدغاغ ليستقروا استقرارهم النهائي بقصر ملوكة في حين ارتحلت بعض فروعهم إلى مناطق متعددة منها: قصر كوسام وبني تامر وبرينكان وتيميمون وأولاد راشد، كما تناولت في هذا الفصل العمران والقصبات البلبالية في جميع مراكزها وخاصة ملوكة وكوسام بتمثيلهما معلمين أثريين هامين لقصور تيمي حيث اقتبس تخطيطهما من المدن الإسلامية التقليدية الحريضة على الصيانة والحماية من العيون الخارجية تماشياً مع القيم الأخلاقية التي تربت عليها الأسرة البلبالية.

¹ الفقارة تساييت كما عرفها الرحالة جيراد: هي مكان منبع المياه موجودة منذ القدم ولها مكانة مهمة وأطلالها موجودة حالياً وبها صخرة كبيرة، فكانت تستقي كل القوافل المارة من هذه النقطة.

² Gerhard rohlfes: voyages et exoloration au sahra tome1 praa. Tafilalet. Sod oranais touat، Tidikelt ; Rhedan 1861-1864 centre d'etudes sur l'histoire du , 2001,p202.

الفصل الرابع:

الأوضاع العامة للمراكز البلبلالية بتوات

المبحث الأول: الأوضاع التاريخية بالمراكز البلبلالية.

المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية بالمراكز البلبلالية.

المبحث الثالث: الأوضاع الاجتماعية بالمراكز البلبلالية.

الفصل الرابع: الأوضاع العامة للمراكز البلبلية بتوات.

سنحاول في هذا الفصل دراسة جوانب من الأوضاع السياسية والتاريخية التي شهدتها المنطقة بداية من الصراعات والهجمات المحلية المتفرقة إلى السيطرة الإستعمارية الفرنسية، إضافة إلى دراسة الأوضاع الإقتصادية المتمثلة في الزراعة والصناعة "الحرفة" وكذا التجارة ودرست في هذا الفصل أيضاً بعض الأوضاع الإجتماعية التي تختلف كثيراً عن دراسة الأوضاع السياسية والإقتصادية خاصة أن هاتان الأخيرتان تتسمان بالتغير من آن إلى آخر ولا تدوم على حالة واحدة، بينما تظل الأوضاع الإجتماعية على شئ من الثبات، فيراها معظم الباحثين أنها من الأمور العادية والمستقرة والتي لا تحتاج إلى تدوين، ولكن الحياة التي عاشها أجدادنا تختلف كثيراً عن الحياة التي نعيشها الآن ولهذا استوجب علينا أن نعطي جزءاً من الأهمية لدراسة الأوضاع الإجتماعية بصفة خاصة.

المبحث الأول: الأوضاع التاريخية بالمراكز البلبلية.

شكلت القصور التواتية - البلبلية - وحدات سياسية شبه مستقلة تدبر شؤونها بنفسها، عرفت نظام سمي "الجماعة" الشبيه بنظام القبيلة، مشكلة من عشرة رجال تحكمه وتسير جميع أموره، وفق بعض الحقوق والواجبات، ويقودهم أحدهم المعروف باسم "مسؤول" الذي يتمتع بسلطة مادية ومعنوية¹.

ولذا لم يكن لقصور توات عموماً خلال القرنين (18-19م) أي نظام واضح أو حكم مضمون، ويعود هذا لمجموعة من الأسباب أهمها:

1. بُعد توات عن مناطق الصّراع في المغرب العربي.
2. عرفت توات بكثرة قصورها وتعددتها مما صعب قيادتها والسيطرة عليها.
3. بعد المنطقة وقساوة طبيعتها المتميزة بالحرارة الشديدة والجفاف مع الجراد الذي كان يهجم عليها².

¹ مبارك جعفري، عبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 55-56.

² بن عبد الكريم المغيلي: مخطوط تاريخ الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وفاته ورحلاته، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة

وجاء في مخطوط ذرة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام للعالم سيدي مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيبي: "...أن توات بالنسبة لغيرها لا تنكأ ظالماً ولا تمنع غانماً وهي أضعف بلاد المغرب قاطبة غالب أهلها ضعفاء مستضعفون ولقلة ضعف أهلها وهضم النفوس بها كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب كل ناسها على المذهب المالكي واقتباس علمائها عن علماء مصر وفارس والأندلس..."¹.

وعليه، شهدت توات العديد من الأحداث التاريخية نتيجة تعرضها لهجومات متفرقة ومنها
حادثة يحمّد وسفيان:

أولاً: حرب يحمّد وسفيان:

تشير الدّراسات التاريخية . كما ذكرنا سابقاً . أن أرض توات عرفت استقرار شعوب مختلفة بداية من العصر الحجري إلى العهد الروماني وكذا دخول بعض الأجناس الأخرى من الأقباط والفرعنة وفئة من اليهود، ولكن مظاهر السلطة الحاكمة لم تظهر إلا مع بداية الفتح الإسلامي فتوافد البربر إليها بعد انهيار دولة الأدارسة²، وكذا دخول اللمتون بعد سقوط دولة المرابطين على يد الموحدين³.

وجاء في قول بن عبد الكريم التمنطيبي: "...ثم لما انكسرت دولة اللمتون أيضاً بالمغرب جاءت شر ذمة منهم تاريخ بضعة وثلاثين وخمسمائة قد أمهكتهم حروب الموحدين..."⁴، وعليه فلا بد من هذا الزحف لمختلف العناصر البشرية من تشكيل الصراعات والفتن بين هذه القبائل المختلفة من أهمها الصّراع العربي . عربي الذي عرف بفتنة يحمّد وسفيان، فكبرت العداوة بينهما

¹ مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيبي التواتي، مخطوط ذرة الأقالام في أخبار المغرب بعد الإسلام، المخطوط السابق، الورقة 11.

² عثرت في أحد المخطوطات الموجودة بخزانة كوسام أن الأدارسة قدموا إلى توات بعد قدوم مولاي سليمان بن علي الإدريسي واستقر بها وأسس قصر ايت أو شن في تيمي حيث يوجد قبره، حسب ما ذكره المؤرخ مارثان في كتابه الواحات الصحراوية الذي نشر بالجزائر في عام 1980، أنظر: المؤلف مجهول، مخطوط علامات توات سكان قصور تجارة وصناعة، المخطوط السابق، الورقة 27.

³ دولة الموحدين: ظهرت هذه الدولة على أنقاض دولة المرابطين نتيجة ضعفها من النواحي السياسية والعسكرية والحضارية، وفتحت المجال لملوك النصارى للقضاء على الإسلام في الأندلس فيما بعد، أنظر: مُجَّد علي الصلاحي: فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، مصر، 2006، ص 220.

⁴ مُجَّد عبد الكريم التمنطيبي، ذرة الأقالام، المخطوط السابق، الورقة 102.

ودامت حروب طويلة وخلفت خسائر عظيمة ويرجع سبب تسميتها بهذا الإسم إلى الخاطب الذي أرسله عامل السلطان إلى الملك الذي جاء فيه: " أن أهل توات اشتدت الحرب بينهم مثل الحرب الواقعة بين محمد رسول الله ﷺ وبين أبي سفيان"¹، بينما يرى البعض الآخر أن هذه التسمية جاءت نتيجة للحرب التي دارت بين يحمى وسفيان، فيحمى هو تحريف لكلمة يحيى وسفيان هي قبيلة من البربر حاربت يحيى فصارت العداوة بين يحمى وسفيان²، وتطور هذا الصراع وأصبح صراعاً قبيلاً فكانت قصور تيمي وتامست³ تابعة لفريق يحمى، بينما قصور بودة وتمنيط وبوفادي وزاوية كنتة تابعة لفريق سفيان، فوصلت العداوة بينهما إلى درجة شديدة رغم قرب القصور التواتية المتشجرة واختلاطهما في الكثير من الأمور مثل البساتين والنخيل ومياه الفقارة وغيرها إلا أن هذه العداوة تطورت إلى حد بعيد.

وهذا ما استخلصناه من قول المؤرخ محمد بن عبد الكريم في "ذرة الأقلام قائلًا: "...فصارت عداوة يحمى وسفيان مختصة بالبلاد التواتية، والتعجب وكل العجب أن تجد بلداً مختلط النخيل والمرافق بحيث يسمع كل واحد نداء مؤذن الآخر ويتعصب واحد بفئة يحمى والآخر بفئة سفيان... "، ويقول أيضاً: "... والأعجب منه يجتمع شخصان أحدهما مع الآخر فإذا أخبره أنه من فئة سفيان كرهه أشد كره حيث كان هو من فئة يحمى..."⁴.

ثانياً: السيطرة الاستعمارية:

بعد السيطرة الفرنسية على القسم الشمالي للجزائر، عمدت فرنسا لتوطيد أركانها جنوباً، فدخلت الواحات التواتية مرحلة حاسمة في تاريخها والمتمثلة في انتفاضة الجنوب الصحراوي ضد الإستعمار الفرنسي، فأرسلت فرنسا بعض الرحالة المستكشفين الذين دخلوا في زي عرب قصد التقرب أكثر من الأهالي والتعرف على الإمكانيات الموجودة بالصحراء الجزائرية سواء كانت إقتصادية أو بشرية أو حتى حضارية ؛ هذا ما نصّ عليه التقرير الذي رفعه مارشال سولت (marichal Sout) وزير الحربية إلى الملك لويس فيليب (louis flip) والذي جاء فيه: "...

¹ عبد الحميد البكري، النبذة في تاريخ توات، المرجع السابق، ص 45.

² محمد صالح حوتية، توات والأزوات، ج1، المرجع السابق، ص 50.

³ تامست: إحدى دوائر توات ومقرها باعمور ولحمر.

⁴ عبد الكريم التمنيطي، ذرة الأقلام، المخطوط السابق، الورقة 114.

يجب أن تؤلف الصّحراء الجزائرية صنفاً ثالثاً من الجهات الإدارية ففي هذه الجهات لا أثر للمعمرين ولا تطؤها الجيوش إلا عرضاً للقمع والفوضى أو لإعداد الظروف الملائمة لإقامة العلاقات التجارية وتوسيعها وهي مناطق تفتح لنا مجالاً لطرق هامة في الحركة التجارية المؤمنة¹.

وعليه أصبحت توات أرضاً مستهدفة لصالح القوات الفرنسية وخاصة بعد الإضطهادات التي كان يعاني منها الثوار الجزائريون في الشمال فأصبحت الصحراء مقصداً لهم وقاعدة للاعتصام والاستعداد ولشن هجوماتهم ضد فرنسا، فعزم الفرنسيون على ضرورة التوسع في أعماقها والسيطرة على كل واحاتها² والتصدي لمقاوماتهم، وخاصة بعد تعرض بعض حملاتهم وبعثاتهم العسكرية التوسعية إلى ضربات قوية من طرف ثوار جزائريين في قلب الصحراء³.

وقد استطاع المغامر الفرنسي "رونيه كاييه" (ronnie kaibi) أن يعبر الصحراء ويصل إلى تمبكتو ماراً بإقليم توات، وكان أول مغامر فرنسي يدخل توات في زي تاجر متظاهراً بالإسلام في سنة (1824م / 1828م)⁴.

إن الملاحظ لتاريخ هذه الفترة يجد أن معظم الرحالة المستكشفين دخلوا الأراضي الصحراوية متقمصين شخصيات عربية مسلمة. كما ذكرنا سابقاً. مثل المستكشف كاميل دولس (kamille dulles) الذي انطلقت رحلته من طنجة وأطلق على نفسه اسم الحاج عبد المالك، إلا أنه في آخر الأمر تم اكتشافه بسبب عدم إتقانه للهِجة العربية، وخطط الطوارق للإغتياله وتم ذلك في حاسي إيليغن بين أولف واقبلي، ونتيجة لما قدمه من خدمات لصالح السلطات الفرنسية الإستعمارية فقد وضعت له فرنسا تمثالاً في نفس المكان الذي قتل به سنة 1888م⁵.

¹ يحي بوعزيز: تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1999، ص ص63-64.

² وهذا ما نص عليه المؤرخ المغربي أعفيف مُجَّد بقوله: ... نظمت فرنسا قواتها... واستنجد الأطفال والنساء إلى المساجد والفقاقير يجتمعون في أحضانها...، لتوسع أكثر أنظر: أعفيف مُجَّد: المسالك الصحراوية، توات حلقة إتصال بين المغرب وإفريقيا، منشورات جمعية وظيفي، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، (د ت)، ص 126.

³ مُجَّد الصالح حوتية، توات والأزواد، ج2، المرجع السابق، ص 447.

⁴ عبد القادر بوجابة: دور الرحالة المستكشفين في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1827-1877)، مجلة جمعية الإنتفاضة الشعبية لـ 27 فيفري 1962، ورقة، العدد 4، ص 79.

⁵ مياسي إبراهيم: الاحتلال الفرنسي لصحراء الجزائرية 1837، دار هومة، (د ط)، 2005، ص 409-410.

وعلاوة لما قدمته هذه الفئة من المستكشفين والمغامرين من خدمات عظيمة لفتح الطريق أمام فرنسا لاحتلال الواحات الصحراوية بعد جمعهم للمعلومات المهمة التي مكنت الجيوش الفرنسية من السيطرة على توات رغم المقاومات الشعبية الراضية لهذا التدخل إلا أنها استطاعت توطيد أركانها في المنطقة، فقامت بانجاز مشاريع إقتصادية مثل مشروع السكة الحديدية العابرة للصحراء الكبرى قصد ربط جميع مستعمراتها الفرنسية في شمال القارة الإفريقية وغيرها ووسطها وكذا لخدمتها تجارياً وفتح أسواق جديدة في إفريقيا¹.

وتحولت البعثات الإستكشافية إلى حملات عسكرية مثمرة مثل بعثة **فلاموند (flamond)**، فوصلت في أول حملة عسكرية إلى منطقة تيديكلت، وبدأت عندها المقاومات الشعبية الراضية للوجود الفرنسي مع سكان عين صالح وانغير وتيط وأقبلي وأولف وانتهت بسقوط تيديكلت في مارس 1900م ثم سقطت منطقة قورارة سنة 1901م وبعدها عاصمة الإقليم أدرار يوم 10 فبراير 1902م².

وعليه فإن توات كانت عرضة للعديد من الأطماع الخارجية ومثلت ملاذاً آمناً للفارين والمضطهدين مما جعلها ضعيفة مستسلمة لكل الأيدي الخارجية وعبر عن هذا محمد بن عبد الكريم بقوله: "... مع أن توات بالنسبة لغيرها لا تنكأ ظلاماً ولا تمنع غائماً وهي أضعف بلاد المغرب قاطبة..."³.

وعثر بأحد تقايد -الموجودة بخزانة ابن الوليد بعبد الله - على وثيقة تحض النقود التي فرضتها فرنسا على أهالي توات ويتصدقون بها على البلاد المنكوبة بفرنسا المسماة "الغار إفريجيست" وهي إحدى من عمالات فرنسية، وتم ذلك بتاريخ 09 ديسمبر 1959م حيث نصت الوثيقة التي خطب بها الكوموندان "بريوا (briwa) جميع أهالي قصور تيمي بقوله: " مصيبة كبيرة ... قطعة من الوطن عمالة " الغار إفريجيست... "، اعتبروا الجزائر قطعة أو جزء لا يتجزأ من فرنسا وكل ما يحصل لفرنسا تتكفل به الجزائر من خلال تطبيقها لقرار 1934م الذي ينص على

¹ يحي بوعزيز، تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، المرجع السابق، ص 75-76.

² دحمان تواتي وآخرون: الثورة التحريرية في إقليم توات 1956 1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية أثر الثورة التحريرية، أدرار، الجزائر، ص 9-12.

³ محمد بن عبد الكريم، مخطوط ذرة الأقلام، المخطوط السابق، ص 103.

الحاق الجزائر بفرنسا وأنها ولاية فرنسية، جاءت هذه المصيبة نتيجة تحطم البرج الذي سبب في موت الكثير من العائلات وخاطبهم على ضرورة التعاون لتقديم المعونة لهؤلاء المحتاجين الفرنسيين، في حين تناسوا بأن المحتاجين والفقراء في الجزائر أكثر من فرنسا ونتيجة لهذا الخطاب فقد تجمع سكان ناحية أدرار يوم 10 ديسمبر من أجل جمع الدراهم وكلف القائد "ألفسيان ونلي" (alvisan ouinilbie) - المكلف بعرض تيمي وبودة - أن يجول في جميع قصور تيمي لجمع النقود للتضامن مع إخوانهم الفرنسيين (حسب رأيهم) ؛ وبهذا فقد باشر التواتيون بجمع النقود خوفاً من جبروت فرنسا الظالمة، ودفعت القصور البلالية الثلاث هذه الدراهم: بلغ عددها في قصر بني تامر: 17535 فرنك وكوسام 4000 فرنك وملوكة 17000 فرنك، وكانت هذه الدراهم المدفوعة تتماشى مع عدد السكان فنلاحظ أن بن تامر أكثر نسبة في عدد السكان وتأتي ملوكة وفي الأخير كوسام¹.

ثالثاً: الأوضاع السياسية والتاريخية بمركز ملوكة وكوسام.

لم نُحللنا المصادر التاريخية أو الوثائق المخطوطة إلى أهم الأحداث التاريخية الواقعة بقصر ملوكة وكوسام ولكن تأكد لنا بعض الروايات الشفوية أن أهالي القصرين كانوا يبغضون الفرنسيين بغضاً شديداً رغم أنه لم يصادف أي مقاومة تذكر بينهما.

ومن الواضح أيضاً أن مركز ملوكة وكوسام كانا محميان من كل الهجومات المضادة لعلوا أسوار القصبة وخنادق محيطها بها من كل جانب، ووضعت حجارة كبيرة فوق السور لمنع أي تسلق يحدث، وشوارعها مغطاة وأبراجها الأربعة للحراسة الخارجية، ويوجد بالقصبة مخزن لحفظ الأطعمة في وقت الشدائد والحصار الخارجي، وبئر جماعي يشربون منه عند الحصار والباب الكبير يغلق قبل غروب الشمس ولا يفتح إلا بعد صلاة الفجر، كما توجد بالقصر أماكن للراحة يسمونها الدكانة ومهمتها الحل والربط في كل القضايا المستجدة على كل جماعة القصبة².

وحدثنا مخطوط الغنية البلالية عن بعض النزاعات القبلية الواقعة بتوات، فكان البعض من العامة يحاول التقرب من العلماء والسير وراء محبتهم ونيل رضاهم لتحقيق أغراضهم، وهذا ما وقع

¹ الوليد ابن الوليد: تقيد خطي، وثيقة الخطاب الفرنسي، بخزانة بن الوليد باعبد الله، أدرار، الجزائر، ص 89.

² بن عبد الكريم المغيلي: مخطوط تاريخ الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وفاته، رحلاته، مكتبة كوسام، أدرار، الجزائر،

خلال القرن التاسع عشر مع الشيخ القاضي سيدي مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي مع جماعة تميمون في إحدى الحصومات القائمة بينهم وبين قصر بادريان، وفي هذه الأثناء تفتن شيخ إقليم قورارة آنذاك مولاي أحمد بن مولاي عبد الحي الذي خاطب القاضي سيدي مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي برسالة جاء فيها: "...وقد بلغني أن جماعة تميمون يريدون قدومك معهم لغزو أهل بادريان فإني أود أن تلتزم مكانك، وإن كان ولا بد فامثل لقوله تعالى وأمر بالصلح، ولكن أن قعدت فلا يظهر لك غير ما ذكرنا..."¹.

علاوة على ذلك وردت العديد من الفتاوى والمحاوير منها المحاورات بين الشيخ حمزة الفلاني وعلماء كوسام من بينهم الشيخ مُجَّد بن مُجَّد بن أحمد الحبيب البلبالي في صحة الصلاة في الغار وتحت الهدم أو بطلانها جاءت في أربع رسائل ثلاث منها موجهة من الشيخ حمزة إلى علماء كوسام والبقية وجهوا إلى علماء آخرين؛ وجاء رد علماء كوسام بصحة الصلاة في الغار²، في حين أفى الشيخ حمزة ببطلانها مستدلاً في ذلك ببطلان الصلاة في جوف الكعبة وعلى ظهرها وتحتها مستدلاً في ذلك ما قاله بعض العلماء ومنهم الدسوقي³.

رابعاً: بعض الأحداث التاريخية التي عصفت بمركز بني تامر.

تعرضت توات - كما ذكرنا سابقاً- لهجومات خارجية متفرقة وساءت أحوالها الأمنية مع بداية القرن التاسع عشر وبالضبط في سنة 1218هـ/1803م وهذا ما أشار إليه مُجَّد بن عبد الكريم التمنيطي حيث قال: "... لذلك كانت في حيز الإهمال عند جل الأمراء، حتى مرج أمرها وأصبحت صيداً للقبائل يملك بالأسبقية..."⁴، من بين الهجمات التي قصدها مُجَّد بن عبد الكريم هو هجوم قبائل من أعراب قصر بني تامر وتيمي⁵.

¹ بلبالي: مخطوط الغنية البلبلية، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 10.

² حسب رأي الصلاة في الغار يمكن جوازها خاصة أن هناك من إتخذ غارهُ سكناً له في زمن معين، ولما إختبأ الرسول (ص) والصحابي أبو بكر الصديق ﷺ في الغار فهل يعقل أنهما بقي بدون صلاة؟

³ نص المحاوراة والإطلاع على الرسائل كاملة ينظر إلى: مُجَّد بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المصدر السابق، ص95.

⁴ مُجَّد بن عبد الكريم التمنيطي: تقيد تاريخ توات وتمنيط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 6.

⁵ مُجَّد بن عبد الكريم، تقيد تاريخ توات وتمنيط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، الورقة 87.

(أ) -إعتداء البرابرة على مركز بني تامر سنة 1245هـ:

وقع لقصر بني تامر إعتداء قوي من طرف البرابرة حيث نُهبت فيه الأموال والوثائق ومات من مات في تلك المواجهة التي دافعوا فيها عن أنفسهم وأهاليهم وأموالهم، وجميع الذين ماتوا في هذه المعركة لقبوا بالمجاهدين ودفنوا بغرب القصبة ولا زالت مقبرتهم الخاصة بهم تسمى بمقبرة المجاهدين¹ وقد رثاهم الفقيه سيدي سالم بن الشيخ سيدي عبد العزيز نجل الشيخ سيدي الحاج البلبالي في قصيدة جاء في مطلعها:

مَا بَعْدَكُمْ أَجَاهِدِي بَنِي تَامِرٍ تَزْهَوُ الْحَيَاةُ سِوَى لَجَاهِلٍ جَدَلٍ
قَدْ فُزْتُمْ بِالشَّهَادَةِ الَّتِي حُزْتُمْ مَقَامِكُمْ فِي عَدْوَاهِ لَكُمْ مَنجَلٍ²

لم تحلنا الوثائق التاريخية أو المصادر المخطوطة إلى أهم الأحداث التاريخية الواقعة لقصر بني تامر، ولكن الأمر المعروف والمسلم به أن أهالي بني تامر كانوا يكرهون الفرنسيين كرهاً شديداً ويذكر الشيخ مُحَمَّد فحتا البلبالي مبدوي أن الشيخ مُحَمَّد عبد الكريم البلبالي التامرتي كان يكره النصارى " بمعنى الفرنسيين " أشد الكراهية ولا يقبل رؤيتهم في الطريق ولا حتى صورهم، فلما أرادوا تعبيد الطريق بالطين إلى توات مروراً بقصر بني تامر، فشغله ذلك كثيراً ولم يجد له سبيلاً إلا التضرع لله تعالى والتوسل إليه بنبيه مُحَمَّد، وجعل ذلك نصب عينيه، لأن أولئك الغاصبين الفرنسيين كانوا يحفرون على الطين لتوضع في الطريق بالمواضع التي بها الرمال فكانت حفرة الطين المجاورة لخلوة الشيخ سيدي الحاج عبد الله بن عزيزي المعروفة لدى أهل البلدة بـ " سيدي قاضي حاجة " المدفون بها ولده وابنته فضعفت الطين من كل الجهات سوى جهة الخلوة، فأخبر القائد الفرنسي رئيس الورشة بذلك فقال: لا عليكم في الصباح كسروا الخلوة، أنبشوا القبرين، فإن وجدت العظام فأبعدها، وخذوا الطين وكان ذلك آخر النهار، فأتوا له بدابة ليرجع عليها إلى مقر المدينة أدرار كالعادة، فركبه واتجه نحو الطريق فما تمت إلا لحظات وصرع على الأرض وبعض أسنانه تكسرت،

¹ أنظر الملحق رقم: 16، ص 317 .

² القصيدة مدونة بجزانة بني تامر.

مما فسر أحدهم اقتناعاً منه أن الأولياء الثلاثة بهذا القصر لا يقبلون الطريق تمر أمامهم فقررت الحكومة الفرنسية عندئذ تغيير الطريق إلى أسفل المنصورية¹.

لقد ساهم مركز بني تامر في الدفاع عن الوطن بمحاربة العدوان الفرنسي، فشارك أهالي القصر في المعركة الشهير باينغر عند دخول المستعمر إلى المنطقة وكان من بين المتطوعين الذين شاركوا فيها السيد أب قدير تزاوية، كما أنها شاركت في الحرب التحريرية بمجاهدين مخلصين كالسيد عبد القادر المبدوي من أجل حمل السلاح إلى غاية الإستقلال الوطني².

رغم العداة والكره الذي كان يَكُنُه الشيخ سيدي عبد الكريم رحمه الله ولا يقبل رؤيتهم إلا أنه خاطباً رجلاً فرنسياً عندما أعلن إسلامه ودعاه بالأخوة وأن الله فضله بدخوله ديناً إسلامياً مستقيماً يدرك به خير الدنيا والآخرة فأبشره بهدى الله ورضاه عليه حيث جعله من عباده ورضى له بالإسلام ديناً وقال تعالى: " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" ³.

وقد نشد له شعراً فقال:

فَبَشِّرْ بِبَشْرَى اللَّهِ إِذَا دَخَلْنَا فِي الدِّينِ مَرَضَى كَمَا خَرَجْنَا.
مِن ظُلُمَاتِ الكُفْرِ وَاتَّخَذْنَا الإسلام ديناً وبه قد فُزْنَا ⁴.

فالأسرة البلبلية بقصر بني تامر لم تقبل الإستعمار بوجه من الوجوه وأولوهم شيوخها وقضاها فلما إستولت فرنسا على الناحية رفضوا ذلك، ونجد في قصائدهم الشعرية ذم الكفار الفرنسيين والتضرع والدعاء إلى الله لإجلائهم وطردهم من البلاد ثم الدعوة إلى الجهاد بعدما كثر الإعتداء من المستعمر، ومن بين أشعارهم قول الشيخ سيدي مُجَّد بن مُجَّد بلبالي القاضي هذا الدعاء يتوسل به إلى الله برسوله بأن يجعل الأمن في توات ويخلصها من الكفار حيث قال:

¹ مُجَّد فتحا بن مُجَّد بن عبد الكريم البلبالي ميدوي: القنديل العالي إضاءة من حياة الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي 1288-1375هـ، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غرداية، الجزائر، 2014، ص 28.

² نفسه، ص 12.

³ سورة المجادلة: الآية 22.

⁴ مُجَّد فتحا بن مُجَّد بن عبد الكريم البلبالي ميدوي، القنديل العالي، المرجع نفسه، ص 247-248.

وَسَلَّمَنَّ تَوَاتًا

مِنْ كَافِرٍ وَكُتَابٍ

بِحَاهِ رُؤْسٌ وَكَلٌّ

عَبْدٌ نَجَا بِالْمَتَابِ

إِلَهُ صَلَّى عَلَيْهِمْ

وَلَا تُخَيِّبْ طِلَابِ.

انتهت على يد عبید ربه مُحَمَّد بن مُحَمَّد البلبالي 17 ذي القعدة عام 1318هـ¹.

كما ألف قصيدة أخرى في بيان حكم الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي والتي ألفها سنة 1367هـ 1945م جاء في مطلعها:

سَلَامٌ عَلَيَّ أَرْضَ الْجَزَائِرِ كَالثَرَى

مَنْ مَهَّدُوا الْإِسْلَامَ فِي سَائِرِ الْفُرَى

أَلَا فَاعْلَمُوا أَنَّ الْجِهَادَ تَقْرِيرًا

بَأَنَّهُ فَرَضُ يَحُلُ كُلَّ عَامٍ بِلَا مَتْرَ².

وأضافة قصيدة أخرى كانت بمثابة أنشودة وطنية يدعو فيها الشعب الجزائري إلى توحيد صفوفهم والعزم على الجهاد الذي هو فرض على الجميع لدفع الظلم والعدوان وتحرير البلاد ونيل الإستقلال جاء فيها:

لِإِسْمِ الْإِلَهِ قَبْلَ قَوْلِ نَصْدُوا

عَلَى الْمِصْطَفَى طَهَ أَصْلَى النَّصْرَا

خِصُوصًا مِصَالِي الْحَاجِّ ذَا اسِيرَةَ الْعَرَا

وَمَنْ بِهِ الْأَحْرَارُ جَيْشَا نَصْرَا³.

أسهمت الأسرة البلبلية بمواصلة التحصيل العلمي والهجرة لطلب العلم وظهر فيها علماء أفاضل تصدوا لمحاولة الإستعمار الفرنسي الفاشلة في القضاء على الدين واللغة العربية، فكانوا ملاذا علمياً لكل طلاب علم بتوات.

¹ مُحَمَّد فحْتَا بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد عبد الكريم البلبالي الأنصاري (مبدووي): روائح وأزهار من أشواق البلبلين الأنصاري في مدح سيدنا مُحَمَّد النبي المختار، ط1، دار البلبالي مطبعة صبحي، 2015، الجزائر، ص 115-116.

² نص القصيدة موجودة بخزانة بني تامر.

³ نص القصيدة موجودة بخزانة بني تامر.

خامساً: الأحداث التاريخية التي عصفت بمركز برينكان.

شهد قصر برينكان أحداث تاريخية عظيمة، نتيجة تعرضه لهجمات متفرقة ومن أبرزها الهجوم الذي تعرض له من قبل البرابر سنة 1257هـ . 1841م وكذا الهجوم الآخر الذي تم من قبل الشيخ عين صالح عبد القادر ولد ابا جودة بمساعدة قائد تيمي الحاج أمجد العيادي وذلك سنة 1264هـ . 1848م، وظل القصر محاصراً من طرف المهاجمين مدة أربعة وعشرين يوماً، تصرف خلالها المهاجرين في أملاك الأهالي فساداً بقطعهم الأشجار وهدمهم للفقاقير وغير ذلك من التصرفات العدوانية وكانت لهذه المعركة نتائج وخيمة على قصر برينكان وحصدت العديد من القتلى وقُطعت جميع نخيلهم التي كانت تمثل مصدر رزقهم¹.

(أ) - حرب قائد عين صالح على برينكان من خلال رحلة جيراد رولف:

ذكر الرحالة جيراد رولف (Gerhard rohlfes) نتائج هذه الحرب في سنة 1948م أثناء رحلته من تساييت إلى برينكان، مباشرة وبعد حصار دام أربعة وعشرون يوم، قام السكان بزراعة نخيلهم التي تم قطعها أثناء الحرب حيث جاء الحاج عبد القادر قائد عين صالح بمئة فارس حاصروا أبواب القصر برينكان التي كان بها 18 فارس فقط و30 بندقية، وعاد الحاج عبد القادر بعد انتهاء الحرب إلى عين صالح أين كانت عنده بساتين واسعة وكثيرة ومنذ مجيئه وهو يغرس النخيل لندمه الشديد على قطع النخيل الموجودة بمركز برينكان أثناء الحرب لأن قطع الأشجار عند المسلمين جريمة من الجرائم، وقد سأل الحاج عبد القادر سؤالاً لـجيراد هل من حقي أن أقطع نخيل أعدائي، فأجابته: لا يحق لك ذلك لأنك تعرف بأن النخلة هي مصدر رزق أساسي الذي يقتات منه هؤلاء وهي الثروة الوحيدة الموجودة بالمنطقة، فعندها أعجبه الرد الذي قاله جيراد، بعد أن سمع آراء أخرى من قبل مثل بعض طلبة القرآن والأصدقاء الذين لم يعتبروا ذلك جريمة لأنهم أعداء².

¹ Gerhard rohlfes: voyages et exoloration au sahra tome1 praa. OP cit P203.

² الحاج عبد القادر عنده أربع إخوة، والعديد من البنات وكان لهم قصر خاص بهم بجانب قصر العرب وكانت لهم علاقات وطيدة بين جميع عائلات المنطقة.

(ب) - الإحتلال الفرنسي للقصر تساييت:

في صبيحة يوم الثلاثاء 16 شوال 1318 هـ الموافق لـ 05 فيفري 1900م، تم إحتلال منطقة تساييت، فنزلت الجيوش الفرنسية عند بوابتها الشمالية لقصر عريان الراس، ولم يصادف أثناء دخوله أي مقاومة تذكر، ثم بُعث في نفس اليوم رجلاً من أهالي تساييت يدعى مُجَّد الطيب بن كروم إلى جماعة مركز برينكان حاملاً رسالة فرنسية تدعوهم فيها إلى إلقاء السلاح والركون والإستسلام وعدم المواجهة مقابل أن يؤمنهم على أنفسهم وعبائهم وأموالهم، فاختلف رأي الجماعة أولاً ثم قرروا في النهاية الإستسلام وعدم المواجهة وبلغوا المستعمر بذلك فانتقل الجيش الفرنسي في المساء ذلك اليوم ونزل بقرب قصر حماد¹ وفي صبيحة يوم الأربعاء أرسل وحدة عسكرية قامت بتمشيط القصر وتفتيشه دون أن تتعرض لأي أحد بسوء ثم واصل الجيش الفرنسي مسيرته يوم الخميس إلى مدينة أدرار بعد أن تأكد من خضوع المنطقة له ودخولها تحت قبضته وسيطرته ولكنه رجع بعد يومين فقط ليشرع في تنفيذ خطته الاستعمارية².

وفي سنة 1945م الموافق لـ 1365 هـ تم عزل القائد الحاج قدور بن زين الدين البركاني وتولية القائد الحاج أحمد بن الحاج عبد العزيز الوجيه خلفاً له وهو آخر القادة الذين تولوا الحكم على عرش تساييت أثناء الفترة الاستعمارية³.

¹ قصر حماد: الذي اشتهر بقلعته التاريخية الشهيرة والتي لازالت معالمها الأثرية موجودة إلى يومنا هذا.

² سيدي أحمد بن سيد الحسان بن المكّي البركاني: وثيقة ضمن رسوم أملاك أحفاده، قصر برينكان، عثرت على نسخة منها من بن حسان عريان الراس.

³ مُجَّد بن عبد الكريم، مخطوط ذرة الأقلام، المخطوط السابق، الورقة 55.

المبحث الثاني: الأوضاع الاقتصادية للقصور البلبلية.

أولاً: الزراعة.

يعد عامل المناخ من أكثر العوامل الطبيعية تأثيراً في تحديد المحاصيل الزراعية لذا استوجب علينا التطرق إلى هذا العنصر أولاً:

(1) - المناخ والغطاء النباتي:

(أ) - المناخ: هو تفاعل بين عدة عوامل طبيعية، كبعد المنطقة وقربها من المسطحات المائية أو الغطاء النباتي على سبيل المثال لا للحصر، أما عن عناصره فهي تتمثل في الحرارة والرطوبة وحركة الهواء والرياح ومقدار الأمطار وغيرها¹.

ومن المميزات المناخية للمنطقة التواتية، ارتفاع درجة الحرارة التي يصل معدلها إلى 50° تحت الظل صيفاً ويمكن أن تتعداها في بعض الأحيان، وهذا ما يجعل النشاط منعديماً مع منتصف النهار، أما في فصل الشتاء تكون درجة الحرارة منخفضة وبحكم موقعها فإن المنطقة تفتقر لتساقط الأمطار وإن جاءت فجائية فهي قليلة وغير منتظمة ومعظمها في شهر أكتوبر وفيفري.

(ب) - الرياح²: فالرياح الغالبة في منطقة توات هي رياح شمالية شرقية والتي تشتد في الفترة الممتدة من فيفري إلى غاية شهر مارس، كما تهب الرياح الغربية في العادة من شهر مارس إلى شهر مايو، أما رياح سيريكو الجنوبية التي تكون محملة بالرمال وقد تصل سرعتها إلى حوالي 100 كلم/سا³ فهي محملة بالأتربة التي تعيق الحركة.

¹ الشريف حسن بكر أحمد: عالم المناخ، دار المعرفة لنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص 18.

² كان للرياح تأثير كبير على المحاصيل الزراعية بتوات فوجدنا في إحدى الوثائق المخطوطة بالخرزانة برينكان الرياح قوية وأفسدت كل المحاصيل أنظر الملحق رقم: 20، ص 321 .

³ بوعلالة جلول: قصر تنطيط دراسة معمارية، مذكرة تخرج لنيل شهادة دولة في الهندسة المعمارية، المدرسة العليا للهندسة، الجزائر، 2005، ص 16.

ومن هنا يمكننا القول أن المنطقة تتميز بفصلين، فصل بارد وجاف جداً في شهر نوفمبر إلى مارس وفي الصباح تكون درجة الحرارة متوسطة ثم منخفضة في الليل، كما يوجد فصل آخر في شهر أبريل إلى أكتوبر هو فصل طويل يتميز بالحرارة والجفاف¹.

(ج)-الغطاء النباتي بمنطقة توات:

تتسع الصحراء الكبرى عموماً وتوات خصوصاً على جزء كبير من المساحة الإجمالية للجزائر المقدرة بـ 2 مليون كلم²، ونظراً للعوامل المناخية الصعبة كالجفاف وندرة المياه السطحية وصعوبة استخراج الجوفية واستخدام الطرق التقليدية البسيطة²، ضف إلى نوعية التربة كونها تربة رملية ومالحة فمعظم أراضي منطقة سباح مالحة غير صالحة للزراعة، فقد أورد جل المؤرخين والرحالة الذين زاروا المنطقة مثل ابن بطوطة وابن خلدون وكذا الحسن الوزان³ (957هـ . 1550م) الذي أكد صلاحياتها ولكن بشروط.

أما مولاي الطاهر الإدريسي فقد أورد بعض النباتات التي تنمو بأرض توات مثل النخيل والحبوب والخضر والفواكه والحناء والتبغ⁴؛ وتعد نخلة التمر أعظم شجرة منتجة للغذاء في المناطق الصحراوية وتسمى ثمارها بالفاكهة الصحراء، فهي تمثل مصدر غذاء ذا طاقة عالية فيمكن تخزينه ونقله إلى مسافات طويلة عبر الصحراء، والنخلة لها القدرة على النمو والإنتاج في بيئة صحراوية

¹ عربية موساوي: الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع دراسة تاريخية وأثرية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامي إشراف: لعرج عبد العزيز، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007، ص ص 45-50.

² معروف نذير: نظام الفقارة بتيميمون ملتقى:

1^{er} seminaire entemational sur la ressource en eau au shara/ evaluation.
Economie protection. Le 19 et 20 janvier 2011 ourgla p265.

³ فقال تيكنتورين منطقة ماهولة في صحراء نوميديا ... لهذه البلاد أرض كثيرة صالحة للزراعة، لكن يلزم سقيها بماء البئر وتسميدها بالسماد لأنها جافة وهزيلة جداً لذلك يمكن لأهل تيكنتورين الغرباء في منازلهم بدون أجر ليحصوا على سماد الخيل ورجيع الناس حتى إن كثر بشيء به الغريب لمضيفه تغوطه خارج بيته... " أنظر: الحسن الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، المصدر السابق، ص 133.

⁴ مولاي الطاهر الإدريسي، نسيم النفحات، المخطوط السابق، الورقة 12.

قاحلة فلها القدرة على التكيف مع هذه المناطق نظراً لطبيعة إمتداد جذورها إلى المناطق الرطبة تحت الأرض والتي تحصل من خلالها على احتياجاتها المائية¹.

(2) - الفقارة ونظام السقي بتوات.

عرفها ابن المنظور في معجم لسان العرب أنها من الفعل فقر، فيقال فقر الأرض بمعنى حفرها والفقرة هي الحفرة، ويقال فقرة البئر بمعنى حفرتها لاستخراج مائها².

وقد اتضح لنا من خلال تعريف ابن المنظور أن مصطلح الفقارة هو في الأصل مستخرج من فعل فقرة، ثم تحول هذا المصطلح مع مرور الوقت إلى لفظ عامي يعرف بين سكان توات.

بينما يعرفها الشيخ سيدي محمد بن عمر بن محمد البداوي في مخطوطه نقل الرواة عن من أبدع من قصور توات "... أنها آبار متعددة يفقر من جنب كل واحد إلى الآخر فيبرز ماؤه ..."³. وتميزت توات . كما ذكرنا سابقاً . بنقص المياه بأن أمطارها قليلة جداً أو تكاد تنعدم، لكن سكان توات فهموا جيداً معنى قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"⁴، ولم يقفوا مكتوفي الأيدي، فبحثوا عن الماء بطرق مختلفة وكانت الفقارة أحسن طريق لذلك، وبمر جلب المياه من هذه الأخيرة بعدة خطوات وهي مرتبة بالتسلسل:

(أ) الآبار: وتكون متصلة مع بعضها بواسطة قنوات تسمى النفاذ.

(ب) القصري: عبارة عن حوض صغير تصب فيه المياه آلياتية من الآبار وعلى حافظته توجد عيون هذه الأخيرة التي تستعمل لتوزيع المياه إلى الساقية.

(ج) الساقية: هي عبارة عن مجرى طويل يوزع المياه إلى البساتين⁵.

¹ عبد الباسط عودة: واقع الزراعة النخيل وإنتاج التمور في الوطن العربي، الموقع الإلكتروني:

www.iraqi.datepalms.net، تاريخ الزيارة: 2018/11/02، على الساعة: 11:30، ص 1-2.

² ابن منظور: لسان العرب، ج5، ص 36.

³ الشيخ سيدي محمد البداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع من قصور توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الورقة 13.

⁴ سورة الأنبياء: الآية 30.

⁵ عربية موساوي، المرجع السابق، ص 118.

(د) الماجن: وهي عبارة عن حوض مستطيل الشكل ليس لديه مقياس لطول وعرض، تختلف من بستان إلى آخر، وتتجمع فيه المياه وعند امتلائها يقوم صاحبها بتوزيعها على المساحات المزروعة وتواصل رحلتها عبر قنوات يطلق عليها أبادو ليصل إلى القمون وعند سقيه يسد بالتراب ليواصل الماء رحلته إلى القمون الآخر وبهذه الطريقة كانت تسقى واحات النخيل بمنطقة توات¹ وكان يحدد نصيب كل عين من طرف كل الكيال² الذي يقسم الأعين على حجم مساهمة صاحب العين في الفقارة والقياس يكون باستخدام آلة يطلق عليها الخلافة³ مصنوعة من النحاس، ويوجد بشكلها الدائري والمستطيل، ووحدة القياس المعتمدة هي الحبة⁴ هذه الأخيرة المجزأة إلى 24 قيراط⁵ والقيراط إلى 24 قيراط من القيراط، وتسجل جميع الأمور المتعلقة بالمكيال في زمام الفقارة فهو عبارة عن دفتر تسجل فيه كل عمليات توزيع المياه.

وقد اطلعت أثناء البحث على دفتر زمام فقارة مسيني منذ (1391هـ / 1971م) للسيد علي بن سيدي محمد الصافي سليمان الأذغاعي الذي ابتكر حساب جديد يغيثهم عن الحسابات القديمة المعقدة . باستعمال الآلة الحاسبة فيقول: عدد قواريط الفقارة تضرب في 24 وتقسم على عدد المواجهن فمثلا كيل سنة 2013م:

$$.12.21.14 = 12.90 = \frac{24 \times 1101}{2048}$$

وتتشكل هذه الآبار على شكل سلاسل في اتجاه منطقة التعمير والري من البئر الأم، وتتباعدها فيما بينها من 15 الى 30م وعددها يختلف على حسب كبر أو صغر الفقارة، فالفقارة

¹ هذا التعريف من خلال معاينة خاصة.

² ورد في تقييد لسيد الطيب شاري أن أهل الصحراء كانوا يستعملون مكاييل خاصة لتقدير مياه السقي فكانوا في البداية يعبرون بالعين المجردة دون مكيال خاص.

³ الخلافة: وتعرف في بعض المناطق باسم الشقة، ظهرت في عهد مولاي رشيد العلوي جاء الجابي كمسؤول عن إحصاء مقادير المياه من أجل تحديد الزكوات والأعشار بلوحة نحاس مثقوبة لتقدير المياه أنظر: مخطوط المكاييل بخزانة كوسام، الورقة 31.

⁴ الحبة: تعادل 24 قيراط أو 96 درهماً أربعة دراهم لكل قيراط.

⁵ القيراط: استعمل هذا المصطلح في قصور تيمي ويعرف في تاسايت بجرق أي الثقب.

الكبيرة تصل إلى 1200 بئر أما الصغيرة تتراوح بين عشرين أو ثلاثين بئر، أما طولها فهو يمتد على مسافة متفاوتة تزيد عن 20 كلم² في الغالب وقد تصل إلى 40 كلم^{1 2}.

ومن خلال عرضنا لمختلف التعاريف المتباينة عن الفقارة ونظم سقيها، توصلنا إلى أن نظام السقي بالفقارة كان ولا يزال النظام العجيب في العالم وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله "... وفي هذه البلاد الصحراوية إلى وراء العرق غربية في استنباط المياه الجارية لا يوجد في تلول المغرب وذلك أن البئر تحفر عميقة بعيدة الهوى، وتطوى جوانبها إلى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من جديد تطسر طبقتها عن الماء فينبعث صاعداً فيعم البئر ثم يجري صاعداً على وجه الأرض وادياً ويزعمون أن الماء ربما أعجل بسرعة عن كل شئ، وهذه الغربية موجودة في قصور توات وتيكتورين وواركلاوريغ والعالم أبو العجائب والله الخالق العليم"²؛ فعندها أصبحت الفقارة عنصر مهم في استقرار الإنسان التواتي وحتى الوافدين منهم مثل العالم محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي نزل بأرض توات وأشار لمياهها كرمز لبقائه³.

(3) - الوسائل التي استعملها البلاليون في الزراعة:

استعمل التواتيون بصفة عامة والبلاليون أيضاً مجموعة من الوسائل التقليدية لتغطية حاجات الزراعة المعيشية ولتسهيل أعمالهم ولضمان إنتاج بأقل مجهود، وما يميز هذه الأدوات التي استخدمها الفلاح البلالي أنها محلية الصنع خفيفة الحجم مشكلة من مواد بسيطة منتشرة بالمنطقة كالخشب والحديد وسعف النخيل ولحافها والطين، وسنحاول تقديم وصف لأهم الوسائل التي كان يستعملها البلاليون في العادة سواءً بيده أو لتخزين مياه السقي:

¹ وسيلة علوش: الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، منشأها استغلالها من القرن 1هـ إلى نهاية القرن 6هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: إبراهيم بحار، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2012/2013، ص 91.

² عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المصدر السابق، ص ص 118-119.

³ أحمد أبا الصافي جعفري: الفقارة نظام السقي الصحراوي العجيب، مجلة التراث، صادرة عن تراث الإمارات أبوظبي، ع: 131، أغسطس 2010، ص 617.

(أ)-صمامة: وهي عبارة عن سدادة الماء وتمنع تدفقه من الماجن وهي عبارة عن قطع من القماش تكون كروية الشكل لسد قطر مخرج المياه ويحرص المسؤول الأكبر عن البستان بوضعها ليرتاح باله بدلاً من أبنائه.

(ب)-البطحة: يقسم الفلاح بستانه إذا كان كبيراً إلى عدة أقسام يفصلها بجدار من طوب والطين ويعود سبب ذلك إلى الوقاية من الرياح التي تحتاج المنطقة وتتلف المحاصيل وكانت الرياح قوية في توات عموماً.

(ج)-الجدار: يستعين به الفلاح للعزل بين بستانه وبستان جيرانه وقد يكون من طين أو من جريد النخلة مصفف ويثبت في الأرض بإحكام حتى لا يسقط بالرياح ويعرق بالمنطقة أفراق كما استعمله الفلاح أيضاً لسد الرمال الكثيرة عن بستانه.

(د)-المخيط: يستعمله الفلاح لإخاطة أكياس التمر والقمح والشعير والتمر وهذه الأكياس في العادة تكون من الحلفاء أو القماش.

(ه)-المنجل: وهو قطعة من الحديد مسننة بها قبضة يد من الخشب ورأسها ملتوي ليساعد الفلاح في عملية قطع جريد النخيل وعملية الحصاد وهناك عدة أحجام للمنجل منها الصغيرة والكبيرة والمتوسطة.

(و)-المثمورة أو الخرنبة: ففكر الفلاح بتنصيب هذه المثمورة في بساتينه وعادة تكون من جريد النخيل ومصقفة ببقايا النخيل من حطب وفدام ويخزن بداخلها القمح بسنابله والشعير والتمر الذي كثير الإنتاج¹.

4- الزراعة بالمراكز البلبلية (ملوكة - كوسام - بني تامر-برينكان):

عثرنا في بعض التقايد الخطية للحاج الطيب الشاري الكوسامي -الموجودة بمقر خزانته- إن أهالي القصور التواتية كانوا يزرعون في فصل الربيع العديد من المزروعات التي تكفيهم وتؤمن غذائهم خلال هذا الفصل على الأقل ومن بين هذه المزروعات البصل واللفت والجزر والفلفل وفي

¹ عز الدين جعفري: أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه في التاريخ، إشراف: شعيب مقنونيف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018، ص ص 222-227.

حقيقة الأمر أن هذه المنتوجات الزراعية المذكورة سابقاً تتوفر في كل بساتين القصور التي تواجدت بها العائلات البلبلية (كوسام، ملوكة، برينكان، بني تامر).

أما في فصل الصيف فإنهم يزرعون الكروم والفاصولياء والدنجال والبقول والبشنة وتافسوت والعنب والبطيخ والدلاع والتبغ والقطن وكل هذه المزروعات تزرع في فصل الصيف، وإذا وضعنا مقارنة بين المزروعات التي أنتجها التواتيون في تلك الفترات السابقة والمزروعات الحالية نجد أن هناك فرق كبير، وخاصة فصل الصيف المعروف بحرارة المفرطة ولهذا ما جعلنا نضع إشارة استفهام حول الموضوع؟

أما في فصل الخريف فقد خصصوا هذا الموسم لزراعة التين والشمور والطماطم وفي فصل الشتاء لزراعة العدس والجلبانة والكمون والبقول¹ وتدلاغ² والثوم وحب الرشاد³.

كان سكان توات يزرعون القمح والشعير بالإضافة إلى غرس التّخيل التي كانت تحتل المرتبة الأولى في المزروعات الناجحة والمعروفة في توات.

هذه المزروعات كثيرة فكانت تزرع ولكن لا نعرف كيف كانت تحصد هل ناضجة أم غير ذلك؟ وحسب ما رواه لنا الحاج الطيب الشاري أنه مع بداية القرن التاسع عشر 19م كانت الحالة المعيشية للسكان مزرية فقد وصل بهم أنهم لا يجدون ما يسدون به رمقهم وهذا ما جعل الكثير منهم يعمل على بيع محاصيلهم قبل أن ينضج ويبيع هذا الأخير بأثمان بخصة ورخيصة.

وذكر الشيخ والعالم مُحمَّد باي بالعالم أن تيممي كانت تمارس بها زراعات مهمة وكثر بها التّخيل بالإضافة إلى حبوب القمح والشعير والتبغ وبعض أنواع الذرة وكذلك بعض الفواكه مثل: الرمان والعنب وغيرها من المنتوجات الأخرى⁴.

¹ البقول ذكر أنه يزرع في فصل الربيع وكذلك فصل الشتاء بمعنى أن هذا المحصول يزرع مرتين في العام الواحد.

² تدلاغ: وهي عبارة عن حبوب تشبه حبوب الفاصوليا إلا أنها تتميز بلونها الأسود ومن بين خصائصها أنها تطهى للنفساء في أسبوعها الأول لأنها تفيد في علاج الكثير من الأمراض ومنها علاج فقر الدم.

³ حبة الرشاد: هو عبارة عن حبوب صغيرة جداً تتميز بذوقها الحار نوعاً ولونها البرتقالي قائم ويقال أنها كان يعالجون به مرض العظام وعدة أمراض أخرى كفقر الدم مثلاً.

⁴ مُحمَّد بلعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 58.

وخلصنا من جميع الروايات الشفوية باهتمام البلبلين في جميع القصور المذكورة خلال الفترة المدروسة بزراعة الأراضي بساتينهم وصياتهم وكان رجال وأولاد الأسرة هم المعنيين بخدمة أراضيهم وساعدهم في ذلك الخادم المعروف باسم " دادا " ¹، أما المرأة البلبلية فلم تكن معنية بخدمة البساتين لعدم خروجها من البيت ولكن إذا اضطرت إلى ذلك تخرج منذ طلوع الفجر وقبل شروق الشمس وتعتكف بغرف صغيرة بالبستان معروفة باسم السقيفة ويكون البستان به سور عالي لا يمكن لأي شخص أن يشاهد أصحابه رجالاً ونساءً وتلتزم هذه المرأة في حقلها - حتى وإن انهدت عملها - إلى غاية صلاة العشاء بعد أن يعم الهدوء والسكينة أرجاء القصر فترجع محتبأة عن الأنظار ².

اهتم الفلاح البلبالي كغيره من فلاحين توات عموماً بالزراعة والإنتاج لتأمين غذائه ذاتياً وبيع وتصدير ما تبقى عن حاجتهم لتأمين سلع وبضائع مستوردة فغرس النخيل ليحني تموراً بمختلف أنواعها وبجانبها زرع القمح والشعير وبعض الحبوب الأخرى تعتبر أهم المنتوجات الناجحة زراعتها مثل الذرة البشنة وغيرها.

واستناداً إلى جريدة قصر كوسام التي تعود إلى سنة 1245هـ، أن عدد نخيلهم وصل إلى سبع مائة وخمسون نخلة 750 بالجنانات وكذلك مائة وخمسون نخلة 150 بالبور والمتمعن إلى هذه الأرقام والتي تدل على توفر المياه للسقي بكثرة وتدل أيضاً على توفر المزارع القريبة من القصر والتي تسمى بالجنانات وكذلك الاعتناء الكبير للأهالي قصر كوسام بالنخلة والتي كانت تمثل مصدر رزق في الكثير من الأوقات ؛ حيث بني القصر بمكان يتوفر على المياه الجوفية المزودة بنظام الفقارة والتي وصل عددها إلى ستة فقارات ومنها كان يتخذ الفلاحون مياه لسقي بساتينهم المحيطة بالقصر واستمرت هذه الفقارات تزود سكان القصر بالماء الشرب والسقي قروناً من الزمن عكف البلبلين على صيانتها والحفاظ عليها وعلى معالمها التي لا زالت تفيض ماءً إلى يومنا هذا ³.

¹ وهو الخادم من طبقة الحر الثاني.

² زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية معها في بيتها، يوم 2018/8/24، على الساعة:

16:30.

³ عبد القادر بن الوليد: تقييد خطي "جريدة قصر كوسام"، خزانة بن الوليد، قصر باعبدالله، أدرار، الجزائر.

وعمل سكان قصر بني تامر في الفلاحة التي غلب عليها غرس النخيل واستعملوا تقنية الفقارة لتوفير مياه الشرب وكذا سقي مزروعاتهم فنجد فيها العديد من الفقارات التي وصل عددها إلى سبعة فقارات وهي فقارات أقاموها حيث وصل عدد آبارها إلى ثلاث مائة وخمسون بئر 350 بالإضافة إلى فقارة بوعيسى التي تمثل أكبر فقارة في بني تامر من حيث عدد الآبار والتي وصل عددها ستة مائة وستة وثمانون بئر 686 وفقارة سيدي سالم التي وصل عدد آبارها إلى مائة وخمسون بئر 150 وفقارة أوفيان عدد آبارها ثمانون بئر 80 وأيضاً تروكان تسعون بئر 90 وأخيراً فقارة سيدي قاضي حاجة التي يتبرك بها سكان القصر فيقال أن كل من يقصدها بنية قضاء حاجة له، قضي الله له حوائجه¹.

تركز النشاط سكان قصر برينكان على النشاط الزراعي، محافظين على جمال بساتينهم والتي تواجدت بالقرب من منازلهم وكانت تسقى بعناية فائقة من مصادر مياه الفقارة التي تظهر من الدخول إلى القصر المتسربة إلى خارجه لتصل إلى بساتينهم التي كانت تغنيهم ذاتياً بالإضافة إلى اعتنائهم الكبير بالنخلة التي كانت تمثل مصدر رزق العديد من العائلات الركانية التي حرصت على زراعة أنواع كثيرة من التمور يباع في أسواقها بأثمان رخيصة نظراً لتوفره².

وحسب ما وجدناه من وثائق في خزنة البلبلية بقصر ذاته أن الفقارة كانت تولى لها عناية خاصة، فوضعت لها قوانينها والتزاماتها وكانت مقسمة بالأدوار حيث سجلت في الوثيقة نوبة الخميس ونوبة الثلاثاء وكذلك نوبة الحراطين ونوبة أولا سيد الحاج الطيب ونوبة أولا سيدي أحمد بن موسى ونوبة الأربعاء ونوبة أولا سيد أعزيز ونوبة الجمعة ونوبة عمور وسجل أمام كل نوبة مقدار معين الذي يخصص لها مسجل بأرقام عربية³ أما عن أسماء الفقاقير التي كانت تستخدم في ذلك الوقت فقد وجدنا في وثيقة أخرى قام بتسجيلها العربي بن سيدي محمد المأمون في سنة 1329هـ/1927م بها بعض أسماء فقارات قصر برينكان وهي فقارة تفجمة والساقية السفلانية

¹ عبد القادر بن الوليد: تفيد خطي "جريدة قصر بني تامر"، خزنة بن الوليد، قصر بعبد الله، أدرار، الجزائر.

² استمر سكان القصر برينكان بالعناية ببساتينهم إلى يومنا هذا ممثلة مصدر رزق لهم.

³ وثيقة سجلت بها الأدوار المتتالية لفقارة بقصر برينكان.

وتبلح والتي كانت بها خمسة وثلاثون حبة (35) البعض منها لازالت حية إلى يومنا هذا مثل الفقارة: أولاد المُجَّد، بوفكر، مشرع، أولاد اعلي وغيرها¹.

وقد تحدث أبو عبد الله القبسي في كتابه أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الأمل والأمر، عن بلدة برينكان وبين لنا أهميتها الفلاحية بقوله: "... ثم نزلنا لبلاد توات بمدشر تعرف بني أركان (برينكان) أول من منزل من البلاد المذكور بلد طيبة كثرة الزرع والثمار المختلفة بالجنس والنوع، ذات عيون جارية، ورئيس الموضوع خير نجيب أريب يقال له الشيخ عافة، فأقام بها الركب سبعة عشر يوماً (17) في نعم شاملة وآلاء الله عليه متواصلة وبيع وشراء وأخذ وعطاء"².

أما الرعي فقد اختلف الرعي³ القائم في المناطق الشمالية للجزائر وخاصة منطقة الهضاب العليا المعروفة به على وما هو قائم في أرض توات، وخاصة وأن كل عائلة من العائلات البلبلية بمختلف مراكزها عملت على تربية المواشي حسب قدراتها مشكلة من الخرفان⁴ والماعز من جنس مختلط فترى هذه الحيوانات في البيت ولا يتم عرضها للبيع إلا إذا كان في حاجة ماسة لنقودها.

وكذلك الحال بالنسبة للمعز التي كثر عددها وبالرغم من قلة الأكل الذي تتحصل عليه وقلة الرعاية إلا أنها تدر الكثير من الحليب، واهتموا بتربية الحمير⁵ الذين حضوا بأهمية كبيرة في توات عموماً فكانوا يستعملون في نقل الغبار إلى البساتين وزراعة محاصيلهم فهذه الخدمة هي خدمة قديمة وغربية في توات إذا ما قارنا نسبة العمل التي تقوم به هذه الحيوانات لا تتوازن تماماً مع

¹ وثيقة سجلها سيد العربي بن سيدي المأمون بما زمام فقارة تعمجها وهي محفوظة بالخزانة برينكان.

² القيس أبو عبد الله مُجَّد بن مُجَّد، أنس الساري والسارب من أقطار المغرب إلى منتهى الأمل والمآرب، المصدر السابق، ص 28-29.

³ إلا أن السكان توات لم يهتموا بهذا الجانب بحيث أن هذه المناطق كانت بعيدة عن القصور السكنية بمسافة يوم أو يومين، من السير ولهذا السبب فقد نقصت تربية الجمال التي كانت تشكل واحد من القطعان الرعي، كما أنهم لم يولوا اهتمامهم بتربية الحيوانات الأخرى خوفاً من علفها.

⁴ اشتهرت المنطقة بخروف لبلاد أو ما يسمى بالدمان وهو الأكثر بحثاً عن غيره من الخرفان.

⁵ وما وجدناه مسجلاً في جريدة كوسام سنة 1245هـ أن عدد بهمائم وصل إلى 18 بهيمة ومنها 6 ماعز وهو عدد قليل بالنسبة لسكان القصر، أما الحمير فقد وصل عددهم إلى 9حمير. انظر: عبد القادر بن الوليد: تقيد خطي "جريدة قصر كوسام"، خزانة بن الوليد، قصر باعبدالله، أدرار، الجزائر.

ما تأخذه من أكل¹، ونظراً للوسط الصحراوي للمنطقة فإن أغلب حيواناتها تمثلت في الجمال والماعز والأغنام، بالإضافة إلى بعض الحيوانات البرية كالذئب والضبعان والفنك والجربوع والغزال والأفاعي والعقارب وغيرها².

ثانياً: الصناعة أو الحرف اليدوية.

لم تسعفنا المصادر التاريخية المتاحة لدينا بأي معلومات تقودونا إلى المصنوعات التي تميزت بها القصور المتواجدة بها الأسر البلبلية، وإنما اقتصرنا الصناعة فيها على بعض الحرف اليدوية التي كانت تقوم بها النسوة داخل بيوتها من أجل إعداد مستلزمات البيت من فراش وغطاء وأواني طينية المتمثلة في القدر والطاجين وبعض الصّحون الكبيرة التي كانت تستخدمها المرأة البلبلية في قتل طعام الكسكس، بالإضافة إلى صناعة بعض المنتجات السعفية المتمثلة في الطبق الذي صنع بطريقة دائرية متقونة ودقيقة وهذه الحرفة أخذت تتطور خلال القرن العشرين²⁰م وذلك بدخول بعض الأكياس البلاستيكية المخصصة للحليب المجفف وأصبحت تغلف الطبق والطبقة بالأكياس البلاستيكية التي تغطيها الألوان المختلفة والمزكرشة³.

(1) - الصناعات الحديدية:

استعمل البلباليون مجموعة من الوسائل والأدوات الفلاحية المصنوعة من مادة الحديد الذي يعتبر المصدر لتلبية طلبات الفلاحين ومصدر أدواتهم الرئيسية وفي حرت الحصاد يزيد الطلب عند الحدادين عن بقية المواسم الأخرى ومن بين هذه المصنوعات: المنجل الصغير والكبير، والفأس والأوتاد⁴، وساهمت الصناعة الحديدية بشكل كبير بتوفير الأدوات الحربية لتدافع بها عن نفسها فهي نافعة للناس حيث جاء في قوله تعالى: "وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۗ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ"⁵ ونظراً لأهميته قد جعل الله سورة في كتابه،

¹ المؤلف مجهول، مخطوطات علامات توات سكان قصور تجارة صناعة وغيرها، المخطوط السابق، الورقة 51-52.

² أبا الصافي جعفري، الصديق الحاج أحمد آل النغلي: أدرار واحات الفن وقصور الأمان، مجلة صادرة عن طريق والي ولاية أدرار الإشراف العام: السيد أحمد عبد الحفيظ ساسي مع التنسيق مع سليمان أويدين مدير الثقافة، جامعة أدرار، 2013.

³ المؤلف مجهول، مخطوطات علامات توات سكان قصور تجارة صناعة وغيرها، المخطوط السابق، الورقة: 49-40.

⁴ الأوتاد: هي عبارة عن قضيب رقيق وسميك رأسه حاد وفي أعلاه حلقة يمر منها حبل يستعمله الفلاح في شد البهائم.

⁵ سورة الحديد: الآية 24.

فحاول الحرفيون تلبية الحاجات الحربية وخاصة وأن المنطقة شهدت بعض الحروب والنزاعات والإضطهادات المتفرقة ومن بين هذه الصناعات:

(أ) - **السكاكين:** وهي متنوعة منها ما هو مخصص لتقطيع الخضر والفواكه ومنها ما هو خاص لتقطيع اللحوم والذبح ومنها ما هو خاص للتزين، ومنها ما هو مخصص للحروب ولهذا فهي مختلفة الأحجام والأشكال وطريقة صنعها صعبة وتتطلب من الحرفي الكثير من الجهد.

(ب) - **السيوف:** وهو من أهم الأدوات الحربية المعروفة منذ القدم، وكان للسيف مكانة مهمة فهو رمز الفخر والإعتزاز ولهذا أبدع الحرفيون في تزيينه، وكان يتقلده العريس في أيام زفافه، فهو ضروري لهذه المناسبة¹.

(2) - **المصنوعات الفخارية:** لم تتطور هذه المصنوعات خلال القرن التاسع عشر والعشرين 19 و20م وإنما بقيت على حالها، فكانت تصنع القلة لتبريد الماء وخاصة في فصل الصيف وتغلف بكيس مصنوع من الحلفاء ويصب عليه الماء ليجعل القلة باردة وكذلك صناعة القدح الذي كان يصلح كصحن للعائلة والقدور والطاجين والتدارة² التي كانت مخصصة لوضع السفوف³، وقد استخدم البلباليون في حياتهم اليومية بعض الأواني الفخارية⁴ والتي من بينها:

(أ) - **الصحون:** تتميز بشكلها المستدير وعدم وجود قاعدة في الأسفل وتمتاز بسمك جدرانها وصلابتها وهي كبيرة الحجم تستعمل لقتل الطعام.

(ب) - **الأقداح:** استعمله البلباليون للشرب ويتميز شكله بعدم وجود أي عروة أو مقابض إلا نادراً ومقياسه مختلف من الصغير إلى الكبير.

¹ عز الدين جعفري، المرجع السابق، ص 257-258.

² التدارة: أنظر الملحق رقم: 25، ص 326.

³ السفوف: أنظر الملحق رقم: 25، ص 326.

⁴ الأواني الفخارية التي استعملها البلباليون هي موجودة بالمتحف السيد عبد الرحمان البلبالي، أنظر إلى الملحق رقم: 22،

(ج) - القدور: من الأواني التي لا يمكن لربة البيت الاستغناء عنها وتتميز بقاعدة مستوية ليسهل وضعها على موقد النار ومزودة بعروتين قرب الفوهة من الجانبين أما حجمها فيختلف على حسب عدد أفراد العائلة من الكبيرة إلى الصغيرة.

(د) - القلة: وهي من الأواني المخصصة للشرب تصنع من الطين، تستعمل لحفظ وتبريد المياه في فصل الصيف ويغطى مدخلها بغطاء سهل الفتح وفي الغالب تلف بقطعة قماش، وهناك من يغلفها بأكياس الحلفاء وتبلل بالماء وتوضع بمكان مظلل وبه هواء لتحافظ على برودة مياهها وبعد تشققها أو ظهور الثقوب فيها تحفظ فيها الحبوب أو بذور المحاصيل¹.

(3) - المصنوعات الجلدية: استعمل البلباليون بعض منتجات الحرف الجلدية حيث تعتمد هذه الصناعة على جلود الحيوانات يتحصل عليها الحرفي من الحيوانات التي يربيهها سكان المنطقة ويمكن استحضارها من البلدان المجاورة عند الحاجة فتصنع بها لوازمها المنزلية الخاصة أو الملبوسة بأنها ضرورية لاستمرار حياة الإنسان في البيئة الحارة والباردة، للاستفادة من هذه المنتجات هناك عدة طرق لتحضير الجلود وتسمى الطريقة الأولى بالدباغة ومن أشهر المصنوعات الجلدية هي الأحذية التي تحتاج إلى خبرة كبيرة في هذا المجال لاحتياجها الدقة والبراعة الواسعة أثناء العمل بالإضافة إلى التجليد الكتب التي تعتبر مهنة قديمة وعريقة عند الأمة الإسلامية وكانت الجلود تستعمل لتجليد الكتب أو المخطوطات التي تشتهر بالمنطقة وتجليد السيوف والمحافظ لحمل النقود².

(4) - الصناعات الخشبية³:

استعمل البلباليون العديد من المستلزمات الضرورية للحياة اليومية مثل: أواني الطعام كبيرة الحجم التي تستخدم للإطعام في المناسبات كالولائم والأفراح فمنها:

(أ) - المهراس: الذي صنع من شجر الطلح لأن خشبها جيد وصلب وكبير الحجم يشبه شكله المزهري إلا أنها مفتوحة من الأعلى، ويتألف من العمود الذي هو عبارة عن خشبة طويلة مستديرة الرأس لتسهيل عملية تهريس التمر الذي يوضع بداخلها.

¹ زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية بمنزلها يوم 2018/10/11م، على الساعة 18:12.

² فاطمة الزهراء بلبالي: مقابلة شفوية معها بيتها (المقابلة السابقة)، بمنزلها يوم 2018/10/11م، على الساعة 18:12.

³ الأواني الخشبية التي استعملها البلباليون هي موجودة بالمتحف السيد عبد الرحمان البلبالي، أنظر الملحق رقم : 23،

(ب) - **القصة:** وتصنع هي الأخرى من شجر الطلح وتستعمل في الأكل ويختلف حجمها باختلاف عدد الأشخاص ولازال يقدم فيها الكسكس إلى يومنا هذا.

(ج) - **أبواب خشبية:** كانت تستخدم الأبواب الخشبية بكثرة للمنازل في ذلك الوقت لعدم توفر الأبواب الحديدية وهو عبارة عن قصبات خشبية مستطيلة مصفوفة ومشدودة بثلاث ألواح على العرض توضع الأولى في الأعلى والثانية في الوسط والثالثة في الأسفل، وتثبت بمسامير وبه قفل أيضاً مصنوع من مادة الخشب.

(د) - **المشربة:** سميت بهذا الإسم لأنها مخصصة لشرب اللبن والماء أيضاً، ويشبه شكلها القصة إلا أنها مغروفة في وسطها لتحمل كمية كبيرة من الحليب أو الماء فهي حاضرة إلى يومنا هذا في الأعراس وخاصة في يوم العقد¹.

ثالثاً: التجارة.

مارس سكان توات التجارة² أيضاً إلى جانب الزراعة والصناعة منذ العهود القديمة حيث مثلت توات همزة وصل بين بلاد السودان والمحطات التجارية الشمالية الأخرى، ومن بين منتجات المتبادلة والمعروفة في تلك الفترة الملابس والمنسوجات والملح والحناء وكانوا يستبدلوها بالعبود والذهب والنحاس والقطن وغيرها...³، استغل سكان توات الموقع الإستراتيجي المهم الذي أصبح يتوسط أسواق الشمال والجنوب فقد نشأت وكبرت معظم قصورها نتيجة للقوافل التجارية العابرة للصحراء قصد أسواق رئيسية، لذلك فقد فرض على القوافل المارة للتعامل مع أسواق هذه القصور للحصول على احتياجاتهم ولأخذ قسط من الراحة لمواصلة سفره الطويل⁴.

فاشتهرت السوق التواتية برخص سلعها وتنوع منتوجاتها وانتظام دخول وخروج قوافلها، لذلك أخذت شهرة واسعة في الصحراء وأصبح التجار يقصدونها من كل صوب، بالإضافة إلى

¹ عائشة مباركة شاري: مقابلة عبر الهاتف، قصر كوسام يوم 2018/11/03، على الساعة 12:18.

² مثل الجنوب الوهراني نقطة تبادل تجاري بينه وبين وتوات ولكن تعقد الوضع وتأزم بعد الإحتلال الفرنسي فسعى الفرنسيين في الحصول على نصيب الأكبر من تجارة توات وتصريف بضائعهم عبر أسواقها. لتوسع في الموضوع أنظر: مُجد أعيف: واحات توات عبر التاريخ مجال لتواصل والتعايش، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، 2015، ص 77.

³ مبارك جعفري، العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 88.

⁴ عبد الحميد البكري، النبتة في تاريخ توات، المرجع السابق، ص 46.

الحجاج الذين كانوا يقصدونها في طريقهم سجلماسة وتافيلالت وشنقيط ويدخلون توات¹ فيشترون ما يلزمهم من حاجات ومؤنة ويصرفون الذهب المعروف أنه من أرخص الأسواق، وهذا ما ذكره العياشي في رحلته "... إن الكثير من الحجاج لما غلّا صرف الذهب في تافيلالت أخذوا الصرف إلى توات لأن الذهب فيها أرخص وكذلك سعر الزرع والتمر... ويجود فيها من البضاعة والسلع التي تجلب من هناك (السودان) الشيء الكثير..."²

وأكد ابن المليح في رحلته عن أهمية إقليم توات في الحركة التجارية فقال: "... ثم نزلنا بلاد توات بدشر يعرف أركان (رقان) أول منزل من البلاد المذكور بلد الطيبة الكثيرة والزرع والثار المختلف بالجنس والنوع، ذات عيون جارية وأثمار على مر الليالي والنهار... فقام بها الركب سبعة وعشرون يوماً في نعمة شاملة، والبيع والشراء والأخذ والعطاء فياها من بلدة ما أحسنها خير الله صدعها، وآدم والمسلمين نفعها..."³.

تتوفر توات على شبكة من الطرق التجارية التي تربطها بطرق تجارية أخرى وهي:

- 1) طريق غدامس شرقاً والتي تبلغ المسافة بينها وبين توات حوالي 27 يوماً تقريباً.
- 2) طريق من تنبكتو جنوباً والتي تبلغ المسافة بينها وبين توات حوالي 29 يوماً تقريباً من أقبلي.
- 3) فاس غرباً والتي تبلغ المسافة بينها وبين توات حوالي 32 يوماً تقريباً.
- 4) مدينة الحرات شمالاً والتي تبلغ المسافة بينها وبين توات حوالي 30 يوماً تقريباً⁴.

ومن الملاحظ أن التجارة القائمة في توات، كانت فائدتها دائماً للعرب والخسارة للتواتين، فهي طبيعة وراثية للتواتي الميسور الحال الذي لا يمكنه التخلي على أصحاب القوافل التجارية فهو محتاج إلى تلك المنتوجات الضرورية المتمثلة في السكر والشاي والزيت والصابون والشمع والقماش

¹ عبد الله عباس: الدور الحضاري لإقليم توات، الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواسر المغرب الإسلامي، أدرار، 2009، ص 236.

² أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج1، ط1، تحقيق: سعيد الفاضلي وسلمان القرشي، الإمارات، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006، ص 20.

³ محمد برشان: أثر ركب الحجيج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي الجنوب الغربي الجزائري نموذجاً، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تيارت، ع6، دار الكوثر للإنتاج والنشر والتوزيع، تلمسان، الجزائر، ص 201-202.

⁴ مبارك جعفري، العلاقات الثقافية، المرجع السابق، ص 94-96.

والتي جاءت بعد دخول المستعمر الفرنسي ويجلبها التجار من المناطق المجاورة لبني عباس وبني ونيف والمنبعة وقورارة وأولف وتيديكلت وغيرها¹.

ونظراً لظروف القاسية التي كانوا يعيشونها فرضت عليهم بيع محاصيلهم الزراعية قبل نضجها وبأثمان باخسة ورخيصة، وبعد دخول الإستعمار إلى توات 1901م وضعت الحكومة الفرنسية كبحاً لهذه التجارة الملتوية وفرضت بعض القوانين وجعلتهم يتمهلون ويتركون المحاصيل تصل إلى نضجها من أجل التحصل على اقتصاد مقبول، وتعمل الحكومة الفرنسية على شرائه فيتحصلون على النقود مقابل ما يقدمونه من منتج، إلا أنهم رفضوا هذه القوانين وكانوا يعاكسون هذه المشاريع بقوة حيث واجهوا كل الصعوبات لبيع المنتوجاتهم والحصول على تلك الأثمان الرخيصة ليشتروا بها ما يستحقونه من أغراض أخرى فهم يفضلون البقاء على حالهم القديم متماشين مع الشريعة الإسلامية التي مصدرها القرآن والسنة².

كما نصت بعض التقايد الخطية الواردة أن التجارة في توات تناقصت وأصبحت تندهور في فترة من الفترات وعلى عكسها الطوارق وعرب الهضاب العليا فكانوا يبيعون غنمهم ويشترون الدكالي أو الحايك أو جزء من التمور المخزونة وكذلك التبغ في حين هم يأتون بالصوف والزبدة والقمح والشعير واللحم المجفف والدهن، وعرفت تجارة المقايضة نمواً كبيراً مع القوافل العربية بحيث لا يحضرون معهم الدراهم إلا قليلاً فكان يتم تبادل سلعهم بالتمور التواتية وغيرها من المنتوجات المتواجدة ببلد توات، وكانت تجارتهم مربحة جداً بحيث كانت تعم عليهم بفوائد وخيرات كثيرة مثلاً كانوا يشترون التمر الجيد في توات عموماً بسعر قيمته 2.25 فرنك يبدلونها بضع الديكالتر من القمح بقيمة أربعة فرنكات دون ذكر الأرباح الطائلة التي يربحونها مع بقية التمور في الشمال ونفس الشيء بالنسبة للزيادة في الصوف والقمح والشعير³.

وذكر العياشي في رحلته التي سَمّاها ماء الموائد بعد دخوله عمالة تساييت أقام فيها لعدة أيام وكان سبب ذلك: الحجاج أخرجوا صرف ذهبهم إلى توات بعد أن خلا الصرف في تافيلالت

¹ المؤلف مجهول، مخطوطات علامات توات سكان قصور تجارة صناعة وغيرها، المخطوط السابق، الورقة 46-47-48.

² نفسه، الورقة 60.

³ نفسه، الورقة 49-50.

فقال العياشي " إن الذهب فيها أرخص " كما قال: " أن سعر القوت من الزرع والتمر أرخص " كما مثلت تسايت مجمع القوافل الآتية من تبكتو ومن بلاد أكيدز من أطراف السودان¹.

المبحث الثالث: الأوضاع الإجتماعية للقصور البلالية بتوات.

أولاً: التركيبة السكانية و البنية الإجتماعية للقصور البلالية بتوات.

لقد ساهمت العوامل التاريخية والثقافية والحضارية وحتى الجغرافية في جعل إقليم توات عامة ومنها القصور البلالية منها مركز استقطاب العديد من الأجناس والقبائل المختلفة.

وساعده الموقع الإستراتيجي الهام، وكذلك الأمن والأمان الذي عرفت به المنطقة مما جعلها نقطة جذب للسكان الباحثين عن الإستقرار² ومن بين هذه الفئات:

(أ)- البربر: هم قوم عرفوا بالشجاعة والنخوة والفروسية والشدة أسلموا بعد الفتوحات الإسلامية هذا ما أكده ابن خلدون بحيث أنهم ارتدوا ثم استقاموا على الإسلام منذ أيام موسى بن النصير³.

إلا أن سيدي مُجَّد بن عبد الكريم التمنيطي أشار إلى أن بربر زناتة استقروا بمنطقة توات قبل دخول الإسلام إليها ودليل حجته في ذلك أن أغلب أسماء القصور التواتية جاءت بلغتهم، فدخل العديد منهم بعد دولة زناتة بالمغرب⁴.

يشير كتاب فهرسة الرصاع أن اسم توات يعود لأحد المثلثين الذين سكنوا الصحراء ومنها جاءت التسمية، أما المصادر المحلية ذكرت أن قبائل زناتة دخلوا الإقليم في مرحلة متأخرة وذلك بعد انكسار دولتهم على يد الموحدين خلال القرن الرابع للهجرة فشيّدوا القصور⁵ وزرعوا

¹ عبد الله بن مُجَّد العياشي، الرحلة العياشبية (1661-1663)، المصدر السابق، ص 79.

² مريم بخدا، أعلام العائلة التينلانية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11-12 هـ 17-18، المرجع السابق، ص 18.

³ أبو الحسن علي الحسن الندوي، أسبوعان في المغرب الأقصى رحلة ومذكرة، مشاهدة وانطباعات، المرجع السابق، ص 17.

⁴ مُجَّد بن عبد الكريم التمنيطي: ولد سنة 1300هـ/1883م بتمنيط، من شيوخه عبد الله بن الحبيب البلالي حفظ

القرآن الكريم وبعض المنظومات الفقهية والنحوية فكان رحمه الله مجتهداً وتولى القضاء، وتوفي في ظهر يوم الأحد 25 ذي الحجة سنة 1374 هجرية 1954 ميلادية بتمنيط، أنظر: جامع الشتات لما تفرق من تاريخ توات بأقلام علمائها التفات،

تحقيق: بلقاسم بن عمر ضيف، محفوظ بن ساعد بوكراع، ص 12-18.

⁵ مُجَّد الأنصاري الرصاع، فهرسة الرصاع، تونس، 1967، ص 127.

النخيل وحفروا الفقاير لجلب المياه الباطنية وجليبوا العبيد من السودان لتولى الزراعة في بساتينهم ورعي حيواناتهم واستخدموها في التجارة أيضاً¹ ومن فروع قبيلة زناتة التي دخلت إلى المنطقة أولاد عبد الجليل وذكوان وأخروم وأولاد عليش وغيرهم وأصبحوا يشكلون نسبة معتبرة من سكان توات².

والواضح من توات قد دخلها قسمان من البربر: بربر زناتة، وبربر صنهاجة وكانوا السابقين في الدخول إلى المنطقة مع أن عددها أقل مقارنة مع قبائل زناتة، هذا ما أكدته العديد من المصادر التاريخية كابن خلدون مثلاً بقوله: "...وفيها أمم من زناتة..."³ والتي دخلت نتيجة صراعاتهم مع صنهاجة⁴.

فلا يمكننا أن نُنكر بأن البربر هم أول من دخلوا توات واستقروا وتكيفوا مع الأوضاع بها، وكان لهم تأثير كبير في شتى الميادين الاقتصادية والسياسية وحتى الحضارية بالمنطقة، تاركة بصمة أسماء قصور توات البربرية ونخيلها وفقايرها التي تتداول إلى يومنا هذا.

ب)-العرب: أكد ابن خلدون أن بداية دخول العرب إلى توات مع بداية القرن السادس هجري، فهي آخر القبائل استقراراً بالمنطقة، سكنوا معهم وتكيفوا مع بيئتهم وتعايشوا معهم جنباً إلى جنب وفي ذلك يقول ابن خلدون "...فلما ملكت زناتة⁵ بلاد المغرب دخلوا إلى الأمصار والمدن وقام هؤلاء المعقل في الفقارة وتفردوا في البيداء فنمووا نمواً لا كفاء له، وملكوا قصور الصحراء التي

¹ شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1968، ص 48.

² محمد بن عبد الكريم التمنيطي، ذرة الأقلام، المخطوط السابق، ص 5-6.

³ ابن خلدون عبد الرحمان: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، المصدر السابق، ص 134.

⁴ صنهاجة: يعرفون بني لمتونة طواعن رحالة في الصحراء مراحلهم فيه مسيرة شهرين... وهم إلى بلاد السودان أقرب أنظر: ابو عبيد الله البكري: كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ص 168.

⁵ يعتمد بربر زناتة في عيشتهم على مساكن الخيام لهم ويتلفون على اكتساب الإبل والنخيل فهم يشتهون مع الإعراب في أسلوب العيش إلا أنهم يختلفون عنهم في اللهجة التي يتكلمون بها، أنظر: بوزياني الدراجي: القبائل الأمازيغية أدوارها، وموطنها، وأعيانها، ج1، ط4، المغرب، 2010، ص 243.

اختطتها زناتة بالفقر ثم قصور السوس غرباً ثم توات ثم جودة تامنطيط ثم أكلان ثم تساييت ثم تيكورارين شرقاً...¹.

وقد تواصلت الهجرات العربية بوصول عرب بني هلال إلى بلاد المغرب منذ سنة 442هـ-1051م فتوجهوا نحو واد مقيدن في سنة 514هـ. 1120م ودخلوا توات وتوافد عليها كل من أولاد أحمد، الخنافسة، المحارزة، أولاد طلحة، أولاد عيسى وغيرهم، بالإضافة إلى عرب المعقل من أولاد الحاج، أولاد عابد.²

وهناك من اعتبر أن سنة 984هـ تمثل أول قدوم للعرب المهاجرين إلى الواحات التواتية وهم من قبيلة "أكدوا" وانتقلوا إلى ركان (رقان) وتادمايت وأول قصر شيدته قبيلة أكدوا قصر تاوريرت وقد وصفها الحاج أحمد بن يوسف التينلاني وهو يكتب في مطلع القرن السابع عشر 17م أن مجموعة من العرب هربوا إلى توات فاستوطنوها وتملكوا الأرض وشيدوا البنيان وحفروا الفقارات للري وأسّسوا عدداً كبيراً من القصور في أكثر من ألف قرية.

ويقول أيضاً: أن بعض قبائل بني هلال من المهارزة من عامر وصلوا إلى واحات الصحراء سنة 1120م ثم جاءت بعد ذلك قبائل كثيرة بعضها قد أتى من المشرق في عهد عقبة بن نافع، ثم في سنة 1391 جاء أعراب بني حسان واستدعوا وجهاء تيديكلت وتوات وأبرموا معاهدة 1461م جاء المرابطون من أسرة سيد الشيخ المختار ليسكنوا زاجلوا.³

(ج)-السود: دخلت هذه العناصر من السودان العربي واستقرت بالمنطقة وامتزجت في المجتمع التواتي نتيجة للمبادلات التجارية القائمة بين توات والسودان الغربي، وبعد تدهور الأوضاع الأمنية والإقتصادية والتي أدت إلى سقوط مملكة سنغاي⁴، هاجرت مع فئة معتبرة من هؤلاء الزنوج¹ الذين

¹ ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ج6، ص 59.

² جازية هرباش: الوضع الإقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12-13هـ / 18-19م، أطروحة دكتوراه، إشراف: بن نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2011-2012، ص 34.

³ مُجَّد ألمى الياسيني: لحة تاريخية عن قبيلة أولاد حنين الأنصاري، الموقع: faculty.mdstate-edu/melyassini بتاريخ 2017/10/08، على الساعة: 23:22، ص 15.

⁴ مملكة سنغاي: التي تقطن جنوب الصحراء وهي من أصول عربية، ومن بين زعمائها مُجَّد الأسكيا الذي ذهب إلى الحج وصرف أموالاً باهضة في رحلته وهذا ما أكسبه سمعة دولية كملك من ملوك بلدان الذهب، وفي الحجاز طلب من الخليفة

الذين عرفوا بقوة البنية الجسدية وكانوا يباعون في سوق توات للعمل في مجالات عديدة كالفلاحة وزراعة الأرض وحفر الفقاير، نظراً لارتفاع درجات الحرارة في فصل الصيف فقد أوكل لهم العمل اليدوي منذ القدم، وبعد فترة تحسنت أوضاعهم الاجتماعية واعتنقوا الإسلام وأصبحوا يشكلون طبقة مهمة يعتمدون عليها بتوات.²

2- البنية الاجتماعية لسكان توات:

لقد أورد صاحب مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات حول الترتيب الاجتماعي لسكان توات أنهم منقسمون إلى أربعة أقسام: الشرفاء والعرب والمرابطون والموالي، أما لغتهم هي العربية الدارجة ودينهم الإسلام وعقيدتهم الأشعرية ومنبتهم المذهب المالكي، ويغلب على سكان توات السمرة على أجسادهم إلا نادراً لفرط الحرارة الطبيعية، ويتميزون بعبادات وتقاليدها خاصة بكل مناسبة، ومنها إكرام الضيف والمسافر الذي لا يحتاج إلى حمل الزاد معه.³

وقد استمر هذا التنظيم دون أن يطرأ عليه أي تغير منذ القدم وهو على النحو التالي:

1) الشرفاء: وهم يحتلون الطبقة الأولى في المجتمع التواتي، وينحدر جلهم من الأسرة العلوية التي تنتسب إلى بيت رسول ﷺ فهم معفين من الجباية، ويمتلكون مساحات واسعة من النخيل والأراضي، ويؤكد البعض أن أول الشرفاء الذين حلوا بتوات هم شرفاء مولاي سليمان بن علي⁴ في القرن السادس هجري، وأصبحت لهم مكانة معتبرة في المنطقة واحتراماً كبيراً نظراً

العباسي أن يعينه ملكاً على سنغاي، ففعل ذلك وأقر بتعيينه وألبسه جبة والعمامة وصارت محل فخر بعد عودته إلى بلاده، أنظر: محمد سعيد القشاط: أعلام الصحراء، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص 186-187.

¹ الزواج: وبلاد الزنج برارب عظيمة زرمال كانت في سالف الزمان مسلوكة، وفيها الطريق من مصر إلى غانة، أنظر: ابن حوقل أبي قاسم بن حوقل النصبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992، ص 65.

² مريم بخدا، أعلام العائلة التتلاية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11-12 / 17-18، المرجع السابق، ص 18.

³ أحمد الطاهر الإدريسي، نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، المخطوط السابق، الورقة 150.

⁴ مولاي سليمان بن علي: هو أبو داود سليمان الملقب بـ "أوشن" بن مولاي علي الشريف بن أحمد بن علي بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمان بن عيسى بن أبي قاسم بن عبد الله الكامل بن المثنى بن الحسن السبطي بن سيدنا علي بن السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، ولد حوالي 559هـ الموافق لـ: 1156م أنظر: إدريس

لنسيهم¹، وقد استمرت هذه الحفاوة إلى يومنا هذا فتسعى جميع الطبقات الأخرى إلى تكريمهم ومساهماتهم بفض النزاعات التي تظهر بين الأفراد والجماعات وإحضارهم لعقد قران أبنائهم.

(2) **المرابطون**²: ويأتون في المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي بعد الشرفاء ويتمتعون بوضع اجتماعي لا باس به، ينتسبون إلى الصحابة الأولين أبو بكر وطلحة والزبير وعثمان وعرفوا بأنهم أهل علم وصلح وتقوى.

(3) **الأحرار**: يصنفون ضمن المرتبة الثالثة من التصنيف الاجتماعي بالمجتمع التواتي وينحدر أفراد هذه الجماعة من العرب والبربر زناتة وتعرف بالعوام لأنهم يعملون داخل الدكاكين التجارية والجواري والعبيد.

(4) **السود**: وينقسمون إلى طبقتين: الحراطين وفي مدلولها الأصل أنها تنقسم إلى كلمة حر: أي طليق، والثاني: أي في المرتبة الثانية ومعناها أن هؤلاء أحرار ولكن من الدرجة الثانية وعلى العموم فهؤلاء هم خليط من صال العبيد المعتوقين وأوكلت لهم بعض الأعمال الغير محبوبة عند الطبقة الأولى فهم يفلحون الأرض ويزرعونها، وأعمال البناء، وحفر الفقاقير وكانوا يعملون بجد وإخلاص.

(5) **العبيد**: وهم الذين أوتي بهم من السودان عن طريق القوافل التجارية وكانت تجارة العبيد³ مشهورة ومتداولة في تلك الفترة، وتعتبر هذه الطبقة أقل الطبقات الاجتماعية في المجتمع التواتي،

بن خويا: الدور العلمي لزواية الصالح سيدي سليمان بن علي، أعمال الندوة السنوية الثامنة تخليداً لإحياء مآثر الشيخ، طبعة بشركة وسط توات، 2014م، ص 48-49.

¹ فرج محمود فرج: المرجع السابق، ص 34.

² المرابطين: هم ليسو بمرابطي صنهاجة الذين يرجع أصلهم إلى القبائل البربرية، وكانوا يغطون وجوههم عند الرحلة والركوب بالثام، وعرفوا بالمرابطين لأن جل أبنائهم من الرباط فأطلقوا عليهم المرابطين، أنظر: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، أسبوعان في المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص 31.

³ تجارة العبيد: وهي واحدة من أكبر المغامرات التجارية التي شنت ما قبل فترة الإستعمار، فتم شحن الأفارقة عبر المحيط الأطلسي، فكانوا يعتمدون عليهم في الأعمال الشادة، وقد وصل عددهم إلى حوالي 11 مليون، فسلبت منهم حريتهم نتيجة لطلب الخارجي، أ. ج، هوبكنز: التاريخ الإقتصادي لإفريقيا الغربية، تقديم: محمد عبد الغني سعودي، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص 206-209.

فكانوا يستبدلون بالسلع المحلية وأحياناً بالذهب والفضة، وفرضت عليهم بعض الأعمال الشاقة وخدمة البساتين¹.

ثانياً: الإحتفالات الدينية والشعبية:

(1) - إحياء مناسبة العيدين:

تحتفل الأسرة البلبلية² كغيرها من الأسر التواتية الأخرى بمناسبة العيدين الفطر الذي يبدأ تحضيراته منذ ليلة السادس والعشرين من شهر رمضان من كل سنة هجرية، فتطحن النسوة الحناء في الرحي " الحجر التقليدي" حتى تصبح ملساء وتحضر البخور وتنظف المنازل وتصنع الحلويات وتجهز ملابس جديدة وبسيطة للإحتفال بالعيد وتنظف المساجد لتأدية صلاة العيد في صباح ذلك اليوم.

وفي صباح يوم العيد وقبلها بنصف ساعة يتوجه السّكان إلى المصلّى³ وهم في أجمي حلة، ويدخلون المساجد فرحين ويشرعون بالتسبيح والتكبير فيرددون " سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر الله أكبر والله الحمد"، ولا ينقطعون عن ترديدها حتى يحين وقت صلاة العيد يصلون ركعتين ويلحقها الإمام بخطبة العيدين وبعد الإنتهاء منها يشرع المصلون بالتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء وتقرأ الفاتحة ويتغافر ويتسامح المصلون فيما بينهم، ثم يخرج المصلون قاصدين زيارة كبار السن في القصر ثم يقصدون منازلهم لتنتهي بذلك مراسيم العيد الأولى وتبدأ العادات الأسرية كل حسب طاقته، فمثلاً: يحرص الجد والجدة على لم شمل العائلة باستدعاء الأبناء وأبنائهم للحضور العيد بالبيت المسمي "بالدار الكبيرة" ويتناولون الغذاء جماعي مع الشاي والحلويات البسيطة.

¹ عليق ريجة، المرجع السابق، ص 29-30.

² قبل يوم العيد من أسبوع تحضر النسوة بيتها للإحتفال بمناسبة العيدين فتقوم بتنظيف بيتها بغربلته جميع لرمال بيتها بالغربال وتصفيته من الشوائب ثم تفرشها بالرمال جديدة وصافية حتى يصبح منظرها جميل وتتعاون مع الخادمة البيت وتجمع ملابسها وملابس أطفالها وزوجها لغسلها بالطين الخضراء في بيتها وليس خارج منزلها كما تقوم بها بعض النسوة القصور المجاورة.

³ إن مشروعية صلاة العيدين ثابتة ومؤكدة في نص القرآن والسنة وإجماع أهل العلم على ذلك وجاء في قوله تعالى: "فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ" سورة الكوثر الآية 2، ويقصد بها الصلاة الواردة في الآية صلاة العيدين واقترن ذلك بالأضحية والذبحها ودليل مشروعيتها في السنة النبوية يروي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حيث قال: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما يصلون العيدين قبل الخطبة... رواه البخاري في صحيحه.

وبنفس الطريقة تحيي الأسرة البلبلية بجميع قصورها مناسبة العيد الأضحى فهناك تشابه كبير بين عيدين والفرق يظهر في أضحية عيد الأضحى بذبحها في "تاقمين" وهي تمثل ساحة واسعة خاصة بتربية المواشي، ومن العادات المعروفة في المنطقة أن ذبح الأضحية لا يتم إلا بعد صلاة العيد ويضحي إمام القصر أولاً ثم يتبعه بعد ذلك سكان القصر ويتكلف رب الأسرة بذبحها ويساعده الأبناء الكبار في سلخها، وينتظر النساء تسليم لحمها وأحشائها لتحضير غذائهم منها، والعادة المعروفة أن هناك من يستغل ذبح الأضحية في أمور علاجية¹.

ومع بداية القرن التاسع عشر ميلادي (19م - 14هـ) كانت الحالة المعيشية للسكان المنطقة مزرية ومعظم الأسر فقيرة لا تتمكن من ذبح الأضحية إلا بعضهم فقط، لذلك كانت تقسم ربع الأضحية يقسم قطع ويوضع في القفة وتوزع خادمة البيت على جميع الأسر التي لم تذبح الأضحية أما بقية اللحم فكانت يُشرح إلى قطع رقيقة جداً ويتبل بالتوابل والملح وينشر ليجفف ويصبح قاسياً ويحفظ في كيس من الحلفاء².

وتحيي الأسرة البلبلية بقصر ملوكة مثلاً: هذه المناسبة فيجتمع رجال القصر من أهل الذكر بالإضافة إلى القصور المجاورة لتأدية صلاة العيد ويتلون أجزاء من القرآن الكريم في مقر الزاوية، في حين تحضر النسوة الطعام المكون من الكسكس واللحم والبيض وبعض الفواكه والخضر الموسمية بالإضافة إلى بعض المشروبات الباردة حيث تستيقظ منذ الصباح الباكر لإعدادها، وبعد الفراغ من قراءة القرآن والذكر يوضع الطعام بين أيديهم فيباشرون في الأكل ثم يجتمعون الختم الجماعي ويتفرقون على أمل اللقاء في مناسبات أخرى³.

2- الإحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف:

المولد النبوي هو اليوم الذي يصادف مولد الرسول في الثاني عشر من ربيع الأول، وعليه فإن الإحتفال بمولد الرسول الله ﷺ أمراً استحسنته العلماء والمسلمون في جميع البلدان

¹ فاطمة الزهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، مقابلة في بيتها يوم: 2018/08/15، على الساعة 17:22.

² فاطمة الزهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، نفس مقابلة في بيتها يوم: 2018/08/15، على الساعة 17:22.

³ عبد الرحمان بلبالي: المشرف على خزانة ملوكة، مقابلة في بيته في يوم: 2017/05/13 على الساعة 16:40.

الإسلامية وجرى به العمل في كل صقع، ويكون الإحتفال¹ بهذه الذكرى في القصور آنفة الذكر على مدى اثنتي عشرة يوماً - من أوائل شهر الربيع الأول - فتقرأ المتون التي تمدح الرسول صلى الله عليه وسلم وتُذكر الناس بأخلاقه وصفاته وتقرأ قصيدة البردة والهمزية وصحيح البخاري ويطلق عليها أيام البشير نسبة إلى الرسول الله ﷺ ومن عوائد هذه المناسبة تقديم عدد من المأكولات مثل الكسكس والكسرة، إلى الطلبة وشيوخ المساجد يتناولونها بعد انتهائهم من القراءة، وقد احتفظت الأسرة البلبلية بقصر ملوكة إلى يومنا باحياء ذكرى مولد الرسول ﷺ، فيجتمع أفراد الأسرة وكذا أحبابهم من القصور القريبة بعد صلاة المغرب ويقدمونه على قراءة القصائد البخاري المدائح النبوية المختلفة كالبردة والهمزية ويقام الدرس خلال اثني عشر يوم الأولى من شهر الربيع الأول².

احتفظت الأسرة البلبلية بقصر برينكان هي الأخرى بإحياء ذكرى مولد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقبل أيام من دخول شهر الربيع الأول يبدأ التحضير للمولد النبوي وذلك بطحن يسمى " القلية" أو ما يعرف " بملح البشير" وفي اليوم الأول من شهر الربيع الأول تبدأ الصلاة على النبي في كل مساجد القصر ويذهب الصبيان إلى الجوامع ومعهم علب صغيرة توضع فيها " ملح البشير والحلوى" ويقرأ في اليوم الأول والثاني متن الهمزية لشرف الدين البوصري وفي اليوم الثالث والرابع والخامس متن البردة وفي الأيام المتبقية متن البغدادي بالإضافة إلى متن يعرف باسم العروسي³ والقصائد الوترية للبغدادي إلى غاية اليوم الثاني عشر، وفي اليوم الثاني عشر يقوم رجال القصر بالطواف على كل القصر ويرددون مديح الهمزية، انطلاقاً من المسجد العتيق مروراً بحدود القصر مقبرة بو يوسف - مقبرة سيدي الحاج - مقبرة البلبالي ليحطوا الرحال أخيراً من مكان انطلاقهم وهنا تبدأ المراسيم الفعلية بإتمام متن لهمزية ويبادرون في قراءة القصائد عندما يأتي وقت الضحى يقدم لهم ما يسمى " بالضحوي"⁴ وكذلك الحال مع وقت الغذاء وتكاليفهم تُقسم على

¹ كان الشيخ التيجاني بفاس يحث أصحابه ويحضنهم على قيام ليلة مولد الرسول ﷺ فكانوا يهيئون أمور الزاوية بشيء من المصابيح والشموع ويقيمونها مثل ليلته السابع والعشرين 27 من رمضان ويصلون على النبي ﷺ ويمدحونه ويقرونها همزية البصري وغيرها من المدائح، أنظر: الحاج أحمد الحاج العباسي سكيديج: كشف الحجاب عن كلابي مع الشيخ التيجاني من الأوصحاب، (1381هـ-1961م) بدون دار النشر ولا طبعة، ص 54.

² عبد الرحمان بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة في بيته في يوم: 2017/05/14 على الساعة 16:40.

³ هذا المتن استوردته الأسرة البلبلية الركانية من مدينة القنادسة بحكم العلاقات الوطيدة التي ظهرت لنا هذه في عدة مراسلات بين الأعيان والأسرة وعلماء القنادسة وهذه الرسائل محفوظة كوثائق في خزانة سيد مأمون بيريكان.

⁴ ويكون في الغالب خبز القلة أو المردود.

المنازل المجاورة للمسجد العتيق وكانت ولا زالت هذه المناسبة فرصة لتعليم الناس وحثهم على اقتداء بأخلاق نبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام¹.

ويصف لنا الرحالة جيراد رولف (Gerhard rohlfes) طريقة إحياء سكان برينكان مناسبة مولد الرسول ﷺ فقال: "...دخلنا قصر برينكان في يوم 15 أوت، وجدناهم يحتفلون بالمولد النبوي الشريف وفي تلك الليلة ظل البارود متواصلاً طوال الليل لم يتوقف أبداً وقد قمت بإطلاق بعض الطلاقات من البارود، وقد إستقبلني قائد برينكان منذ مجيئي استقبلاً رائعاً..."².

(3) - الإحتفال بيوم عاشورا: (10 محرم من كل سنة قمرية).

يوم عاشوراء من الأيام الدينية العظيمة، ففي مثل هذا اليوم استوت سفينة سيدنا نوح عليه السلام على الجودي، وفيه نجى الله نوحاً ومن معه فيها من الغرق، وفيه أيضاً نجى سيدنا موسى عليه السلام وبني إسرائيل من عدوهم فرعون، وجاء في بعض الروايات أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واليهود وأهل الجاهلية كانوا يصومونه، وكذا قريش التي عظمتها وكست فيه الكعبة؛ ومن الوقائع التي وقعت في هذا اليوم حادثة مقتل سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ في يوم الجمعة بعد صلاة العصر سنة واحد وستون (61) من الهجرة بمدينة كربلاء "العراق" العاشر محرم³.

فقبل طلوع شمس اليوم التاسع من محرم تحضر النساء البلباليات الفول الجاف والبيض المطبوخ وتُسخن لقلّة المصنوعة من الطين للتصنع بأناملها الخبز المعروف بخبز القلة وبعد تحضيره يجول الأطفال الصغار حول منازل القصر حاملين معهم بعض العلب والأواني ليضعوا فيها الفول والخبز أو البيض المحضر لهم⁴.

¹ حياة بلبالي: إبنة أخ المسؤول عن الخزانة قصر برينكان، مقابلة في بيتها بقصر برينكان في يوم: 2018/06/25م على الساعة: 18:25.

² Gerhard rohlfes: voyages et exoloration au sahra tome1 praa. Tafilalet.op.cit . P203.

³ الحافظ زكي الدين أبي مُحمَّد عبد العظيم بن عبد القوى المنذري: مجلس في فصل الصوم يوم عاشوراء، تحقيق: عبد اللطيف بن مُحمَّد الجليلاني، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1423هـ/2002م، بيروت، لبنان، ص ص 3-4.

⁴ فاطمة الزهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، نفس مقابلة في بيتها يوم: 2018/08/15، على الساعة 17:22.

وما يميز الأسرة البلبلية عن باقي القصور الأخرى أن أبناءهم أثناء جولتهم لا يردود تلك العبارات المتنوعة مثل: "بيانو بيانوا والشحمة والكديدة" وإنما يطرقون الأبواب كسائر الأيام ويطلبون "بيانو" فقط وعند سألتهم لماذا لا يردودن هذه العبارات كباقي القصور التواتية الأخرى؟ كان جواب السيدة الحاجة الزهراء: إن هذه العبارات كانت محرمة عند العلماء البلبلين فهم ينهاون أولادهم عن الهتف بها ولا يقبلونها¹.

(4)- الزواج:

تعتبر الأسرة من أولى الحاجات الطبيعية التي يلجأ إليها الإنسان كضرورة لاستمرار الجنس البشري فهي إحدى المقومات التي توفر الحماية والأمن والتنشئة الإجتماعية التي جعلت من المودة والرحمة شرط ضروري لاستمرار الزواج، وخير الكلام كلام الله سبحانه وتعالى في قوله: « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »².

ومن الأمور الشائعة بالمنطقة كثرة زواج الأقارب وخاصةً بين أبناء العمومة باعتباره هذا النوع هو الأكثر شيوعاً في أشكال الزواج الأقارب ويفضله البعض للحفاظ على النسب الأبوي وعدم الاختلاط بدم آخر، ويكون للزوجين نفس الجد والجددة من ناحية الأب، وعليه فيتعمق لديهم الشعور بالقرابة أكثر ويعمل هذا الزواج بالحفاظ على روابط الأسرة ووحدتها تماسكها³.

¹ فاطمة الزهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، في بيتها يوم: 2018/08/09، على الساعة 11:45.

² سورة الروم الآية 21.

³ أسعد فايزة: العادات الإجتماعية والتقاليد في الوسط الحضاري بين التقاليد والحداثة مقارنة سوسيو انثروبولوجية للعادات الزواج والختان، بمدينتي وهران وندرومة أنموذجاً، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف الأستاذ: حجيج أكيد، جامعة وهران، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإجتماعية، السنة 2011-2012، ص 274-275.

(أ) - الخطبة¹:

تمثل فترة الخطوبة البداية الرسمية للزواج فهي فترة يتم فيها إعلان الشاب بالزواج من فتاة معينة بعد استجابتها لهذه الرغبة ويتم في هذه المرحلة تحديد المهر وشروط الزواج فهي فرصة لتعارف العائلتين وكانت فترة الخطوبة لا تتعدى عام واحد، إلا في بعض حالات النادرة.

تمسك البلباليون بالدراسات الفقهية وتعمقوا في فهمها لخدمة الدين الإسلامي وقد أعطوا للشريعة الإسلامية حقها وظهر لنا ذلك جلياً في تلك المعاملات الإجتماعية اليومية، فإن زواج في المنطقة عموماً كان يتم في سن مبكرة فالذكور يتزوجون ما بين الرابعة عشر والخامسة عشر أما الإناث يتزوجن عن سن ما بين الثانية عشر والرابعة عشر².

وقد اتضح لنا في نوازل النكاح الواردة بمخطوط الغينة أن من أراد الزواج عليه أن يتقدم لخطبة الفتاة³ أولاً فيبعث أحد الكبار من مواليه شاهداً يخطبها له.

كما وجدت في بعض التقاليد الخطية بجزانة كوسام أن عائلة الشاب تطلب من عائلة الشابة عقد الزواج وإذا قبلت جميع شروط يمرون مباشرة بعد الخطبة إلى العقد (المعروف باسم القبول) ويحضر لهذه المناسبة كل أعيان القصر، وورد فيها أيضاً أن بعد إتمام الخطبة بإمكان الشاب الخاطب أن يدخل بيت خطيبته ويحضر مأدبة غداء أو العشاء، لكن هذا لم يرد ضمن عادات وتقاليد الأسرة البلبلية وبعض العرب من قبائل توات حيث أنه في أغلب الأحيان الخطيب لا يعرف ولا يرى خطيبته فيمنع منعاً باتاً أن يضع قدمه في بيت خطيبته⁴.

وجرت العادة أن الخطبة يحضرها رجالان كبيران في السن بعد صلاة العصر إلى بيت العروس ويُقدم لهم الشاي، وإذا أحضروها بعد صلاة المغرب يقدم لهم التمر والحليب، يقدم فيها

¹ الخطبة: هي مصطلح وارد من كلمة احتطبوه دعوه إلى تزويج ابنتهم، أنظر محي الدين مُجَّد بن يعقوب الفيروز أبادي: قاموس المحيط، مؤسسة الحلبي وشركائه، القاهرة، ج1، ص 63.

² عائشة مباركة شاري: من قصر كوسام، مقابلة عن طريق الهاتف يوم: 2018/11/03، على الساعة 11:12.

³ كما عثرت في بعض التقاليد الخطية الموجودة بجزانة كوسام أن البنات توات الشابات يتحركن في القصور بحرية وبدون احتشام مغلفون في ابزار أو الفناع والبنات الشابة تبقى كنفها عارياً من أجل تميزها أنها بنت عزباء وليست متزوجة، إلا أن هذه العادات ليس لها أساس من الصحة في القصور البلبلية أو القصور التي تواجدت بها الأسرة البلبلية لأن البنات كانت محافظة حتى قبل بلوغها تلتزم ببيتهم وتساعد أمها في ترتيب شؤون البيت.

⁴ المؤلف مجهول: مخطوط علامات توات سكان قصور تجارة صناعة، المخطوط السابق.

أهل العريس للعروس قطعتين من القماش وربيع من لحم الخروف وقطعة من الحرير وكذلك غطاء الرأس المعروفة "بالحرمة" وأيضاً الحايك المعروف باسم "الغبارية"¹.

(ب)- **المهر والصدّاق**: أكدّه الشرع الإسلامي كشرط من شروط الزواج، فلا يمكن اعتبار عقد الزواج صحيحاً دون وجود صدّاق، وهو أمر شائع ومعروف في المجتمعات العربية الإسلامية، فهذه قيمة مالية يقدمها، العريس لعروسته كرمّاً واعترافاً بمنزلتها ومكانتها وقد جاء في قوله تعالى: « وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا »².

اختلفت قيمة المهور على حسب امكانيات الشخص وقدراته، فالطبقة الغنية تدفع أكثر من غيرها، وجرت العادة على أن المهر لا يقتصر على القيمة النقدية فقط وإنما كانت تدخل بعض الأعراض التي تستعملها المرأة التواتية في حياتها اليومية منها: إيزار ودباليج والحرير والصندوق والحافظة المطرزة مع بعض العطور والقيمة النقدية التي كانت تدفع للعروس تتراوح بين ثلاثون إلى خمسون فرنك هذا بالنسبة للعائلات الميسورة الحال أما فئة العبيد فهم أقل مهراً³.

(ج)- **جهاز العروس**:

كانت الأم تحضر الأواني للعروس فتحرص على شراء المهرّاز الكبير والصغير وكذلك الرحي والحجرة الصغيرة يقدم لها أربعة صحون كبار وأدقي والشاة ويستحيل للبنّ أن تخرج من بيتهم دون أن تأخذ جهازها كاملاً؛ أما بالنسبة للحلي فتجهر البنّ معها القلادة والبياض من الفضة وتابوت الخشب ويربط هذا الجهاز بالحبال والشبكة ويحمل فوق الرأس العبيد الذين يقسمونه إلى ثلاث حمولات يوصلونه إلى بيت العروس حتى وإن كان خارج القصر؛ وكانت العروس شريفة الأصل تُجهز بجهاز يليق بمقامها ومكانتها الإجتماعية من أهم ما تتجهز به من الفراش والثياب والمجوهرات من ذهب وفضة⁴.

¹ زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية في بيتها نفس اليوم، على الساعة: 16:17.

² سورة النساء الآية 04.

³ زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية في بيتها نفس اليوم، على الساعة 18:45.

⁴ Selka abderhmane: notice sur le touat bulletin de la societe de geograpgie dec adrar 1913 P:552.

ويعقد قران الزواج في إحدى المساجد على يد القاضي، وللعروس أن تؤكّل من يعقد عليها النكاح من غير وليها، مثل أخيها وإذا غاب والدها يمكن أن يزوجه إخوتها، ويمكن للزوجة أن تشرط شروطها للعقد مثل: أن لا يمنعها زوجها من زيارة أقاربها وجيراتها وغيرها¹.

من بين التحضيرات التي كانت تقوم بها العروس وهي تحضير البخور الذي يتكون من (المسك والمستكة والجاوي والزعفران والنوار وبعض العطور الأخرى، فتطحن هذه المكونات في الحجر التقليدي كروي الشكل ويعجن في أواني العروس ويوضع في طبق دائري مصنوع من سعف النخيل ويعرض للشمس حتى يجف بعد تشكيله على شكل كريات صغيرة وتتبخر منه العروس والبعض تهديه أم العروس لقربياتها وصديقاتها².

(د) - مراسم الزواج:

أما عن مراسم الزواج فالبعض منها لازال مستمراً إلى يومنا هذا فكانوا يتفقون على تحديد يوم الزفاف حتى تزف العروس إلى بيت زوجها وتقام لها ولائم وتتم فيها دعوة كل أعيان القصور المجاورة، وتستمر تلك الولائم لمدة ثلاثة أيام ويتم فيها دق الطبول ونفخ المزامير وبعض الرقصات الفولكلورية وفي يوم الثالث من العرس يؤخذ العريس إلى المسجد مرتدياً البرنوس الأبيض والسيف³ وتوضع له الحناء في يده كفال له بالخير⁴ ثم بعد إكرامهم بالطعام والشاي يشيع العريس إلى بيته برفقة زملائه ويقروون البردة⁵.

ووفق عادات وتقاليد ترافق العروس الجدة والوزيرة ويجلسان بجانبها فتشرع إحداها بتخصيب الحناء التي توضع بعناية خاصة ودقيقة على يديها وأرجلها تغطي يدها بورق الكرنكا وتربط بالسعف وتلبس العروس في ليلة الحنة لباس تقليدي بأبهى الألوان، أما في الليلة التي تلي ليلة

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبلية، المخطوط السابق، الورقة 69.

² عائشة مباركة شاري: من قصر كوسام مقابلة عن طريق الهاتف يوم: 2018/11/03، على الساعة 11:12.

³ ويحمل السياف للحماية من الأرواح الشريرة والبعض الآخر يفسرها على إظهار العريس رجولته للعروس ويعلن من خلاله أنها محمية معه.

⁴ أحمد الحمدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره (870-909هـ)، رسالة ماجستير في

التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: عبد الحميد بن نعيمة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران،

2000/1999م، ص ص 46-47.

⁵ محمد باي بالعالم، الرحلة العلية، ج2، المصدر نفسه، ص 292.

الحنة يكون احتفال الزفاف الذي تحلى فيها العروس بأساور فضية جميلة وتعلق لها عقود في رقبتها بمختلف الألوان والأشكال وتعلق لها القروط أو ما يعرف بالخراس¹.

(5)-الزيارات بالمراكز البلبلية بتوات:

اشتهرت منطقة توات بموسم الزيارات² وأول من أسس الزيارة هو بلقاسم بن الحسن بن عمر³ الذي ارتحل إلى تادلة بالمغرب وبعد رجوعه أسس زاوية لنفسه واتبع الطريقة الشاذلية وتخرج على يده العديد من الطلبة⁴.

وهذه المناسبة تتكرر كل سنة حسب التقويم القمري والشمسي، إلا أن أغلب الزيارات بالمنطقة تقام في موسم الحصاد الذي تتوفر فيه الخضر بالبساتين كشهر مارس وأفريل وماي ليسهل عليهم توفير حاجيات الإطعام لجميع الضيوف بحيث لا نكاد نجد قصر بمنطقة توات ليس له زيارة فهي تمثل تظاهرة ثقافية وإجتماعية شاملة⁵ لأحياء المناسبات الدينية مثل: مناسبة المولد النبوي الشريف وعاشوراء ويوم عرفة كما ترتبط هذه المناسبة لإحياء ذكرى عالم جليل أو ولي صالح، فيحضر الطعام والتمر والشاي ويأتي المدعوون من كل القصور وبأعداد كبيرة⁶.

يمكننا إدراج هذا النوع من الإحتفالات إلى احتفال ديني محض باعتباره مرتبط بإحياء ذكرى الولي الصالح، فيجهز الرجل ويحمل كل تكاليف هذه المناسبة أما المرأة فتتكفل بالطبخ

¹ زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية في بيتها يوم 2018/09/27 الساعة: 17:30.

² تعرف في بعض مناطق خارج توات باسم "الوعدة" التي تشتق من الفعل "وعد"، بمعنى تعهد على شيء ما، وأخذ على عاتقه تطبيقه وهي بمعنى النذر فيتعهد أحد بإطعام عدد من المحتاجين، أنظر: نور الدين طوالي: الدين والطقوس والتغيرات، ترجمة: وجيه البعيني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م، ص 123.

³ بلقاسم بن الحسين: هو الشهير المرابي الكبير السيد الحاج أبو القاسم بن الحسن بن عمر بن موسى بن الحسن بن يوسف بن داود بن محمد بن سلطان بن التميم بن عمر بن ملوك بن موسى بن مدام بن دان بن سكناس بن معزود بن قيس بن محمد بن محمد بن بان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه أجمعين، له تأليف عديدة منها: قصيدة التوحيد بالشعر الملحون، وأيضاً له قصائد في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم بالشعر الملحون، أنظر: محمد بن عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، المرجع السابق، ص 145.

⁴ محمد حوتية، توات والأزواد، ج2، المرجع السابق، ص 374.

⁵ عز الدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، المرجع السابق، ص 89.

⁶ عبد العزيز الفشتالي: مناهل الصفا في مآثر مواليد الشرفا: تحقيق عبد الكريم كريم، ج2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دون مكان النشر، ص 373.

وإعداد الطعام للضيوف، وتحيي الفرق الفلوكورية والمديح وقرقابو والبارود، بالإضافة إلى بعض السهرات الدينية التي يقرأ فيها القرآن الكريم كاملاً ويعرف باسم "السلكة" وتقام مراسيم اللباس للولي الصالح وتتكفل بعض الزوايا الخاصة بالإطعام وإيواء الضيوف وبهذا فقد تأخذ هذه المناسبة كفرصة لإحياء وتوطيد الصلة بين العائلات وتوريث التراث الشعبي للأجيال ومن أهم هذه الزيارات المقامة في القصور الأسرة البلبلية هي:

موقعها	تاريخها	تسمية التظاهرة
(1) زيارة كوسام	14 مارس	الخمسة أخوة (خمسة خوات)
(2) بني تامر	أول جمعة من أبريل الفلاحي	بن عزيزي
(3) ملوكة	19 ربيع الأول	سيد الحاج بلقاسم
(4) برينكان	29 أبريل	سيدي مأمون البلبالي ¹

وتدوم مدة هذه المناسبة ثلاثة أيام:

اليوم الأول: يطلق عليه الميز الأول.

اليوم الثاني: يطلق عليه الميز الثاني.

اليوم الثالث: يسمى يوم الزيارة وهو اليوم الأخير الذي تتم فيه الفاتحة وتتمارس فيه بعض الرقصات الفلوكورية ويحضر فيه عدد كبير من الضيوف، وقبل صلاة المغرب تقام بساحة القصر خطبة من طرف أحد فقهاء المنطقة ويصلي المغرب وتختتم الزيارة بالفاتحة والدعاء إلى الله ثم بعدها يتجه الحضور إلى البيوت لتناول العشاء ثم يتوجهون لحضور بعض الرقصات الفلوكورية مثل: البارود والحضرة، قرقابو؛ وكان ولا زال لهذه المناسبة² أهمية كبيرة في المجتمع التواتي عامة ومن أهمها:

¹ كتب بواسطة: مديرية السياحة لولاية أدرار: أهم التظاهرات السياحية والثقافية والإقتصادية بإقليم توات (ولاية أدرار)، متاح على الرابط: www.laouit.net بتاريخ: 2018/06/24.

² رغم الدور الإيجابي الذي تقدمه هذه المناسبة إلا أن لها بعض السلبيات التي جعلت الكثير يتعد عن الإحتفال بما مثل: تكليف الفقراء الذين لا يستطيعون حمل كل هذه المصاريف وخاصة أنه في بعض القصور تتواجد به كثرة الأولياء الصالحين مما

- 1 اتخذت هذه المناسبة كفرصة لإحياء وتوطيد الصلة بين العائلات وزيارة الأقارب والأحباب.
- 2 فتح أبواب الصدقة والخيرات بين أفراد المجتمع فيأكل الجميع الزوار ويسهرون ويستأنسون ويلتقي فيها الغني والفقير ويأكلون في صحن واحد.
- 3 شهدت هذه المناسبة في السنوات الأخيرة وفي معظم القصور التواتية سوق تجارية يستغلها التجار لبيع سلعهم فهم يحققون أرباحاً كبيرة على خلاف الأيام الأخرى.

(أ) - إحياء زيارة سيدي أمبارك البلبالي بمركز برينكان:

زيارة سيدي أمبارك البلبالي كما يروي عنها الحاج الطيب البلبالي كانت فكرة سيد المأمون البلبالي حيث خصص مقدار من القمح لتغطية كلفة مصاريف هذه المناسبة وأوصى بها أن تقام كل عام بنفس التاريخ الذي يصادف 29 أفريل من كل سنة ؛ ويتم التحضير لهذه المناسبة قبل مدة وجيزة من قدومها يفتل الكسكس المعروف بـ "تبركيش العيش" ثم يجمع مقدار من المال من عند كل رب أسرة من أجل تغطية مصاريف هذه الزيارة كما يجمع مقدار عن كل امرأة في الأسرة البلبلية لشراء الأواني المستعملة في يوم الزيارة بالإضافة إلى شراء الجير لطلاء ضريح سيدي أمبارك البلبالي¹ وتدوم مدة هذه المناسبة يومين في اليوم الأول يعرف بالطحين حيث تقوم كل أسرة على حدى بإقامة وليمة خاصة بها يعزمون فيها أقاربهم وأصدقائهم، وفي اليوم الثاني تجتمع العائلة للتحضير العشاء الجماعي وقبل ذلك فبعد صلاة العصر ذلك اليوم يخرج الأطفال إلى المقبرة سيدي مبارك البلبالي ويأخذ كل واحد منهم قسطه من الخميرة (وهي خبز صغير الحجم يعد من الفرينة والخميرة) ويشاهدون طريقة تجيير القبر وأخذ ما يسمى بالزيارة وهي قبضة صغيرة من العيش يأخذونها مقابل مبلغ رمزي من المال ويأخذ بعض من الجير ويضعون فوق وجوههم².

أضحت هذه المناسبة راسخة في نفوس الأجيال تتوارث جيل عن جيل مشكلةً تراثاً شعبياً يشترك فيه جميع البلباليون سواء منهم من يقطن بمدينة أدرار أو تيميمون، وقد يستغل بعض أعيان الأسرة هذه المناسبة لعقد قران أبنائهم وبناتهم للتحلي ببركة أجدادهم، وما يميز هذه المناسبة أنها

يتوجب عليهم أحياء هذه المناسبة ثلاث مرات أو أربعة في العام الواحد، وكذلك الإختلاط بين الرجال والنساء في السهرات الفلكلورية وهذا ما نهي عنه الشرع.

¹ الطيب بلبالي: من أعيان قصر برينكان، مقابلة شفوية بمقر الخزانة، يوم: 25 أوت 2018، على الساعة: 17:22.

² حياة بلبالي: من أعيان قصر برينكان، مقابلة شفوية في بيتهم: يوم 29 أفريل 2018، على الساعة: 19:17.

تخص البلباليون المتواجدين بزقاق البلباله دون مشاركة العائلات الأخرى القاطنة بقصر برينكان، يشتركون بتقديم وجبة العشاء في ساحة قرب زقاق بلباله بعد تنظيفها وتجهيزها، ويستعدون الأئمة وحفظة القرآن الكريم وبعض وجهاء من أعيان القصر بالإضافة إلى الضيوف من خارج القصر، فيجتمعون ويرتلون أحزاب من القرآن الكريم يوضع العشاء المكون من الكسكس والبيض واللحم وبعض الخضرة الموسمية وبعد الإنتهاء يشرعون بالختم الجماعي يدعون بالدعاء لأجدادهم¹.

(ب) - إحياء زيارة قصر ملوكة:

تقام بملوكة ثلاث زيارات² وهي كلّها زيارات للولي الصالح سيدي الحاج بلقاسم.

الزيارة الأولى: وهي مرتبطة بيوم عيد الفطر، وتمثل هذه الزيارة وسيلة من وسائل التضامن والتكافل الإجتماعي فمنذ طلوع شهر رمضان يجتمع سكان القصر ملوكة للقيام بالعمل الجماعي المعروف بـ "التوزيع" من أجل إزاحة الرمال المتراكمة على الضريح ويشاركوهم السكان القصور المجاورة مثل ميمون وواينة والمنصور وأولاد بوحفص؛ فبعد أن ينتهوا من قضاء أعمالهم في بساتينهم يتوجهون بفؤوسهم مباشرة للمساهمة في توزيع³، وفي صباح يوم عيد الفطر تقام الفقرة⁴ حيث يجتمع أهالي السكان المجاورة كما ذكرنا سابقاً (المنصورية، ميمون، أولاد بوحفص وكوسام) من أجل إحياء ذكرى جدهم ويصلون صلاة العيد ويتلون أجزاء من القرآن الكريم، كما جرت العادة أن كل عائلات في قصر ملوكة عليها بتقديم "ماعون⁵ من الطعام" أي طبق من الكسكس لضيوف الفقرة، وبعد الفراغ من القراءة يوضع الطعام بين أيديهم فيباشرون الأكل ويحتمون الختم الجماعي ثم يفترقون على أمل الالتقاء في الزيارة الثانية حيث تقام الفقرة الثانية بعيد الأضحى من أجل إحياء ذكرى جدهم مرة أخرى وتقام توزيع في اليوم المصادف ليوم التاسع من ذي الحجة فيجتمع سكان القصر مرة أخرى من أجل إزاحة الرمال وتقرع الطبول وراء آذان المغرب ويجتمع

¹ عائشة بلبالي: من أعيان قصر برينكان، مقابلة شفوية في بينهم يوم 29 أبريل 2018، على الساعة: 20:16.

² يضاف إلى تلك الزيارات الثلاث زيارة الولي الصالح محمد بن عبد الرحمان الميموني المعروفة بزيارة الميموني حيث تشارك في إقامتها القصور الثلاث ملوكة وميمون وواينة.

³ توزيع: لم تبقى هذه العادة حالياً وخاصة بعد أن تم إزاحة الرمال بشكل كلي على ضريح الولي الصالح وأصبح للضريح باب

⁴ الفقرة: هي لفظ محلي يطلق على أتباع طريقة صوتية ما.

⁵ الماعون: هي وجبة طعام الكسكس تقدم لعشرة أشخاص يلتفون حولها بشكل دائري وتوضع في وسطهم.

سكان القصور المجاورة من أجل الاستئناس وتقام له مأدبة مرة أخرى في صباح الموالي للعيد الأضحى¹.

أما الزيارة الثالثة: يقوم البلبالين بقصر ملوكة بإحياء ذكرى جدهم سيدي الحاج بلقاسم الذي يصادف اليوم السابع من المولد النبوي الشريف بتاريخ 18 ربيع الأول وتقام له وعلى مرحلتين خلال يومين متتاليين.

اليوم الأول والمعروف بالميز الأول حيث تقام تويذة الأخيرة في العام وتقرع الطبول منذ آذن المغرب إلى العشاء ثم بعد العشاء تقرع الطبول وتقام الحضرة، وفي اليوم الموالي المعروف باليوم الزيارة تقام مأدبة غذاء وعشاء ويفتحون بيوتهم للضيوف الوافدين عليهم من داخل القصر وخارجه ويستدعون أحبابهم وأصحابهم ومن تربطهم صلة الرحم بهم، فيطعمونهم كل حسب طاقته وقدرته ثم بعدها تحتّم مراسم الزيارة للولي الصالح سيدي الحاج بلقاسم².

(ج) - زيارة بمركز بني تامر:

يقام في هذا المركز زيارتان الأولى هي للولي الصالح بن عزيزي والمعروفة بتاريخ 22 مايو (ماي) فيكون التحضير لها قبل موعدها بأيام قليلة حيث تحضر النسوة الكسكس وتجهز الخبز المعروف باسم خبز القلة وتستمر هذه المناسبة ليومين أو ثلاثة أيام في اليوم الأول والثاني مخصص لتحضير وتجهيز المناسبة وكذلك يأتي بعض الضيوف أما اليوم الثالث المعروف باسم الزيارة حيث يمتلئ قصر بني تامر بالضيوف تقام لهم مأدبة الغذاء والعشاء وتقرع الطبول والأهازيج المختلفة ويأتي الناس من كل صوب إليها.

وتقام وعدة أخرى والمعروفة بزيارة سيدي الحاج مُجَّد وهي الأخرى تقام لها نفس العادات والتقاليد المعروفة للزيارات، إلا أنها أقل شهرة من زيارة سيدي بن عزيزي³.

¹ فاطمة الزهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، مقابلة شفوية بيتهها، يوم: 2018/08/10م، على الساعة: 20:13.

² فاطمة الزهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، مقابلة شفوية معها بيتهها، بقصر ملوكة نفس اليوم والساعة.

³ سهام بونعامة: من أعيان قصر بني تامر، مقابلة شفوية بمنزلهم بقصر بني تامر، يوم: 2018/04/25م على الساعة:

وحسب ما وردنا من معلومات أنه لا توجد زيارة معروفة وخاصة ومحددة لشيخ عبد الكريم البلبالي بقصر بني تامر وإنما تحضر له بعض الولايم كصدقة جارية على روحه فتقام هذه المأدبة بالبيت الشيخ حالياً بني تامر ويستدعي لها البعض الضيوف من خارج القصر وداخله من أجل قراءة القرآن والترحم على روحه -رحمه الله- كما يقام في منزل الشيخ لعدة سنوات مأدبة يأتيها الناس من كل صوب قصد افتتاح البخاري بزواية الشيخ سيدي عبد الكريم المعروفة "بدار القراءة" ويختتم في زاوية مهدية ويحضر لهذا الإختتام جمع غفير من الأئمة والضيوف¹.

(د)- زيارة مركز كوسام:

تقام في هذا القصر زيارتان الزيارة الأولى وهي المشهورة ومعروفة باسم زيارة خمس خوت أو الإخوة الخمس، تقام بتاريخ 14 مارس من كل سنة وخصص لهذه الزيارة يوم واحد حيث تقام فيه مأدبة غذاء وعشاء الذي يتناوله جميع رجال القصر وضيوفهم في ساحة القصر مباشرة بعد صلاة المغرب ؛ أما الزيارة الثانية والمعروفة باسم زيارة العلماء ليس لها تاريخ محدد وإنما يحددها لهم الشيخ المعروف بقصر أولاد ابراهيم إسمه مولاي العربي قريشي، تقام لمدة يومين تحضر فيها النسوة الغذاء والعشاء كسائر الزيارات الأخرى².

ثالثاً: العادات والتقاليد .

- تعريف العادات والتقاليد:

العادات والتقاليد هي مجموعة من القوانين وأسلوب الحياة المتبعة لدى أمة أو شعب أو جهة معينة ويمكننا أن نعرف هاذان المصطلحان بالتفصيل.

فالعادات: هي ما يُعيدده ويكرره الإنسان مراراً، وهي سلوك إجتماعي متكرر يتم توارثه، وهي سلوك إجتماعي جبري ملزم وأحياناً تكون العادات فردية ولها أهمية كبيرة في كونها تمثل لنا دعائم أساسية تبنى عليها ثقافة مجتمع، كما أن لها أنواع كثيرة منها عادات قديمة متوازنة والتي تعرف بالعادات التقليدية، وهناك عادات جديدة وحديثة ومن بين مميزاتا وخصائصها: أنها تلقائية

¹ مباركة مبدوي، من أعيان قصر بني تامر، مقابلة عن طريق الهاتف، يوم 03/08/2018، الساعة 18:40.

² سمية شاري، من أعيان قصر كوسام، مقابلة شفوية بمنزلة بقصر بكوسام، يوم: 25/03/2018م على الساعة: 18:30.

تتكون بصورة غير واعية في المجتمع والزامية جبرية بحيث يفرضها المجتمع على الفرد فيجد نفسه ملزماً على إتباعها كما أن بعض العادات تكون متصلة ببعض المناحي الأسطورية والخرافية وبعض المعتقدات الفاسدة وهي متغيرة بتغير الزمان والمكان ومختلفة من مجتمع لآخر¹.

أما التقاليد: فهي سلوك فردي تبنته جماعة وتوارثته جيلاً بعد جيل ويظهر لنا جلياً في ممارسة بعض المراسيم والشعائر الدينية؛ وتمثل التقاليد طائفة من القواعد والسلوكيات التي تخص طبقة معينة أو ترتبط بيئة محدودة النطاق وتتميز عن العادات في كونها أقل إلزاماً منها².

وسوف نتطرق إلى معالجة بعض العادات والتقاليد المرتبطة بالدور الحياة بالقصور البلبلية ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

(أ) - الختان: الختان لغة: قال في مختار الصحاح (أصل الختن القطع والختان والختانة موضع القطع من الذكر وموضع القطع من الأنثى - يكون من النواة الجارية - وتسمى الدعوة للختان ختانا³).

إصطلاحاً: وهو قطع الجلد التي فوق الحشفة الذكر والحكمة من الختان أنها من محاسن الشرائع التي شرعها الله سبحانه لعباده وأرشدنا الرسول (ص) إلى فعله فإنه خير ولا شك في ذلك ولا بد من التسليم بما أمرنا وجاء في قوله تعالى: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا " ⁴.

تم هذه العملية بعد بلوغ المولود مرحلة معينة فيقوم والده بختانه حيث حرص سكان المنطقة على الختان وكانوا يفضلون بلوغ الصبي سن ستة أو سبعة سنوات إلا أن الأمور تغيرت حالياً حيث أصبحوا يختنون أولادهم في السنوات الأولى والبعض يفضل الختان في الأسبوع الأول

¹ عبد الغني عماد: العادات والأعراف والتقاليد والتراث الشعبي في العلوم الاجتماعية، متاح على الرابط:

www.tourathtripoli.com، ص ص 2-3. لا يوجد تاريخ النشر، تاريخ الزيارة: 2018/05/13.

² لزه مصادفة: في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)، مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث

اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد: 9، جوان 2017، المركز الجامعي ميله الجزائر، ص ص 36-37.

³ محمد بن مكرم بن المنظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 3، بيروت لبنان، ص ص 137-138.

⁴ سورة الأحزاب: الآية 36.

من الولادة لتفادي الأمراض ولسهولة الشفاء، ويسمى الختان بالمنطقة بمصطلح "الزيانة" وربما يقصد بها زينة الصبي بعد هذه العملية، ويسمى الرجل المختص بهذه العملية "بالزيان"¹.

يتم التحضير للإحتفال بهذه المناسبة بعدما تخلصت الأم في الليلة السابقة الحنة في يده وقدميه ويحلق رأسه ويستحم والصبح الباكر يرتدي الصبي قميصاً أبيضاً واسعاً وتضع له الكحل في عينه وترتبط له بعض التمام² في رجله ويده؛ وبعد تجهيز الصبي يستدعى الطبيب المعروف بـ "الزيان" مصطحباً معه وسائله البسيطة متكونة من موسى حاد يلفه في قطعة قماش وقايةً من الأوساخ، وزيت الزيتون لتعقيم الجرح وقطعة قماش لإيقاف النزيف الدموي³.

وبعد الإنتهاء من العملية تزغرد النساء وتفرح الطبول ويقدمون له وجبة تساعد على استعادة قوته مكونة من البيض واللحم وطبق مثل المردود، وتقام بهذه المناسبة مأدبة غذاء للأقارب والأحباب وسكان القصر فيكرمون ضيوفهم ويقدمون لهم كل ما يستطيعون تقديمه وتتلقى الأم والجددة التهاني على بلوغ الطفل هذه المرحلة، وتستدعى بعض العائلات فرقة فلكورية لمشاركتهم هذه المناسبة مثل: فرقة البارود وقرقابو؛ والختان في قصر ملوكة مثلاً: كان مثله مثل العرس فتستدعى الأم ضيوفها وكل أهل القصر قبل موعد الختان بمدة ويقدمون بعض الهدايا المتمثلة في البيض أو التمر والقمح وغيرها وأهل البلاد يحضرون معهم الحطب للطهي، ولا يقام هذا الحفل في يوم الزيارات وإنما يخص لها يوم خاص به، وفي اليوم الأول يطحن القمح ويفتل الكسكس وفي الصباح الباكر يحضر الخادمت طهي الكسكس والمردود ويحضر المعازيم من الصباح الباكر قبل طلوع الشمس ويظلون إلى غاية صلاة العشاء ثم يغادرون بيوتهم⁴.

ومع منتصف القرن التاسع عشر ميلادي اختص مولاي جلول بعملية الختن بقصر ملوكة ثم كلف بعده مولاي الحسان⁵ ومولاي العرابي رحمهم الله، وتتم هذه العملية في حدود الساعة التاسعة صباحاً وفي الليل يدهن الجرح بالدهن ويضمد بالمورق "نبات القرعة" وفي الصباح تزال، وبعد دخول الأدوية في القرن العشرين كانوا يضعون فوق الجرح مرهم العيون ويدهنون به الجرح

¹ زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية في بيتها يوم: 2018/03/15، على الساعة: 11:30.

² هي عبارة من عشبة معروفة "بأم الناس" لتقيه من الشرور والحسد.

³ فاطمة زهراء بلبالي: نفس المقابلة شفوية في بيتها يوم: 2018/03/15، على الساعة: 11:30.

⁴ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، مقابلة في بيتها، 13 سبتمبر 2018 على الساعة 10:19.

⁵ مولاي حسان أصله من قصر أدغاغ، وهو المسؤول عن عملية ختن صبيان قصر ملوكة.

والبعض الآخر يفضل "الدهن العرب"، وبعد انتهاء العملية الختن يحملها الخادم وهو يبكي إلى البيت فتوضع له بيضة مسلوقة في فمه كي يأكلها فيفرح بها ويسكت ويوضع له ما تبقى من البيض في صحن وقطعة من اللحم يقال له "القصير" فيفرح به الطفل لقله اللحم في ذلك الوقت¹.

(ب)-الإحتفال بقدم المولود الجديد:

قال تعالى: " الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا"²، من اللحظات الجميلة والسعيدة التي يعيشها الإنسان وترسخ في ذاكرته ويكون لها وقعها الخاص على مسار حياته ساعة قدوم مولود جديد في حياته، إذ يضيف المولود الجديد جواً خاصاً من الألفة والإنس والسعادة التي يصعب وصفها، وإذا ولد المولود الجديد فإنه ينسب إلى أبيه استناداً لقوله تعالى: "ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ"³، وباعتبار أن الأولاد زينة الحياة الدنيا وقوة عين الإنسان في حياته وأنسبه في عيشته، فإنه من فضائل الشريعة الإسلامية ومحاسنها تلك التي اختص بها المسلمون عن غيرهم في أساليب التعامل مع أبنائهم ورعايتهم منذ ولادتهم عن طريق مجموعة من الأحكام والآداب والسلوكات التي ينبغي للمسلم أن يقوم بها إذا ولد له مولود جديد منها السرعة في أخبار الأب بما وهبه الله تعالى وتبشيره بذلك وفي قصة النبي زكريا عليه السلام جاء قوله تعالى: "يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا"⁴.

مثلت هذه المناسبة فرحة تحتفل بها نساء المجتمع التواتي حيث يسارعن إلى زيارة أم المولود وتهنئتها والحمد لله لسلامتها ولمولودها الجديد فبعد مرحلة الحمل والوحم والولادة تدخل الأم في مرحلة جديدة يطلق على هذه الفترة بمدة النفاس التي تصل إلى أربعين يوماً فهذه المدة لا يخلو بيتها من الزوار والضيوف حيث يزورها الأقارب حاملين معهم بعض أدوية أعشاب، وفي هذه الفترة تحرص الأم على تغطية مولودها فيصنع له مرقداً من الحديد أو الخشب ويغطي بعناية كبيرة

¹ زهراء موساوي: من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة في بيتها يوم 2018/09/28، على الساعة 13:18.

² سورة الكهف: الآية 46.

³ الأحزاب: الآية 5.

⁴ سورة مريم: الآية 7.

حتى لا يراه أحداً من الزوار ماعدا بعض أفراد العائلة فقط لتجنب "النفس" في اعتقادهم وتوضع بجانب رأسه ربطة صغيرة من القماش بها حبوب من عشبة أم الناس لتحصينه من الشرور وجميع الأضرار¹.

فالتسمية المولود الجديد بالمنطقة لها عدة أبعاد تاريخية فإذا توفي جد الأسرة أو والد الأب

وتسمية المولود القادم حتماً ستكون على أبيه أو جده مثل: عبد الرحمان بلقاسم، أمبارك، عبد الكريم، وغيرها من الأسماء الأخرى، كما نجد في قصر برينكان على سبيل المثال أغلب أسمائهم ترجع في أصلها إلى أجداد البلباليين وأحفاده الأوائل وهذه العادات متوارثة إلى يومنا هذا ؛ بالإضافة إلى للبعض من أسماء الله الحسنى أتباعهم لسنة الرسول ﷺ فنجد بعض تسميات واردة مثل: عبد الله عبد الكريم عبد الرحمان عبد العزيز وغيرها، ومن أكثر الأسماء شيوعاً في المنطقة اسم محمد نسبة إلى رسول الله ﷺ وبعض أسماء التي عرفها بها مثل: المصطفى البشير محبة للرسول الله ﷺ، وتتم تسمية المولود الجديد في اليوم السابع بحضور العائلة والأقارب والجيران وتقام وليمة غداء أو عشاء في هذا اليوم ويتطهر المولود ويغسل ويلبس ملابس جديدة وتوضع له كحل في عينه والزعفران في وجهه، ويقوم بذلك عادة جدة من الأب أو الأم أو امرأة كبيرة في القصر وتكون على دراية بهذه الأمور ويطبخ الفول ويقسم على جميع الحضور³.

(ج) - الوفاة: الوفاة لغة: الوفاة في اللغة جمع وفيات وتعني الموت⁴.

الوفاة اصطلاحاً: والوفاة في الإسلام هو خروج الروح من الجسد بواسطة ملك من الملائكة وهو ملك الموت وجاء في قوله تعالى: "قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ"⁵ وقال أيضاً: "أَنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ"⁶، والموت عند كافة المسلمين هو انتقال الروح من الجسد إلى ما أعد

¹ زهراء موساوي: أعيان قصر أولاد بوحفص، نفس مقابلة في بيتها يوم 2018/09/28 على الساعة 18:13.

² حياة بلبالي: ابنة أخ المسؤول عن الخزانة، مقابلة معها ببيتها بقصر برينكان مقابلة يوم: 2018/06/15م، على الساعة: 11:30.

³ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة في بيتها، يوم 18 سبتمبر 2018، على الساعة: 18:45.

⁴ المنجد في اللغة والأعلام، ط40، بيروت، لبنان، دار المشرق، 2003، ص 911.

⁵ السجدة: الآية 11.

⁶ سورة النساء: الآية 97.

لها من نعم أو عذاب والروح مخلوقة خلقها الله تعالى كما خلق سائر الكائنات، فكل نفس ذائقة الموت فالموت نهاية محتومة لكل شخص، ولهذا سوف نحاول أن نقف عن أهم العادات والتقاليد المرتبطة بالجنائز في منطقة توات عموماً وقصور الأسرة البلبلية خاصة.

الجنائز في توات عموماً:

بعد التأكد من خروج روح الميت ينشر خبر الوفاة في أنحاء القصر وكذا القصور المجاورة له ويحدد موعد الصلاة الجنائز، ومن الطقوس الغسل المعروفة هي: إذا كان الميت رجل يتكلف بغسله الرجال وإذا كانت امرأة تغسلها النساء مثلها، ويحضر الحنوط لتحنيط الميت قصد حفظ الجسم وتطهيره وإعطائه رائحة زكية، وأثناء عملية الغسل يردد سورة يس حتى نهاية ويكفن بقطعة من قماش أبيض ثم يدفن الميت ومن عادات أهل المنطقة أنهم يضعون على طول القبر جريدة من النخيل خضراء لتخفيف العذاب حسب إعتقادهم وتوضع حجرتان أحدهما على الرأس والثانية عند القدم كي لا يحتفي معالم القبر بعد مرور زمن¹.

من العادات المعروفة في المنطقة أنه بعد وفاة الرجل تستقبل أرملته² زوار القصر ليقدمون لها العزاء، وفي اليوم الرابع من ترملةا ترتدي الأرملة قماشاً من كفن زوجها وتبقى مخفية عن أنظار الناس ولا تتحدث ولا ترى أحد وخاصة من صلاة العصر إلى المغرب لمدة العدة كاملة والتي تدوم حسب الشريعة أربعة أشهر وعشرة أيام وفي هذه الفترة يمنع عليها وضع العطور والحلي والضحك بصوت عالي وغيرها من الأمور التي تبدي بها حزنها على فراق زوجها³، وكانت تحضر الخادمة كل يوم البيت لتساعد الأرملة في الإستحمام فتقوم بحراستها ثم تأخذ ملابسها لغسلهم، وبعد خروج من الرباط تجمع النسوة في بيت الأرملة ويفتل الطعام (كسكس الشعير) ويحضر مع رأس الخروف والمعروف باسم "بوزلوف" والذي يخصص للأرامل والبنات العازبات الكبار في السن فقط حيث لا يأكله النسوة المتزوجين ثم يخرجون إلى الخارج ويحفرن لها حفرة الحازن ويقرعون الطبول ويغنون أغنية من التراث "يقولون فيها أنا رجيت مولانا ما يخيني" وبعد حفر حفرة الحازن توضع فيها ملابسها

¹ عائشة مباركة شاري من قصر كوسام، مقابلة عبر هاتف مع يوم 2018/11/03، على الساعة 11:12.

² والمعروف بالمنطقة أنه إذا توفي رجل امرأة فإنها ملزمة شرعاً بالعدة المعروفة بالمنطقة باسم "الرباط" ويطلق عليها اسم "الرابطة" ويقصد بها الإرتباط بيتها وعدم الخروج منه إلا عند الضرورة فتمكث لمدة 4 أشهر و10 أيام وفي هذه المدة يرونها الأحباب والأقارب للاطمئنان عليها.

³ المؤلف مجهول، مخطوط علامات توات سكان قصور تجارة صناعة، المخطوط السابق، الورقة 55.

ونعالها وتدفن جميع أغراضها المستعملة في العدة حسب معتقدتهم أنها تضع البأس والضرر بعد هذه العادات ثم تترين بالكحل والمسواك وتلبس الروبة الجديدة، وبعد رجوعها إلى القصر فتخلصها من عدتها تسترجع حياتها الطبيعية، إلا أن المرأة البلبلية لم تكن مثل نظيراتها التواتيات تجول في أنحاء القصر فهي معفية من هذه الطقوس لأن علماء الأسرة منعوهم من القيام بهذه المراسيم والطقوس¹.

أما بالنسبة لإطعام الضيوف في الأيام الأولى من الوفاة فهناك من يقوم بإعداد الطعام ويتكفل أهل الميت بإكرام ضيوفهم وأهل القصر أيضاً، وفي بعض القصور الأخرى يمنع إشعال النار في منزل الميت لمدة ثلاث أيام الأولى، ويتعاون أهل القصر ويتكفون باطعام ضيوفهم، ويستعدون حفظة القرآن الكريم إلى بيت الميت ويقرؤون القرآن الكريم لمدة ثلاثة أيام بعد صلاة العصر، وبعد مرور أربعين يوماً يعاد أحياء ذكرى الميت يقوم أهله بدعوة الأقارب والجيران ويدعون طلبة حفظة القرآن الكريم لمنزله لختم القرآن الكريم ترحماً على الميت وبعد الإنتهاء من القراءة يقدم لهم وجبة الكسكس واللحم والفاكهة الموسمية ويقرأ الدعاء ويسمى هذا اليوم بالسلكة².

(د) - المرأة البلبلية:

المرأة البلبلية محافظة على عاداتها وتقاليدها وملتزمة ببيتها لا تخرج منه قط وإن استدعتها الضرورة للخروج تغطي بسلهام من رأسها لا يظهر منها أي شيء ويُقودها أحد من أفراد عائلتها إلى المكان المراد الذهاب إليه هذا عند الضرورة فقط، أما بالنسبة لخدمتها في البساتين فأوكلت هذه الخدمة للعبيد أو الخادومات البيت وهي تقوم بكل شيء وأثناء موسم الحصاد وأن استدعتها الضرورة لذهابها إلى بستانها فتذهب عند الصباح الباكر وقبل طلوع الشمس حتى لا يراها أحد وتزاول أعمالها في السقيفة كانت تنصب في حقلها حتى لا يراها أحداً وتقوم بخدمة بستانها داخل تلك السقيفة وتظل هناك إلى غاية العشاء حين تفرغ الشوارع فتخرج من بستانها قاصدةً بيتها حتى لا يراها أحد من الرجال³.

¹ زهراء موساوي، من أعيان قصر أولاد بوحفص، مقابلة شفوية ببيتها، يوم 20 جويلية 2018 على الساعة 15:18.

² حياة بلبالي: ابنة أخ المسؤول عن الخزنة، مقابلة في بيتها بقصر برينكان يوم: 2018/06/15م على الساعة: 12:30.

³ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة شفوية في بيتها، يوم 2018/9/18، على الساعة: 18:30.

(1) - الولادة والنفاس المرأة البلبلية:

حين يحين وقت الولادة ترسل الأم زوجها خادمة البيت لتخبر القابلة الموجودة في القصر لتساعدها على الولادة وتقطع لها السرة، وبعد أن تلد الأم يوضع المولود فوق صدر أمه لكي تغمره بالحنان في كبره وهذه العادة متواصلة إلى يومنا هذا، وبعد أن تضع الأم مولودها يوضع بين يديها طبق يعرف باسم "الفياض" وهو مكون من القمح وتدلاغ العدس يطحن بالرحى ويطهى مع الفلفل والشحم واللحم وبعض التوابل وثم يفقص فيه البيض، يخصص للنفساء أكلها الخاص وفي أسبوعها الأول تأكل بيض الدجاج المرطب في البيت حيث تجمعه قبل ولادتها وفي يوم السابع الذي يعرف بيوم السبوع تذبح العقيقة في هذا اليوم وتدعو الجيران والأقارب والأصدقاء وتقام لهم مأدبة عشاء تعرف باسم المردود أو كسكس الشعير مع رأس الخروف المعروف باسم "بوزلوف"¹. وتعفى النفساء من جميع أعمال البيت اليومية حتى ملابسها وملابس مولودها تخصص لها الخادمة لغسلهم فهي ملزمة بالأكل والشرب لرعاية مولودها الجديد².

(2) - الحرف اليدوية للمرأة البلبلية:

كانت المرأة البلبلية تقيم نفسها في بيتها فلا تفتنى أي شيء من خارج بيتها، وكانت البنت العزباء³ في المنزل تتعلم من أمها لتصبح مثلها في يوم من الأيام فتقوم بعجن الطين وتحضيرها لتصنع منها أدوات تغيينها في مطبخها اليومي مثل قدر الطين الصغير والطاجين وكذلك الصحون الكبيرة التي يفتل فيها الكسكس والمعروف باسم "القصري" فبعد صناعتها توضع هذه الصحون في الشمس وتحضر الخادمة الحطب وتوقده وتحرق الأواني الطينة حتى تصبح جاهزة للإستعمال⁴.

أما بالنسبة للنسج فكانت المرأة البلبلية تقوم بنسج ملابس أطفالها بأنامها وتلبس الصغير والكبير وخاصة في فصل الشتاء حيث تنسج القمصان من الصوف الملونة وتصبغها بالألوان

¹ المقصود من أكل الدجاج في الأسبوع الأول قصد نزع البرد تقوية عظام.

² يلبس المولود الجديد برنوس من الصوف إعتقاداً منهم أن المولود يغطي جسمه شعر رقيق، فيعمل الصوف على تطير الشعر الزائد منه.

³ أما بالنسبة للقراءة القرآن فكانت البنت العزباء تكتفي بالتعلم في بيتها تعلمها أمها كيف تقرأ بعض سور القرآن الكريم وتعلمها طريقة الوضوء والصلاة الصحيحة.

⁴ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة شفوية في بيتها يوم: 2018/05/11، على الساعة: 19:22.

المصبغة، وكانت المرأة البلبلية تقتني القطن من حقلها وتصنع به الأفرشة والأغطية التي تميزت بتنوع الألوان والبساطة في الأشكال الهندسية والزخرفة المستوحات من البيئة المحلية، بالإضافة إلى صناعة السلالة التي تعتمد في موادها الأولية على مشتقات النخيل فتُرسل الخادمة لجمع المواد المستخدمة ثم تقوم المرأة البلبلية بصنع القفف والحصائر الصغيرة وبعض أواني الحفظ مثل التدارة لحفظ التمر السفوف وبعض الأطباق مثل الطبق والطبقة وبمختلف الألوان والأحجام¹.

(هـ) - النمط الغذائي للأسرة البلبلية:

شكل القمح والشعير في غالب قوت أهل توات عموماً، فكان البلباليون يحضرون به أطباقاً عديدة ومتنوعة سواءً كانت يومية أو موسمية ومن بين هذه الأطباق المشهورة لدى البلباليون خلال فترة الدراسة هي:

1) الكسكس: يطلق على الكسكس اسم "العيش" ويعرف لهذا الطبق أهمية بالغة في المجتمع التواتي عموماً وهو ينقسم إلى 3 أنواع وهي:

أ - عيش الشعير: هو أحد أنواع الكسكس المتميز في المنطقة حيث يصنع من مادة الشعير ويميزه لونه القاتم وطعمه الحاد وهو من بين الأطعمة المحلية ذات خاصية علاجية فيوصف لمرض القلون العصبي.

ب عيش القمح: وهو الأكثر شهرة في المنطقة فيقدمه البلبالين في جميع المناسبات الزواج والختان الوفاة وغيرها، ويحضر له مرق أحمر مكون من الجزر والبصل والعدس البلاد واللحم، كما يتميز بوضع التوابل خاصة.

ج عيش لحشايش: هو دخيل على المنطقة واعتمده الأسرة البلبلية في أواخر القرن العشرين بعد الإختلاط مع سكان الشعانبة الذين قدموا من غرداية والأغواط، ويعرف أيضاً بعيش الصراير يخضر بالسميد والفريفة ويفضل أن يكون بالقمح البلدي وتمزج معه بعض النباتات الطبية والعطرية مثل حلبة والسانوج وحب الكروية وبذور الكمون والزعتر، والكيليل الجبل والسباس وأم ضريقة وحب حلاوة، فتجمع هذه النباتات وتطعن في الرحي التقليدية المصنوعة من الحجر

¹ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة شفوية في بيتها، يوم 18/09/2018، على الساعة: 18:30.

وتمزج بالسמיד والفريئة وتصنع بها الكسكس ويقدم في بعض المناسبات الخاصة مثل النفاس للنساء بمعالجة المغص وأدرار الحليب وتعويض الدم الذي فقدته.

(2) المردود: وهو أحد أنواع المعجنات التي تقدم في فترة الضحوي ببعض المناسبات مثل الأعراس والختان والإحتفال بالمولود الجديد بحيث تقدمه المرأة البلبلية لضيوفها يوم السبوع المولود الجديد وهذه العادة لازالت متواصلة إلى يومنا هذا.

(3) خبز أنور: سمي بهذا الاسم نسبة إلى الموقد الذي يطهى فيه والمعروف باسم "أنور" ويتميز بالخشونة ويسقى بمرق خاص به الكثير من البصل واللحم والعدس والقليل من الجزر¹.

(4) خبز القلة: وسمي هذا الخبز هو الآخر نسبة إلى الموقد الذي يطهى فيه والمعروف باسم "القلة"، وهي مخصصة لطهي هذا النوع من الخبز الذي يتميز بذوقه وبراقته ورقته إذا ما قرن بخبز آخر ويقدمه البلبلين في يوم العاشر للأطفال (يوم بيانو) فيمنح كل طفل قطعة معتبرة من هذا الخبز، وهناك من يقوم بتسقيته بالمرق الأحمر والبعض يسقى باللبن الذي يعرف باسم البلول اللبن².

(5) الكسرة: وهي نوع من أنواع الخبز يصنع من الدقيق المحلي الذي يزرع في البساتين فيعدل ويصفى ثم يطحن في الرحي التقليدية الحجرية ثم يعجن بالماء والملح ويحشى بالبصل والشحم وبعض التوابل وتطهى على شكلين إما تدفن في التراب الساخن وتسمى هذه العملية بالبوغة أو تطهى فوق وعاء يطلق عليه باسم الردفة.

(6) الحساء: هو حساء محلي يتكون من المادة الأولية وهي المعروفة باسم "زنبو" وهو عبارة من القمح الذي لم يبس بعد ويقتلع من جذوره ويشوى بالنار تحت الجمر تسمى هذه العملية بالبوغة في الأونة الأخيرة أصبح يطبخ في الماء فقط حتى يغلي ثم يبس وينشف ويطحن في الرحي الحجرية التقليدية ويطهى مع بعض التوابل المكونة من الكليلة ولختيم والفول الناشف.

¹ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة شفوية في بيتها، يوم 2018/08/29 الساعة 9:34.

² فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة نفس مقابلة شفوية في بيتها يوم 2018/08/29 الساعة 9:34.

(7) ملح البشير أو ملح البارود: تصنع من الدقيق المحلي الذي يخلط مع بعض المكونات مثل الفلفل الأسود والبقول السوداني وبذور البطيخ وبذور الكتان والبقول البابس ويقدم للمساجد التي تقرأ فيها البشير أثناء فترة المواد النبوي الشريف، لا تبج أصوات المقرئين وهي محبة عند الأطفال فيفرحون عندما تحضرها الأم البلبلية¹.

(8) بلول اللبن: يحضر هذا المرق حيث تضع المرأة البلبلية في آنية القليل من الشحم الذائب والزبدة ومسحوق الفلفل والقليل من الملح والعكري والقليل من مسحوق السانوج ومسحوق الفلفل الأسود والكمون تترك فوق النار قليلاً ثم يصب به فوق كمية معتبرة من اللبن ويحرك لبعضه لدقائق فوق النار ثم يسقى به الخبز أو الكسرة بعد تقطعهم قطعة صغيرة.

(9) السفوف: التي تعد من التمر الجاف مثل: تيمقور وتاقربوش حيث يشهم التمر من أجل فرز النوى والعلف والتمر المسوس وبعد عملية الفرز يوضع جزء منه في المهراس الخشبي كبير الحجم ويدق عدة دقائق حتى يصبح مقسم إلى أجزاء صغيرة ثم ينسف باستعمال الطبق لعزل الأجزاء الصغيرة عن الكبيرة وتكرر هذه العملية حتى الحصول على سفوف ويوضع في إناء تقليدي يعرف باسم "التدارة" وتأكّل في أوقات الضحى مع التمر الرطب².

رابعاً: العلاقات الإجتماعية للأسرة البلبلية.

يشير معنى العلاقات الإجتماعية إلى أن حياة الإنسان بطبيعتها حياة إجتماعية، وكونه إجتماعي بالطبع والقطرة فلا يمكنه العيش خارج الجماعة، لأن العلاقات بين البشر هي أساس الحياة الإجتماعية، فالعلاقة الإجتماعية هي: تصرف مجموعة من الأشخاص في تتابع متوافق بصورة تبادلية، وبهذا المعنى فإن العلاقة الإجتماعية ينطبق مصطلحها على استجابة الأفراد لتوافر الحد الأدنى من علاقة الفعل التبادلي على الجانبين، يمكن أن يكون المحتوى متنوعاً أشد التنوع مثل

¹ عائشة بلبالي: من أعيان قصر برينكان، مقابلة شفوية في بيتها، برينكان، يوم 2018/08/28 الساعة 9:48.

² فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة مقابلة شفوية في بيتها، يوم 2018/08/29 الساعة 9:34.

الصراع أو الصداقة أو التعاطف أو التبادل السوقي، الوفاء أو التنافس الإقتصادي ففي كل أنواع المحاولات فهي سلوك متواتر متوقع يحدث بين شخصين، فيؤثر أحدهما في الآخر ويتأثر به¹.

إن مصطلح إجتماع مأخوذ من مصطلح الجماعة والجماعة منقسمة إلى جماعة أولية وجماعة ثانوية وجماعة صغيرة وجماعة كبيرة وغيرها، كما توجد أصناف أخرى من جماعات وهي الجماعة الدينية والجماعات السياسية والجماعات المهنية².

إضافةً إلى جماعة الجيرة التي هي جماعة أولية غير رسمية توجد داخل المنطقة وحدة إقليمية صغيرة تمثل جزء فرعيّ من مجتمع محلي أكبر منها، ويسودها إحساس بالوحدة والكيان المحلي إلى جانب ما تتميز به من علاقة إجتماعية مباشرة وأولية ووثيقة ومستمرة نسبياً، فهذه الجماعة تتميز بالقرب المكاني للأعضاء بحيث يتواجهون يومياً والتفاعل بين الجيران يحدث بسرعة وخاصة إذا كانوا متساوين في درجة الثقافة والإمكانات المادية والمستوى التعليمي، بحيث في حالة المناسبات أو المشاكل أو الأحزان يتشارك أفراد الجيران القيام بأشياء الصغيرة وكبيرة ومفيدة³.

جماعة الدين: وهي من الجماعات الأساسية المكونة للمجتمع، فالبناء الإجتماعي لا بد له من سند روحي هذا السند لا بد له من جماعة تشرح للناس أمور دينهم وترشدهم في بيتهم وهم يدعون إلى الأخلاق الحسنة كالمحبة والتعاون والتآخي والتسامح والصدق والعدل وكل القيم الإنسانية الرفيعة مما يسمح لهم ذلك بتماسك أفراد المجتمع⁴.

علاقة الجيرة في الإسلام: اهتم الإسلام بتنظيم العلاقات بين الفرد وربّه وبين الفرد وأخيه وبينه وبين جيرانه فهذه العلاقة آثار إيجابية على الفرد وعلى المجتمع للوصول إلى هذه العلاقات والجار هو من جاورك سواءً كان مسلماً أو كافراً⁵.

¹ مصطفى بوجلال: العلاقات الإجتماعية في المؤسسة، محاضرات جامعة مُجْد بوضياف، المسيلة، السداسي الثالث علم الإجتماع تنمية موارد بشرية، سنة 2016/2017، ص 76.

² سعاد بن سعيد: علاقة الجيرة في السكنات الحضرية، رسالة ماجستير، إشراف: بن السعدى إسماعيل، قسم الإجتماع، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2007، ص 7.

³ نفسه، ص 17.

⁴ نفسه، ص 20.

⁵ نفسه، ص 38.

فالعلاقة الإجتماعية للأسرة البلبلية كانت مبنية ومعتمدة على الأسس الإسلامية شرعية سواء كانت هذه العلاقات إقتصادية أو إجتماعية أو سياسية وغيرها ؛ والقرآن والسنة النبوية كانتا الركيزة الأساسية التي شملت حياتهم الإجتماعية وظهر ذلك جلياً من خلال تنظيمهما للعلاقات بين الإنسان وربه وكذلك بين الإنسان وأخيه وكذلك بين الإنسان ومجتمعه فمثل البلباليون مكانة في المجتمع المحلي، بصفاتهم متميزة ويتبعون في أقوالهم أفعالهم ما أمرهم الله به ويتنبهون على ما نهاهم الله به وعرفوا بمعاملتهم الحسنة التي بنيت على الأخلاق التي حثنا عليها الإسلام وهي الإستقامة الإحسان، والتعاون إتباعاً لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ"¹ فالإستقامة تكون في الشريعة بالسلوك والأخلاق والأقوال والأفعال والمعاملة وغيرها، وكذلك التعاون والتآلف بين أعيان الأسرة البلبلية وبين مجتمعهم من أجل تحقيق هدف معين، إتباع لقوله تعالى: "وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ"²، وقد حثنا الله تعالى وبشكل واضح على التعاون على الخير والتقوى والخير هو العطاء والطاعة والصلاح والصدق والتعاون مفاده المآزرة في العمل وينتج عنه الخير.

تقاسم البلباليون مع جيرانهم كل خصوصيات حياتهم وكانت علاقاتهم تتسم بالمودة والإخلاص والتفاعل بين الجيران ويسودها التعاون وخاصة أن كانوا من أسرة واحدة، فيبني تعاون على الأصول الأسرية بدء من النسيج الوسط السكني المتميز، وكان ولازال التعاون بالأسرة البلبلية يمثل مظاهر كثيرة فنجد تكفل بعض الفقراء والمحتاجين وكذلك رعايتهم مثل ما قام به الشيخ سيدي أمجد البلبالي الذي لم يرزق بأبناء فاتخذ أبناء الفقراء والمحتاجين أبناءً له فرعاهم وصرف عليهم كأهم أولاده من صلبه³.

إذا توغلنا في أعماق الأسرة البلبلية بجميع قصورها في الفترة المدروسة نجد العديد من مظاهر التعاون والتضامن والتكامل بين أفراد المجتمع وقد تجلى لنا في:

¹ سورة فصلت: الآية 31.

² سورة المائدة: الآية 2.

³ فاطمة زهراء بهوطي: مقابلة شفوية مع في بيتها بقصر برقع، يوم 13 جويلية 2018، على الساعة: 21:30.

1) الميراث: قال الله تعالى: "يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ۗ أَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" ¹.

فإن نظام الميراث الذي حرص البلباليون على تطبيقه يعتبر نوعاً من أنواع التعاون الإجتماعي حتى لا تجمع الثروة في يد واحد من الأبناء والبقية ضائعون أو تجمع الثروة في أيدي الذكور ولا نصيب للنبات وبالتالي تنتشر العداوة والبغضاء وتسوء حالة المجتمع والأسرة، وجزت العادة البلباليون أنه بعد وفاة الميت وتقديم عزائه بعد فترة يتم تقييد وتقويم إرثه أو تركته - إذا لم يترك أي وصية² - سواءً كانت له عقارات منقولة مثل (السواقي أو الفقارات) أو المنازل والبساتين أو أراضٍ بور، ليتم بعدها تحديد وتقسم التركة بين الورثة حسب المدلول الشرعي المبني على نصوص قرآنية وأحاديث نبوية الشريفة؛ وحرص البلباليون على تنفيذ شرع الله في الوصية دون إجحاف ولا تقصير، وحرصه على تقديم كل المساعدات لأولى القربى من غير الورثة تحقيقاً، للتكافل الإجتماعي في محيط الأسرة وحتى في خارج الأسرة البلبلية، وبناءً على الرواية الشفوية التي رويت لنا عن وصية ميراث كتبها أحد الآباء أوصى فيها إلى رجوع جميع أملاكه لأبناء زوجته الثانية ولم يترك أي ميراث لأبناء الزوجة الأولى رغم حاجتهم وفقدهم، وعندما علم الشيخ سيدي

¹ سورة النساء: الآية 11.

² الوصية تعريفها اللغوي والإصطلاحي:

الوصية تطلق في اللغة على معان يقال أوصيت إلى فلان يمال جعلته له وأوصيته بولده واستعطفته عليه وأوصيته بالصلاة أمرته بها، ويقال وصيت الشيء بالشيء إذا وصلته به كان الموصى لما أوصى يمال وهل ما بعد الموت بما قبله من نفوذ التصرف واسم الوصاية بكسر الواو وقد تفتح.

أما الوصية لغة: هي من وصيت الشيء أوصيته إذا وصلته ويقال أرض واصية أي: متصلة النبات، أنظر: لسان العرب مُجد كروم، القاموس المحيط، دار الفكر، لبنان، ط 2002، ص 1403.

الوصية إصطلاحاً: هي هبة الإنسان لغيره منفعه على أن يملك الموصى له الهبة بعد موت الوصي، أو هي ما أوجبه الموصى في ماله تطوعاً بعد موته أو في مرضه الذي مات فيه، أنظر: سيد سابق: فقه السنة، مؤسسة الرسالة، المجلد 3، ط 1، بيروت، لبنان، طبعة 2002، ص 318.

أمجد البلبالي بذلك دعاهم إلى بيته ليصرف عليهم وعاملهم مثل أبنائه فحرص الشيخ سيدي أمجد البلبالي على مساعدة أولى القرى من غير الورثة تحقيقاً للتكافل الاجتماعي في محيط الأسرة¹.

ومن أركان الإسلام بعد الشهادتين وإقامة الصلاة يأتي الركن الثالث المتمثل في ركن الزكاة² وهي نوع من أنواع التكفل الاجتماعي حيث تخرج زكاة الفطر وتعرف أيضاً بزكاة الأبدان صغيراً وكبيراً وتوزع قبل خروج المصلين لصلاة عيد الفطر وتوجد في عدة أصناف (القمح والشعير والذرة والأرز والتمر والزبيب وغيرها)، ولكن بداية الثمانينات من القرن الماضي تغيرت الأحوال بعد توفر مادتي السميد والفرينة أضحت أهم مورد زكاة الفطر وهي مستمرة إلى يومنا هذا، أما عيد الأضحى فنص الشرع على ضرورة ذبح الأضحية، وإتباعاً لسنة المحمدية كان البلباليون يضحون في يوم العيد ويعين جزء من الأضحية للتصدق به على الفقراء فيقسم إلى قطع متساوية وتوزعه الخادمة على البيوت الفقراء لتكتمل فرحة العيد في كامل أرجاء القصر مما يجعل منه مجتمعاً متميزاً ومتمسكاً ويربط العلاقة وطيدة بين الطبقة الغنية والفقيرة³.

وتوجد زكاة أخرى تعرف بزكاة الزرع والثمار المحصودة فعرف البلباليون بإخراج زكاة الزرع عند حصاده ودرسه بعد بلوغه النصاب الذي قدر بـ 37 قلية وما يزيد وكان العشور يخرج من القمح والشعير أو التمر في غالب⁴.

وظهر لنا بالأسرة البلبلية التكافل والتعاون من خلال الحبوس⁵ والوقف الذي ينقسم إلى قسمين الوقف الأهلي: وهو ما كان للأولاد والأقارب والأهل ليحفظهم من الفقر.

¹ بموطي فاطمة الزهراء: مقابلة شفوية مع في بيتها بقصر برع، يوم: 13 جويلية 2018، على الساعة: 21:30.

² الزكاة لغة هي: البركة والطهارة والصلاح وسميت بهذا الإسم لأنها تزيد في أعمال الذي أخرجت منه وتقيه من الآفاق والزكاة شرعاً: وهي حصة مقدرة من المال فرضها الله عز وجل للمستحقين الذين سماهم في كتابه الكريم وقد تسمى في القرآن الكريم والسنة بالصدقة كما جاء في قوله تعالى: **خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** سورة التوبة: الآية 103.

³ فاطمة زهراء بلبالي: من أعيان قصر ملوكة، مقابلة شفوية في بيتها يوم 11 جويلية 2018، على الساعة: 16:22.

⁴ الوليد بن الوليد: تقييد خطي بخزانة بن الوليد باعبد الله، أدرار، الجزائر.

⁵ تعريف الحبس لغة واصطلاحاً:

الحبس: المنع وهو يدل على التأييد يقال وقف فلان أرضه وقفاً مؤبداً، إذا جعلها حبساً لا تباع ولا مورث، وقد وردت كلمة وقف في القرآن الكريم فقال تعالى: **وَقَفُّوهُمْ ۗ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** سورة الصافات: الآية 24.

والوقف الخيري والذي يقوم على جهات البر المتنوعة مثل مساجد أو جمعيات خيرية أو غيرها لتقوم بخدمة خيرية تمد حاجة المحتاجين الفقراء.

وبناء على جميع الوثائق الموجودة بيد الأسرة البلبلية يتضح لنا وقف الأهالي للحفاظ على أملاك ذريتهم أو إخوانهم من ضياع مثل وثيقة التحسيس سجلها القاضي سيد الحاج وهي بحوزة العائلة البلبلية بحيث كان للقاضي سيد الحاج أملاك بعض الفقاقير مثل :

- فقارة قصر واينة خالصة له ببساتينها وتسمى بفقارة سيد الحاج¹.
- جزء من فقارة ماسين في قصر أدغاغ مع مجموعة من البساتين.
- قسط من فقارة الجابية بقصر ملوكة مع بعض البساتين.
- جزء من فقارة السواهل بقصر ملوكة.

بالإضافة إلى بعض العقارات فمثلاً له في قصر أدغا منزل بزقاق مكناس، منزل بزقاق المقابر، منزل بزقاق بن ماما، وفي قصر ملوكة له الميشار الفوقاني دار في مدخل القصر أرض البور².

هذا بالنسبة للوقف الأهلي أما الوقف الخيري فتجلى في وقف بعض البساتين على المسجد ابتغاء مرضاة الله.

بالإضافة إلى البساتين فهناك من يقوم بوقف المنازل الدور التي حُبست على المسجد ليستفيد منهم إمام الزاوية وإذ إغتنى عنها تؤجر ويدفع له الإيجار ولا يمكن للمالك بعد هذا الحبس استرجاع أملاكه إذا كان هذا الوقف مكتمل الشروط والأركان صحيحة لهذا فلا يمكن استرجاعه لأي سبب من الأسباب، وهناك من أوقف عدداً من مواجن ماء الفقارة، وعثرنا على بعض الوثائق المخطوطة للشيخ سيد محمد بن عبد الرحمان البلبالي الذي أحبس بعض الكتب على ابنه سيدي محمد عبد العزيز والتي وصل عددها إلى 187 مخطوط وسُجلت هذه الوثيقة في سنة

وتحسيس: هو تسهيل المنفعة على البر أو القرابة بحيث بصرف ريعه إلى جهة بر تقريباً لله عز وجل والمراد، به ما يتمكن الإنتفاع به مع بقاء عينية والمعنى من ذلك الحبس العين وتسبيل تمرتها أو حبس عين للتصدق بمنفعتها، للتوضيح أكثر، أنظر: الدكتور سعدان جبر: بحث مقدم للمؤتمر الخاص بالأوقاف الإسلامية، جامعة القدس فلسطين، 2011، ص 3-4.

¹ تقييد خطي: عقد التحسيس للقاضي سيد الحاج، وثيقة محفوظة لدى العائلة.

² تقييد خطي: عقد التحسيس للقاضي سيد الحاج، خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

1229هـ وجاء في نص الوثيقة بعد الحمد لله: "الفقيه الأجل التربية الفضل السيد مُجَّد عبد العزيز العلامة شيخنا سيد مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي قد أجاز الكتب المحبسة عليه من والده المذكور جوزاً تماماً كما يجيز بحر الوقوف على أعبائها والإطلاع عليها"¹.

(2) - التعاون الإجتماعي من خلال طقوس تويزة:

تعد تويزة من الظواهر الإجتماعية المستحبة التي ترسخت عند البلباليين وبقيت من ممارسة إجتماعية تضمانية تعاونية، حيث اتخذ منها البلباليون على غرار باقي القصور التواتية الأخرى وسيلة للقيام بأشغال تقوم بالنفع على الفرد وعلى المجتمع وبرزت هذه الظاهرة التعاونية لتحمل دلالات إجتماعية عميقة من بداية كل موسم حرث أو حصاد درس، وحتى عند جمع المحاصيل وجني الثمار وكل عمل يحتاج إلى جهد جماعي وكذلك لتحضير مختلف المناسبات والأشغال والمبادرات المحلية التي تتطلب مجهود والتعاون والتضامن بين أفراد المجتمع مثل التحضير لمناسبة زيارة سيدي بلقاسم التي يجتمع فيها كل الأشخاص بمختلف الأعمار للقيام بإزاحة الرمال على ضريح هذا الولي الصالح، ولا تخلو هذه الطقوس التي توارثها البلباليون أب عن جد والتي تأخذ في الغالب شكل التهليل والتكبير والحمد إلى جانب المدائح الدينية عند بداية العملية وأثناءها إلى غاية الإنتهاء منها لترسيخ بذلك سنة حميدة².

إن لهذا العمل التضامني إيقاع خاص والمعروف "بإيقاع تويزة" وأصل الإيقاع مبني على فكرة العمل الجماعي المقرون بآدائه والهدف منه تنشيط العمال وتحفيزهم نحو عمل أكثر ويبقى هذا الإيقاع أساساً على أصوات الطبل الممزوج ببعض الأداء الجماعي للبعض المقاطع المدح والتهليل، حيث يكون أصحاب الطبل وجهاً لوجه ويشترك العمال أيضاً في أداء هذا الإيقاع عند بداية العمل إلى نهايته، أما عن أوقاته فهو يؤدي في كل المناسبات التعاونية مثل: إصلاح الفقارات والموسم الحصاد والدرس وإزاحة الرمال على البساتين والأضرحة وفك العزلة التي تسببها الأودية المفاجئة أو الرمال على بعض الأملاك، وأشهرها ما يرددونه (لا إله إلا الله دائمة ما أحلها في لساني) لتختم في الأخير بتوزيع الأكل على الجميع بعد تحضيره من قبل النسوة في طريقة جماعية³.

¹ وثيقة الحبس للفقيه مُجَّد عبد العزيز البلبالي، خزنة ملوكة، أدرار، الجزائر.

² طيب شاربي: المسؤول عن الخزنة، بمقابلة شفوية معه بمقر خزنته كوسام يوم: 2018/10/13، على الساعة: 18:33.

³ عز الدين جعفري، أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، المرجع السابق، ص 151-152.

وهكذا يجيى أهل القصور البلبلية بتوات إحتفالاتهم اليومية والسنوية التي يميزها الطابع الشعبي الذي تخلو منه المراسيم القانونية، وتتميز بالبساطة وهي تشبه عادات بقية القصور التواتية أخرى وبعض المجتمعات المجاورة لها بأرض الوطن وبعض عادات الدول المجاورة مثل المغرب الأقصى والسودان الغربي وهذا ما هو إلا دليلاً على التأثير والتأثر الثقافي والإجتماعي الذي عرفته منطقة توات عموماً.

خاتمة الفصل:

ومن الواضح أن جميع القصور البلبلية لعبت أدواراً سياسية وإقتصادية ذات أهمية تاريخية جعلتها تتبوأ مكانة مرموقة بالمنطقة وأهلتها أن تمثل وحدات سياسية شبه مستقلة تدير شؤونها بنفسها متمثلة في طريقة بناء قصباتها وقصورها المتميزة بعلو أسوارها وحفر خنادق المحيطة بها وأبراجها الأربعة لمراقبة كل قصر، كما مارس البلباليون كغيرهم من أفراد المجتمع التواتي بعض العادات والطقوس المتمثلة في الخطبة والزواج وتوابعهما من مواليد جدد وختان ووفاة وحافظت في مجملها على طابعها الإسلامي المبني على الكتاب والسنة، كما أفرزت الأوضاع الإجتماعية بعض المهن التي إمتنها أهل القصور البلبلية المتمثلة في بعض الحرف اليدوية وبعض الصناعات التقليدية، وأسهمت المرأة البلبلية بدورها المنوط بها مع حرص مجتمعها على إبقاء حقها كاملاً دون تقصير أو إجحاف.

الفصل الخامس:

أعلام الأسرة البلبالية وإجازاتهم العلمية.

المبحث الأول: أهم الشخصيات العلمية البارزة بمركز ملوكة.

المبحث الثاني: أهم الشخصيات العلمية البارزة بمركز كوسام.

المبحث الثالث: أهم الشخصيات العلمية البارزة بمركز بني تامر.

المبحث الرابع: أهم الشخصيات العلمية البارزة بمركز برينكان.

الفصل الخامس: أعلام الأسرة البلبالية وإجازاتهم العلمية.

إنفردت الأمة الإسلامية - دون غيرها - بكتابة تراجم شخصيات عربية والإسلامية وسطرت بُنداً عريضاً في منهج الفكر الإسلامي، ومن خلالها برزت سيرة العلماء والفقهاء بأسلوب حياتهم داخل بيئتهم الاجتماعية، وبعد بلوغ هؤلاء الدرجة العلمية المتميزة وحصولهم على إجازات¹، وتميزت هذه الإجازات بحفظ سلسلة أشياخهم بالتواتر، مكونة من مقدمة وعرض وخاتمة ثم توقيع وختم صاحب الإجازة، فتبدأ المقدمة بالحمد والثناء على الله عز وجل وبعدها الصلاة على النبي ﷺ، لينتقل الشيخ إلى ذكر أسباب التي جعلته يقدم على إجازة طالبه ويثني بتقديم نفسه بتواضع مع ذكر شيوخه والعلوم التي درسها عليهم ثم يختم إجازته بالدعاء والصلاح والتوفيق للمجاز ولأشياخه مع تدوين اسم المجاز وتاريخ إجازته².

المبحث الأول: أهم الشخصيات العلمية البارزة بمركز ملوكة.

1- الشيخ سيدي الحاج بلقاسم البلبالي الأنصاري:

(أ) - مولده ونشأته: هو أبو عبد الله الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بن الشيخ سيدي أحمد الفقيه ابن الشيخ أبو زيد الأنصاري المولود في تافيلات بأواسط القرن العاشر هجري، نشأ في عائلة علم وحصل المعرفة وفي أزقة الدعوة إلى الله وشارب السنة النبوية وموازنين القسط والعدل بين الناس،

¹ الإجازة لغة: الإجازة مصدر أصلها إجازة، تحركت الواو وتوهم انفتاح ما قبلها فانقلب ألفاً وحذفت إحدى الألفين لإلتقاء الساكنين فصارت إجازة، وهي من أجاز الموضع والطريق جوازا ومجازا، وأجاز له سوغ له والإجازة إعطاء الإذن فيقال أجزت فلان لفلان رواية مسموع بمعنى ابحت له روايتها وأذنت له في ذلك، وبهذا المعنى تكون الإجازة تفيد الإذن والتسويغ، والإباحة. أما اصطلاحاً: فهي الكلام الصادر عن المجيز المشتمل على إنشائه الإذن في رواية الحديث عنه بعد إخباره إجمالاً بمروريته ويطلق شائعاً على كتابه هذا الإذن المشتملة على ذكر الكتب المصنفات التي صدر الإذن في روايتها على المجيز إجمالاً وتفصيلاً وعلى ذلك المشائخ كل واحد من هؤلاء طبقة بعد طبقة إلى أن تنتهي الأسانيد. أنظر: فضيلة عماري: في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الإجازة عند أحمد المقرئ التلمساني، رسالة ماجستير، إشراف: مختار حبار، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة وهران السانبا، 2009/1010، ص 01.

² زهراء بوكراييلة: البيوتات العلمية بإقليم توات ما بين القرنين 7-11 هـ الموافق لـ 13-17م، أطروحة دكتوراه علوم في تاريخ، إشراف: بودواية مبخوت، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2017-2018، ص 233.

فنهل منها ماشاء له ربه عن أودية العلم وبحور المعارف بعد أن حفظ كتاب الله، وأتقن تلاوته وأخذ على أبويه أصول الفقه والسيرة وجميع علوم القرآن الكريم¹.

(ب) - رحلته إلى إقليم توات:

دخل العارف بالله تعالى الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بودة، فتولى التدريس والفصل بين الناس لمدة من الزمن ورأى أنه بلغ الرسالة ونصح لأهلها بصدق وأمان لينتقل إلى تيمي الفوقانية مواصلاً نهجهُ العلمي والدعوة في إحياء العلوم الدينية في فقه الواقع والمعاملات لتكون كلمة الله هي العليا².

فكر ملياً بوقده الدعوة إلى إنشاء مركز علمي اشعاعي ليصل مداهُ إلى ساحل وإفريقيا بإرسال دعاة ومؤطرين كرسل إسلام ودعوة، ومن أهم أعماله جلبه العديد من المخطوطات من هكذا بقعة من العالم الإسلامي وجعل له ديوان في مجلسه العلمي الذي لا يزال ينطق باسمه وشاهد تاريخي في ذلك مجموعة من الناسخين الخطاطين لنسخ المخطوطات في القرآن الكريم، وكان الشيخ نفعنا الله بعلمه ويمد جميع القرى والمدن بالكتب فكان شبيه بالمطبعة توفر الكتاب للقارئ ولا يزال مركز البلباليين للمخطوطات شاهداً على ذلك في جميع خزاناته وذهب به خياله إلى إنشاء وقف خيري أبدي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها في العديد من الأماكن كقصر أدغاغ ثم واينه وملوكة وبني تامر وغيرها³.

(ج) - كرامة سيدي الحاج بلقاسم الملوكي: فهو الرجل العلامة الزاهد الورع الذاكر، كان رحمه الله ملازماً للقطب الميموني وتخلق بأخلاقه ولما قدم إلى توات مع إخوانه من تلبالة، فغاب إخوانه فجأة وتركوه مع أهله بملوكة، فسأل عن إخوته الذين لا أثر لهم، فقصد عشية لقصر ميمون وذكر الشيخ طول غيبة إخوانه عنه فسكت الميموني⁴ لمدة ساعة وقال له غداً سيأتون إن شاء الله، فقم

¹ عبد الرحمان بلبالي: المشرف على الخزانة، مقابلة شفوية، بمركز الخزانة بقصر ملوكة، في يوم 18 أبريل 2017 الساعة 17:15.

² عبد الرحمان بلبالي: نفس المقابلة شفوية، بمركز ملوكة، في يوم 18 أبريل 2017 الساعة 17:15.

³ عبد الرحمان بلبالي: نفس المقابلة شفوية، بمركز ملوكة، في يوم 18 أبريل 2017 الساعة 17:15.

⁴ ينتسب الميموني إلى سيد مولاي يعقوب وأولاده بن منصور بن أحمد بن محمد بن عبد الخالق بن علي بن عبد القادر بن عمر بن الزاد رحبوا بن مصباح بن سعيد بن محمد بن عبد الله الكامل بن زين العابدين بن أعلى بن الحسين بن علي بن أبي طالب

وبشر أهلك بذلك ولا تخبر أحداً بقولي لك ومن شأنك كذا وكذا ومن وجدته ببلدك لقمه الذكر، فلما دخل ملوكة وجد بها أهل أولاد بوحفص فألقى لهم الذكر، وفي الغد قدم إخوانه وما قاله الشيخ جاء كفلق الصبح وهذا زهده، وبعدها قال لإخوانه نجعل زاوية على كل واحد منا خمس ماله لله، وما بلغنا غير ما وجدناه مفيداً صادقاً إتيان إخوانه يوم مارس¹ فجعله يوم فرحة ذلك اليوم وكرامته التي لاتعد ولا تحصى فأتيا جميعاً لزيارة الميموني، وقال له أخوك الحاج مُجَّد يكون من أحفاده علماء وأغنياء ولكل واحد من إخوانه يجونه وأنت لازم زيارتنا وأحرص عليها في كل عام تبلغ درجة قصوى².

(2) - الشيخ أحمد الحبيب البلبالي (1220-1275هـ):

هو أبو عبد الله بن مُجَّد (فتحا) بن عبد الله ابن ابراهيم ابن الحاج علي بن سيدي أحمد الفقيه البلبالي بن العلامة أبي زيد الأنصاري³، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه فالقرآن هو مفتاح كل العلوم، تقدم لمجلس خاله الفقيه القاضي سيد الحاج وثمر على ساعد الجد والإجتهد من تغمد الله الفقيه بنفس العزيمة والإصرار حتى نال القصد والمنال وفي سنة 1239هـ باشر التدريس بالمجلس، وروى عنه أحد طلبة - الشيخ سيدي بوفلجة بن عبد الرحمان الكرزازي هو شيخ الطريقة الموساوية والذي توطن تلمسان وتوفي بها وقبره المشهور بها - أن مدة دراسته عند الشيخ دامت سنتين فقط فما حصله فيها أكثر مما حصله في ثماني عشرة سنة في وجدة وفاس وهذا سر مكنون وكرامة من كرامات الشيخ⁴.

(أ) - أهم تلاميذه: ولداه القاضيان سيدي عبد الله وسيدي مُجَّد فتحا، سيدي الشيخ الكبير بن عثمان وأخيه سيدي بوفلج الشيخ سيدي بن مُجَّد بن عبد الله البداوي، الشيخ سيدي بوفلجة بن

ﷺ وكرم الله وجهه ونفعنا به، وقد روى عن بعض الأخيار أنه قال لما خرجوا من مكة المشرفة بعض الشرف وهم عشرين رجلاً وصاروا إلى مدينة اليمن هاربين من حجاج بن يوسف أنظر: شاري طيب: تقييد نسب الشيخ الميموني، بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

¹ واستمرت هذه الزيارة المقامة بقصر ملوكة بتاريخ 14 مارس من كل سنة ولكنها انقطعت في السنوات الأخيرة ليحملها أهالي قصر كوسام، إلا أنها انقطعت في العام الماضي بكوسام أيضاً.

² طيب شاري: تقييد نسب الشيخ الميموني، بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ وعرف بلقب بأبي العباس.

⁴ مُجَّد عبد العزيز، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 63.

عبد الرحمان الكرزازي، الشيخ مولاي هيبية العيساوي، الشيخ عبد الرحمان بن سالم الراشدي، مُجَّد المكني ديدي ابن سيدي الجزولي التمنطيبي، سيدي عبد الله وأحمد بن دحو الونقالي، والشريف مولاي هبة العيساوي وغيرهم كثير.

(ب)- أهم إنجازاته : تبويب مؤلف الغنية على أبواب الإمام الخليل¹، وله العديد من الإجازات العلمية التي تحصل عليها من بعض الفقهاء وهم: إجازة الفقيه القاضي سيدي الحاج² وإجازة الشيخ والقاضي أبي فارس مُجَّد عبد العزيز البلبالي وغيرها³.

¹ عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد: موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، دار زمורה للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 484.

² بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صلى الله على سيدنا مُجَّد وآله وصحبه وسلم تسليماً
الحمد لله الذي قبض لحمل العلم ناساً جعلهم له محلاً وأملي وشملهم به علماً منهم من يرتقون به مرافئ الأعلين ويأخذون بما خولهم من راية المسلمين يلتمسون أنوارهم عند الظلام ويستفتحون زيد فهم عند الأوام فكانوا بقولهم مستمسكين وكيف لا وقد اجتهدوا في طلب المعالي إذا رقد الناس وهجروا الأيناس بذوى الإفلاس حتى حصل الأياس منهم للأديين فأوفوا على المنابر أعلى وحازوا مناصب المماثل الأكابر...أجازنا أبا العباس كل إجازة أجزناها من أشياخنا أولى الإصابة سواء فيها المروى وما قد قرأناه وما قد أجزنا من فقيه الرواية بشرط لهم يروون لديهم وتقوى من كنزه أن تخفى عليه سريرته تعيد التأني في المقال وبحته لما فيه من إشكال ومن البلية وأن يدعون لي وللمشائخ كلهم ووالدنا وكل من أعجبه وأسأل ربي نفعه وإرتفاعه بما كان اعطاه سريع الإجابة إن ولي ذلك والقادر عليه وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حولاً ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكتبه مُجَّد بن عبد الرحمن رزقه الله رضا أمين.

³ أنظر: تقييد بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

إجازة الشيخ أبي فارس مُجَّد عبد العزيز: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، صلى الله على سيدنا مُجَّد ومولانا وآله وصحبه (ص) وبعد فما ورد الحب اللبيب واللوزعي الأريب خلنا الفقيه سيدي أحمد الحبيب بن سيدي مُجَّد فتحا ابن الشيخ والنا في قراءة القرآن سيدي عبد الله بن ابراهيم البلبالي قدس الله روحه الطيبة وأخفه من تسنيم المناهل الفصل طيبة ورد عن مبعين سيدنا الوالد أدام الله النفع به يعبونا وإستمطر كتائف سحائب أمطاره سرار، اسكوبا وأمرنا سده في الأفعال والأقوال إن أكتب له ما يوافقه مرامه ويدزم به إن شاء الله في العالمين، وقاره واحترامه...أني قد أجزت الأخ المذكور جميع ما أجازت فيه والذي القاضي المشهور أدام الله النفع به على الدوام وشيخه أبو عبد الله العلامة للرواية سيدي مُجَّد بن الشيخ الوقور الفقيه سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن عمر بلغ العابه في العلم والظهور وجعلهم في علا عليين من رؤساء الأعلام بشرطه المألوف وجده المعروف وعليه بالتقوى الله في السر والعلن ومراجعة ما أشكل أن عزب عن الفهم وكمن وإن يدعو لي ومشائخي ووالدي وجميع قرابتي وأجبتى المسلمين جميعاً وصلى الله على سيدنا مُجَّد وآله وصحبه إلى يوم الدين، قاله وكتبه في مستهل رمضان المعظم عام تسعة وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه تعالى مُجَّد عبد العزيز بن مُجَّد بن عبد الرحمن البلبالي، أنظر: تقييدخطي: إجازة الشيخ أبي فارس مُجَّد عبد العزيز، بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر .

(3) - البكري بن سيدي مُجَّد عبد العزيز (ت 1284هـ)¹:

هو البكري بن سيدي مُجَّد عبد العزيز بن سيد الحاج البلبالي، من أهم علماء الأسرة البلبالية الذين اشتهروا بالعلم والصلاح، نبغ في العلوم الشرعية واللغوية، وقد ذكره صاحب الذرة الفاخرة بقوله: أنه كان عالماً بارزاً ماهراً في فنون كثيرة ففقيه متفنناً، أخذ مبادئ العلم عن جده سيد الحاج مُجَّد البلبالي ثم استكمل علمه عن والده سيدي مُجَّد بن عبد العزيز² وقد أجازه إجازة مطلقة³، كما وردت ترجمة له في إحدى التقايد الخطية للحاج الطيب الشاري بقوله العلامة سيد البكري سيدي مُجَّد عبد العزيز كان عالماً ماهراً في فنون كثيرة فقيه ومتحدث مفتي، أخذ عن جده الشيخ سيد الحاج وعن والده سيد عبد العزيز وكان صالحاً محباً للصالحين ومشهور بالدين والخير توفي عام 1284 هـ⁴.

(4) - بوعلام بن المُجَّد البلبالي (ت 1376هـ-1955م):

- ولد الشيخ بوعلام بن المُجَّد البلبالي على الأرجح عام (1294هـ-1877م) بمسقط رأسه ملوكة ودرس ببلدته وتفقه في العلوم الشرعية واللغوية ثم أصبح مدرساً في قصر ملوكة وتصدر الفتوى ولتمكنه عُين قاضياً، وتخرج على يده الكثير من الطلاب والأئمة، وتوفي بمسقط رأسه ملوكة عام (1376، 1955هـ)⁵.

¹ لم تسعفني المراجع التي بين يدي بتاريخ ولادته ووفاته وتلاميذه ولا مؤلفاته ولا وقفات مهمة في حياته .

² إجازة سيدي البكري عبد العزيز البلبالي (نقل حربي).

الحمد لله وحده وبعد:

فقد أجزت لولدي مُجَّد البكري يمثل ما أجازني به شيخاي سيدي والدي وشيخنا أيضاً سيد مُجَّد بن الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التلاني، المذكور أعلاه وشيخنا أيضاً أبو العباس سيدي أحمد زروق الأديب، الطيب الشاري: إجازة سيدي البكري عبد العزيز البلبالي، بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر، نسخها يوم 13 ماي 1995.

³ مُجَّد عبد القادر التلاني، مخطوط الذرة الفاخرة، مخطوط السابق، الورقة 15 .

⁴ طيب شاري: تقييد خطي البكري بن سيدي مُجَّد عبد العزيز، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

⁵ أحمد جعفري: مُجَّد بن أب المزمري 1160هـ حياته وآثاره، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة،

الجزائر، 2004، ص319.

المبحث الثاني: أهم الشخصيات العلمية البارزة في قصر كوسام:

1- العالم سيدي سالم بن عبد الله بن أحمد الحبيب (1860-1958م):

ولد بقرية كوسام سنة (1277هـ - 1860م)، درس وتفقه على يد والده سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب، أخذ عن والده المذكور وعمل مدرساً وإماماً بقرية كوسام كما أنه هو أول مؤسس للمسجد الكبير بأدرار، فكان مدرساً وإماماً به إلى أن خلفه السيد الحاج محمد بن الكبير رحمه الله، توفي في سنة 1958 هـ بعد الزوال بقرية كوسام ودفن بها¹.

2- الشيخ الحاج الطيب البلبالي (الشاري):

هو الشيخ الطيب ابن سيدي عبد الله بن سيدي سالم البلبالي، مسقط رأسه كان بقصر ملوكة في يوم 1950 نشأ بها وحفظ الكتاب الله على يد شيخه سيدي الحاج محمد بن الشيخ عبد الله البلبالي فتفقه على يده وحفظ المتون الفقيه، وبعد أن استكمل مبادئ تعليمه الأولى إرتحل إلى مدينة أدرار للدراسة عند الشيخ سيدي محمد بالكبير بعد أن أوصاه جده الشيخ سيدي سالم البلبالي بأنه يقوم بتعليم أبنائه، فالتحق بمدرسة الشيخ سيدي محمد بالكبير مع بداية سنة 1969 بالغاً من العمر 19 سنة وأوصى به شيخه السيد أحمد البركاوي من أوقروت ودرس الرسالة ودعا له الشيخ بالتوفيق في العلم والسداد فيه جهوية العلمية والتعليمية وانقطع عن الدراسة عند الشيخ في 1970 وأوصاه بتعمير مكتبة أجداده، ثم اشترى قطعة أرض مجاورة له من عند السيد باعثمان بن أهل بوزان بقيمة قدرها 3000 دج، وبعد أن آلت إليه الخزانة بدأ في تجهيزها وإعادة بنائها وساعدته البلدية في بنائها، ثم بعد أن استكمل بنائها عمل على نقل كتبها من بيئته إلى مقر الخزانة وصنفها ورتبها، حيث ضاع منها الكثير بسبب الإهمال والتفريط، ثم فيض لها الله من بعيد لها شيئاً من مجدها فأشرف عليها الشيخ الحاج الطيب وجمع شتاتها، وقام بنسخ العديد من مخطوطاتها التي وصل عدد التي نسخها بخط يده إلى حوالي: 170 مخطوط.

¹ محاضرة الملقات في زيارة العلماء بقصر كوسام والمدونة بمطوية، يوم 10 سبتمبر 2018م، كوسام، أدرار، الجزائر.

عين في سنة 1976 كمؤذن من طرف مديرية الشؤون الدينية والأوقاف ثم عمل كمدرس للقرآن الكريم فعمل على تدريس طلبة قصر كوسام وبوزان فتخرج على يده العديد من التلاميذ الذين حفظوا القرآن الكريم وأصبحوا أئمة في أماكن مختلفة من بينهم:

سي حمادي التلاني الذي عين كإمام في ولاية ورقلة وسي محمد ابن سدي القايد وعبد الحميد وتلاميذه كثر لا يُستطاع عددهم¹.

المبحث الثالث: أهم الشخصيات العلمية البارزة في مركز بني تامر:

(1) الشيخ سيدي محمد عبد الكريم (الحفيد):

(أ) - مولده ونسبه :

هو العالم العلامة الشيخ سيدي محمد عبد الكريم بن السيد الحاج محمد فتحا بن القاضي الأكبر والشيخ سيدي محمد عبد الكريم² بن سيدي محمد عبد المالك بن السيد عبد القادر سيد الحاج محمد فتحا³.

أمه السيدة المستورة بنت السيد الحاج صالح بن الفقيه سيدي محمد بن العلامة سيدي الحاج عبد القادر بن العالم الجليل الشيخ سيدي عمر⁴ بن عبد الرحمن التلاني صاحب الزاوية المشهورة بمهدية ناحية تيمي أدرار.

ولد بقصر بني تامر عام 1288هـ الموافق ل 1860م، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه ثم انتقل إلى تنظيم مدرسة الشيخ سيدي البكري، إلا أنه لم يمكث بها إلا قليلاً ثم أخذ علمه من

¹ طيب شاري: مسؤول عن خزانة كوسام، مقابلة شفوية بمقر خزانته، كوسام، أدرار، بتاريخ: 2018/11/8م على الساعة 18:22.

² المكني بن عمي وهو أول ما نزل من البلبالي من أهل ملوكة بقرية بني تامر.

³ حسب إصطلاح الكتابة المعروفة لديهم قديماً في أن يكتب إسم أمحمد بدون ألف ويعوض عنها بلفظ فتحا .

⁴ وهو العالم العلامة البحر الفهامة تولى خطة القضائية بتوات لعدة سنوات وتوفى رحمه الله خلال (1222)هـ ضريحه بزاوية مهدية معلوم وتقام زيارته السنوية في 20 مايو من كل سنة.

مدرسة الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد البلبالي¹ ثم رجع إلى مسقط رأسه بني تامر أخذ مكانه عن جده مشغلاً بالتدريس والإفتاء والتأليف، فأعاد فتح مدرسة دار القراءة.

(ب)- مشايخه:

لقد حدد صاحب الترجمة بنفسه أسماء شيوخه في قصيدة جاء بمطلعها:

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا أَحَانَا يَا أَحْمَدُ فَإِن لَّا تَعْرِفُ شَيْئاً فَدَعُهُ فَتَحَمَدُ.

وجاء بنص هذه القصيدة جميع أسماء شيوخه وتحدث فيها عن نعم الله للشيخ سيدي أحمد بن سالم البلبالي الذي درس بكوسام وتولى الإمامة بمسجد ملوكة، ومن بين شيوخه المذكورين: شيخ الشيوخ أبو عبد الله البلبالي وأبو يزيد والشيخ سيدي عبد الرحمان باعومر، والشيخ سيدي عبد الله البلبالي والشيخ سيدي البكري بن سيدي مُحَمَّد العالم المولود في تمنظيط².

(3)- نشاطه:

بعد رجوعه إلى مسقط رأسه بني تامر عمل على فتح مدرسة جده القاضي سيدي عبد الكريم المسماة دار القراءة وسهر على استرجاع الكتب التي كانت مستعارة هنا وهناك، وبعدها تفرغ لتعليم أبناء المسلمين في مدرسته دار القراءة قرب المسجد العتيق، وقصده الطلبة كثر من القصور المجاورة، فكان رحمه الله يقدم علوماً في الفقه والتفسير والحديث، وبفضل تلك المسيرة العلمية المعطاء ترك بقلمه السيال مجموعة من القصائده الشعرية ونوازل الفقهية³.

أما المتون التي كان يدرسها هي متداولة في المدارس ويعتمد عليها سلسلة من الأسيخ منها، المرشد المعين للمؤلف الشيخ سيدي عبد الواحد بن أحمد بن علي المشهور بابن عاشر الأنصاري المتوفى في سنة 1040 هـ، وأيضاً الأخضرى والرسالة لتأليف صاحبه أبو مُحَمَّد ابن أبي

¹ مكث بقرية كوسام نحو ثمان سنوات ولما إفتعم صدره بالعلوم والأنوار تشرف بالخروج على يد الشريف سيدي مولاي علي بن سيدي مولاي الحسن بن سيدي حمادي التردالي وهو الولي الصالح المتبحر الرابع عاش رحمه الله القرنين الثالث والرابع عشر وكانت وفاته في شعبان 1316 هـ وفي نفس السنة طلب من شيخه الإجازة والتسريح.

² توجد النسختين محفوظتين بخزانة بني تامر.

³ مُحَمَّد فتحا بن مُحَمَّد بن عبد الكريم البلبالي مبدوي، القنديل العالي، المرجع السابق، ص 21.

زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير وأيضاً ألفية ابن مالك لأبو عبد الله محمد بن عبد الله بن ملك الطائي النسب الأندلسي الأقليمى الدمشقي الدار بها توفي في سنة 12 من شعبان سنة 672هـ، عن عمر يناهز 75 سنة، وفي السيرة البردة والهمزية للإمام البصري، أما الحديث كان يخصص شهر رمضان عن كل سنة بقراءة صحيح البخاري¹ رحمه الله مع تفسيره بالبلد والقرى المجاورة، وخصص يوم الأربعاء لتفسير القرآن الكريم، وكان يحضره بعض الأئمة والعلماء التواتيين أمثال: سيدي مولاي العربي بن سيدي مولاي علي، وسيدي عبد العزيز بن سيد الصافي البكري والسيد الحاج عبد الكريم² ابن قدير التنلاي وغيرهم³.

4)- علاقة الشيخ سيدي محمد عبد الكريم بأعلام عصره :

عاصر الشيخ سيدي محمد عبد الكريم رحمه الله جمعاً هائلاً من العلماء الأعلام ولا يمكننا حصره، فكان ينتقل إلى القصور المجاورة لإلقاء الدروس بها وذلك بناء على رغبة سكانها لتعم الفائدة، ومن بين الشيوخ الذين كانت تربطهم علاقة قوية بهم شيخ الشيوخ سيدي محمد بن الكبير فكان على اتصال به منذ أن كان بتمنطيط عند شيخهم أحمد ديدي البكري،⁴ وكان يفرح لزيارته ويلازمه هناك لاسيما بالليل قصد الاستفادة من علمه واستمرت اتصالاتهما مع بعض إلى أن فتح الشيخ مدرسته بمدينة أدرار، وظل يزوره ويستفتيه في العديد من أمور التي استشكلت عليه، وكانت له مراسلات مع شيخ زاوية كرزاز وبعض العلماء الآخرين الذين كانت لهم معه علاقة ورابطة علمية متينة مشدودة بجبل البحث والنقاش في المسائل العلمية والمباحث الفقهية.⁵

وكان له عدد كبير من الرسائل والخطب يبعث بها لعلماء عصره في المناسبات بغرض الإستفسار والأخذ والعطاء في العلم والمعرفة كالرسالة التي وجهها إلى السيد الحاج الحسان ابن

¹ ولا زالت هذه العادات متواصلة إلى يومنا هذا ويحتم في زاوية تلميذه بمهدية.

² من أوائل تلاميذه الشيخ سيدي أحمد ديدي بتمنطيط، تولى الإمامة والتدريس بتنلان بزواية جدهم الشيخ سيدي أحمد بن يوسف.

³ محمد فتاح بن محمد بن عبد الكريم البلبالي مبدوي، القنديل العالي: المرجع السابق، ص 21، 22.

⁴ الشيخ أحمد ديدي، ترجمته موجودة في الفصل الأول، ص 26.

⁵ محمد فتاح بن محمد مبدوي، القنديل العالي، المرجع السابق، ص 22.

القاضي سيد العربي التمنطيبي في الميراث والرسائل أخرى للشيخ سيدي مولاي العربي بن سيدي مولاي علي التزادي والقاضي سيدي مُجَّد بن القاضي سيد مُجَّد فتحا البلبالي كوسام.

(5)-تلاميذه :

ترك مجموعة من التلاميذ قاموا بمهمة التعليم بعده وكان لهم أثر كبير في تأطير المنطقة بعد الإستقلال ونذكر منهم:

(1)- تلاميذه بقصر بني تامر:

- سيدي مُجَّد بن سيدي مُجَّد عزيزي.

-السيد البركة بن السيد الحاج عبد الله.

-أخيه سيد مُجَّد المعروف بالطالب حماد تولى الإمامة الجمعة بالمسجد العتيق بالقصر.

-أخيه السيد الطالب المبروك.

-السيد العربي بن الشيخ مبارك من قبيلة أبي نعامة.

-سيدي مُجَّد عبد المالك.

-المرابط سيدي مُجَّد بن عمر عبد العزيز.

(2)-تلاميذه بقصر المنصورية¹: سيدي مُجَّد بن مُجَّد الصالح العياشي الذي كان إماماً بمسجد

المنصورية السيد سالم بن الحاج مُجَّد.

(3)- تلاميذه بقصر أولاد ابراهيم² فهم: سيدي مولاي أحمد بن سيدي مولاي العربي بن سيدي

مولاي علي وأخيه سيد مُجَّد الذي تولى التعليم والإمامة بعده، والسيد عبد الله بن السيد أمبارك بن أب ملين والسيد بن الشيخ أمعمر بن الحنفي والسيد الحبيب بن مُجَّد المكّي بن عمراني.

¹ قصر المنصورية: وهم ينتسبون للشيخ موسى أقبور ولاشك في ذلك أنهم من الساحل.

² قصر أولاد ابراهيم: وحسب ماورد في تقييد لشاري الطيب: أنهم من من أولاد أدليم، إخوانهم أولاد بوحفص وأولاد ابن أب من الساحل.

4- تلاميذه بقصر تاريدات¹:

وهم: سيدي مولاي العربي بن سيدي مولاي عبد الملك الذي كان معلماً للقرآن ومقصداً للزوار والتبرك بالدعاء، وسيدي مولاي علي بن ديدي الذي كان معلماً وقصيدهم مشهورة، وسيدي مُجَّد بن سيدي مولاي أحمد وسيدي مولاي عبد الله بن سيدي مولاي بوبكر، وسيدي مولاي المعتصم بن مولاي البكري.

5- قصر مهدية وأولاد عيسى: درس على يده الكثير فمنهم: السيد مُجَّد بن الحاج مُجَّد، وسيدي الحاج مُجَّد عبد العزيز والحاج مُجَّد بن أب سالم مدياني بقصر أولاد عيسى².

6- أعماله في شتى العلوم الفقه (الأدب، اللغة، التجويد):

على الرغم من العناية الكبيرة للتدريس وتأليف الرجال قبل الكتب، متنقلاً بين قصور تيمي وعلى خطى أسلافه السابقين فقد أشتهر صاحب الترجمة بالقلمه السيل، وتجدد الإشارة هناك إلى أدب الشيخ وجميع ما خلفه هو بيد حفيده الشيخ مُجَّد فتحا مبدوبي الذي عمل على نشر أعماله في كتابي القنديل العالي إضائه من حياة الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي 1288هـ- 1375هـ. وكذا كتاب روائح وأزهار من أشواق البلبلين الأنصار في مدح سيدنا النبي المختار، وكذلك كتاب تحفة اللبيب الحليم في أجوبة أبي زيد سيدي مُجَّد عبد الكريم وهي فتاوى جمعها تلميذه الأبر الشيخ عبد العزيز سيد أعمار رحمه الله³.

¹ قصر تاريدات: حسب ماورد من نفس التقييد للحاج الطيب الشاري أنهم من شرفاء تافيلالت أنهم نازلين على بقية الشيخ على قصور.

² مُجَّد فتحا بن مُجَّد مبدوبي، القنديل العالي، المرجع السابق، ص ص 24، 25، 26.

³ الشيخ عبد العزيز سيد أعمار: كان مولده خلال 1342هـ الموافق ل1924م، كان رحمه الله فقيهاً وشاعراً وترك ديواناً شعرياً، ترجم الشيخ عن نفسه حيث يقول في كتابه: قطف الزهرات عن نشأته وإسمه فيقول: "الإسم: عبد العزيز بن علي بن مُجَّد عبد العزيز بن مُجَّد فتحا ابن مُجَّد ضما ابن عمر صاحب الزاوية المهديية ابن عبد الرحمان ابن عبد القادر ابن أحمد ابن يوسف التتلاي من آل سيدنا عثمان بن عفان ثالث خلفاء الرسول ﷺ. أنظر: عبد العزيز سيد أعمار: قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 09.

إضافةً إلى أشعاره التي نظمها بغرض التوسل وبعض القصائد الخالية من الحروف المعجمية¹ كما أنشد بعض الأبيات ل ربح قوية وقعت وطلب من الله خيرها وخير ما فيها² كما له قصائد في التوسل ومدح المصطفى ﷺ³.

أما عن نشاطه الفقهي: فإن للشيخ فتاوى وعلم غزير في الجانب الفقهي عمل على جمعها تلميذه النقيب الشيخ سيدي عبد العزيز وفي كتاب سماه الجواهر الثالث من فتاوى الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي ومن أمثلتها الطهارة المسائل في الصلاة والزكاة ومسائل الصيام والجنائز ومسائل النكاح وغيرها⁴.

(7) - نشاطه في اللغة والتجويد والإرشاد:

له قصائد كثيرة حول تجويد سورة الفاتحة⁵، فكان الشيخ عبد الكريم الحفيد عالم ومعلم في زمانه لمختلف العلوم القرآنية واللغوية، وكان يدرك أهمية الدعوة الإرشادية، ولم يقتصر على تدريس وتوجيه المقبلين من الطلبة والمتفرغين وإنما عمل بمهمة الإرشاد داخل قصر بني تامر وخارجه، واتخذ

وفي مطلعها: الحمد لله وصلى الله على رسول ساطع هُده

الحمد لله على الإسلام لأهل المصلى والصوام.

¹ الشيخ عبد العزيز سيد أعمار، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 84.

وجاء فيها: بِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ دَا السَّرَاءِ حَمْدًا تُقَابِلُ بِهِ النُّعْمَاءِ

يَارَبَّنَا يَا خَالِقَ الشَّيْءِ وَأَرْزُقِ الْجِنِّينَ فِي الْحِشَاءِ.

² أنظر: نفسه، ص 91.

³ وجاء فيها: رَبِّ يَا رَحِيمَ الرَّحْمَا حَطَّ قَصِيدٍ مِنْ حَسُودٍ قُدَمَا

وَأَمْدَنِي مِنَّا يَا كَرِيمَ الْكُرْمَا لِصِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ غَنَمَا.

أنظر: نفسه، ص 97.

⁴ مُجَدِّ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَيِّدِي عَمْرِ الْمَهْدَاوِيِّ، الْجَوَاهِرِ الثَّلَاثِي مِنْ فِتَاوَى الشَّيْخِ سَيِّدِي عَبْدِ الْكَرِيمِ الْبَلْبَالِيِّ، الْمَرْجِعِ السَّابِقِ،

ص 343.

⁵ ومنها القصيدة التي إستهلها:

إِذَا ابْتَدَيْتُ بِالْحَمْدِ فَاقْطَعِ الْفَهْ وَكُلِّ ذِي وَصَلٍ أَنْ بَدَيْتَ لِأَمْوَصَلَا

وَلَا مَ لِلَّهِ مُجَدِّ كَالْعَالَمِينَ تَلَاةَ وَرَا الرَّحْمَانِ فَحَمِّمْ وَمِيمِ الرَّحِيمِ لَا.

وصل عدد أبياتها ثمانية أبيات، ينظر: عبد القادر بن الشيخ سيدي عمر عبد العزيز: الفوائد العربية المدهشة النادرة ألف وجبة

روحية بالف فائدة متنوعة، ط2، دار البلبالين للنشر والتوزيع، أدرار، الجزائر، 1436هـ، 2015، ص 369.

مظاهر عديدة منها: عمل لقراءة الصحيح الجامع للأمام البخاري بقصور تريدالت بأولاد براهيم وقصر بني تامر ومهدية ولا زالت هذه العادة متواصلة إلى يومنا هذا، كما قدم دروس إرشادية غير معدودة لعامة الناس وخاصتهم بقصور تيمي، وعمل على واجب النصيحة المرشدة فألف بعض القصائد التي جاءت كنصيحة للتجار والباعة سنة 1353هـ من أوائل شهر رمضان المعظم¹.

وانطلاقاً من قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "الدِّينُ نَصِيحَةٌ"² فحرص الشيخ واهتم بأمر المسلمين جميعاً ووجه لهم النصح والإرشاد أتباعاً لقول الرسول ﷺ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً"³ وقوله: "ليس منا من لم يهتم لأخيه المؤمن" وقوله تعالى: "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ"⁴، فاستدل خيراً بأمر المسلمين أينما كانوا فوجه لهم النصح المباشر أو بالرسائل والدعاء والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بما يصلح حالهم عاجلاً أو أجلاً.

ألف الشيخ عبد الكريم قصائد وطنية يدعو فيها الأهالي المنطقة إلى توحيد صفوفهم والعزم على الجهاد وتحرير البلاد من الإستعمار⁵، ووجه نصحه وإرشاده لأهل قصر أولاد براهيم واستهل قصيدته بالتبريك بالصلاة والسلام على النبي ﷺ⁶ وراسل أعلام شرفاء سالي ونصحهم باحترام العلماء لينور عنهم الجهل والغمم⁷، بالإضافة إلى قصائد أخرى وجهها للمسلمين ينصحهم بأكل

¹ والتي جاء في نصها:

الحمد لله العليم الباقي الممسك للخلق والأرزاق

يحب للجالس في الأسواق تعلم العلم على الإطلاق.

² أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب الدين النصيحة لله، باب البيان رقم 55.

³ أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغضب، باب قصر المظلوم، 129/3 رقم 2446.

⁴ سورة الحجرات: الآية 10.

⁵ جميع هذه القصائد الثورية موضحة في الوضع السياسي لقصر بني تامر أنظر: ص 123-124.

⁶ جاء في مطلعها ألا صلوا على خير الأنام رسول الله من جاء فيالختام

ألا يجمع نسل إبراهيم خُذوا بشرى أتيكم في نظيم.

⁷ إستهلها بقوله:

أيأشرفاء سالي ياسجول ومن بهم قد استغنى العسول

أنا جبرولاني لكم بتول بعلم ماتنور به العسول.

بأكل الحلال لأهل الإسلام وإجتناّب الربا والحرام، وغيرها من النصائح والإرشادات الأخرى التي جاءت في نصها الشعري والنثري¹.

(8) - وفاته وذكر بعض من كراماته:

وافته المنية بأوسط شهر ذي الحجة عام 1375هـ، وتخرج على يده عدد كبير من التلاميذ بعد أن أمده الله في عمره 87 سنة².

كراماته:

أ- تعين قبر الشيخ أويس بن عامر القرني التابعي رحمه الله:

السيد أويس بن عامر القرني المولود بقرى اليمن المباركة، أوصى النبي ﷺ له بالدعاء لأُمَّته والذي كان من قضاء الله وقدره أن خفي قبره في الحين على من دفنوه بفلات من الأرض، وأشير إلى وجوده بمقبرة أولاد أمثاقل من رجال الصالحين والذين شهد لهم بالفضل والكرامات وسمع منهم ذلك، فاهتم بتعيين قبره وإظهاره فحقق الله له ذلك³.

ب- قرى الشرفاء الكنتاوين:

وقعت واقعة بين متخاصمان من شرفاء قصر المناصر بلدية زاوية كنتة واشتد الأمر بين الطرفين حتى وصلت إلى الحاكم الفرنسي الذي أمرهم إلى السجن بمدينة أدرار وتنفيذ الحكم، وبعد أيام من سجنهما بعث الشيخ سيدي عبد الكريم رسولاً إلى السجن يبلغه السلام إلى الشرفاء ويخبرهم بدعوة الغذاء في تلك الصبيحة عنده بقصر بني تامر، لما أخبرهم بذلك غضبا وظنا أن الشيخ يستهزئ بهما، فما كادت الشمس أن ترفع وينتصف النهار حتى جاءهم رسول الحاكم الفرنسي بالإفراج، فخرجا فارحان متوجهان إلى الشيخ الذي كان بانتظارهما فسألوه عن ذلك

¹ مُجَّد فتحا بن مُجَّد بن عبد الكريم البلبالي، القنديل العالي، المرجع السابق، ص 219 .

² صديق الحاج أحمد آل المغيلي، المرجع السابق، ص 136.

³ للتوسع أكثر في هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى كتاب الشيق والمثير أنظر: مُجَّد بن مُجَّد عبد الكريم البلبالي ميدوبي: المصباح البياني من أخبار خير التابعين وراس الصالحين أويس بن عامر القرني (م ق 37 م).

فقال لهم إن الشيخ سيدي عبد الكريم المغيلي هو الذي أمرني بذلك فامتثلت لأمره وبعثت إليكما فتلك كرامة من كراماته.

(2)- الشيخ سيد الحاج أمجد البلبالي (مبدوي):

من بين الكرامات الشيخ سيدي عبد الكريم بن الحاج أمجد البلبالي توثقه الخلافة من أحفاده حيث ورد في كتاب صاحب الترجمة المعنون بالقنديل العالي: أن سيد عبد الكريم البلبالي كانت له محبة قوية وصادقة مع سيدي سالم ديداوي البوزاني منذ الطفولة حيث كان يقرأ عند الشيخ سيدي عبد الله بكوسام، ولما مرض الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي وإلتزم الفراش، زاره صديقه سيدي سالم، فنظر إليه وإلى كتب الخزانة الثرية التي كان حارساً عليها، فتألم وظهر عليه ذلك، قال له الشيخ سيدي عبد الكريم ياسيدي سالم ما هذا؟ فقال لاشي إلا أنني حين نظرت إلى هذه الكتب مع ما منحك الله من العلوم تذكرت كيف الحال بعدك لأنني رأيت الأولاد غير مهتمين بهذا المجال، قال له الشيخ سيدي عبد الكريم، لا تخف ياسيدي سالم إن الله سبحانه وتعالى حلیم كريم يستحي أن ينزع البركة من مكانها، وأرجوا أن يخرج الله منهم من يتولى ذلك ولعله من أمجد إن شاء الله، وهذا ما اختاره الله فجعله بمنه من مثقفين واختار الشيخ سيد الحاج أمجد صاحب الترجمة ليتوسم خلافة أجداده¹.

(أ)- التعريف به: هو الشيخ أمجد فتحا بن أمجد عبد الكريم البلبالي مبدوي، مسقط رأسه كان بقرية أولاد أونقال يوم 17 شوال 1369هـ، وبعد الأربعين يوماً رجع به أهله إلى بني تامر، ونشأ بها وحفظ كتاب الله على يد شيخه سيدي الحاج عبد الله بن سيدي المبخوت البلبالي ثم ارتحل إلى مهدية لمجلس الشيخ سيدي أمجد عبد العزيز سيدي أعمر عام 1965م، الذي أجازته إجازة مطلقة في جميع العلوم التي درسها عنده².

دخل المعهد الإسلامي بأدرار سنة 1967م، وتخرج منه فامتهن التعليم برتبة ممرن، ثم إلتحق بمعهد تكوين المعلمين بشار وتحصل على شهادة الكفاءة للمساعدین سنة 1974م،

¹ أمجد فتحا بن أمجد بن عبد الكريم البلبالي، القنديل العالي، المرجع السابق، ص 30.

² ترجم الشيخ لنفسه في كتاب: روائح وأزهار عن أشواق البلبالین الأنصار في مدح سيدنا النبي المختار، ط1، دار البلبالین، 2015، ص 104.

وبعد ذلك اشتغل في وظيفة إمام مدرس بالمسجد العتيق ببني تامر ابتداءً من أواخر 1985م إلى أن أذن له الحاج عبد العزيز سيدي عمر باعادة فتح مدرسة أجداده "دار القراءة"، وهي الآن تعد مقصد الكثير من الطلاب بولاية أدرار وخارجها¹.

أمه: السيدة عائشة مباركة بنت السيد مُجَّد بن سيد أحمد عبد الله الونقالي العقباوي².

(ب)- جهوده العلمية والتعليمية:

لما تدهورت حالة خزانة الشيخين سيدي عبد الكريم البلبالي الجد والحفيد وبعد وفاة الحفيد على وجه التحديد، وضاع منها الكثير من الكتب بسبب الإهمال والتفريط، ثم قيص لها الله من يعيد لها شيئاً من مجدها وهو الشيخ سيدي الحاج أمَّجَّد مبدوي الذي يشرف عليها حالياً الذي جمع شتاتها، إمَّا بالترتيب وبالتأليف أيضاً: كما أعاد نسخ بعض التقييدات التي كادت أن تضيع وله مؤلفات نذكرها منها:

-القنديل العالي إضاءة من حياة الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي 1288هـ / 1375هـ، فقد جمعه ورتبه وعلق على ماجاء فيه من معلومات قصد التوضيح للقارى والتأريخ لهذه الشخصية النادرة.

-وروائح وأزهار من أشواق البلبالين الأنصار في مدح سيدنا النبي المختار، جمع فيه جل الأشعار التي نظمها البلباليون مدحاً للنبي صل الله عليه وسلم.

-النبذة النيرة من حياة الذهب الأبريز الشيخ الحاج مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي الأموي (1342هـ/1429هـ-1924م/2008م)، حيث ترجم فيه لشيخه الشيخ الحاج مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي وأبرز حياته العلمية والأدبية.

¹ مُجَّد فتحنا بن عبد الكريم البلبالي (مبدوي): النبذة النيرة من حياة الذهب الأبريز الشيخ الحاج مُجَّد عبد العزيز سيدي أعمري المهداوي الأموي (1342هـ/1429هـ) (1924م/2008م)، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي - غرداية، الجزائر،

2013، ص 5-9.

² نفسه، ص 5.

-المصباح البياني من أخبار خير التابعين ورأس الصالحين أويس بن عامر القرني (ت 37 هـ)، مُجَّد بن مُجَّد عبد الكريم البلبالي (مبدوي).

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المصنفات كانت تصدر أو تذييل بتقاريط وتتمينات من طرف أعلام وشيوخ وأساتذة لهم مكانتهم الكبيرة بالمنطقة، نذكر منهم: الشيخ مولاي التهامي غيتاوي والشيخ سيدي مُجَّد بن سيدي مولاي أحمد علالي المعروف ب (مولاي الحاج) شيخ تاسفوت الذين ثمنا جهود الشيخ حول مؤلفه: النبذة النيرة من حياة الذهب الأبريز الشيخ الحاج مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي الأموي (1342هـ/1429هـ-1924م/2008م)¹.

والأستاذ الدكتور أحمد أبا الصافي جعفري الذي قدم تقديمًا لكتاب: المصباح البياني من أخبار خير التابعين ورأس الصالحين أويس بن عامر القرني (ت 37هـ)².

وتقريظين للشيخين مولاي الحاج والحاج عبد القادر سيدي عمر نجل الشيخ سيدي الحاج عبد العزيز سيدي عمر حول كتاب: وروائح وأزهار من أشواق البلباليين الأنصار في مدح سيدنا النبي المختار³.

كذا تقريظين للشيخين مولاي الحاج والحاج سالم بن براهيم إمام مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني بأدرار حول كتاب: القنديل العالي إضاءة من حياة الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي 1288هـ/1375هـ⁴.

¹ مُجَّد فتحنا بن عبد الكريم البلبالي (مبدوي)، النبذة النيرة من حياة الذهب الأبريز الشيخ الحاج مُجَّد عبد العزيز سيدي أعمار المهداوي الأموي (1342هـ/1429هـ) (1924م/2008م)، المرجع السابق، ص ص 13-16.

² مُجَّد بن مُجَّد بن مُجَّد بن مُجَّد عبد الكريم البلبالي (مبدوي)، المصباح البياني من أخبار خير التابعين ورأس الصالحين أويس بن عامر القرني (ت 37هـ)، المرجع السابق، ص ص 10-11.

³ مُجَّد بن مُجَّد بن مُجَّد عبد الكريم البلبالي مبدوي، وروائح وأزهار من أشواق البلباليين الأنصار، المرجع السابق، ص ص 122-125.

⁴ مُجَّد بن مُجَّد بن مُجَّد عبد الكريم البلبالي مبدوي، (القنديل العالي)، المرجع السابق، ص ص 103-104.

ج-أدبه:

الشعر :

له قصائد في المدح وأخرى في رثاء الأسياف، نذكر نماذج منها فيما يلي:

المدح: يقول مادحاً النبي مُجَدِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فَصَلِّ دَوْمًا عَلَيْهِ يَا رَبَّنَا مَعَ سَلَامٍ عَاطِرٍ يَا مَوْلَانَا

بِلا نِهَايَةٍ وَحَصْرٍ مِنَّا حَتَّى تَرْضَى وَتَرْضِيهِ بِمَا عَنَّا.

الرثاء: يقول في قصيدة رثى فيها الشيخ الحاج مُجَدِّ بن لكبير رحمه الله¹.

أَيَا تَوَاتٍ قِبَلَةِ الْبِلَادِ بَابِنِ الْكَبِيرِ قُطْبِ فِي الْأَسْيَادِ

بِهِ حَزَتْ الْفَخْرَ عَلَى الْبُلْدَانِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا بِلا جُحْدَانِ.

د-دار القراءة حالياً:

هي الآن زاوية للعلم يقصدها الطلبة من كل مكان يبلغ عدد الطلبة الداخلين فيها حوالي ثمانية وعشرين طالباً، ويتضاعف هذا العدد أو يزيد عليه في فصل الصيف وشهر رمضان، يقوم بتدريس هذا العدد من الطلبة الشيخ حفظه الله بنفسه، إذ تبدأ الدراسة والتحفيظ من أول النهار إلى الزوال، ثم من العصر إلى ما بعد صلاة العشاء، أما العلوم التي تدرس في هذه المدرسة أساسها تحفيظ القرآن الكريم، اعتماداً بكتابة على الألواح ثم الحديث (الأربعين النووية، والصحيحين)، والمتون والمعروفة منذ القديم وعلى غرار كافة المدارس والزوايا المنطقية، مثل المرشد المعين والعبقري والأخضري والرسالة لابن أبي زيد القيرواني، والأجرومية والألفية ولامية الأفعال، والبردة والهمزية².

¹ مُجَدِّ بن مُجَدِّ بن مُجَدِّ، روائح وأزهار من أشواق البلبالين الأنصار المرجع السابق، ص104.

² مُجَدِّ فتحنا بن عبد الكريم البلبالي مبدوي: مشرف على خزنة بني تامر، مقابلة شفوية بدار القراءة، بني تامر، 23 سبتمبر

2018 على الساعة 11:36.

تحتوي الخزانة التي ورثها الشيخ عن أجداده على عدد لا بأس به من المخطوطات والتقييدات، نذكر منها:

-تفسير القران للبعوي.

-التحفة العلية في آداب الدين والدنيا لأبي الحسن على بن حبيب.

-شرح المرفوق في المنطق مجهول المؤلف.

-غنية المقتصد السائل في ما حل بتوات من القضايا والمسائل.

-الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشرف.

-قصيدة الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان التنيلايني¹.

المبحث الرابع: أهم الشخصيات العلمية البارزة بمركز برينكان.

1- سيدي أمبارك بن سيدي أمجد بن أبي القاسم البلبالي:

عرفه الإمام أحمد بن محمد بن حسان عريان الراس في كتابه الشجرة المرجانة كان رحمه الله قطباً من أقطاب الولاية وقنديلا من قناديل العلم والمعرفة وقدوة العلماء الأعلام جامعاً بين الشريعة والحقيقة متمسكاً بعروى الأخلاق الحميدة والفضائل المجيدة، فحفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه برينكان ولما استكمل حفظه وأتقن قراءته فأبصر في العلوم الشرعية وجد واجتهد فيها ثم قصد الحلقة وهي المجالس المشهورة آنذاك بالمنطقة والتي كان من أعظمها في توات مجلس الولي الحاج "سيد أمجد الأدغاغي" الشهير بالونقالي² المتوفى سنة 1175هـ، وكانت حلقة سيدي أمبارك البلبالي من أثرى الحلقات العلمية في الديار التواتية كلها، مبنية على أسس الحقيقة الإلهية والفيوضات الربانية وتدرس فيها جميع العلوم والفنون بأسلوب ميسر وطريقة مبسطة وواضحة، وروى بعض تلاميذه أنه كان يختم لهم المختصر في عشرة أيام ثم في أسبوع ثم في ثلاثة أيام³.

¹ محمد بن محمد بن محمد مبدوي بلبالي، القنديل العالي، المرجع السابق، ص 323.

² سيدي محمد الأدغاغي الشهير بالونقالي.

³ أحمد بن حسان عريان الراس، شجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 35.

يقول صاحب الذرة الفاخرة أنه كان عالماً صالحاً متفنناً في فنون شتى أخذ عن الشيخ مُحَمَّدِ الوثقالي، تصدر التدريس والتوجيه والتربية بمسقط رأسه برينكان فتتلمذ على يده جمع من أهالي القصور المجاورة القريبة، وكان مقصداً للقضاء أمور العامة فيقصدونه للإستفسار عن أمور دينهم وإيجاد الحلول لبعض النزعات والخصومات القائمة بينهم وظل على حاله ينتفع الناس به ويعلمه حتى أقعده المرض وألزمه الفراش ولما أحس بدنو أجله كتب وصيته في اليوم 10 شوال 1220 هـ وعهد فيها لأبناءه الكبار وهم سيدي المختار وبدر الدين ومُحَمَّد عبد القادر بكفالة إخوانهم الصغار، وتولى كتابة الوصية السيد عبد الرحمان بن أحمد بن عبد الرحمان ومن نفس تاريخ السنة الهجرية توفي رحمه الله ودفن بقصر برينكان وضريحه به معروفاً ومشهوراً، مخلفاً وراءه نوازل وفتاوى وتقاييد مهمة إلا أن جلها ضاع في جملة ماضع من كتبه ومخطوطاته¹.

(2)- سيدي مُحَمَّد بن سيدي المأمون البلبالي:

كان رحمه الله من العلماء البارزين في المنطقة ومن أفضل فقهاءها، كان إماماً وفقهياً متمكناً من حفظ القرآن الكريم منذ صغره وترى على العفة والطهارة والتشبع بالأخلاق الإسلامية الرفيعة وبعد أن حفظ القرآن الكريم توجه إلى قصر كوسام تتلمذ على يد العالم العلامة سيدي أبي مُحَمَّد عبد الله بن سيدي الحبيب البلبالي فبرع في العلوم المختلفة من فقه وحديث ونحو وغيره، وتحصل على إجازة مطلقة في كل ما قرأه عليه وسمعه منه شيخه المذكور وقد روى عنه جميع الكتب التي درسها في حلقة بالسند المتصل إلى مؤلفها كما هو الشأن أُنذاك في أغلب الحلقات التواتية ومن بينها صحيح الإمام البخاري².

بينما تخرج صاحب الترجمة من المركز العلمي بقصر كوسام رجع إلى منطقة تسابيت فتولى التدريس والإمامة أولاً بقصر العياد وهناك تزوج بالسيدة مسعودة زنبو التي أنجبت له ابنه الفقيه سيدي أحمد، ثم بعده انتقل إلى قصر حماد ثم رجع إلى مسقط رأسه برينكان فسار على نهج

¹ أحمد بن حسان عريان الراس، شجرة المرجانية، المرجع السابق، ص ص 35، 36.

² وتجدد الإشارة إلى أن علماء توات والمغاربة عموماً يعتمدون في سند صحيح الإمام البخاري على رواية بن سعادة وهي أجود الروايات وأصحها كما نص على ذلك غير واحد من العلماء كابن البار القضاعي وابن خاتمة وغيرهما وكان الشيخ أبو مُحَمَّد عبد القادر الفاسي رحمه الله تعالى يقول "رواية ابن سعادة هذه هي أفضل من الروايات التي عند الحافظ ابن حجر العسقلاني وأن ابن حجر لم يعثر عليها.

أسلافه السابقين في تعليم الناس وتثقيفهم وتوجيههم وإرشادهم والإصلاح بينهم وأضحوا يرجعون إليه في أمورهم الخاصة ليحل مشاكلهم ونزاعاتهم وخصوماتهم واستفساره في المسائل الشرعية من داخل المنطقة وخارجها وقد لقبه أهل المنطقة بالفقيه لأجوبته المختصرة والدقيقة التي تدل على تمكنه ورسوخ قدمه في العلم والمعرفة، وتتلذذ على يده جملة من العلماء ومن بينهم ابنه سيدي أحمد وابن عمه الفقيه سيدي الحسين وأخيه سيدي المدني والسيد مُحَمَّد عبد الرحمان بن مُحَمَّد العربي العيادي والسيد الحاج عبد الرحمان بن الحاسن قوراري المعروف باسم "وربك الفتاح" وغيرهم، توفي رحمة الله عليه نتيجة لمرض الطاعون الذي إنتشر سنة 1365هـ-1945م وهلك فيه العديد من وجهاء وأعيان المنطقة آنذاك¹.

(3) - سيدي البشير بن سيدي أمبارك بن سيدي مُحَمَّد المامون البلبالي :

كان رحمه الله من العلماء الفضلاء والفقهاء الأجلاء ولد بمسقط رأسه مدينة تميمون سنة 1323هـ/1905م، حفظ القرآن الكريم في إحدى الكتاتيب الموجودة بالمنطقة ثم لازم والده القاضي فأخذ عنه جملة من مسائل العلم المختلفة وتلقى عليه بعض المتون الفقهية والأدبية ثم توجه بمعية شقيقه سيدي مُحَمَّد عبد القادر بإذن والداهما إلى قرية كوسام المشهورة بالعلم، فجلسا إلى حلقة الشيخ سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد الحبيب البلبالي، فأخذ عنه العلم والفقه والحديث والنحو والتفسير والفرائض وغيرها، وقام الشيخ المذكور بإجازتهما إجازة مشتركة ماجاء فيها "وفي هذا الخط القويم المنال وانتظم في سلك عقدهم العديم المثال اطروفتا الزمان والليالي وأعجوبتا الدهر وفريدتا اللثالي العوالى الشبان المرتضيان اللذان غاصاً في بحر المفاخر وللإلتقاط جوهرة ... وبدلاً وسعهما في تلك المناهل الصافية ... الإخوان النجيبان الذكيان الاربيان أبو البركة السيد البشير وأبو المودة والفضل السيد عبد القادر ابن القاضي النجيب السيد أمبارك بن المرحوم بكرم الله السيد المامون أفادهما الله من ملاذ العرفان... فاقول مجيباً أنني قد أجزت للأخوين المذكورين جميع ماسمعه مني ورويته عن شيخنا الوالد..."، وأجازهما شيخهما في جميع العلوم المتداولة بين الناس، ودعى لهما بالصلح القول والعمل، ثم تولى صاحب الترجمة الإمامة والتدريس بمنطقة أوقروت وانتصب لتحفيظ القرآن الصبيان وعلم العوام أمور دينهم ودنياهم وانتفع

¹ أحمد بن حسان عريان الراس، شجرة المرجانية، المرجع السابق، ص ص 53، 54، 55، 56.

به في أهل المنطقة وسكانها ونال الإحترام والوقار والثقة من الجميع ثم رجع إلى مدينة تيميمون مسقط رأسه وتوفي بها في 1421هـ، 2000م ودفن هناك وحضر جنازته جمع غفير¹.

(4)- سيدي أحمد بن سيدي مُحمَّد بن سيد أُحمَّد بن سيدي المأمون البلبالي الملقب باسم سيدي أحمد الفقيه:

ولد في قصر العياد أحد قصور تساييت -بلاد أمه- ثم انتقل إلى قصر برينكان حيث تربى وترعرع بها² وكان أبوه سيدي مُحمَّد مفتي المنطقة الممتدة من عريان الراس بتساييت إلى بودة في العهد الإستعمار الفرنسي حيث وضعته فرنسا كمفتي للمنطقة، لديه أربع إخوة بنات وأربعة إخوة أولاد، أوصاه أبوه بالعلم لأنه هو الوحيد عند أمه تعلم القرآن عند الفقيه "حمي" وانتقل إلى كوسام ليواصل علمه فتفقه وتعلم ثم توجه إلى تمنطيط عند الشيخ "أحمد ديدي" حيث التقى مع الشيخ سيد مُحمَّد بالكبير، فدرس معه برفقة "الحاج مُحمَّد الكنتاوي" وبعدها ارتحل إلى موطنه الأصلي تلبالة درس بها ثم انتقل إلى قرية "بيدو"³ والعروبية التابعة لمنطقة سيدي بلعباس، كما أنه باشر بإلقاء بعض الدروس بالمنطقة سيدي بلعباس وتولى التدريس بها، وعين إماماً ومدرساً من قبل وزارة الشؤون الدينية والأوقاف بقصر إيكيس بلدية تامست⁴ فحضي بحبهم ووقارهم ويقال أنه هو من علمهم المعالم الدينية الصحيحة، وكانت البلاد مشاعة بالفتن والخصومات، وبمجيئه عرفت إيكيس نوعاً من الإستقرار والأمان لم تشهده من قبل، فإحترمه الصغير والكبير رجالاً ونساءً لانه عاملهم بالطيب الأخوة وأخلاقه الخيرة ولا ينفر فيهم ولا يخضعهم للصالح بالقوة والضغط، وأحسن التعامل معهم وكسب ودهم، فاستمر هذا الإحترام إلى يومنا هذا مع أبناءه، واحتضنوه ووقروه ورغبوا أن يعيش بينهم و يستقر ويربي أبنائه في قصرهم، وعرف عندهم باسم أحمد الفقيه أو فقيهنا⁵.

(أ)- تلاميذه: بعد أن إمتهن مهنة التدريس قصده طلاب العلم من كل صوب مثل زاوية سي عبد القادر ولحمر وباعمور وتيطاف وغرميانو وقصر بويحي، وكان أهل المنطقة كلهم يحرصون

¹ أحمد بن حسان عريان الراس، شجرة المرجانية، المرجع السابق، ص ص 59-60.

² كانت أمه حريصة على تعلمه وتدعوه دائماً لطلب العلم.

³ هو مصطلح فرنسي أطلق على هذه القرية بينما الإسم الأصلي هو "رأس الماء".

⁴ تامست: تمثل إحدى دوائر توات ومن بين القرى الموجودة بها باعمور و"لحمر".

⁵ الطبيب بلبالي: مشرف على خزانة برينكان، مقابلة شفوية بمقر خزانة: يوم 03 جوان 2018، على الساعة 18:30.

على حضور الدرس والحديث بعد صلاة المغرب ومن بين تلاميذه: الإمام الخطيب الحاج مُجَّد الصديق بتمنراست وتلميذه الإمام بمدينة سعيدة بوتدارة عبد القادر بقصر لحر والحاج عبد الرحمان ابن الحاج عبد الله من بوعلي وكذلك عبد الله ولد الحاج الصديق بقصر أولاد علي وسي مُجَّد ولد سي مبارك ولد بابلا في أدرار، والأمام الكبير الحاج المبروك ابن الحاج رمضان في غرميانوا، بالإضافة إلى عدد كبير من تلاميذه في الولايات الأخرى مثل عين تموشنت وسعيدة¹.

توفي رحمه الله في يوم الجمعة شعبان سنة 1410هـ الموافق ل 13 مارس 1990 م، ودفن مساء يوم السبت بمقبرة البلبالي بقصر برينكان وشهد جنازته جمع غفير من المسلمين داخل وخارج المنطقة².

(ب) - كرامته: من بين كرامات الشيخ سيدي أحمد الفقيه يقال أن القرآن الكريم لم يحفظه في اللوح مثل أقرانه وإنما قام أحد شيوخ بلده بمناداته وقرأ عليه جزء من القرآن ثم قال له احفظ لي القرآن فيقال أنه أوردته للشيخ وكأن الكتاب كان مفتوحاً أمامه.

أما الكرامة الثانية: تتعلق بقبور أجداده بقصر تبلباله ببيشار: حيث تردد في مسامع العامة من أهل القصر أن هناك أفعى تتردد على قبر أجداده ولم يستطع أحد إزاحتها وبعد أن قام هو بزيارة قبور أجداده اختفت ولم يبق لها أثر³.

خاتمة الفصل:

ساهم علماء الأسرة البلبلية على اختلاف قصورها ونواحيها بالقسط الأوفر في دفع الحركة العلمية إلى الأمام، لتوفر مجموعة من الخصوصيات التي تميزت بها هذه الأسرة عن سواها، فتصدروا التدريس والتأليف والقضاء بالديار التواتية، كما اشتهر علماء الأسرة البلبلية بالصلح بين أفراد المجتمع والتسامح، وعلى هذا الأساس حظي أفراد هذه الأسرة بالاحترام والوقار وبمكانة إجتماعية خاصة، وهكذا رفعوا راية العلم والقضاء معاً بالديار التواتية طيلة القرنين 13 و14هـ - 19 و20م.

¹ الطيب بلبالي: مشرف على خزانة برينكان، نفس المقابلة شفوية بمقر خزانة: يوم 03 جوان 2018، على الساعة 18:30.

² الطيب بلبالي: نفس المقابلة.

³ الطيب بلبالي: نفس المقابلة بنفس اليوم والساعة.

الفصل السادس:

الزوايا والخزائن العلمية الببلالية.

المبحث الأول: الزوايا.

المبحث الثاني: الخزائن العلمية الببلالية.

الفصل السادس: الزوايا والخزائن العلمية البلبلية.

المبحث الأول: الزوايا.

عملت المؤسسات التعليمية بالحفاظ على الهوية الإسلامية وتحفيظ القرآن الكريم والتحفيز على قراءته بالأحكامه، ففتحت الأبواب على مصرعيها لقدم الطلبة من كل المناطق، مما ترتب عنه تخرج الآلاف طلاب العلم الذين حفظوا القرآن الكريم وتعلموا العلوم الشرعية من تفسير وفقه وحديث على مرجعية ابن مالك¹ ومن بين هذه المؤسسات:

أ- الزوايا:

1- مفهوم الزاوية لغة: الزاوية جمعها الزوايا صيغة المؤنث لفاعل زوي بنزوي، والزاوية هي: البيت أو الركينة وتزوي فيها صار فيها وتقول زوى فلان المال عن وارثه ربا، ويقال أيضاً زوى الشيء بزويه زيا أي جمعه وقضبه².

والذي مصدره زوى الشيء يزويه زياً وزوياً، فانزوى نحة فتنحى وزاواه قبضه، وزويت الشيء جمعه وقبضته وفي الحديث: **إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا**³.

وزويت لي الأرض جمعت، ومنه دعاء السفر وازوا لنا البعيد أي أجمعه وأطواه، وزوى ما بين عينيه فانزوى: جمعه فاجتمع وقبضه، قال الأعشى: يزيد البعض الطرف عندي كأنما زوى بين عينيه على المعاجم وزوى الكلام أي هياه في نفسه وانزوى القوم بعضه إلى بعض أي تفاعلوا والزاوية من البيت جمعها زوايا هي الركن⁴.

¹ أحمد جعفري: الوقف الإسلامي في زوايا ومدارس إقليم توات "جنوب الجزائر" دور النهضة العلمية للأقاليم من القرن 7هـ

إلى القرن 15هـ، والمؤتمر العالمي الخامس للوقف الإسلامي، التحديات واستشراف المستقبل، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية الخرطوم، السودان 17 شوال 1438، 11-12 يوليو 2018، ص 18.

² نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص 27.

³ صحيح البخاري في الروض النظر تحت رقم 1170/61.

⁴ إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1، اسطنبول، مؤسسة الثقافة، 1989، ص 408.

2- تعريف الزاوية اصطلاحاً:

تُعرف الزاوية على أنها مدرسة علم ودار لضيافة الغرباء ومركزاً للطرق الصوفية، المبنية على أسس علمية وثقافية عربية وإسلامية، كما تعرف الزاوية على أنها مؤسسة إجتماعية ومركزاً للنشاط الديني فهي تمثل بناء يجمع بين الهندسة المسجد والمنزل، وغالب ما تكون منزوية عن المدينة في قرى نائية¹.

وعرفها أهل توات² على أنها تلك الصدقات الجارية التي يجسها الشيخ في حياته وبعد وفاته من خلال نص موثوق ومحدد ليقتنع بها عامة الخلق، فيجسد لها أملاكه ويحدد لها مكان وموقع خاص يشرف عليها الشيخ في حياته ثم يتعاقب عليها أبناءه بعد وفاته³.

أما عن تاريخ ظهور الزوايا⁴ التواتية فقد ارتبطت بنشأة القصور التواتية وهذا ما هو ظاهر على أغلب أسماء قصور توات حيث أطلق عليها إسم الزاوية، ومن بينها: زاوية مولاي هبة، زاوية مولاي عبد الله الرقاني برقان، زاوية الشيخ سيدي البكري، زاوية سيدي علي بن حنيني بزاجلوا، زاوية الدباغ، زاوية الشيخ بن عومر ببودة، زاوية سيدي عبد القادر بفرنوغيل، وزاوية كنتة وغيرها من القصور التواتية الأخرى التي ارتبطت بإسم الزاوية⁵.

¹ رايح تركي: التعليم القومي للشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر، 1991، ص237.

² عرفها الشيخ مُجدّ بالعالم: من الفعل زوى أي جمع لأنه فيها تجتمع الصفوف الفقراء وطلبة العلم ويجتمع فيها المال بطرق مشروعة قصد تمويلها وتسيير نظامها أنظر: مُجدّ بلعالم: أهداف ونشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، ماي 2000، ص 01 .

³ أحمد جعفري: دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط بإقليم توات الجزائر، مجلة التراث، ع112، الإمارات المتحدة 2018/12، ص 132 .

⁴ مُجدّ باي بالعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 320 .

⁵ والجدير بالذكر أن معظم المصادر التاريخية تشير إلى أن ظهور الزوايا بمفهومها المحلي يرجع إلى القرن السادس هجري عند قدوم مولاي سليمان بن علي الإدريسي من فاس حيث أسس زاويته المشهورة التي أضحت مقصد لكل طلاب العلم من كل مكان لتنتشر بعدها الزوايا علمية أخرى عملت على استقطاب تخرج العديد من الإئمة والعلماء البارزين الذين جاهدوا في نشر العلم والمعرفة أنظر: خير الدين شترة: البعد الثوري للزوايا العلمية بالجزائر خلال المرحلة الإستعمارية جمعية زاوية الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي، أعمال الندوة السنوية السابعة تخليداً لإحياء مآثر الشيخ 14 ماي 2012، طبعة على نفقة شركة وسط توات لمولاي عبد الله سماعيل، مراجعة وتقديم: ادريس بن خويا، ص100 وما بعدها.

(3) - زاوية البلبلية بملوكة:

تحيلنا بعض الروايات والتقاييد الخطية إن الزاوية البلبلية بقصر ملوكة يعود تأسيسها إلى القرن الحادي عشر هجري على يد مؤسسها السيد الحاج بلقاسم البلبالي القادم من تبلبالة إلى توات سنة 1010هـ.

وتحيلنا تقاييد أخرى أن قصر ملوكة شهد تأسيس خمس زوايا بلبلية، وهذا ما وجدناه في فصل كرامة سيد الحاج بلقاسم الملوكي الذي عزم كل العزم بعد أن وجد إخوانه الأربعة المفقودون، وقال لهم: " نجعل زاوية على كل واحد منا خمس ماله لله فصار بها خمس زوايا"¹، فتم ذلك في شهر مارس فاهتموا ببنائها لتعليم القرآن واللغة العربية بها، وسجل لهذه الزوايا الكثير من الأوقاف تتمثل في البساتين والأراضي والبيوت التي أوقفها أصحابها، وامتلكت نصيب كبير من مياه الفقارة، ويرجع الفضل إلى الشيخ محمد عبد الرحمان البلبالي في تجديد وتأسيس زاوية العلمية بملوكة إلى أن أصبحت مهوى الطلاب العلم وأضحت مضاهية للحواضر العلمية في توات.²

وردت لزاوية ملوكة عدة تعاريف مختلفة نظراً لمجهوداتها الجبارة في نشر العلم وصلاح المجتمع

منها:

عرّفها الدكتور حاج أحمد الصديق المغيلي: أنها إحدى زوايا قصور تيمي التي برزت كمركز إشعاع علمي وثقافي بداية من القرن الثاني عشر هجري وكان تاريخ تأسيسها سنة 1601م حيث شهدت توافد العديد من الطلاب العلم للدراسة بها.³

ساهمت هذه الزوايا في توفير المأوى والمطعم وكل ما يحتاجه الطلبة الزوار وفي ذلك يقول الشيخ مولاي الطاهر الإدريسي واصف المنطقة وزواياها والتي منها الزاوية البلبلية: من عاداتهم إكرام الضيف والمسافر لا يحتاج إلى عمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات وإن كان

¹ شاربي طيب: تقيد خطي ذكر كرامة سيد الحاج بلقاسم، بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

² شاربي طيب: مشرف على خزانة كوسام، مقابلة شفوية بمقر الخزانة كوسام، يوم 21 أكتوبر 2018، على الساعة 18:05 .

³ الصديق حاج أحمد آل المغيلي، المرجع السابق، ص 139.

القصر فيه زاوية لها أحباس على إطعام الطعام للضيوف فإن المسافر يقصد الزاوية فيجد فيها كل ما يحتاجه إليه هو ومن معه فيجد حتى علف الدواب، وما أكثر هذه الزوايا في هذا القطر¹.

يدخل في حيز المدرسة حلقات التدريس التي كان يعقدها الشيخ والعالم في مكان مخصص ومحدد وبصفة منتظمة كالمجلس علماء الأسرة البلبلية بقصر برينكان منهم سيدي أمبارك وسيد مأمون، وكان هذا المجلس حافلاً بأنواع العلوم الشرعية حيث درس فيها الفقه والحديث والتفسير، والمعارف الأدبية من صرف وبلاغة وفقه واللغة²، إضافة إلى تلك النشاطات الدينية المتنوعة فكانت بمثابة الجامعة التي جمعت الناس على إختلاف مستواهم العلمي ودرجاتهم العلمية، تخرج تلاميذ كثيرون فذهبت أخلاقهم وظهرت نفوسهم وأخرجتهم من ظلمات الجهل والشك إلى نور المعرفة واليقين³.

ويمكننا القول بأن العلماء البلبلين تمكنوا من تأسيس زوايا ومدارس تعليمية ومساجد ومراكز علمية أخرى استطاعوا من خلالها تبليغ رسالتهم التعليمية والتربوية وترسيخها في أذهان طلابها مروراً بمراحل يتدرج من خلالها الطلاب من مرتبة إلى أخرى وهي كالآتي:

(1) - المرحلة التعليمية الأولى: مرحلة الكتاب أو ما يسمى بأقريش أو المحضرة.

يلتحق الصبي⁴ لأول مرة بالكتاب ليتعلم كتاب الله تعالى ويقام لهذه المناسبة حفل خاص تصنع فيه المائدة وتشمل على التمر والحليب والطعام والحريرة والخبز، ويقدم لتلاميذ الزاوية القرآنية وأثر ذلك يقدم لوح الصبي ويكتب به بعد البسملة والصلاة على النبي حروفها الهجائية

¹ أحمد الطاهر الإدريسي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط السابق، الورقة 33، 34.
² حياة بلبالي: ابنة أخ المسؤول عن الخزنة، مقابلة معها بمنزلهم بقصر برينكان، يوم: 28 أبريل 2018 على الساعة 18:25.

³ أحمد بن محمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 105.

⁴ وقد ورد في مخطوط الغنية إلتحاق العلامة الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي منذ طفولته إلى الكتاتيب قائلاً: "...إبتدانا ونحن في سن السبع سنين أو اقل على مقرئنا ببلدتنا وقريب الإلتساب إلينا البركة الظاهرة والأسرار الربانية سيدي عبد الله بن ابراهيم بن سيدي الحاج... فافتحنا اللوح بحروف (أ،ب،ت،ث) بحسب بداية الصبيان، ثم بالتهجي إلى أن وصلنا سورة الجمعة وهي يسبح وابتدانا بالحفظ منه؛ إلى أن ختمنا القرآن بسورة البقرة بالرفع إلى أن ختمناه أيضاً، ثم صعنا معه كذلك ثم طرحنا اللوح..."، أنظر: البلبالي، مخطوط الغنية البلبلية، الورقة 3.

(أ، ب، ت، ث) على الطريقة المغاربية، وبعد أن يتقن الصبي الحروف كاملة يبدأ بتمرن على نقل الآيات من المصحف ثم يراجعها المعلم ويصححها، وفي هذه المرحلة يتعلم الصبي مبادئ الكتابة والخط والإملاء وبعد أن يقطع الصبي أشواطاً في قراءة القرآن يكتب له المعلم أسفل اللوح بعض المتون الفقهية الصغيرة كإبن عاشر والأجرمية وغيرها¹ ليتوج في الأخير بحفظ القرآن كاملاً حيث تحتفل أسرته بهذه المناسبة ويتشارك فيها المعلم ويلبس لباساً جديداً وتحني يداه ورجلاه ويهنئه الجميع.²

(2) - المرحلة الثانية:

بعد الإنتهاء من المرحلة الأولى والمتعلقة بالسلوك الأولية للقرآن الكريم ينتقل رسمياً إلى أحد المراكز العلمية آنفة الذكر ويتولى التعليم بها فيأخذ المتون الفقهية وألفية ابن مالك في النحو والصرف ومختصر السنوسي في المنطق ومختصر خليل في الفقه والعقيدة الكبرى للسنوسي وغيرها³.

(3) - المرحلة الثالثة:

بعد المرور بالمرحلة الأولى والثانية يصل الطالب إلى المرحلة الثالثة والنّهائية التي يصل فيها لدرجة من التوسع والتعمق والبحث في جميع العلوم التي تلقنها من قبل وفي هذه المرحلة يفتح الشيخ للطالب العلم المجال أمامه للمناقشة والحوار ويساعده في عملية البحث ويفتح له أبواب خزائنه ليستشير منها في أوقات فراغه ويتعود على المطالعة وفي آخر المطاف يتحصل على شهادة علمية تعرف باسم الإجازة ليشهد له فيها شيخه بالعلوم التي درسها وبرع فيها⁴.

(ب) - المدارس العلمية البلبلية: عُرف علماء توات بتخصيصهم مواضع من ممتلكاتهم أو من تبرعات أهل الإحسان لبناء مدارس لنشر العلم والمعرفة ويتولون فيها زمام الأمور وتوفد عليهم فيها الطلبة لتحصل العلم⁵ ومن بين هذه المدارس العلمية، المدرسة البلبلية بقصر بني تامر التي أنشأها

¹ مُجّد باي بالعالم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص263، 264.

² فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 86.

³ نفسه، ص 86.

⁴ عبد السلام الأسمر بلعالم: المرجع السابق، ص 102.

⁵ نفسه، ص 95.

الشيخ مُحمَّد عبد الكريم بن مُحمَّد بن عبد المالك البلبالي (ت 1288)، وقد ذكرنا سابقاً بسبب انتقاله من ملوكة إلى بني تامر حيث تولى التدريس بهذه المدرسة بعد بنائها وتشيدها فكانت مزاراً للعديد من طلاب العلم الذين تلقوا فيها الفقه والقضاء والفتوى وسائر العلوم الشرعية والدينية ونتجه لطريقة تدريسه تخرج على يده جم هائل من الطلاب والتلاميذ من بينهم: الشيخ والعالم سيدي مُحمَّد بن مُحمَّد الطيب بن مُحمَّد بن عمر التتلائي وغيره كثير¹.

إضافة إلى ذلك هناك المدرسة العلمية بلبلية أخرى أنشأها الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي (ت 1329 هـ) الذي ذكر إنتقاله من مسقط رأسه ملوكة إلى كوسام، وتأسيسه لهذه المدرسة التي تولى فيها التدريس رفقه أخيه الشيخ أُمحمَّد بن أحمد الحبيب البلبالي ورغم قرب هذه المدرسة من قلاع العلم في تمنطيط وتتلان إلا أنها أثبت وجودها وحافظت على خصوصيتها التعليمية فوضع الأعلام البلبالين أسسها وتوارثو ريادها جيلا بعد جيل فأضحت من أهم المدارس العلمية التواتية ووقع عليها الإختيار من قبل العديد من العلماء التدريس في رحابها فتخرج منها العديد من العلماء الأفاضل منهم القاضي الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي (ت 1353 هـ)، والقاضي الشيخ مُحمَّد بن أُمحمَّد بن أحمد الحبيب البلبالي وغيرهم كثير².

المبحث الثاني: خزائن العلمية البلبلية.

أولاً تعريف المخطوط وأجزائه:

تعريف المخطوط: لقد عُرف المخطوط باعتباره أحد المصادر الأساسية للمعلومات من الجانبين اللغوي والإصطلاحي:

التعريف اللغوي: جاء في لسان العرب لابن منظور:

الخط: هو الطريق المستقيم من الشيء وجمع خطوط، وقد جمعته العجاج على المخطوط.

¹ الصديق الحاج أحمد، المرجع السابق، ص 97.

² أحمد بوسعيد: الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنتوري القرن 12 هـ 18 م، مذكرة ماجستير، إشراف: مُحمَّد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 2012/2011، ص 125.

الخط: الطريق، ويقال إلزم ذلك الخط ولا تظلم عنه شيء.

خط القلم: أي كتب، وخط الشيء بخطه خطأً: أي كتبه بقلم غيره.

التخطيط: كالتسطير فنقول: خطط عليه، أي سطر عليه¹.

وجاء في معجم الوسيط: المخطوط: هو المكتوب بالخط لا بالمطبعة، والمخطوطة: النسخة المكتوبة باليد².

إصطلاحاً: عُرف المخطوط اصطلاحاً في الموسوعة الأمريكية على أنه: المكتوب باليد في أي نوع من أنواع الأدب، سواءً كان على الورق أو أي مادة أخرى، كالجلود والألواح الطبيعية القديمة والحجارة وغيرها³.

والمخطوط عبارة عن كل مؤلف دون بخط إنسان ما، سواءً كان بخط المؤلف نفسه أو التلميذ أو غيره وللمخطوط أهمية بالغة كونه يعمل على ربط الأمم بماضيها ليكون لهم مستقبلاً موسوم بماضي زاهر، مما يؤدي إلى تواصل الأجيال وترابط الأمم وازدهارها، ولا زالت الدراسات الحديثة تبحث عن طريق المخطوطات أينما حلت، فكان القدماء يسجلون مظاهر حضارتهم التي تشمل عاداتهم وتقاليدهم وأخلاقهم وعقائدهم⁴.

ومن هنا يمكننا القول أن المخطوط يمثل وثيقة تاريخية موثوقة شاهدةً على مؤلفها وزمن تأليفها الذي وجدت فيه، كما يمثل إراثاً حضارياً يعكس ثراء حضارة أمة في زمن معين، ويعبر عن مدى رسوخ وقدم علمائها في مختلف العلوم والفنون، وعليه فمن واجب كل أمة أن تبذل كل ما في وسعها من أجل الحفاظ على المخطوط⁵.

ثانياً: أجزاء المخطوط: يتكون المخطوط من مجموعة من الأجزاء وهي:

¹ ابن المنصور، لسان العرب، مج7، المرجع السابق، ص188.

² مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ط2، القاهرة، اسطنبول، ص 07.

³ عبد الستار خواجي: المخطوط العربي، الرياس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1978م، ص16.

⁴ محمود حامد عثمان: المرشد إلى تحقيق المخطوطات العربية، دار الزخم للنشر والتوزيع، ص16.

⁵ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، المصدر السابق، ص 16، 19.

1- **صفحة العنوان:** لقد كانت صفحة العنوان في بدايات التأليف الأولى، ترد في مقدمة المخطوط أو خاتمته، بينما الصفحة الأولى كانت تترك بيضاء وهذا بالنسبة للمؤلفين، أما الناسخين الذين كانوا ينسخون الكتب من أصولها فكانوا يضعون عنوان الكتاب واسم المؤلف على الصفحة الأولى.

2- **بداية المخطوط:** من المتعارف عليه عند العامة أن البداية الأولى لكتابة المخطوط تبدأ بالبسملة، ثم تليها مقدمة المؤلف الذي يستهلها بالحمد لله والاستعانة به والصلاة على نبيه، ثم بعد ذلك ينتقل إلى ذكر اسم كتابه وموضوعه الخاص، والغرض من تأليفه والمنهج المتبع وطريقة تبويب المادة من فصول وأبواب ومباحث، كما تتميز بلون مغاير للكتابة الأولى؛ حيث كانوا يعتمدون على اللون الآخر أحياناً.

3- **العناوين:** وتشمل عناوين الأبواب والفصول وعناوين أخرى جانبية التي كانت تكتب في وسط السطر، ثم بدأوا يكتبونها بحروف أكبر وبخط مخالف أيضاً، ومن الخطوط المفضلة في كتاباتهم كان الخط الكوفي.

4- **الهوامش:** وهي تلك المساحة البيضاء التي تحيط بالمساحة المكتوبة من الصفحة، وهي طريقة لضبط نهايات السطور، وكانت هناك قواعد يستخدمونها للحد والمد، وهذا ما جعل المخطوطات تتساوى في سطورها، أما عن علامات الترقيم فلم تكن معروفة في القرون الأولى، وحتى بعد إكتشافها فلم تكن تستخدم بكثرة.

5- **نهاية المخطوط:** تكون نهايته بعبارة انتهى، وبعد ذلك يأتي اسم الناسخ وتاريخ النسخ محدداً اليوم والشهر والسنة، وكان في الغالب يكتب بالتاريخ الهجري¹.

¹ قاسم عثمان نور أوراق سوء الأمة: المرجع في علوم المكتبات، ط1، مركز قاسم للخدمات والمكتبات، الخرطوم، 2007م، ص ص40، 41، 42.

ثالثاً: كيفية الحفاظ على المخطوط من الضياع.

وللحفاظ على المخطوط من الإندثار والضياع لقد تم تصنيف ورتيب المخطوطات داخل الخزائن بطريقة تتمثل في الفهرسة، وهي عبارة عن عملية إنشاء فهرس أو عملية وصف في لمواد المعلومات، للإستفادة منها بأبسط الطرق وفي وقت وجيز¹.

أما عملية تصنيف وفهرسة المخطوطات بإقليم توات خصوصاً فتكون مفردة غير متعددة الأجزاء، ولمعرفة بيانات النسخ تتميز المخطوطات التواتية بميزة ظاهرة، وهي غالباً ما تكون في الصفحة الأخيرة في النصف المكتوب على شكل هرم مقلوب، وأما اسم الناسخ فيظهر بعد انتهاء كلام المؤلف، ويسبق بعبارات منها: انتهى على يد العبد الفقير، المذنب الراجي، عفو ربه، فلان بن فلان، أما عن تاريخ النسخ فيذكر في غالب الأحيان بالوقت واليوم، والسنة الهجرية أو السنة فقط².

وقد اشتركت عوامل تاريخية عديدة في طمس كثير من المعالم التاريخية لمنطقة توات كالعوامل البيئية القاسية التي تعيشها المنطقة في حرارة صيفها الشديدة من جهة، وبرودة شتاءها القارصة من جهة أخرى، بالإضافة إلى عامل الإنسان نفسه، وفي كثير من الأحيان بقصد أو من غير قصد، وهذا ما أدى إلى ضياع المخطوطات وفقدانها³.

وقد ذكر الأستاذ الباحث "عبد الرحمن البلبالي" في إحدى ورقاته البحثية عن أسباب ضياع المخطوط إلى:

- الصراعات العائلية عن المخطوط.
- تواجد المخطوط في المكان الخطأ للحفظ.
- تحويل المخطوط من مكان إلى آخر دون إحضار وذوي الإختصاص.

¹ مُجَّد فتحي عبد الهادي: المدخل إلى علم الفهرسة، ج1، ط4، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، ص17.

² مُجَّد صالح حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص305.

³ أحمد أبا صابي جعفري: مُجَّد بن أب المزمري (1160هـ)، حياته وأثاره، ط1، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، 2004، ص56.

- العوامل الطبيعية والبيئية، كما ذكرنا سابقاً.
 - هجرة أهل العلم للتدريس وحملهم للمخطوطات من أبناء العائلة.
 - طرق تعامل الباحثين والزوار مع المخطوطات.
 - عدم اهتمام الدولة بالمخطوط لعدم توفر مناصب عمل ولو مؤقتة في الخزائن قد تساهم ولو بجزء بسيط في حفظ ما تبقى منه.
 - عدم اهتمام بعض أرباب الخزائن بالمخطوط، فلم يبذلوا من أموالهم ما يريجه وما يزيد في عمره¹.
- وقد ساهمت الحملات التوعوية المختلفة لأرباب الخزائن ومدعمهم ببعض المساعدات، وكذلك التجمعات والمليقيات المحلية والوطنية وحتى الدولية بالحفاظ على هذه الثروة الثقافية للتراث الحضاري الإنساني، بالإضافة إلى المبادرات الهادفة لتكوين فرق متخصصة ومؤهلة للتعامل مع المخطوط، ووضع فهارس عامة لهذه الخزائن والتي قادها في الغالب أساتذة جامعيون ومتخصصون، ومراكز بحث وطنية دولية تتكفل بتابعاتها المادية والمعنوية من أجل خلق جو طبيعي من الثقة بين أرباب الخزائن والباحثين المهتمين بهذا المجال².

رابعاً: مراحل المخطوط بأقليم توات:

1- المرحلة الأولى:

مثلت القوافل التجارية والرحالة من أبناء المنطقة من جهات مختلفة دوراً مهماً في جلب أعداد كثيرة من المخطوطات ابتداءً من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي³.

وقد عُرفت المخطوطات في هذه المرحلة بقدمها وكثرت هوامشها وباستعمال الحبر الأسود والأحمر والأخضر في كتابتها، بالإضافة إلى استعمال الورق الصيني، والكتابة بالخط النسخي والكوفي.

¹ عبد الرحمن بلبالي: مسؤول عن الخزانة ملوكة، مقابلة شخصية بمركز الخزانة: يوم 2017/5/12 على الساعة 19:30.

² أحمد أبا الصافي جعفري: من تاريخ توات "أبحاث في التراث"، ج2، (دط)، (دندن)، ص ص 18-20.

³ محمد صالح حوتية، توات والأزواد، ج1، المرجع السابق، ص308.

(2)-المرحلة الثانية:

مرحلة النسخ: لقد تواصلت مرحلة جلب المخطوطات الأولى ثم خصصت بعض المراكز في عملية الجمع، وامتدت هذه المرحلة من القرن الثالث عشر إلى التاسع عشر، حيث اتسعت بذلك المخطوطات في مناطق مختلفة¹.

خامساً: طرق وصول المخطوط إلى المنطقة:

(1)- عن طريق القوافل التجارية: تمثل منطقة توات مركزاً تجارياً هاماً لموقعها الجغرافي المتميز فهو ممراً مفضلاً لدى القوافل التجارية المتوجهة من شمال بلاد المغرب إلى بلاد السودان الغربي، وأشار ابن خلدون(ت 808 هـ-1406م)، في معرض حديثه عن قصر تمنطيط قائلاً: "هو محط ركاب التجار المترددين من المغرب إلى بلد مالي من السودان لهذا العهد..بالإضافة إلى بضائع المغرب وهذا ما جعلها تصبح همزة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب عبر الصحراء الكبرى"².

ظلت القوافل التجارية تحمل الرّاد العلمي، بعد أن تحط القافلة رحالها ينتقل جميع السكان إليها وكل شخص يبحث على أهل اختصاصه فالتاجر يبحث عن التاجر ويقتني منه السكر والملح واحتياجاته الأخرى والعالم يبحث عن العلماء والخبراء في تلك القافلة ليسأله عن الكتب المخطوطة فيأخذونها وينسخونها في الليلة الواحدة أو ليلتين أو ثلاث وهنا برعت مجموعة من متخصصين في فن النسخ بالأجر أو بغيره، فتنسخ العديد من الكتب العلمية، وبعد انتقال القافلة تنقل معها العديد من المخطوطات وتحط بها الرّحال إلى مالي وتنبكتو وتتم عملية تبادل المخطوط بين البلدان، وأضحت توات بهذه الصورة نقطة هامة في الالتقاء والجمع بين التجار القادمين من كل النواحي مع قوافلهم المحملة بالسلع والكتب المختلفة³ مع العلم أن أغلبية المدن والقصور التواتية نشأت عن طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء قاصدة الأسواق الرئيسية كما تحتم على أصحاب هذه القوافل التعامل مع أسواق المدن والقصور للحصول على احتياجاتهم فقد أدت

¹ بشار قويدر، حساني مختار: مخطوط توات ولاية أدرار، وزارة الإتصال والثقافة، (د،م،ن)، 1999م، ص11.

² عبد الرحمان بن مُجد ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ج7، ص77.

³ حصة قراءات تستضيف الدكتور أحمد الجعفري على قناة الجزائرية الثالثة متاح على الرابط " W.W.W.ENTV.DZ ،

تاريخ المشاهدة: 2018/01/22، على الساعة: 20:40.

القوافل التجارية دوراً كبيراً في الحياة العملية من خلال تجارة الكتب والمخطوطات التي أصبحت سلعة رائجة، لها تجارها وأسواقها، وتذر أرباحاً كثيرة، لإقبال الناس على طلب العلم، وساعدهم في ذلك مجموعة من العوامل وهي:

-الموقع الإستراتيجي الذي توسط الصحراء ويربط شمالها بجنوبها وشرقها.

-توفر المياه بكثرة بفضل الفقاير الموجودة بالمنطقة¹.

-كثرة قصور الإقليم مما يوفر الرّاد والرّاحة وسط الصحراء القاحلة.

-توفر الأمن والأمان للقوافل التجارية التي جندت لها قبائل تعمل على حمايتها من لصوص.

(2) - عن طريق الرحلات الحجية:

يقول المرحوم أبو قاسم سعد الله عن أهمية الحج وقيّمته العلمية "...والحج عندئذ ليس مجرد أداء للفريضة وتعليم، وسياحة وإطلاع، ومشاركة في كثير من جوانب الحياة..."².

ظلت توات ممر رئيسياً للحجاج جنوب المغرب وحجاج بلاد السودان، فجعلوا من هذه الرحلة فرصة إلتقاء لطلب العلم والإطلاع على مؤلفاتهم وزيارة العلماء المشهورين كذلك، وكانت البلاد التونسية محطة علمية يقصدها الحجاج، ويرتاحون مدة من الزمن لزيارة علمائها خاصة من بلغوا درجة التأليف منهم، وعندما سمعوا الحجاج أن أحد العلماء التونسيين تعرض لشرح مختصر الخليل في الفقه المالكي فأوصوا على زيارتهم أثناء طلوعهم إلى أرض الحجاز، كما قصدوا الدّيار المصرية وبلاد الحرمين الشريفين التي كانت معاهدها مفتوحة أمام الحجاج يستفيدون من كتبها ومؤلفاتها وتتبادل فيها الرسائل والإجازات ويستمر هذا النشاط العلمي ذهاباً وإياباً³ وكانت الدّيار التواتية نقطة هامة لوفد الحجاج المارة بالمنطقة والتي عرفت بدورها العلمي المتميز فكانت فرصة ينتظرها طلبة العلم لالتقائهم بالعلماء وأهل الفضل لمجالستهم وحضور دروسهم والإستفادة منهم،

¹ زينب سالمي: الحركة العلمية في اقليم توات خلال القرن 8-9 هـ، مذكرة ماجيستر في التاريخ المغرب الإسلامي، إشراف:

بوداوية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تلمسان، 2012/2011، ص 33.

² أبو القاسم سعد الله: الرائد في التجديد الإسلامي مُجدد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص36.

³ نفسه، ص36.

ومن أهم العلماء الذين زاروا توات في طريقهم إلى الحج هو الرحالة الشهير أبو سالم العياش الذي دخل توات سنة (1027هـ-1661م)، وفي طريقنا إلى الحج "ودخلنا أول عمالة لتوات وهي قرى تساييت"، ومن أهم العلماء أيضاً الشيخ الحاج أبو بكر بن الحاج عيسى بن أبي هريرة الغلاوى (ت1146هـ-1733م) الذي قدم إلى الحج في عام (1121هـ-1709م) رفقة الشيخ أحمد بن مُحمَّد بن ناصر الدرعي، بالإضافة إلى الشيخ أبو بكر بن الطالب مُحمَّد بن الطالب عمر البرتلي (ت1199هـ-1785م) الذي جلب معه من الحج خزانة نفيسة من الكتب والتي يمكن أن ينسخ بعضها بتوات وخصصت مراكز إلقاء الطلبة العلم ركب الحجيج في أماكن مخصصة وفي أوقات معلومة مثل: زاوية الشيخ بن حنيني بزاقلو، زاوية كنتة، تساييت وغيرها من المحطات التي يتم فيها التبادل العلمي والإجازات والمخطوطات.¹

(3) - عن طريق العلماء الوافدين إلى توات:

عرفت توات نزوح العديد من العلماء من مختلف بلدان المغرب الإسلامي، كان هؤلاء دوراً كبيراً في تحريك انتاج الحركة العلمية التواتية ومن بين الأسباب التي أدت للهجرة العلماء إلى الأراضي التواتية كونها منطقة إستراتيجية، وعرفت على مرّ التاريخ بأنها أرض الأمان والإستقرار فهو بلد ملائم للعلم والتعلم ودليل ذلك ما قاله الشيخ المغيلي: "دخلنا أرض توات فوجدناها ديار علم ومقر أكابر وأعلام فنتفعنا منهم ومنتفعوا منا"²، وبعد دخول هذه الفئة إلى أرض توات لاشك أنهم جلبوا معهم مخطوطات وعملوا على تأليف الكتب ومن بين العلماء الوافدين إلى توات وتركوا بصمة في جميع الخزائن التواتية³ تقريباً هو الشيخ مُحمَّد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ت909هـ هاجر من تلمسان إلى توات، كان رحمه الله من العلماء الذين نزلوا بتوات أثروا فيها تأثيراً بليغاً حتى أنه غير المجرى الثقافي والفكري للأقاليم وذلك من خلال دعواته الإصلاحية⁴ بل تعدى

¹ أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518 هـ - 1830م، دراسة تاريخية وإجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه، إشراف: مُحمَّد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، 2017-2018، ص212.

² طيب شاري: تقييد خطى تاريخ الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وفاته ورحلاته، بجزارة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ منها خزانة كوسام التي حفظت فيها جميع مؤلفاته وعمل الشيخ الحاج الطيب الشاري على نسخها بخط يده ومن بينها مخطوط تاريخ الشيخ بن عبد الكريم المغيلي وفاته ورحلاته.

⁴ عبد الله مقلاتي، مبارك الجعفري، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 339.

حدود توات ووصلت جهوده الإصلاحية الجبارة أقاليم السودان الغربي في شتى الميادين، وظلت بصمته في خزائن توات، بالكتب النفيسة التي جلبها معه من البلدان التي إرتحل إليها ومن هنا وكانت له شهرة واسعة في توات وربوع إفريقيا.

إضافةً إلى مُجَّد الإداعلي (1198هـ - 1784م) الذي ينتسب إلى القبيلة معروفة باسم إداعلي الشنقراطية، ولد في شنقيط ودرس بها ثم خرج منها وعلى راس وفد من الحجيج من مختلف المناطق الأفريقية، وتوقفت مسيرته بمنطقة عين صالح بتوات تاركاً القافلة قاصداً زاوية الركب النبوي باقبلي، تتلمذ على يد الشيخ البكري والشيخ السيد الغازي بالمغرب ثم استقر بقصر أعباني بفنوغيل فأسس مسجد وزاوية قرآنية وظل ينتقل بين توات وبلده الأصلي شنقيط حتى توفي في أواخر القرن 12هـ¹، وله العديد من المؤلفات والقصائد والأشعار الكثيرة والمتنوعة ومن بينها قصائده: قصيدة في مدح الرسول ﷺ وعدد أبياتها 133 بيتاً².

بالإضافة إلى الشيخ ميمون بن عمر بن مُجَّد الباز (901هـ - 1496م) الفاسي المغربي الذي كان له دور كبير في النشاط العلمي بالمنطقة، مخلفاً العديد من المؤلفات والنوازل في العبادات والأحكام والعوائد الجارية بتوات والتي تعرف باسم النوازل بن العالم وألفية الغريب في اللغة القرآنية تشمل 10000 بيت³.

كان لهؤلاء العلماء الوافدين عبر أزمنة مختلفة دوراً كبيراً في ملئ الخزائن التواتية بالمخطوطات، مثلاً يقال أن أول من أدخل رسالة لابن أبي زيد القيرواني إلى أرض توات هو الشيخ الشيوخ مولاي سليمان بن علي الإدريسي (670هـ - 1271م)، أحد علماء فاس ومن أوائل العلماء الذين دخلوا توات وغيرهم كثير لا يمكننا عدده ولا حصره⁴.

¹ أحمد أبا الصافي جعفري: رجال في الذاكرة الشيخ سيدي أداعلي ق 16 حياته شعره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 2009، ص ص 6-7.

² عبد الله مقالتي، مبارك جعفري، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 293.

³ زينب ساملي، الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرنين 8-9 هـ، المرجع السابق، ص 40.

⁴ مُجَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، ذرة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط نفسه، الورقة 18.

4- عن طريق الطرق الصوفية:

أولاً: مفهوم الطريقة.

الطريقة لغةً: جاء في معجم الوسيط الطريقة مسلك الطائفة من المتصوفة والسيرة والمذهب¹ وهي السيرة والمذهب والحالة فيقال: طريقة الرجل أي مذهبه ورجل حسن الطريقة أي الحالة².

الطريقة اصطلاحاً: ووردت بالقرآن الكريم في قوله تعالى: "نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا"³، وقوله تعالى: "قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ"⁴، وقوله أيضاً: "وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا"⁵.

والدلالات التي تدور حولها هذه الكلمة في الآيات القرآنية سالفه هو النهج السليم والقويم والمستقيم والطريقة عند أهل الحقيقة تتبع مراسم الله تعالى وأحكامه والتكليف التي لا رخصة فيها، وهي خاصة بالسالكين إلى الله تعالى مع قطع المنازل والترقي والمقامات⁶.

مفهوم التصوف لغةً: التصوف كلمة مشتقة من الفعل الخماسي صوف، أي جعله صوفياً، والتصوف بمعنى أن له أخلاق صوفية، والصوفية هم فئة من المتعبدين يطلق على المفرد منهم لفظ الصوفي⁷.

¹ ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، المرجع السابق، ص2.

² ابن منظور، المصدر السابق، مج 10، ص221.

³ سورة طه: الآية 104.

⁴ سورة الاحقاف: الآية30.

⁵ سورة الجن: الآية 16 .

⁶ عبد الله بن علوى بن حسن العطاس: ظهور الحقائق في بيان اللطائف، مطبعة بكارز حسني، (د،ط)، القاهرة 1312هـ،

ص 17 .

⁷ عيسى قراوي: التصوف والطرق الصوفية وأثرها على المجتمع الجزائري، مجلة الأثر، مجلة تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار،

العدد3، أبريل، 2009، ص 58 .

التصوف اصطلاحاً: يعرفه ابن خلدون العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والعزوف عن زينة الحياة الدنيا والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والإنفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة¹.

ويقول الشيخ المرحوم مُحمَّد باي بلعلم في تعريفه لطرق الصوفية أنها طريقة روحية تتخذ التعبد وسيلة لإصلاح النفس والمجتمع وتقوم بالرياضة التي تسمو بها النفس إلى درجة الاتصال الروحي إلى الملاء الأعلى فيصير كل ماعدا الله باطلاً وحقيقاً في أعينهم وفي ذلك تحقيق لمعنى لا إله إلا الله مُحمَّد رسول الله فلهم جهود ملموسة في نشر الإسلام².

وهدفنا من دراسة الطرق الصوفية والتعريف بها هو إبراز الدور العلمي الكبير الذي قامت به في توات، وخاصة أن الكثير من الطرق كان لها خزائن مليئة بالمخطوطات التي تدور موضوعاتها حول الطرق والتصوف ومن بينها الطريقة القادرية³ والتي كان لها إنتشار واسع الأرجاء وكانت، من بين الطرق التي كان لها تأثيراً كبيراً في المنطقة، بالإضافة إلى الطريقة التيجانية⁴ التي ظهرت بالمنطقة مع سنة (1204هـ-1790م)، وكان لها أتباع كثر في العديد من المناطق التواتية

¹ ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 467 .

² مُحمَّد باي بلعلم، الرحلة العلية، ج1، المصدر السابق، ص 353 .

³ الطريقة القادرية: تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر بن أبي صالح موسى الذي ينتهي عمود نسبه إلى الأشراف من أبناء سيدنا علي ابن ابي طالب، انتشرت هذه الطريقة في إفريقيا عموماً وشمالها خصوصاً وعرفت إنتشار كبيراً في كل من مراكش والسودان والنيجر والجزائر وغيرها، كما دخلت توات وتفرغت إلى الجنوب الغربي من القارة إلى شعبتين كبيرتين البكائية والكتنية والفاضلة، أنظر: عبد الله رزقي: الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات، دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن مُحمَّد البلبالي، أطروحة دكتوراه، إشراف: مُحمَّد بن منوف، قسم الأدب، كلية الأدب واللغة، السنة 2016-2017، ص 129، 134.

⁴ الطريقة التيجانية: أسسها الشيخ أبو العباس أحمد بن سيدي مُحمَّد المختار بن أحمد بن مُحمَّد بن سالم التيجاني، نسبه إلى قبيلة توجين التي استقرت قديماً بعين ماضي وولديها الواقعة بالقرب من مدينة الأغواط سنة 1150 هـ 1737م، وانتشرت بشكل واسع في إفريقيا خاصة المغرب والسودان والسنغال ونيجيريا على حساب الطريقة القادرية بفضل جهود الحاج عمر التكروري 1210 هـ 1795م الذي تلقى وردها على أيدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد الفيل الفوتا جالوني وقد وضع الحاج عمر أسس هذه الطريقة في كتاب الرماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم ولها مؤلفات كثيرة وعديدة. أنظر: عبد الله رزقي، الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات، دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن مُحمَّد البلبالي، المرجع السابق، ص 155، 160 .

خاصة تيدكلت وتيجنتورين بالإضافة أيضاً إلى الطريقة الشاذلية التي ظهرت لها فروع مثل الطريقة الطيبية التي كانت لها أتباع كثير¹.

عملت الطرق الصوفية المنتشرة بمنطقة توات على تهذيب النفوس وأخلاق السكان وتنمية خصالهم، الروحية والسلوكية، كما عملت على تحفيظ القرآن الكريم وعملت على تأسيس بعض الخزائن المخطوطات التي جمعت فيها كتب مخطوطة بمختلف مواضيعها ومن بين هذه الخزائن:

سادساً: الخزانة ملوكة والقائمين عليها حالياً.

يفيد التقييد الخطي لسيد الشاري الطيب أن خزانة ملوكة تأسست في القرن الحادي عشر هجري مع قدوم الإخوة الخمسة من إقليم تبلباله حاملين معهم مجموعة أحمال إبل من كتب في حينها (مخطوطات) بعناوين مختلفة، وهي بمثابة إرث ثقافي وعلمي وفكري تركه البلباليون للأبناء ثم للأحفاد².

وفي سنة 1203هـ وبعد عودة الشيخ القاضي محمد بن عبد الرحمن الملقب بشيخ سيد الحاج أعاد تجديد الروح في الخزانة بجلبه العديد من العناوين والنسخ الجديدة، فناهزت حوالي 2500 مخطوطاً حسب التواتر، وبرحيل الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي إلى قصر بني تامر أخذ معه مجموعة من المخطوطات ناهزت حوالي 500 مخطوطاً ولم يبق حالياً في خزانته إلا مائة وثمانين مخطوطاً، وأخذ الشيخ سيدي عبد الله بن سالم البلبالي إلى قصر كوسام 600 مخطوطاً، ولم يبق منها حالياً سوى 300 مخطوطاً، وتحتوى الخزانة الأم بملوكة 700 مخطوطاً بعدما كانت لها 2500 مخطوطاً³ وفي سنة 1984م حدث إنحيار للمكتبة البلبلالية ويرجع السبب في ذلك إلى بنائها الهش وتماطل الأمطار وتكاثر الحشرات بها وبعدها تم نقل المخطوطات المتبقية ووضعها في خزانة جديدة، حيث تكفلت البلدية ببنائها وساعدهم في ذلك السيد الحاج محمود جلايلة؛ ومن

¹ مبارك جعفري: حول تاريخ وتراث منطقة توات، دار الكتاب العربي، حي الآمال، الجزائر، 2016، ص 212، 213.

² طيب شاري: تقييد خطي عن خزانة كوسام، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ عبد الرحمان البلبالي: المشرف على خزانة ملوكة، مقابلة شفوية بمركز الخزانة، يوم: 2017/11/8م، على الساعة:

بين الذين ساهموا في نقل مخطوطاتها: السيد عبد القادر بن با عزيز البلبالي والسيد مُجَّد بن البكري البلبالي والحاج عبد الله البلبالي¹.

تعد الخزانة البلبالية من أغنى الخزائن المنطقة تيمي كماً وكيفاً نظراً لوفرة المخطوطات التي قلماً نجد لها وجود في الخزائن الأخرى، كما قام علماء الأسرة بجلب العديد من المخطوطات من العالم الإسلامي ونسخوا القرآن الكريم في كتاب واحد ثم نسحوه في أربعة أجزاء، وتم تفسير القرآن الكريم لعديد علماء الأمة، بالإضافة إلى المتون مثل: متن خليل، الأجرومية، الألفية وقد كان لشيخو البلبالين كتب ومؤلفات في شتى الميادين كتب فقهية، وكتب أدبية ولغوية في التاريخ والعلم الفلك².

(أ) أهم المشرفين الذين تداولوا على خزانة ملوكة:

المرحلة الأولى: (نهاية القرن العاشر هجري وبداية القرن الحادي عشر هجري)

الإخوة الخمس أبناء سيدي أحمد الفقيه البلبالي وهم على التوالي:

الحاج أمَّجَّد، الحاج بلقاسم، الحاج مُجَّد عبد الله، الحاج على، الحاج عبد الرحمان.

ثم تولى الإشراف عليها من بعدهم:

الشيخ القاضي أبو لقاسم بن مُجَّد بن الشيخ عبد القادر البلبالي وسيدي عبد القادر البلبالي.

المرحلة الثانية (مرحلة تجديد الخزانة):

القاضي الشيخ سيد الحاج البلبالي، سيدي عبد العزيز بن مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي، القاضي سيد البكري بن مُجَّد عبد العزيز وأخوه سيدي سالم بن مُجَّد عبد العزيز، سيد الحاج الصغير بن

¹ مُجَّد بن البكري البلبالي: أحد أعيان قصر ملوكة مقابلة شفوية، يوم 2018/03/14م، على الساعة: 20:00.

² عبد الرحمان البلبالي: المشرف على خزانة ملوكة، مقابلة شفوية بمركز الخزانة، يوم: 2018/01/13، على الساعة:

البكري، مُجَّد الطاهر بن مُجَّد بن عبد الرحمان، سيدي أحمد بن سيدي سالم، الحاج سالم بن مُجَّد البلبالي¹.

(ب)- جهود أصحاب الخزانة في الحفاظ عليها:

اجتهد القائمون حالياً بالخزانة المركزية على إنشاء مكتبة إلكترونية في يوم 11 جانفي 2017م، تم إفتتاح المكتبة الإلكترونية لمركز البلباليين للمخطوطات والبحث التاريخي الذي يضم العديد من الكتب النادرة.

وتكتمل للعمل الذي تم إنجازه من قبل، كتهيئة المكتبة وفهرستها، فيسعى المشرفون على هذا المركز للقفز وتحريك الراكد الفكري والراحلة الثقافية الوطنية لكذا حملات فكرية، فهي تتسع لمجلات عديدة، أما بالنسبة لخزانة المخطوطات توجد بها مكتبة إلكترونية فيها ما يقارب عشرة آلاف مخطوطاً منها ثلاثة آلاف عنواناً نادراً، إما نسخ أصلية أو نسخ نادرة أو نسخ غير محققة، كما تحتوي على خمسة آلاف مخطوطاً محفوظاً في أقراص صلبة مضغوطة قد مكنت الباحث من وجود سهولة في إطار البحث مع المخطوط عكس الطريقة التقليدية، كما هو معتاد فانتقل إلى طريقة حديثة بصيغة نظام pdf ليتصفح الصفحات المخطوط ويأخذ المعلومة ويدونها بكل سهولة².

أما عن وضع مبنى الخزانة حالياً فهو مشكل من رواق وبه قسم خاص بمكتبة إلكترونية تتوسطها طاولة طويلة وبجانبيها كراسي، بالإضافة إلى شاشة تلفزيون كبيرة لمشاهدة المخطوطات الإلكترونية، وتوجد غرفة واسعة أخرى مخصصة لخزانة المخطوطات تحتوي على ثلاث خزانات خشبية كبيرة الحجم بلون بني فاتح، أبوابها مشكلة من الخشب وقطع زجاجية مستطيلة الشكل تعرض فيها المخطوطات، بالإضافة إلى وجود بعض الرفوف الحديدية توضع بها بعض الملفات الخاصة بالخزانة ولها أبواب عصرية ذات طابع أصيل مشكلة من الحديد والخشب³.

¹ عبد الرحمان البلبالي: المشرف على خزانة ملوكة، مقابلة شفوية بمركز الخزانة يوم: 2018/02/23 على الساعة: 18:27.

² فيديو في صفحة الأسرة البلبلية على الفيس بوك " قناة الشروق تحضر إفتتاح المكتبة الإلكترونية لمركز البلباليين، يوم 11 جانفي 2018، متاح على الرابط: <<<http://tv.echceouk online.com>>> تاريخ المشاهدة: 2018/02/13.

³ قمت بزيارة إلى المركز في بتاريخ 2018/02/17.

كما شهدت المكتبة بعض الزيارات الرسمية مثل: زيارة وزير الشؤون الدينية والأوقاف مُجَّد عيسى يوم 07 نوفمبر 2016، فمن خلال هذه الزيارة تم تدشين مركز البلبالين للمخطوطات، كما قامت سفيرة أندونيسيا "يولي ما ميريبي ويدارسو" في 26 جانفي 2018م بزيارة إلى مركز البلبالين وأكدت من خلالها على ضرورة تبادل الخبرات في البحث العلمي الأرشيفي بين الجزائر وأندونيسيا لتبقي منطقة توات كمنازة لشرق والغرب ونشر تعاليم الإسلام، بالإضافة إلى الزيارة الأخيرة التي قام بها الوفد البرلماني لحزب جبهة المستقبل في يوم السبت 25 فيفري 2018، فأبواب المركز التاريخي مفتوحة لكل الطلبة والأساتذة والباحثين حسب قول المشرفين عليها¹.

ويعتمد المشرفون والقائمون على شأن مركز البلبالين للمخطوطات والبحث التاريخي على مجموعة من الأهداف أهمها:

طرح عناوين نادرة للتحقيق ومساعدة الباحثين في أعمالهم ومرافقتهم وتبني أبحاثهم ونشرها بدار البلبالين للنشر والتوزيع وكذا التعامل مع المراكز والمؤسسات المهمة بالمخطوطات.

- ويحتوي هذا المركز على مجموعة من الأقسام أهمها:

قسم التحقيق، قسم الترجمة، قسم التصوير والرقمنة، قسم الدراسة والتقييم، وقسم الدراسة المعمارية التاريخية.

ولكل قسم باحثون مختصون في هذا الشأن، ويشرف على المركز المكتب الرئيسي المكون من: الحاج عبد الرحمن بن عبد القادر البلبالي والحاج علي بلبالي وعبد الرحمان بن الحاج مُجَّد البلبالي وبوفلجة بن سيدي.

وهذا من أجل توسيع العمل المثمر الجماعي بدل التفسير الفردي والقفز بالمخطوط إلى أبعد مدى ممكن².

¹ جميع الزيارة المركز مسجلة في صفحة فيس بوك الخاصة بالأسرة البلبالية.

² عبد الرحمان البلبالي: المشرف على خزانة ملوكة، مقابلة شفوية بمركز الخزانة، يوم: 2017/11/8 على الساعة: 13:19.

سابعاً: خزانة كوسام.

تتواجد هذه الخزانة بقصر كوسام الواقع بإحدى بلديات تيمي ويرجع تأسيس هذه الخزانة إلى سنة (1278هـ-1860م) على يد الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم البلبالي، الذي أخذ معه ستة مائة مخطوط من خزانة ملوكة والتي لم يبق منها حالياً سوى ثلاثة مائة مخطوط¹ في شتى العلوم كالفقه والنحو والفلك والطب والنوازل، وكيفية صنع الحبر والرحلات والقضاء والتاريخ والأنساب والتجويد والتوحيد والميراث وتاريخ علماء المنطقة التي شكل القاضي عبد الكريم المغيلي أساسها لدوره الفعال في إبعاد اليهود، والأدب، والخطب المنبرية والأصول².

(أ) - نشأة الخزانة:

مع نهاية القرن الثالث عشر هجري سطع كوسام وأصبح مركز إشعاع علمي معروف بالديار التواتية كلها وذلك بعد أن أسسوا مدرستهم بها ونصب فيها الشيخ عبد الله البلبالي ابن الشيخ سيدي أحمد الحبيب البلبالي الذي، أسس بهذه المدرسة خزانته التي نحن بصدد التعريف بها في شهر الربيع الثاني عام 1278هـ وخصص لها رفعة صغيرة تتربع بالتقريب على ستة أمتار أو أقل³.

(ب) - المخطوطات المتواجدة بالخزانة:

يوجد بالخزانة العديد من المخطوطات في مقدمتها مخطوط غنية المقتصد في ما حل بتوات من القضايا والمسائل، الذي يعتبر من أهم المخطوطات التواتية عموماً، وبعض المخطوطات التاريخية المختلفة والمتمثلة في رحلة الشيخ سيدي علي عبد الرحمان بن ادريس التناي التي وصفت

¹ فتحة حلوى: فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية خزانة كوسام بمنطقة أدرار نموذجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد دكار، قسم الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية، كلية الأدب واللغات، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية: 2015-2016، ص 276.

² طيب شاري: تقييد خطي عن خزانة كوسام، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ طيب شاري: تقييد خطي عن قصر كوسام، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

أحداث قصف الجزائر العاصمة التي تعرضت له سنة (1231هـ - 1816م)، بالإضافة إلى مخطوط الرحلات الأدبية والنوازل التواتية مثل: نوازل الجنتورى والزجلاوي وغيرها.

(ج)-المشرفون على الخزانة بالتوالي:

تولى السيد مُجَّد بن سيدي أمجد الاشراف أول مشرفين على خزانة كوسام إلى أن توفي سنة 1916م، فتم تسليم مفاتيحها لسيدي سالم بن عبد الله بن أمجد الحبيب البلبالي الذي توفي سنة 1958م، وخلفه بعده سيدي مُجَّد بن الطالب بن أمجد الذي تركها عامرة بالمخطوطات والكتب النفيسة القيمة إلى أن توفي سنة 1977م، أما الإشراف الحالي للخزانة هو لسيد الحاج الطيب الشاري البلبالي الذي اجتهد في تسييرها، وأضحت المنافس الأول لجميع المكتبات والخزائن بإقليم توات¹.

(د)-المشرف الحالي للخزانة:

يُشرف السيد الحاج الطيب الشاري على الخزانة الكوسامية البلبلية منذ مدة، فهو أحد أحفاد الجد الأول للأسرة، يشتغل أمام ومعلم للقرآن الكريم درس في بداية بزواية تمنطيط ثم انتقل ليدرس على يد الشيخ مُجَّد بن الكبير بمدينة أدرار والذي رجع إليه الفضل في تولية الإشراف عليها والاهتمام بها، فقال له شيخه المذكور أنت مكلف بحمل تراث العائلة وإعادة الروح التجديد فيه عندها أحس السيد الحاج الطيب الشاري بحجم المسؤولية، فعقد العزم وبدأ في تجديد الخزانة وإعادة بعثها في حلة جديدة بعد ما كانت مجموعة في علب داخل إسطلب الحيوانات، فتولى نقلها خفية إلى بيته وأعاد تصنيفها وترتيبها في غرفة مخصصة لها، بعد أن حل بها ما حل من هجران وإتلاف للكتب، احتفظ بما تبقى بها من كتب وأضيفت إليها بعض الكتب الأخرى من هنا وهناك، ثم بعدها بادر بتوسيع مساحة الخزانة وبالتوفيق من الله ومنه شرع في العمل الجاد، فقال لي أنه: في عهد شيخنا سيدي الحاج مُجَّد بالكبير رحمه الله ومن سنة 1979م سألني يوماً ما عن كتاب كان يطالعه يدعى بالسملالي عن وجوده من عدمه فقلت له موجود: "فمن ثم كأنها إشارة

¹ شاري الطيب: المشرف على خزانة كوسام، مقابلة شفوية بمركز الخزانة يوم: 2018/03/13، على الساعة: 19:44.

لانطلاقي وبمشاركة حلت بقلبي في نسخ المخطوطات فبدأت بهذا الكتاب واتممت نسخه ثم تتالت عملية نسخي للمخطوطات بلا هوادة، فأصبح من ذلك الحين النسخ أحد هواياتي¹.

وبعد ذلك عكف السيد الحاج الطيب الشاري على بداية رحلة جديدة مع المخطوط وهي رحلة النسخ² المخطوطات وكان ذلك مع البداية سنة 1979م، وهي متواصلة إلى يومنا هذا رغم ظروفه الصحية الصعبة وكبر سنة إلا أنه أخلص في عمله هذا، فمنذ ذلك التاريخ ولغاية اليوم -أي 39 سنة- عمل هذا القدوة على نسخ ما يزيد عن 170 مخطوط بخط يده دون أجر يتقاضاه حيث ورث هذه الهواية عن جده عبد الله البلبالي الذي كان خطاطاً ماهراً³، رغم ظروفه الصحية إلا أنه لم يرضى بأن يضيع هذا التراث فأخلص لحمايته وعكف على نسخه وصيانته وحرص على تجديده بحلة جديدة مغايرة، كما عمل على إعادة ترميمه وتصوير المخطوطات المهتدة بالتلف والضياع والمطلوبة بكثرة من الزائرين مثل مخطوط غنية المقتصد السائل لما وقع بتوات من قضايا ومسائل، الذي قام بإعادة نسخه من جديد بخط يده وتصويره وكان يستعمل أدوات تساعد في عملية النسخ والمتمثلة في قلم القصب الذي يصنعه الشيخ بنفسه بواسطة سكين حاد، بالإضافة إلى الحبر الذي كان يصنعه بنفسه وبمختلف الألوان، واستعمال أوراق مقوى أو بعض الحافظات البلاستيكية⁴ والتي يجمعها في ملف واحد ونتيجة هذه الجهود التي سهل بها على الباحثين والدارسين مهمة قراءة المخطوطات الصعبة والكلمات المتداخلة والتي تحتاج منهم الكثير من الجهد والتمعن، فإن السيد الحاج الطيب الشاري يستحق أن يذكره التاريخ، فهو نموذج الإخلاص وحب العمل ذو ثقافة متواضعة يتصف بكرمه وحسن ضيافته ورحابه صدره، يتواجد بالخزانة يومياً لا يفارقها إلا عند الضرورة.

وتحصل هذا الأخير على عدة شهادات شرفية نظراً لمجهوداته الجبارة مثل شهادة المقدمة من طرف جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية لولاية أدرار للمحافظة على المخطوطات خزائنه وترتيبها

¹ شاري الطيب: المشرف على خزنة كوسام، مقابلة شفوية بمركز الخزانة يوم: 2018/10/21، ساعة 17:30.

² هدفه بالنسخ عدم تعرض المخطوط القديم للضرر الباحثين وبيكتفي الباحث بالإعتماد على النسخ الحديثة وإلقاء نظرة على المخطوط الأصلي القديم .

³ شاري طيب: المشرف على خزنة كوسام، مقابلة شفوية بمركز الخزانة يوم 05 سبتمبر 2018 على الساعة 18:10.

⁴ الهدف الأساسي من جميع هذه الأوراق في حافظات شفافة وإعتماده على ورق المقوى دون الورق العادي هو مقاومة الظروف الطبيعية القاسية للمنطقة.

وتنظيمها، بتاريخ 17 جوان 1996م، من رئيس الجمعية عبد القادر كبويا، كما تحصل على شهادة المشاركة في الدور التدريبية حول جرد ووصف ببليوغرافي وحفظ المخطوطات المنظمة من طرف جامعة الجزائر بتاريخ: 20/15 أبريل 2001م بولاية أدرار ومنحها له الرئيس قسم المكتبات والتوثيق السيد ر. علاهم¹.

ومنحت له شهادة تقدير من طاقم متوسطة اسبع بدائرة تسايت بمناسبة الزيارة التي قام بها تلاميذ المتوسطة لخزائنه إعتراضاً وتقديراً بحفاوة الإستقبال والشروح التي قدمها إلى التلاميذ بتاريخ 2010/01/23م، بالإضافة إلى الشهادة الشرفية المتقدمة له بمناسبة انعقاد الملتقى الولائي للمخطوط منذ سنة 16/13 ماي 1998م بولاية أدرار، وبعد الإرتياح الذي أبداه الوفد الوزاري إثر تفقد الخزانة فقدمت له هذه الشهادة عرفاناً منه على الجهود التي بذلها في الحفاظ على هذا الكنز التاريخي والحضاري للأمة وحمائته من الضياع².

كما أن الزوار هذه الخزانة كثر، فزارها عدد من الطلاب والأساتذة والباحثين والمؤرخين من جميع أقطار الوطن وحتى من خارجه مثل مصر وتونس والمغرب وحتى الإمارات العربية المتحدة التي أرسلت فريقاً متخصصاً في ترميم مخطوطات الخزانة وتعقيمها وإصلاح ما كانت تعاني منه من أضرار³.

ثامناً: خزانة بني تامر.

تأسست الخزانة البلبلية بقصر بني تامر ببلدية أولاد أحمد تيمي بتاريخ 1245هـ من فكرة وتجسيد صاحبها ومؤسسها عبد الكريم بن محمد بن عبد الملك البلبالي، الذي جلب العديد من العناوين والنسخ الجديدة بعد رحيله من قصر ملوكة قاصداً قصر بني تامر، آخذاً معه مجموعة من المخطوطات ناهزت حوالي خمس مائة مخطوط ولم يبق منها حالياً في خزائنه إلا مائتان وتسعون مخطوطاً فهي من أغنى خزائن المنطقة تيمي لوفرة مخطوطاتها التي لم نجد لها أثر في الخزائن الأخرى.

¹ شاري طيب: المشرف على خزانة كوسام، مقابلة شفوية بمركز الخزانة، يوم: 2018/05/13، على الساعة: 19:22.

² جميع شهاداته محفوظة بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

³ أحمد مبدوي: المشرف على خزانة بني تامر، مقابلة شفوية بمركز الخزانة نفس مقابلة معه: يوم 2018/05/13.

1-ثروة الخزانة:

تزر الخزانة بني تامر بثروة كبيرة من المخطوطات فهي تضم مجموعة من الكتب المخطوطة التي تتم بتاريخ المنطقة وتراثها والتي بلغت مائتان وتسعون مخطوطاً - كما ذكرنا سابقاً- وهي محفوظة في خزائن زجاجية حديثة الصنع وسنقوم باختيار مجموعة منها:

-مخطوط الغنية: الذي يحتوي على سبع مائة وتسعة وسبعون ورقة كلها عبارة عن نوازل، وهذا المخطوط محفوظ بطريقة جديدة ومعرض للزائرين في غلاف جيداً¹.

-مخطوط الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف لصاحبها عبد القادر التلاني.

-مخطوط التحفة العاصمية في آداب الدين والدنيا لأبي الحسن علي بن الحبيب.

-تفسير القرآن الكريم للبعوي.

-قصيدة الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمان التلاني.

-قصائد الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي الحفيد.

-شرح المرفوق في المنطقة، المجهول المؤلف.

2- خزانة بني تامر في عهد الشيخ القاضي سيدي عبد الكريم بن محمد بن عبد المالك

البلبالي:

قيل أن العلم غاية والكتب إبل، والإبل تسافر للغاية وتستقر بها، فجمع الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد البلبالي كتباً كثيرة في فنون شتى، بالشراء والكتابة بخطه وبخط أخيه السيد الحاج العربي، وحسب ما جاء في بعض الأرسام والتقاييد التي وجدناها أن هذه الخزانة كانت غنية بالعناوين النفيسة إلا أنه ومع الأسف الشديد تعرضت بعد وفاته للتلف والضياع بسبب الإعاقة والإهمال.

¹ وحالته جديدة جداً رغم قدمه أنظر الملحق رقم: 11، ص 323.

(3)-وضعية الخزانة حالياً:

حسب ما وردنا من صاحب الخزانة أو المشرف عليها حالياً -مُحَمَّد بن عبد الكريم بن مُحَمَّد بن حاج أحمد مبدوي- أن الخزانة حسب الملاحظ من الخزائن المتوسطة نظراً لما سبق ذكره من الإهمال والتفريط الذي لحقها بعد موت صاحبها لكننا حارصون اليوم على حفظ ما هو موجود مع التدعيم بكتب جديدة تعويضاً لما ضاع منها.¹

واقع هذه الخزانة البلبلية بقصر بني تامر كجمل الخزائن المخطوطات بمنطقة توات فهي تعاني من التهميش والنسيان والحجز في الرفوف نتيجة تعرضها للضياع والإهمال، فبعد أن كان عددها يتجاوز خمس مائة مخطوط أصبح عددها الآن مائتان وتسعون مخطوط فحوالي مائتان وعشرة مخطوط كلها ضاعت نتيجة الإهمال ونتيجة للعوامل الطبيعية وبشرية رغم التدخلات الكثيرة التي وقعت عليها بعد وفاة شيخها وبعد اليقظة أدخلت إلى مكان حفظت فيه وأخرجت من ظلمة الصناديق إلى النور.²

تأسست هذه الخزانة في القصة العتيقة التي بنيت فيها دار القراءة على يد الجد الأول للأسرة البلبلية بقصر بني تامر "الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي" وظلت هناك لمدة من الزمن إلى غاية السنوات الأخيرة حيث شهدت نقلة نوعية من طابعها القديم إلى الطابع الحديث لان المكان الأول لم يكن مناسباً لها نظراً لضيقه وقدم بنائه، فبعد أن انتقلت زاوية دار القراءة بجانب المسجد العتيق انتقلت معها الخزانة إلى مبناها الحديث في غرفة متوسطة الإتساع بها خزانتين كبيرتين زجاجيتين عصريتين مشكلتين من تسعة رفوف الحديدية تقريباً، وكل رف رف عرضت فيه الكتب المخطوطة بارزة بالإضافة إلى وجود رفوف بجانب الخزانة الكبيرة وضعت فيها بعض الملفات والكتب المطبوعة الخاصة بتراث المنطقة إلا أنها لم تشهد أيّ زيارات رسمية نظراً لوضعها القديم الذي لم يكن مساعداً ومناسباً لذلك إلا مؤخراً.³

¹ إُمُحَمَّد مبدوي: المشرف على خزانة بني تامر، مقابلة شفوية بمركز الخزانة بدار القراءة، يوم 2018/05/13.

² الندوة الثانية حول خزانة المخطوطات: جمعية الدراسات والأبحاث التاريخية بولاية أدرار يوم 2002/03/04، خزانة بني

تامر أدرار، المشرف على الخزانة مُحَمَّد بن عبد الكريم.

³ أُمُحَمَّد مبدوي: المشرف على خزانة بني تامر، نفس مقابلة شفوية بمركز الخزانة بدار القراءة، يوم 2018/05/13، على

الساعة:12:18.

4- رؤية مستقبلية لأصحاب الخزانة:

رغم البناء الجديد للخزانة إلا أن هذا لا يمنع من إتمام النقائص الموجودة فيها وإعادة ترميمها لتصبح بصورة أفضل من سابقتها، كما أن الخزانة لازالت محتاجة إلى دعم من أجل توفير آلة التصوير الحديثة لتصوير كل مخطوطاتها وحفظها في أقراص مضغوطة أو في بطاقة ذاكرة ليسهل تخزينها وإعادة طبعها مما يسهل على الباحثين تصنيفها وتحقيقها ودراستها وبهذا يمكنهم تجنب الإحراج الذي يسببه الباحثين أثناء إقتدائهم بمخطوط معين، فيكفي أن يقدم صاحب الخزانة نسخة من المخطوط المطلوب وبذلك تعم الفائدة والأجر بين الطرفين، كما ينقص الخزانة بعض التجهيزات من طاولات وكراسي وألة طباعة، كما أن الخزانة تفتقد فهرسة مخطوطاتها فلا بد من جرد مفهرسة ذلك مستقبلاً.

5- أهم المشرفين الذين تداولوا على الخزانة بني تامر:

أولا المؤسس الأول والمشرف عليها سابقاً الشيخ عبد الكريم بن مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الملك البلبالي من سنة 1245هـ-1278هـ، ثم تولى الإشراف عليها بعده الشيخ عبد الكريم بن مُجَّد بن عبد الكريم من سنة (1310-1373هـ) وهو حفيد الشيخ والمسمى باسمه، الذي استرجع الكتب المخطوطة المستعارة هنا وهناك من الخزانة وإعادة الإعتبار اليها ينسخ وشراء كتب مخطوطة ومطبوعة ؛ وفي آخر عمره جعلها وفقاً يتولى الإشراف عليها وحفظها وصيانتها القارئ من الأحفاده أوكل رعايتها بعده لولده الأكبر أبي مروان سيدي مُجَّد بن عبد الملك المتوفى في مطلع يناير 1972م وقبره المعروف بجمع الصالحين بني تامر والذي أعاد فتح المدرسة المباركة التي أسسها كذلك جده والمسماة "بدار القراءة" قرب المسجد العتيق والتي كانت بمثابة هدية أولاد أبي نعامة.

وبعد وفاة هذا الأخير إنتقل الإشراف عليها حالياً إلى الشيخ مُجَّد فتحا بن مُجَّد والمعروف بالشيخ سيدي الحاج أمجد مبدوي الذي جمع شتاتها بعد ما ضاع منها الكثير من الكتب المخطوطة بسبب الإهمال، فعمل هذا الشيخ على تأليف وإعادة نسخ العديد من التقارير الخطية التي كادت أن تضيع كما جمع العديد من مخطوطاتها في كتب ومؤلفات نذكر منها:

-القنديل العالي (إضاءة من حياة الشيخ عبد الكريم البلبالي (1288هـ -1375هـ) فعمل على جمع وترتيب وتعليق على ما جاء فيه من معلومات قصد توضيح للقارئ والتاريخ لهذه الشخصية المعطاة.

-روائع الأزهار من أشواق البلبالي الأنصاري في مدح سيدنا النبي المختار فعمل على جمع الأشعار التي نظمها البلباليون مدحاً للنبي ﷺ وقد تنوعت فبعضها كانت خالية من الحروف العجمية وبعضها بالحروف العجمية.

- العبرة النيرة من حياة الذهب الأبريز الشيخ الحاج محمد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي الأموي(1342هـ-1429هـ)(1924م-2008م)، حيث ترجم فيه لشيخه الشيخ الحاج محمد عبد العزيز سيد عمر المهداوي وأبرز حياته العلمية والأدبية.

-المصباح البياني من أخبار خير التابعين وراس الصالحين أويس بن عامر القرني محمد بن محمد عبد الكريم البلبالي الميداوي.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المؤلفات كانت تصدر أو تذبّل بتقاريط وتثمينات من طرف أعلام وشيوخ وأساتذة لهم مكاتنهم الإجماعية الكبيرة بالمنطقة، ونذكر منهم على سبيل المثال للحصر: الشيخ مولاي التوهامي غيتاوي والشيخ سيدي محمد بن سيدي مولاي أحمد علالي المعروف بمولاي الحاج وشيخ تاسفاوت الذين ثمنوا جهود العلمية للشيخ حول مؤلفه النبذة النيرة من حياة الذهب الأبريز الشيخ الحاج محمد عبد العزيز المهداوي الأموي (1342هـ-1429هـ)(1924م-2008م).

والأستاذ والبروفيسور أحمد أبا الصافي جعفري الذي قدم تقديماً للكتاب المصباح البياني من أخبار التابعين ورأس الصالحين أويس بن عامر القرني.

وتقريظ للشيخ مولاي الحاج والشيخ الحاج عبد القادر سيدي عمر نجل الشيخ سيدي الحاج عبد العزيز عمر حول كتاب: روائح والأزهار من أشواق البلباليين الأنصار في مدح سيدنا النبي المختار.

وكذا تقريظين للشيخين مولاي الحاج والحاج سالم بن إبراهيم إمام مسجد الشيخ عبد القادر الجيلاني أدرار حول كتاب: القنديل العالي إضاءة من حياة الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي 1288هـ/1375هـ.

تاسعاً: الخزانة البلبلية بمركز برينكان والقائمين عليها حالياً.

تأسست هذه الخزانة على يد أحد علماء الأسرة ألا وهو السيد مأمون البلبالي الجد الثاني للعائلة البلبلية خلال القرن الثالث عشر هجري التاسع عشر ميلادي، حيث عمل هذا الأخير على جمع المخطوطات هذه الخزانة عن طريق التأليف والشراء والهدايا والنسخ بيده أو بيد غيره، ونسخت معظم مخطوطاتها منذ ثلاثة قرون على يد الناسخ سيدي مُحمَّد الطاهر ولد سيدي مأمون البلبالي¹، والأمر المعروف والمسلم به أن ملكية هذه المخطوطات كانت مشتركة بين جميع أعيان الأسرة الذين عملوا على إثرائها بالعديد من المخطوطات القديمة التي يفوق عددها مائة مخطوط في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية من كتب فقهية وأدبية ولغوية، بالإضافة إلى كتب في الشرائع والسير والقراءات والفلك والتاريخ ومنظومات والنوازل.

بعد وفاة مؤسس هذه الخزانة البلبلية ظلت هذه الأخيرة بمثابة الإرث الثقافي والعلمي والفكري الذي تركه الأجداد البلبالين للأبناء ثم الأحفاد، وعرفت هذه الخزانة بوفرة مخطوطاتها وتنوعها والتي قلما نجد لها وجود في غيرها من الخزائن التواتية الأخرى لكن كل هذا ما كان ليملك طويلاً أمام خصوصيات المنطقة بكثرة رمالها وزوابعها وفرط حرارتها صيفاً، وزادها الإنسان بصمته السلبية بقصد أو بغير قصد من إهمال وتفريط حيث تعرضت هذه الخزانة في سنوات الأخيرة تحديداً في 2001م إلى عملية الحرق ويرجع السبب في ذلك إلى جهل المتسبب في الحريق عن ما تحويه تلك الصناديق الخشبية المحملة بإرث الأجداد وتاريخ المنطقة، ووسط هذه الأجواء الكارثية تدخل بعض أعيان هذه الأسرة لإستغاثة ونجدة ما تبقى من ذلك الحريق، وبعد هذه الحادثة بدأت تتشكل أول خيوط العناية بهذا الإرث ومعها عرفت المنطقة حركة وعي وإهتمام أنبأت في مجملها عن حجم المسؤولية الملقاة على عاتق أعيان الأسرة، فتم نقل ما تبقى من

¹ الذي عرف بعزوفه عن الزواج حيث لم يتزوج طوال حياته.

مخطوطات ووضعت في خزانة جديدة في بيت السيد الطيب البلبالي¹ وهو المشرف الحالي على الخزانة من مواليد 3 مارس 1963م بقصر برينكان له مستوى السنة الثانية ابتدائي درس القرآن الكريم بالمسجد العتيق بيريكان على يد شيخه وهاب أحمد المعروف بالكالب أحمد، ختم وحفظ القرآن الكريم، وساعده في جمعها وترتيبها السيد أحمد بن محمد بن حسان عريان الرأس².

خصّصت لهذه الخزانة غرفة بأعلى المنزل وهي غرفة متوسطة الحجم ووضعت بها الكتب المخطوطة في خزانين حديديتين تحتوي الخزانة الكبيرة على حوالي خمسة رفوف ممتلئة بالكتب المخطوطة صفت بطريقة أفقية، أما الخزانة الأخرى فقد خصصت لبعض المخطوطات الغير مرتبة وغير مصنفة إضافة إلى صندوق خشبي به بعض المخطوطات متناثرة الأوراق التي تحتاج إلى الجمع والتنسيق والترتيب³.

(أ) - أهم المخطوطات الموجودة بالخزانة:

بعد فهرسة هذه الخزانة لاحظت أن جل مخطوطاتها فقهية، لأنهم اعتبروا أن الفقه من أشرف العلوم وأفضلها، إلا أن أغلبها مختلط ومنها ما هو مبتور البداية والنهاية مما يجعل التعرف عليها أمراً في غاية المشقة والصعوبة ؛ ومن أهم مخطوطاتها:

(1) - مخطوطاتها الفقهية:

- كتاب إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب لسيد المأمون الفقيه سيدي مبارك البلبالي. ونسخه محمد عبد الكريم بن أحمد بن عمر بن محمد رحمه الله.
- شرح صحيح مسلم الجزء الأول لأبي عبد الله المالكي.
- شرح متن خليل للغياسي خليل ونسخه أحمد بن محمد الدردني.
- كتاب في الفقه لمحمد بن عبد السلام بن حمرون البنياني المالكي المغربي الفاسي.

¹ المشرف والمسؤول الحالي على الخزانة متزوج وله ثلاثة أبناء.

² بن حسان: هو إمام مسجد بمنطقة تساييت، ومؤلف كتاب الشجرة المرجانية.

³ حياة بلبالي: ابنة أخ المسؤول عن الخزانة مقابلة شفوية بمركز خزانة برينكان: يوم 28 أبريل 2018، على الساعة

مفتاح الفلاح في ذكر الكريم الفتاح للشيخ سليمان بن سيدنا ومولانا الشيخ محي الدين
الذاكر.

(2)-المخطوطات في تفسير القرآن:

-جواهر الحسان في تفسير القرآن لعبد الرحمان الثعالبي ونسخه على العياضي.
-شرح القرآن الكريم مجهول المؤلف والناسخ به حوالي 196 صفحة.
-تفسير القرآن الكريم نسخة عبد العزيز بن عبد الله.

(3)-مخطوطات في القصص:

-قصة سيدنا يوسف عليه السلام ل: علي بن سعيد بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد بن الشيخ.
-قصص الأنبياء ل: مُحَمَّد بن عز الدين التلاني.

(4)-مخطوطات في الرحلات:

-جزء من رحلة الإمام سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي ل: أحمد بن عبد العزيز ونسخه مُحَمَّد
المهدي بن مُحَمَّد عبد الرحمان بن عبد الرحمان البلبالي.
-قطعة من رحلة الإمام الهلالي لمؤلفها الإمام الهلالي.

(5)-مخطوطات الأدبية واللغوية:

-كتاب في علم الكلام ل: مُحَمَّد بن يوسف السنوسي.
-نظم السلم للأخضري نظم معاني الحروف لابن أب المزمري وفوائد أخري ل: مُحَمَّد بن مبارك
البلبالي ونسخه أبي عبد الله سيدي مُحَمَّد بن سيدي عبد الرحمان بن عمر، كما توجد به ترجمة
لبعض العلماء.
-جزء من كتاب الأجرومية ل: ابن أجروم.

-تحفة العروس ومنتعة النفوس للشيخ عبد الله مُحَمَّد بن أبي القاسم بن مُحَمَّد بن أبي القاسم التيجاني.

(6)-مخطوطات في القضاء:

المحكم في الحكم ل: سيدي مُجَّد المامون بن سيدي مبارك ونسخه على بن أحمد مُجَّد بن عمر الثلوني.

شرح على الحكم القضائية مجهولة المؤلف.

شرح منظومة في القضاء مجهولة المؤلف.

(7)-مخطوطات في سير وتراجم:

فتح المتعال في مدح النعال للإمام أحمد بن مُجَّد المقرئ ونسخ على يد: العربي بن مُجَّد بن قاسم الزجاجاني.

كتاب شمائل المصطفى للترميذي تأليف: الترميذي ونسخه: مُجَّد بوزيان.

(7)-مخطوطات في النحو:

كتاب في النحو للمكودي ل: النحوي أبو زيد عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي ونسخ على يد أحمد بم مُجَّد بن أبي بكر.

منظومة في النحو وهي مبتورة البداية والنهاية ومجهولة المؤلف.

كما يوجد بالخزانة عدة مخطوطات لها تملك ومن بينها:

كتاب "إرشاد المنتسب إلى فهم معونة المكتسب" نسخ على يد سيدي مُجَّد بن عبد الكريم بن احمد بن مُجَّد بن مُجَّد بن عمر بن مُجَّد بن عمر رحمه الله وانتهى من نسخه يوم السبت 18 من الربيع الثاني 1245هجرية وهو من أملاك سيدي مأمون.

مخطوط "الفتح المتعال في مدح النعال" للإمام المقرئ وقام بنسخه مُجَّد المدعو العربي بن مُجَّد بن قاسم الزجاجي سنة 1080هجرية، وهو من أملاك سيدي مبارك البلبالي إلا أن هذا المخطوط حالته سيئة.

مخطوط "شرح الزرقاني على موطأ مالك رحمه الله" ألفه الزرقاني ونسخه المحسن بن سيدي مُجَّد الزقود به حوالي 280 صفحة وله تملك لسيد عبد الرحمان بن سيدي مُجَّد بن سيدي عبد الرحمان بن عمر التتلاي وله تملك آخر لمحمد المأمون بن مُجَّد البلبالي.

أما عن المخطوطات التي بها تعليقات العلماء من بينها:

مخطوط البهجة المرضية في شرح الألفية للشيخ والإمام أبو عبد الله ابن مالك ألفه سنة 1327 هجرية به حوالي 298 صفحة وتوجد به بعض تعليقات العلماء توات مثل الشيخ سيدي عمر الأكبر والشيخ سيدي الحاج عبد الله التلاني والشيخ سيدي أمجد بن سيدي أحمد الحبيب رحمهم الله.

كما يوجد بالخزانة بعض المخطوطات التي تميزت عن غيرها بحجمها الكبير والتي تفوق ثمان مائة صفحة مثل:

مخطوط مسائل فقهية الذي تميز بحجمه الكبير في مقياسه وفي عدد صفحاته والتي تصل إلى 1046 صفحة تقريباً ومعدل سطوره سبعة وثلاثون سطراً، لكنه مبتور البداية والنهاية وهذا ما جعل تعرف على مؤلفه أو ناسخه أمراً مستحيلاً، وقد عالج صاحب الكتاب العديد من المسائل الفقهية إن لم تكن كلها.

مخطوط شرح مختصر خليل والذي تصل عدد صفحاته إلى 936 صفحة وعدد سطوره 27 سطراً وكتب باللونين الأسود والأحمر وبه زخرفة في بعض صفحاته.

بالإضافة إلى كتاب "معالم التنزيل" الذي ورد فيه تفسير سور القرآن الكريم وتصل عدد صفحاته إلى 841 صفحة ويتميز بحجمه الكبير، وحالته جيدة وكتب باللون الأسود والعناوين بالأحمر إلا أن مؤلفه مجهول.

(ب) - المشاكل الخاصة بخزانة البلبالين برينكان:

من بين المشاكل التي يعاني منها أصحاب الخزانة هي صعوبة جمع مخطوطاتها التي تفرقت بين أفراد الأسرة البلبالية بسبب عدم توفر مكان مخصص لها له إسمه الخاص، وتستقبل فيه ضيوفها وزائريها من جهة وكذا عدم توفر خزائن زجاجية لعرض مخطوطاتها بطريقة عصرية من جهة أخرى، كما أنها تنتظر إلتفاتة الجهات المعنية من أجل معاينة ما تم سرده عن واقع الخزانة وتقديم يد العون لهم لبنائها وتجهيزها، وخاصة أن جميع تكاليف البناء من أموالهم الخاصة دون تدخل الجهات المعنية¹.

¹ مليكة بلبالي: إبنة المسؤول على الخزانة بلبالي مقابلة شفوية بمكان وجود الخزانة: يوم 04 ماي 2018، 20:55.

(ج)- رؤية مستقبلية لأصحاب الخزانة:

يسعى أصحاب الخزانة إلى تأسيس بناء خاص بها وهو نفسه المكان الذي كان مخصصاً عند أجدادهم فيما قبل لتعليم وإلقاء الدروس التعليمية هاهو اليوم يشهد بوضعيته الجديدة تحت إسم "دار الزاوية" كخزانة جديدة للحفاظ على إرث الذي خلفه الأجداد، وقد أختير السيد بلبالي عبد الله كرئيس للجنة، كما يسعى أصحاب الخزانة إلى جلب خزائن عصرية تتوفر فيها ظروف الحماية والعرض المتحفي بعد تصنيفها وفهرستها بطريقة حديثة ليستفيد منها كل مهتم بالتحقيق والبحث العلمي، وكذا توفير آلة التصوير سكانير لتصوير كل المخطوطات وحفظها في أقراص مضغوطة ليسهل تخزينها وإعادة طبعها مما يسهل تصنيفها وتحقيقها ودراستها، وبهذا العمل يتجنبون الإحراج الذي يسببه بعض الباحثين أثناء إستعارتهم لمخطوط ما، فيكفي أن يقدم المالك نسخة من المخطوط في شكل "pdf" لتعم الفائدة والأجر بين الطرفين¹.

عاشراً: مخطوط الغنية البلبلية²:

(1)- وصفه وتسميته:

أشار الشيخ أحمد الحبيب البلبالي في مقدمته عند كلامه عن المخطوط أن الشيخ محمد عبد العزيز البلبالي هو من سماه بقوله: "ثم سماه غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من قضايا ومسائل"³ غير أن العديد من المصادر التاريخية أطلقت على المخطوط تسميات مختصرة مثل مخطوط جوهر المعاني الذي سماه ب "نوازل غنية الشورى"⁴، والبعض الآخر سماه ب "مسائل الغنية أو نوازل الغنية" وكذا في بعض المراجع مثل كتاب قطف الزهرات وردت تسميته ب نوازل غنية الشورى⁵ وأيضاً تسميته "الغنية البلبلية" وغيرها.

¹ فوزية بلبالي: إبنة أخ المسؤول عن الخزانة، مقابلة معها بمكان وجود خزانة برينكان: يوم 05 ماي 2018، الساعة 12:13.

² يعد مخطوط الغنية البلبلية من أهم المخطوطات التواتية وهو متواجد بثلاث خزائن بلبلية (ملوكة وكوسام ويني تامر ماعدا خزانة برينكان)

³ البلبالي، الغنية البلبلية، المخطوط نفسه، الورقة 4.

⁴ محمد بن عبد الكريم، جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 10.

⁵ محمد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص55.

يحتوي مخطوط الغنية على 779 ورقة وخصصت الورقة الأخيرة للفهرسة المخطوط، أما عدد أسطر الغنية فتراوحت بين أربعة وعشرين وثلاثين سطرًا مع وجود بعض الورقات التي تحتوي على سطر واحد وبعضها نصف صفحة، كتبت بخط مغربي أما عن حالة المخطوط فهي جيدة يسهل التعامل معها رغم عدم وجود أرقام بها، واستخدم الناسخ بها اللون الأحمر والأسود، أما عن طريقة حفظ المخطوط فهو محفوظ بطريقة جيدة، فوضع بعلبة كرتون عكس المخطوطات الأخرى¹.

(2)-تعريفه:

تعود فكرة تأليف المخطوط الغنية البلبالية للشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي عند توليه لمنصب القضاء بتوات، فعمل هذا الأخير على جمع سجلات ديوان الشورى للقاضي عبد الحق بن عبد الكريم الذي جمع مباحثه ومشاوراته وأحكامه فهو صاحب الفكرة والجامع الأول للمخطوط²، وبعد ما وافته المنية واصل ابنه عبد العزيز بكل حزم وعزم فأضاف إليه فتاوى وأجوبة أخرى كما عمل على تحقيق في مجمل مسائله ومناقشتها.

وفي ذلك يقول صاحب جوهر المعاني "جد وأجاد جمع نوازل الغنية الشورى، فكانت أجمل ما ألف في أرض الصحراء لم يسبق لذلك سابق ولم يلحق لاحق..."³.

وذهب الشيخ أحمد الحبيب البلبالي في مقدمته للمخطوط ينسب عمل المخطوط الغنية إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان وإبنه الشيخ عبد العزيز بقوله: "ولم يزال في جمع ذلك بقدر الطاقة والوجدان، ونزول الحوادث منها في أي مكان، حتى عجز الوالد عن مباشرة ذلك ومات رحمه الله

¹ معاينة للمخطوط الغنية البلبالية بقصر بني تامر خزانة الشيخ سيدي عبد الكريم.

² وهذا ما أكده محمد عبد الكريم في مخطوطه جوهر المعاني بقوله: "إن متولى قضاء الجماعة بعده هو الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان طالب بعده على ديوانه وعمل على جمع مباحث مشاوراته وأحكامه".

أنظر: محمد عبد الكريم، جوهرة المعاني، مخطوط السابق، الورقة 20.

³ نفسه، الورقة 20.

ونفعنا ببركاته، وبقي ولده مشتغلاً بذلك، يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، أدام الله عزها دنيا وآخرة...¹.

يمكننا أن نؤكد أن مخطوط الغينة البلبالية تنتسب إلى الشيخ مُجَّد عبد الرحمان الجامع الأول وابنه مُجَّد عبد العزيز الجامع الثاني والمحقق لمسائلها وفتاواها وباعتباره وهو الذي سماها فهو المؤلف الحقيقي لها ثم بعدها تدخل الشيخ أحمد الحبيب البلبالي الذي أشرف على ترتيبها وتبويبها²، انطلاقاً من هذه الدلائل كلها يثبت لنا عنوان المخطوط "غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل للمؤلفان: مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي وابنه عبد العزيز ترتيب وتبويب أحمد الحبيب البلبالي.

وورد ترتيبها على هذا الشكل:

1-مقدمة "ترجمة للمؤلفان".

2-جامع في القول والإعتقاد ونبد طريق الحكايات.

3-مسائل الطهارة والصلاة وسائل العبادات.

4- الزكاة والصيام.

5-الإيمان بالله والطلاق وغيره من النذور.

6-النكاح وتوابعه.

7-الطلاق الخلع، الإيلاء، المفقود، العدة والنفقات والحضانة.

8-البلوغ وما شكلها من الإقالة والحوالة وفساد الوعي.

9-بيع الفضولي ، 10-التوليج ، 11-القرض.

¹ البلبالي، مخطوط الغينة البلبالية، الورقة 4.

² حيث عمل على ترتيبها على أبواب مختصر خليل، وأضاف إلى هذا المجموع مقدمة ترجم فيها للمؤلفات الشيخ عبد الرحمان وابنه عبد العزيز البلبالي.

- 12- السلم ، 13-الرهن ، 14-الصلح.
 15-الضمان والإلتزام ، 16- المديان والحجر.
 17-المدارة، 18-مسائل الشركة ، 19-الضرر.
 20-الوديعة والعارية والارفاق والبضائع، 21-الوكالة.
 22-الاقرار والابراء، 23-الغضب وسائر العداء، 24-الإستحقاق.
 25-الشفعة،26-القسمة،27-القرآن،28-المسافة والمزارعة 29-الإجارة والأكرية وماضاهها،
 30-الجعالة، 31-الموت الأرض وما جهل أربابه.
 32-مسائل الحبس وسائر العطايا، 33-القضاء والشهادات، 34-الدعاوى والإيمان
 والحيازات،35-الحراية والدماء وما شابهها والردة والسرقه والزنا.
 36-العتق،37-مسائل الأذعياء والوصايا، 38-المواريث والفرائض.
 39-فهرسة الغنية¹.

أما عن مصادر المخطوط فهي متنوعة منها:

القرآن الكريم.

الأحاديث النبوية.

بالإضافة إلى بعض الكتب الفقهية والنوازل والفتاوى الواضحة ومنها:

-التفسير:

1-تفسير بن عطية المرسوم بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لعبد الحق بن عطية الأندلسي (542هـ).

2-الباب في علوم الكتاب، لعمر بن علي الدمشقي (ت755هـ) وقد نقل منه في باب الجامع.

¹ النسخة المعتمدة هي نسخة المطارفة.

-العقيدة:

- 1- شرح أهم البراهين في علم الكلام، مُجَّد بن يوسف السنوسي (895هـ) وقد كان هذا الكتاب محل استشهاد على مسألة عقديّة في آخر مسائل باب الجامع.

-الأمهات:

- 1- المدونة للأمام عبد السلام بن سعيد الشهري بسحنون (ت 240هـ).
- 2- الوضحة لعبد الملك بن حبيب السلمى الأندلسي (ت 238هـ).
- 3- العتبة أو المستخرجة، لمحمد بن أحمد بن عبد العزيز القرطبي المشهور العتيبي ت 55هـ .
- 4- الموازنة: مُجَّد بن إبراهيم الإسكندراني بن الواز (ت 229هـ)¹.

النحو:

- 1- ألفية ابن مالك في النحو، لجمال الدين بن مالك الاندلسي الحياياني (ت 672هـ).
- 2- شرح الاستموني على الألفية، لعلي بن مُجَّد، الأشموني الشافعي (ت 900هـ).

المنطق:

- 1- تهذيب المنطق: لسعد الدين التفتازاني (ت 793هـ).
- 2- نفائس الدرر في شرح مواشي المختصر للحسن اليوسي ت(1111هـ).

-القواميس والمعاجم اللغوية:

- 1- المصباح المنبر في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن مُجَّد الفيومي الحموي (ت 770هـ) .
- 2- القاموس المحيط، للفيروز أبادي (ت 817هـ)¹.

¹ عبد السلام موساوي: غنية المقتصد السائل لما وقع بتوات من قضايا ومسائل (مسائل الطهارة والصلاة وسائر العبادات)، رسالة ماجستير، إشراف: مُجَّد دباغ، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2010/2009، ص ص 29-30.

المتون الفقهية والمختصرات المعتمدة في المخطوط:

- 1- الرسالة لابني أبي زيد القيرواني ت 386هـ.
 - 2- مختصر خليل، لخليل بن اسحاق المالكي ت 776هـ.
 - 3- مختصر ابن الحاجب الفرعي المسمى بجامع الامهات، لجمال الدين بن الحاجب ت 646هـ.
 - 4- مختصر ابن عرفة الفقهية، لمحمد بن مُحمَّد بن عرفة الورغي ت 803هـ.
 - 5- تحفة الأحكام في نكت العقود والأحكام، لمحمد بن مُحمَّد بن عاصم العرناطي ت 829هـ.
 - 6- ترتيب الفروق واختصارها، لمحمد بن ابراهيم البقوري ت 707هـ .
 - 7- شرح لرسالة بن أبي زيد، الأحمَد بن ابي مُحمَّد الفلشاني ت 863هـ
 - 8- شرح رسالة بن ابي زيد للشيخ أحمد زروق البرنسي ت 899هـ .
 - 9- مواهب الخليل في شرح مختصر خليل للحطاب ت 954هـ.
 - 10- شرح مختصر خليل، لعبد الباقي بن يوسف الروقاني ت 1099هـ.
- اعتمد مخطوط الغنية في أجوبته على العديد من النوازل المحلية منها:
- 1) نوازل الجنتوري، لأبي زيد بن عبد الرحمان بن ابراهيم الجنتوري ت 1160.
 - 2) نوازل الزجلوي مُحمَّد بن مُحمَّد الزجلوي ت 1212هـ.
 - 3) فتاوى ابن رشد، لأبي الوليد مُحمَّد بن أحمد بن رشد القرطبي ت 520هـ.
 - 4) الأعلام بنوازل الأحكام وقطر بن سير الحكام، لابن سهل الأسدي ت 486.
 - 5) المسائل المختصرة من كتاب البرازلي، لأحمد بن عبد الرحمان الزليطني المعروف بجلولو ت 898هـ.

¹ زاحية هرياش، الوضع الإقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية ، المرجع السابق، ص ص 83-84.

(6) المعيار المغرب، لأحمد بن يحيى الونشريس ت1914.

(3)-أهمية مخطوط الغينة البلبلية:

يمثل المخطوط الغينة أهم المخطوطات التي اكتست أهمية كبيرة حيث استطاع أن يجمع أكبر قدر ممكن من النوازل والفتاوى الفقهية التي وقعت بتوات، فكتسى هذا المخطوط أبعاد دينية وإجتماعية وإقتصادية كما له أبعاد تاريخية وقانونية لتضمنه مجموعة من تراجم وأخبار العلماء التواتيين وأهمها الشيخ سيدي الحاج مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي 1244هـ وإبنة القاضي سيدي عبد العزيز 1261هـ بالإضافة إلى الشيخ أحمد زروق بن صابر البداوي الجعفري 1244هـ والشيخ سيدي مُجَّد بن أب المزمري والشيخ سيدي أبي الأنوار بن عبد الكريم 1168هـ والشيخ سيدي عبد الكريم الحاجب 1139هـ والشيخ سيدي عمر بن عبد الرحمان التنايني.

وأرخ مخطوط الغينة للعديد من الأحداث التاريخية التي عرفتها توات في تلك الفترة من بينها حديث الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي عن الهجوم الذي قامت به بعض القبائل البربرية في مطلع القرن 13هـ على قصر بودة وقصة هروبهم واحتمائهم بسكان قصر ملوكة وماجورها، بالإضافة إلى بعض النزعات القبلية الأخرى².

كما تحدث المؤلف عن مظاهر الحياة الإجتماعية بتوات بداية من الحياة الأسرية وعن طبيعة تكوينها من الخطبة والزواج والطلاق والخلع والعدة والنفقات والحضانة بالإضافة على بعض النزاعات في الحياة الأسرية مثل الزوجة التي تردد لزيارة أقاربها كثيراً بدون استئذان زوجها وتباين الجنسين وتعدد الزوجات وصعوبة العدل وغيرها³.

¹ مُجَّد حوتية: محاضرة جهود جامعة أدرار الجزائرية في تحقيق المخطوطات، مخطوط الغينة نموذجاً، جامعة أدرار، الجزائر، ص ص 24،23.

² كما وضع لنا المخطوط بعض العلاقات الواضحة التي كانت تربط علماء الإقليم مع بعض علماء البلاد الإسلامية وخاصة علماء المغرب الأقصى كفاس وسلجماسة فأرسل الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان وإبنة بعض الأسئلة للمشاورة عالم سلجماسة الشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز وكان يتلقى منه الجواب مباشرة، أنظر: الغينة البلبلية، المخطوط السابق، الورقة: 11.

³ نفسه، الورقة: 11، 12.

أما عن أهميته الاقتصادية: فالمخطوط يعطينا صورة واضحة عن المظاهر الاقتصادية السائدة بتواتر ومن أهمها: نظام السقي المعروف بالفقارة، بالإضافة إلى مشاكل البيوع الأراضي والبساتين وأراضي البور وكذا بعض المشاكل وحلولها الخاصة بالموازين والمكاييل المستخدمة في تلك الفترة بالإضافة إلى العملات النقدية والمثاقيل، وكل ما يتعلق بالطابع بالبيوع وما شاكلها من الإقالة والحوالة وفساد البيوع¹.

إكتسى المخطوط بالطابع العلمي والديني حيث وردت فيه طرق التدريس في الزوايا والكتاتيب القرآنية والمساجد بالإضافة إلى ما يُلقى في حلقات التدريس التي كان يعقدها الشيوخ بصفة منتظمة، بالإضافة إلى خزائن المخطوطات التي كانت تعج بالكتب العلمية الهامة وخاصة منها الكتب الفقهية².

خاتمة الفصل:

خلصنا إلى دور المؤسسات التعليمية والزوايا التي أسسها العلماء البلباليون، والتي شكلت الركيزة الأولى في ترسيخ العلم وتحفيظ القرآن الكريم والإهتمام بالعلوم الشرعية، وأضحت زواياهم وجهة الطلاب من جهات مختلفة، حارصين على تعليم أبنائهم وإشادتهم بمآثر آبائهم وأسلافهم والعناية بكل ما خلفوه من إجازة وكتب مخطوطة، وتعد الخزانة البلبالية من أثري خزائن منطقة تيمي نظراً لوفرة المخطوطات التي قلما نجد لها وجود في الخزائن الأخرى، كما إن دراسة " مخطوط الغنية المقتصد السائل لما وقع في تواتر من أخبار ومسائل " بصفة خاصة من الدراسات المهمة لما فيها من اكتشاف لمختلف جوانب الحياة التواتية الاقتصادية والاجتماعية، فهي تحتوي على الكثير من الإشارات لأحوال المجتمع التواتي الأمر الذي يجعل منه مصدراً موثقاً للمؤرخ، كما عرجت إلى عرض إسهامات علماء الأسرة في التأليف من خلال تأليفهم لمخطوط الغنية وكذا جمعهم للعديد من الكتب المخطوطة عن طريق الشراء أو الهدايا أو عن طريق النسخ بخط يدهم أو غيرهم، فعملوا على إثراء خزائهم بمخطوطات نفيسة قل ما نجد لها وجود في خزائن أخرى شاملة موضوعات مختلفة من فقه ولغة وتفسير وحساب وفلك وطب وغيرها من العلوم الأخرى.

¹ نفسه، الورقة 125.

² نفسه، الورقة 04.

الفصل السابع:

مهنة القضاء عند علماء الأسرة البلبالية.

المبحث الأول: ظروف انتقال القضاء إلى الأسرة البلبالية.

المبحث الثاني: أهم قضاة الأسرة البلبالية.

المبحث الثالث: نماذج من الأقضية التي أفتى فيها القضاة البلباليون.

الفصل السابع: مهنة القضاء عند علماء الأسرة البلبالية.

المبحث الأول: ظروف انتقال القضاء إلى الأسرة البلبالية.

أولاً: التعريف اللغوي والإصطلاحي للقضاء.

وردت عدة تعاريف لغوية وإصطلاحية لفظ القضاء، وذلك تبعاً لما جاء في بعض التعاريف منها:

1-**التعريف اللغوي:** القضاء مشتق من الفعل قضى، وقضى له في اللغة معان عديدة وجاء لفظ القضاء بمعنى الحكم، والقضاء على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، وتم إنجازه، أو ادي أداء أو واجب، أو اعلم، وأنقد، وأمضى فقد قضى¹.

ويأتي بمعنى الحكم ومن قوله تعالى: "فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا"².

وبمعنى الخلق ومنه قوله تعالى: "فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۗ وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ۗ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ"³.

وهناك معان كثيرة في صدر القرآن الكريم إلا أنه يجدر الإشارة إلى أن كل هذه المعاني لا تخلو من الفصل وحسم الأمر والإدارة وغيرها.

2-**في الاصطلاح:** اختلف الفقهاء في إيجاد تعريف واحد للقضاء، وربما يعود الاختلاف إلى دور القضاء ومهامه المختلفة والتشابه الواقع بين الإفتاء والقضاء إلا أن علماء المالكية إتفقوا على تعريف واحد واضح في قولهم: الأخبار عن الحكم شرعي على سبيل الإلزام⁴.

¹ ابن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، 186/15.

² سورة طه الآية 72.

³ سورة فصلت الآية 12.

⁴ مُجَدِّدُ بَنِ خَلْفِ بَنِ حِيَانَ لَوَكَيْعٍ: أَخْبَارُ الْقَضَاةِ، مِرَاجِعَةُ: سَعِيدُ مُجَدِّدِ اللَّحَامِ، (د د ن)، (د ط)، ص 20.

فالقضاء¹ عبارة عن مجموعة من القوانين والنظم الشرعية التي نص عليها الإسلام مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله الكريم، وكذا إجماع المسلمين واجتهادهم وقيامهم وقد حثنا الله تعالى في كتاب على الحكم والقضاء بالعدل والإنصاف بين المسلمين اتباعاً لقوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا"².

كما نص على ضرورة الاعتماد على النص القرآني في الإفتاء والقضاء إبتاعاً لقوله تعالى: "أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۗ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۗ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۗ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ"³.

وقوله أيضاً: "وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۗ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۗ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"⁴.

ومن هذا المنطلق يمكننا أن نعرف القضاء على أنه هو سلطة مستقلة عن السلطات الأخرى اختصت في الفصل بين المتخاصمين للحد من النزاعات وحماية حقوق عامة الناس وفق ما نص عليه النص القرآني والحديث النبوي.

¹ عرفه عبد الرحمن الجنتوري في نوازل: هو نيابة من الإمام الأعظم بمعنى السلطان أو نائبه في تنفيذ الأحكام الشرعية فهو إخبار الحكم على سبيل الإلزام، أنظر: عبد الرحمان الجنتوري، المخطوط معونة الغريم، خزانة بن الوليد باعبد الله، أدرار، الجزائر، الورقة 89.

² سورة النساء: الآية 58.

³ سورة المائدة: الآية 48.

⁴ سورة المائدة: الآية 45.

ثانياً: أركان وشروط القضاء: هناك عدة أركان للقضاء منها.

القاضي: هو الشخص الذي يتم تعيينه للنظر في الخصومات والنزاعات والفصل فيها بالعدل والإنصاف ويجب أن تتوفر فيه بعض الشروط الأساسية منها:

__ أن يكون رجلاً بالغاً راشداً.

__ أن يكون عالماً عارفاً بالكتاب والسنة، متمرساً في العلوم الشرعية فقيهاً.

__ أن يكون مسلماً.

__ أن يكون عادلاً لأن العدالة هي التي تحقق بدأ المراد¹.

__ كما يجب أن يتمتع بسلامة العقل والسمع والبصر واللسان².

وعثرنا في مخطوط تعريف أحكام القضاء بخزانة سليمان علي بقصر أدغا أنه من شروط القضاة بتوات أن يكون حراً فلا يجوز ولاية منصب القضاء للعبيد³.

الحكم: وهو كل ما يصدر عن القاضي من أحكام لحسم النزاع بين الأطراف المتخاصمة، وإنهاء الخصومة.

المحكوم به: وبالمختصر هو ما أُلزم به القاضي المحكوم عليه من إبقاء المدعي حقه في قضاء الالتزام.

المحكوم عليه: وهو الشخص الذي يصدر الحكم ضده، ويكون شخصاً أو جماعة.

المحكوم له: وهو الشخص المدعى، أو صاحب الدعوة، وهو الذي يقضي له بالحق في النزاع⁴.

¹ ابن الوليد: تقييد خطي عن القضاء، بخزانة ابن الوليد، ابا عبد الله، تيمي أدرار، الجزائر.

² وقبل أن أخوض في مسيرة وتراجم القضاة البلباليين يمكنني القول بأنهم استوفوا جميع الشروط القضاة بدليل أن جملهم يقى في هذا المنصب فترةً طويلةً من الزمن.

³ مُجَّد الصافي مُجَّد البركة الأدغاي: تعريف أحكام القضاء، خزانة سليمان علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.

⁴ مُجَّد عاطف أبو هوبيد: أهمية القضاء في الإسلام، مقال ليوم دراسي ديوان المظالم ودوره في تحقيق العدالة الشاملة في المجتمع الذي تنظمه كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، يوم 2009/12/21م، ص 06.

ثالثاً: الهياكل القضاء بتوات.

وهي جماعة مختصة تقوم بتعيين القضاة بعد المشاورة عليه وتتفق الجماعة التي تمثل أهل الحل والربط يتولون شؤون البلاد في جميع الأمور، وتحظى هذه الجماعة بالإحترام والوقار من طرف العامة وكانت نواة هذه الجماعة الطابع القبلي الذي كان سائداً في جل المجتمعات البربرية للمنطقة¹.

وجاء ذكر الجماعة التواتية في نوازل الغنية على أنها اسهمت مساهمة عظمى في تنظيم شؤون المجتمع التواتي لسيطرتها على السلطة المادية والمعنوية²، وجاء فيها أيضاً عن مسألة تعيين القاضي في ظل عدم وجود سلطة مركزية، فالأمر يرجع حينها إلى لجماعة الحل والعقد والذين لهم مكانة إجتماعية محترمة لتميزهم بالدين والعقل والحكمة في المجتمع، فهم من يتولى إختيار قاضي المناسب لشروط التي حددتها الشريعة فيه³.

1-قاضي الجماعة: هي أعلى سلطة قضائية داخل توات، بعد أن تم تعيينه من طرف الجماعة التواتية، فيحظى هذا الأخير بمكانة تليق به من تقدير وإجلال من طرف العامة والخاصة، ويكون القاضي من قبل توليه هذا المنصب من أشهر الفقهاء الذين يلجوا إليه العامة في حل مسائل دينهم وديناهم لمستواه العلمي الذي أكسبه حب العامة وخاصة وأن جل هؤلاء كانوا ينتمون إلى أسر علمية مشهورة بالعلم والصلاح وتميزت فترة قضائهم بالعدل والأمن والإستقرار، ولم يتوقف عمل قاضي على النظر في القضايا الدينية فقط بل كان يشرف على الموازين والمكايل بالأسواق والسهر على تطبيق القوانين الشرعية والمحزنية، وتحيلنا المعلومات التي ذكرها الدكتور بعثمان عبد الرحمان أن قضاة توات لم تخصص لهم مرتبات خاصة، وإنما جرى العرف بين العامة أن يؤجر القاضي على توثيق عقود البيع وإصدار الأحكام القضائية وتقييم التركات والموارث⁴.

¹ فرج محمود فرج، إقليم توات، المرجع السابق، ص36.

² البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المصدر السابق، الورقة 617.

³ نفسه، الورقة 213.

⁴ فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص45، وعبد الرحمان بعثمان، القضاء في توات، المرجع السابق، ص 240، 241 بتصرف.

(2)-مساعدى القاضى: جرت العادة فى توات أن قاضى توات كان بجانبه مساعدون يستند عليهم لتنفيذ أحكامه: منهم فقهاء الشورى كان يستشيرهم القاضى فى بعض الأقضية، غير أنه لا يلتزم بالأخذ بمشورتهم فى النطق بالحكم¹ كما يوجد مساعد خاص بالقاضى يتولى تجهيز الملفات والقضايا وتحرير الأحكام.

(3)-العدول: لعب العدول دوراً هاماً فى سير خطة القضائية بتوات، حيث كان القاضى يتركز على شهادتهم ووثائقهم الصادرة بتواقيعهم، وكان لكل قصر من قصور توات عدول من الفقهاء والائمة وحفظة القرآن، كما إستعان القاضى بالعدول فى مسائل استعادة الملكيات فى بعض الخصومات على أراضي البور من عدول تمنطيط والسيد عبد الرحمن بن أبى زيان بن عبد الكريم بن محمد البكرى ويظهر توقيعها فى وثيقتى بيع أسباخ وبساتين فى قصر غوزى والتي وقع عليها القاضى عبد العزيز البلبالي والوثيقة الثانية تتضمن بيع بساتين ومياه الفقارة بقصر غوزى².

(4)-مستخلف القاضى: جرت عادة القضاة بتوات بإستخلافهم لنواب عنهم أثناء سفرهم ورحلاتهم الحجية أو مرضهم، فقد درج قضاة العائلة البلبلية على إستخلاف أبنائهم فى الخطة القضائية، حيث إستخلف القاضى سيد الحاج البلبالي ابنه القاضى محمد عبد العزيز على الخطة القضائية لما كبر فى السن³، وإستخلف هذا الأخير ابن عمه الشيخ أحمد الحبيب على خطته القضائية، وكتب له عهداً بمدحه ويبرز سماته ومؤهلاته وجدارته بإستخلافه هذا المنصب⁴ كما أن القاضى محمد عبد العزيز قام بإستخلاف أحد أبنائه والذي يدعى محمد البكرى⁵.

رابعاً: أسباب إنتقال القضاء من تمنطيط إلى ملوكة.

لا يمكننا ذكر إسهامات العلماء البلبالين فى القضاء دون معرفة أهم الأسباب التى أدت إلى إنتقال القضاء إلى ملوكة ومنها:

¹ ظهر أمر الشورى فى عهد القاضى عبد الحق بتوات، واستمرت إلى عهد القاضى محمد بن عبد الرحمان البلبالي الذى كان يستشير محمد بن محمد العالم الزجاجاوى والشيخ محمد بن عبد الرحمان التتلاى وكذا ابنه محمد عبد العزيز البلبالي.

² مجموع هذه الوثائق بيد الحاج عبد الله بكراوى، خزنة عوزى بقصر تمنطيط أدرار، الجزائر.

³ البلبالي، مخطوط الغنية البلبلية، المصدر السابق، ص الورقة 3.

⁴ وثيقة إستخلاف الشيخ أحمد الحبيب القاضى محمد عبد العزيز، خزنة ملوكة.

⁵ عبد الرحمن بعثمان، القضاء فى توات، المرجع السابق، ص 255.

المرحلة الإنتقالية الأولى 1210هـ إلى 1214هـ:

شهد منصب القضاء في الفترة التي توفى فيها القاضي عبد الحق بن عبد الكريم البكري شغوراً لعدم وجود علماء اكفاء لهذا المنصب المهم، فاجتمعت الجماعة التواتية على توليه العلامة عمر عبد الرحمن التتيلاني الذي قابل هذا المنصب بالرفض المطلق لمهامه وانشغالاته الكثيرة، كونه شيخ ركب الحجيج التواتي¹ إلا أن اصرار الجماعة التواتية وإلحاحها عليه جعله يوافق، فتولاه لمدة أربع سنوات من 1210-1214 فأحسن الفتوى وقام بأمر التحكيم أحسن القيام ثم عاد إلى مهنته الأولى إلى أن توفى بمهدية في 23 جمادي الثانية 1221هـ²، ويمكننا القول بإن عهد الرحمان التتيلاني كان بمثابة المرحلة الإنتقالية للقضاء بتوات من عاصمة توات آنذاك تمنطيط إلى مركز الاشعاع العلمي منارة العلماء ملوكة في ظل إفتقار المصادر جميع المعلومات الأولية التي تخص هذا الموضوع:

1-الأوضاع السائدة في تمنطيط التي ميزها انهيار النفوذ الإقتصادي والروحي وإنتشار الفوضى بين أعيانها لصالح تيمي التي أصبحت تمثل مركز نفوذ إقتصادي وعلمي جعلها تحتل مكانة إقتصادية وروحية مهمة بالمنطقة³.

2-إفتقار الشخصية المؤهل لتحمل مسؤولية القضاء بتمنطيط، وخاصة بعد اتخاذ القاضي عبد الحق لمجلس الشورى رباعي المتكون من عدة أعضاء، والذي أعطى إنطباعاً سيئاً على عجز القاضي عبد الحق عن الحكم في مجمل القضايا المطروحة، فاحتياج في حينها إلى تأييد الفقهاء آخرين في جميع مشوراته⁴.

3-يعتقد البعض أن النفوذ الإقتصادي هو الذي مكن من إحتكار الخطة القضائية بتمنطيط دون غيرها، وخاصة وأن جل المسائل التي كان يفتى فيها البكرين اعتمدت الصلح بين الخصومات والنزاعات وكثيراً ما كانت تبعات الصلح وأعبائه المالية تقع على القاضي نفسه ولكن سرعان ما

¹ الصديق الحاج أحمد: المرجع السابق، ص90.

² مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص89.

³ فرج محمود فرج، إقليم توات، المرجع السابق، ص21.

⁴ التتيلاني عبد الرحمن، المخطوط السابق، الورقة 123.

إنهار النفوذ الإقتصادي الذي أصبحت فيه آليات الصلح معقدة فاستنجد القاضي عبد الحق البكري بمستشاري أو بمجلس الشورى لمساعدته¹.

4- ومن بين أسباب إنتقال القضاء إلى تمنطيط إلى ملوكة أيضاً ظهور الزاوية ملوكة كمركز إشعاع علمي متميز، بظهور علماء كبار نبغوا في مختلف العلوم الدينية والشرعية والدينيوية فمارسوا التدريس والافتاء معاً، وتوافد عليها الطلاب من كل صوب وخاصة من تمنطيط أمثال الشيخ سيدي عبد الله بن مُجَّد بن عبد الكريم الحاجب ت1261هـ الذي درس على يد قاضي القضاة الشيخ سيدي مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي².

ونتيجة للدور الكبير الذي ساهمت به الزاوية البلبالية بملوكة بحملها مشعل العلم ونشره لمدة طويلة جعل علمائها يتقلدون منصب القضاء والافتاء بجدارة وإستحقاق مثل ما كان الحال عليه مع الأسرة البكرية.

المبحث الثاني: أهم قضاة الأسرة البلبالية.

1- القاضي مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي (1155-1244)هـ، (1753/1828)م:

أ- مولده ونسبه:

هو أبو عبد الله مُجَّد بن مُجَّد بن عبد الرحمن بن الحسن بن مُجَّد بن عبد الله بن الحاج أُمَّجَّد بن أحمد بن أبي زيد³ البلبالي⁴ الأنصاري الملوكي المعروف بسيد الحاج⁵ ولد عام1155هـ الموافق لـ 3 فبراير 1743م.

¹ بعثمان عبد الرحمان، القضاء في توات، المرجع السابق، ص169-170.

² عبد الحميد البكري، المرجع السابق، ص163.

³ أبي زيد بن عبد الرحمان بن القاسم بن عبد الرحمن بن مخلوف، أنظر شجرة سيدي أحمد الفقيه مدونة بجزانة كوسام، ص1.

⁴ البلبالي: نسبة إلى تلبالة مكان الأول للنزول أجدادهم الأوائل.

⁵ من ولد يوم عرفة يسمى بإقليم توات الحاج وهذه العادة لازالت موجودة إلى يوم الناس هذا ولهذا لقب بسيدي الحاج.

(ب)-نشأته: نشأ بمسقط رأسه ملوكة، يتيماً بعد وفاة والده، عكفت والدته¹ على تربيته وتنشئته فأحسنت في ذلك، ولما رأت فيه علامات النبوغ دفعت به إلى كتاب قريته المعروف باسم "المحضرة" مثله مثل أقرانه ليتعلم القرآن الكريم رغم صغره فحفظ القرآن الكريم قبل بلوغه السن السابع كما أنه قرأ مختصر خليل قبل البلوغ² على يد شيخه سيدي عبد الله بن ابراهيم البلبالي³، الذي حفظ عليه القرآن الكريم عن ظهر القلب في سنة 1162هـ، ولما إشتد عوده قليلاً ورأى في نفسه ميلاً إلى زيادة في العلم رحل إلى الزاوية التنلانية عند شيخه عبد الرحمن بن عمر التينلاني⁴ الذي علمه تجويد القرآن الكريم برواية ورش وقالون ومختصر خليل في الفقه وألفية ابن مالك في النحو والصرف رغم صغر سنه، فإتخذة الناس محل استهزاء وسخرية لكنه لم يلتفت إليهم وتركهم ومضى نحو طموحه إلى البعيد وجاء ذلك في نص إجازته "الناس اذا رأوني اطلب العلم في تلك الحالة يسخرون ويستهزئون بي لشدة طفولتي ولم أبال بهم"⁵.

(ج)- أسرته: أثناء مراجعتي لوثيقة التحبيس للقاضي سيد الحاج علي أبناءه ورده أسماء زوجاته وهم علي التوالي:

الزوجة الأولى: السيدة مريم موساوي من أولاد علي بن موسى تمنطيط وهي أم ابنه القاضي محمد عبد العزيز، وبعد وفاتها تزوج الثانية.

الزوجة الثانية: السيدة الستي بن عمراني من قصر واينة.

الزوجة الثالثة: السيدة صفية بكراوي بنت محمد الطيب من زاوية سيدي البكري وله منها الأبناء علي التوالي:

¹ بعد وفاة والده تركه صغيراً وبقي تحت كفالة ابن عمه السيد محمد الصديق بن العالم الذي كان زوجاً لأمه عاش في ضيق عيشة أثناء تعليمه فكانت أمه تنفق له قسبة من الشعير في اليوم الواحد. أنظر: شاري الطيب: تقيد عن القاضي محمد بن عبد الرحمان البلبالي، بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

² يرجع السبب في ذلك إلى تنشأته في أسرة عرفت بالعلم والمعرفة وبالإضافة إلى تروده على مجالس العلماء الإجلاء ومعروفين ومشهورين في قطر التواتي فكل هذه العوامل ساعده في تكوين شخصيته العلمية.

³ أحد مشائخ الأسرة البلبالية أخذ عن الشيخ محمد لصالح الميموني وهو ابن عمه ومقرئ بلده ملوكة.

⁴ هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن معروف بن يوسف التينلاني أخذ عن شيوخ توات والمغرب.

⁵ إجازة سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمن بن معروف بن يوسف التينلاني أخذ عن شيوخ توات والمغرب.

أ- الذكور: مُحَمَّد عبد العزيز، مُحَمَّد عبد الله، مُحَمَّد عبد الرحمان الكبير الملقب أبو المهدي الذي مات قبل وفاة أبيه، مُحَمَّد عبد الكريم، مُحَمَّد عبد القادر عاش مختلاً عقلياً ثم توفي مُحَمَّد الحسن، مُحَمَّد عبد الرحمان الصغير، مُحَمَّد عبد الحق، هذه فئة الذكور الملاحظ أن جميع اسمائهم يسبقها اسم مُحَمَّد وذلك نسبة إلى تسمية الرسول ﷺ.

ب- الإناث: فهم أقل عدد من الذكور وهم على التوالي: أخناتة، عائشة، أم لالة مريم، مزوارة، فاطمة الزهراء¹.

ومن المتفق عليه أن أسماء جميع أبناء الأسرة المترجم لها وخاصة الذكور تسمى على أجدادهم العلماء وهذه العادة جارية إلى يومنا هذا وفي جميع قصورها، فلم تدخل أسماء جديدة للأسرة إلا نادراً فهم يتعمدون في تسمية آبائهم على أسماء أجدادهم حتى تبقى شجرتهم متواصلة الأسماء ولا تنقطع.

د- شيوخه: نبع الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمن البلبالي على يد عدة شيوخ أجلاء بالقطر التواتي ومن بينهم:

1- عبد الله بن ابراهيم البلبالي: أحد المشائخ الأوائل الذين درس عنده الشيخ منذ صغره وهو من المشائخ البلباليين بقصر ملوكة أخذ عن الشيخ مُحَمَّد الصالح الميموني² والشيخ عمر بن عبد القادر التلاني³ والشيخ عبد السلام البلبالي⁴ وغيرهم، فاشتهر الشيخ عبد الله بن ابراهيم البلبالي بالصلاح والفلاح وهو من أوائل الشيوخ الذين يرجع إليه الفضل في تحفيظ الشيخ سيد الحاج القرآن الكريم في حداثة سنه وجاء في حديثه عن نفسه بقوله: " فلما منّ الله علينا تثبت همتنا، من

¹ تقايد خطية (عقد تجيس للقاضي سيد الحاج) محفوظة لدى العائلة وعثرت على نسخة فقط منها.

² الشيخ مُحَمَّد الصالح ميموني: وهو من شيوخ قصر ميمون الذين ينتسبون إلى سيدي مولي يعقوب بن منصور بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الخالق بن عالي بن عبد القادر بن علي كرم الله وجهه ونفعنا به، سلسلة موجودة في كوسام بإحدى التقايد.

³ الشيخ عمر بن عبد القادر التلاني: هو عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف المكنى بأبي حفص أو بعمر الأكبر، حتى يهيز عن الشيخ عمر التلاني، ولد سنة 1308هـ، 1986م، أنظر: عبد الرحمان بعثمان: فهرسة التلاني، عبد الرحمن بن عمر

التلاني، مذكرة ماجيستر، إشراف: مُحَمَّد بن معمر، معهد الأدب والعلوم الإجتماعية، جامعة بشار، 2008، ص ص82-91.

⁴ الشيخ عبد السلام البلبالي: لم أعثر على ترجمة له.

وقت وضع التميز فينا، حين طفولتنا وقبل مناهزة الإحتلام المؤدى لعدم تكليفها ببرهنة من الزمان بمعية القرآن الكريم ابتدأناه ونحن في السن السبع سنين أو أقل على مقرئ بلدنا وابن عمنا البركة الظاهرة سيدي عبد الله بن ابراهيم بن سيدي الحاج علي بن سيدي أحمد بن أبي زيد البلبالي¹ الذي حفظ عليه القرآن الكريم معتمداً على الطريقة المعروفة في جل المدارس القرانية والتي لازالت معتمدة إلى يوم الناس هذا بافتتاحه اللوح بكتابة الحروف (أ-ب-ت-ث) بحسب بداية الصبيان ثم بالتهجي إلى أن وصل سورة الجمعة وابتدأنا بالحفظ منه إلى أن ختمنا القرآن بسورة البقرة كله بحفظه عن ظهر القلب بحسب قراءة الصبيان ثم بدأنا من البقرة بالربع إلى أن ختمناه أيضاً ثم سعدنا معه كذلك ثم طرحنا اللوح².

(2)- عبد الرحمن بن عمر التنلاي: هو أبو زيد عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن معروف بن يوسف التنلاي، وهو العالم العلامة شيخ الشيوخ ومعدن الفيض والرسوخ، ولد عام 1121هـ بقصر تنيان أخذ عن الشيخ الشيوخ عمر بن عبد القادر التنلاي والشيخ عبد الرحمان الجنتوري والشيخ محمد ابن أب والشيخ عمر بن المصطفى الرقادي الكنتي، ارتحل خارج توات إلى سلجماسة فأخذ عن الشيخ أبي العباس الهلالي والشيخ صالح بن محمد الغماري وغيرهم، وأخذ عنه العديد من التلاميذ والعلماء وصاروا مشائخ وشيوخ من بينهم: ابنه محمد وعبد الله ومحمد بن محمد العالم الزجلاني والقاضي عبد الحق بن عبد الكريم ومحمد بن مالك القبلاوي، وكذلك صاحب الترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي، الذي آل إليه بعد إن طرح اللوح ودرس عنده تجويد القرآن الكريم على رواية ورش وقالون وقرأ عليه في الفقه مختصر خليل قراءة وسما وألفية ابن مالك في النحو وعلم البيان وكان شيخه المذكور يتردد في مآربه ويتعاهد حوائجه الدنيوية والأخرية فكان يعطي لكل حق حقه إلى جانب انشغاله بطالب العلم كان يطلق الماجن في بستانه ببرع³ فيقول صاحب الترجمة بنفسه: " أنه جئناه يوماً للقراءة وجدناه في برع ثم طراً عليها عمنا السيد محمد الصديق بن العالم بلدينا وابن عمنا وزوج أمنا فحضر لقراءتنا عنده ثم لما تمت القراءة وقدمنا لبلدنا وقد تركناه

¹ نص إجازة محمد بن عبد الرحمان البلبالي وجدتها كاملة في خزانة كوسام، ص2-3.

² البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 3.

³ برع هو أحد القصور تيمي يقع بالقرب من قصر أوقديم وأدغاغ.

معه فقدم من عنده قال لي أن الشيخ اخبرني بأنك ستكون فقيها...¹، وهذا ما هو إلا دليل على كرامات الشيخ عبد الرحمن بن عمر التلاني الذي نوه به وأنه يصبح فقيهاً وعالمًا رغم صغر سنه.

(3)- الشيخ محمد بن عبد الله الأدغاي "الونقاني":

في الوقت الذي كان ملازماً لشيخه عبد الرحمن بن عمر التلاني والذي أثار لنجابته وعلمه كان يتردد كثير على قصر أولاد أونقال² لزيارة شيخه محمد بن عبد الله الأدغاي الونقالي الولي الصالح الزاهد صاحب الأسرار الربانية والفتوحات الرحمانية ولد بقرية أولاد أونقال عام 1140هـ، فتصدر التدريس والفتاوى واجتمع عنده خلق كثير وتخرج على يده جمع غفير من العلماء منهم الشيخ محمد بن المبروك البدواي³ والعلامة أحمد الزروق الجعفري ومحمد بن أحمد الراشدي وكذلك أخذ عنه صاحب الترجمة الذي كان بتردد عليه بمجلسه الذي كان يجمع نحو مائة رجل من العوام والخواص ومن البدو والحضر، فكان يذهب له كل يوم وقت العصر فيدركه المغرب بها تارة وتارة يفرغ من القراءة قبله ويرجع بعدها إلى بيته بملوكة ليبيت بها ثم انتقل إليه كلية فقرأ عليه الأجرومية ومختصر خليل الذي كان يخرجه في شهر ثم في عشر أيام ثم في ثلاثة أيام وكذلك عقيدة الأم السنوسي الصغرى وكذلك البردة والهمزية ابن مالك وكان ذلك قبل بلوغه، وعند صياحه الأول تصدر للدرس والإمامة حيث صلى بالناس صلاة التراويح بشهر رمضان رغم حداثة سنة (صومه الأول).

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المصدر السابق، الورقة 3.

² ذكر الفقيه سيدي محمد عبد الكريم البلبالي مخاطباً حفيده سيدي سالم بن سيدي محمد عبد العزيز: وجدكم الشيخ العليم محمد له الحفظ والإرشاد والفقه يسند

تفرس فيه الوثقلي محمد رسوخ علوم ناله هو سيد.

³ الشيخ محمد المبروك البدواي: هو ابن المبروك البوداوي بن سيدي أحمد بن محمد عبد الله بن محمد سيدي أمجد الونقالي وعن الشيخ سيدي عمر بن عبد القادر التلاني ولد عام 1080هـ، وتوفي في 18 شعبان عام 1198هـ، أنظر: أحمد بن الصافي جعفري: الشيخ سيدي محمد بن المبروك البدواي الجعفري 1198 هـ حياته وشعره، رجال في الذاكرة، منشورات الحضارة،

ط1، الجزائر، 2009، ص 33.

مرض شيخه: عندما مرض شيخه الونقاني تصدر الشيخ عبد الرحمان البلبالي للتدريس فرحوا بقراءته وأعجبهم إملائه وفي يوم الأربعاء دخل على شيخه وجده مضطجعاً على جنبه الأيمن وعيناه كأنهما ماء فأمسك بيد شيخه اليمنى ودعا له بطول العمر والإنتفاع الأمة به وبعلمه بقوله: "أطال الله عمرك" ثلاث مرات ثم قال: "الله ينفعك وينفع بك"، وبعد ثلاثة أيام من وداعه أي يوم الجمعة سمع خبر وفاته رحمه الله فصلى عليه مع جمعاً من الناس وطلبة، وقد أوصاه بأن يكون خليفته في البلد بعد وفاته¹.

4- محمد بلعالم الزجلالوي:

الشيخ محمد بلعالم الزجلالوي هو أبو عبد الله محمد بن محمد بلعالم بن أحمد بن الزجلالوي أحد الأعلام والأئمة المجتهدين في عصره ولد بزاقلوا وأخذ عن والده الشيخ عمر بن عبد الرحمن التتلايني والشيخ عبد السلام البلبالي، وبعد مدة إنتقل الشيخ إلى قصر زاجلوا² فهناك لقي الشيخ سيدي محمد بن العالم الزجلالوي الذي قرأ عليه ألفية ابن مالك والخزرجية في العروض، ويكون بذلك قد تبادلوا مع بعضهما البعض العلوم فكلاهما يعد شيخاً للآخر وتلميذاً له وظل عنده قرابة شهر فقال الشيخ متحدثاً بنفسه: "ثم لما توفي ارتحلت لمقرئ زجل الفقيه السيد محمد بن العالم فقرأت عنه ألفية ابن مالك بتمامها والخزرجية كذلك وقرأ هو عليه القلصاء إلى الجزر في مدة أقل من شهر بكثير"³، وانتهت إليه الرئاسة في الديار التواتية وله عدة تأليف منها: شرح على المختصر، وألفية في غريب الحديث ونوازله معروفة، توفي رحمه الله سنة 1175هـ، وله قصائد كثيرة في رثائه من تلاميذه.

¹ روى أنه لما دنت وفاة الشيخ الونقاني إني أردت الحج فمن يريد الحج منكم فأراد الشيخ سيدي الحاج أن يقول أنا، فقال الشيخ له أنت يا أخي الحاج لا تسافر معي فأنت تكون خليفتي في البلد فكان عن قريب ما وقع من الأمر المحتوم، وفيه أشار إلى أنه وارث سره، أنظر: محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي: مخطوط جوهر المعاني للعلامة، مخطوط السابق، الورقة 44.

² قصر زاجلوا: وهو قصر تابع إلى زاوية كنته ومن أشهر شيوخه وعلمائه الشيخ سيدي علي بن حنيني.

³ البلبالي: مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 6.

(5) - محمد بن عبد الرحمن التتلاي¹: هو أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن عمر التتلاي، العالم العلامة والبحر الفهامة ولد سنة 1151 هـ بتتلان، أخذ عن والده ورحل إلى إقليم سلجماسة فأخذ عن علمائها مثل الشيخ أبي العباس الهلالي الذي نوه بفضله ومن بينهم عبد الرحمن بن إدريس ومحمد القسطيني ومحمد عبد العزيز البلبالي وقد أخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الرحمان البلبالي علم المنطق وقرأ عليه ألفية في النحو وقدم إليه إجازته الذي جاء في نصها: "ثم لما جاء الفقيه الأجل المحقق الموازي في الكثير والقل وهو السيد محمد بن شيخنا العلامة أبي زيد التتلاي... ولما قدم من قرية تيدكلت ونزل بزواية تنلان، قدمت إليه واعدت عليه الألفية والسلم، فأجازني إجازة مطلقة عامة على الكمال والتمام"، كان إماماً في المذهب حافظاً له متفنناً في النحو والمنطق والبيان والعروض وله تواليف جمّة منها: إفهام المقتبس، وكشف النقاب في مسألة التحبّيس، وتقاليد فقهية جمّة وله نوازل خاص سميت باسمه، وله فتاوى منثورة في كتاب الغنية، توفي في شهر صفر عام 1233 هـ.

هـ) - وفاته:

عند دنو أجله سأله أهله وخاصته وقبل له نريد أن نجعل لك ضريحاً بالقرب من المسجد ونبي عليك بيتاً يكون قريباً في الزيارة ومزاراً معلوماً لكثرة طلبه العلم وأهل الله قال لا يكون لي بناءً مع الولي الصالح سيد الحاج أبي القاسم بل ادفنوني بالقرب من صاحبي وهم سيدي محمد بن سيدي عبد الله بن إبراهيم وسيدي عبد الله².

وبعد حياة حافلة بالعلم والدراسة والقضاء والتدريس، توفي العالم العلامة محمد بن عبد الرحمان البلبالي وكانت وفاته ليلة الإثنين آخر جمادى الثانية سنة 1244 هـ عن عمر يناهز 86 سنة رحمه الله بين العشائين³.

¹ تم ترجمة في العديد من المؤلفات منها: الذرة الفاخرة الورقة 8، التاريخ الثقائي، ص123، وقطف الزهرات، ص103،

والشجرة المرجانية، ص 114-115، رشيد بايوسف: وغاية الأملاني في أجوبة أبي زيد التتلاي دراسة وتحفيظ، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحق زريوح، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تلمسان، 2013-1212، ص 31-32.

² البلبالي: مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 107.

³ طيب شاري: سيدي محمد العالم البكري، ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات، تقييد بجزارة كوسام، ص 33.

وقد رثاه العديد من تلاميذه وطلابه وشعراء بقصائد شعرية منها ماثية المأمون بن مبارك البلبالي:

مات صبري بين أحياء الكرام حين لف القوم منشور الخيام

وأقام الحزن ثم إرتحوا هكذا الدنيا ارتحال ومقام¹.

كما رثاه يوسف التلاني بقصيدة طويلة جاء في مستهلها:

انس نديمك بالصباية وأنشد تجد المدام فريضك المتجود

وحديقة فأذكر وسم أحيائها ونسيمها واللاجئين الفرد².

(و)- إجازته العلمية:

للشيخ العديد من إجازات العلمية رغم أنه كان يخاف ذلك كثيراً فقد كان يخط فيها عبارته الشهيرة "العبد الحقير المقر بالجهل والتقصير"، مع علمه ويقينه بأن هذا الحجر ليس من بنائه ولا السوء من جلساته بل تواضعاً للعلم وأهله، كما كان للشيخ مجموعة من الحواشي التي جمعها محمد الحسن بن محمد الزقوري في كتاب سماه تحفة الحبيب مع جمع الطرر المعلقة على شرح ابن نجيب. وبعض المحاولات الشعرية القليلة ومن بينها قصيدة جمع فيها آداب الصياف في الإسلام جاء فيها:

ألا فاستمع مني مسائلاً يا فتى تقر بها الأصحاب والضيق مسجلاً

وقد ختمها بقوله:

ونأظمها محمد ابن أبي زيد مسكنه ملوكه والأصل بلبلا.

ونظم هذه القصيدة سنة 1176 هـ كان يبلغ عمر 31 سنة³.

¹ طيب شاري: ترجمة للشيخ سيد الحاج البلبالي، تقيد خطي بجزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص6.

² مخطوطة القصيدة موجودة بجزانة قريشي مولاي علي بأولاد ابراهيم، وكذلك موجودة في مقدمة الغنية، بجزانة كوسام، الورقة

12.

³ القصيدة كاملة بجزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

وله بعض التقايد، والفتاوى التي تمت الإشارة إليها في مخطوط جوهر المعاني حيث قال في ترجمته "وله تقايد حسنة وجواهر نفسية"¹.

(ز) - آثاره

من أهم آثاره العلمية أن الشيخ لم يترك كتباً ومؤلفات كثيرة وإنما أجمع على تأليف رجالاً ورثوا عنه العلم والمعرفة ونشره في جميع الأقطار وقد سبق لنا ذكرهم فكان منهم علماء وأدباء وقضاة وهم يمثلون أهم آثاره العلمية التي خلفها، كما نجد له آثار أخرى تمثلت في جمعه لمسائل الغنية المقتصد السائل لما وقع في توات من قضايا ومسائل: حيث يرجع له الفضل بجمع سجلات مشاورات القاضي عبد الحق وأعضاء مجلسه وهم: عبد الرحمن بن عمر التلاني ومُحَمَّد بن العالم الزجاجاوي وعبد الكريم الحاجب ومُحَمَّد بن عبد الله التمنطيقي وقيل فيهم أنهم أربعة أشياخ لم تسمح الوقت بأفضل منهم في صناعة القضاء² " ثم أضاف إليها ما ثبت تحقيقه من الحوادث والأمور التي نتجت بها قريحته ثم واصل جمعها وترتيبها ابنه عبد العزيز بعد وفاته .

(ح) - المراسلات والمكاتبات: قام الشيخ سيد الحاج بمراسلة العديد من العلماء والمشائخ داخل الإقليم التواتي وخارجه وتضمنت هذه المكاتبات عدة أسئلة فقهية وإجابات وفتاوى و مشاورات ويمكن اعتماد هذه المكاتبات والمراسلات آثاراً علمية للشيخ لفائدتها وقيمتها العلمية كمراسلته التي قدمها تلميذه السيد المأمون البلبالي في رده على مراسلته لسؤاله فيها عن مسألة الشفعة فيها لا ينقسم³.

(ط) - تأسيسه للزاوية العلمية وخزانة المخطوطات بقصر ملوكة:

رغم التأسيس الأول لزاوية البلبالية في عهد الشيخ سيد الحاج بلقاسم البلبالي الأنصاري إلا أن ظهورها كمنارة علمية لم يبرز إلا مع منتصف القرن الثاني عشر هجري على يد بن الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمان البلبالي فأصبحت الزاوية البلبالية في عهده ومهوى الطلاب ومقصداً لهم، مضاهية الحواضر العلمية الأخرى بتوات كتمنطيقي وتيلان وبوده وفي ذلك يشيدنا الأستاذ الحاج أحمد

¹ مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيقي: جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 32.

² نفسه، الورقة 22.

³ بن حسان، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 91.

الصديق في كتابة التاريخ الثقافي يقوله: "ومع منتصف القرن الثاني عشر هجري برزت ملوكة كقطب علمي متميز بفضل جهود الشيخ الحاج مُجَّد عبد الرحمان البلبالي وابنه مُجَّد عبد العزيز¹."

(ط) - تلاميذته:

بعد أن أنهى مرحلة التحصيل العلمي الذي ناله على يد أهم علماء توات، تصدر التدريس والتعليم، وتخرج على يده عدد كبير من التلاميذ وصاروا علماء أجلاء ومن أشهر من تلاميذه:

- 1_ ابنه أبوفارس مُجَّد عبد العزيز.
- 2_ أبو العباس أحمد الحبيب البلبالي.
- 3_ أبو البركات عبد الله عبد الكريم الحاجب البكري.
- 4_ المامون بن أمبارك البلبالي.
- 5_ السيد المأمون بن مبارك البلبالي.
- 6_ سيد البكري بن عبد العزيز البلبالي.
- 7_ سيد عبد الكريم بن عبد المالك.
- 8_ سيد مُجَّد الطاهر المأمون.
- 9_ سيد عبد الله بن سيدي مُجَّد عبد الله.
- 10_ سيد مُجَّد الطاهر المأمون.
- 11_ سيد ابراهيم الوجد.
- 12_ سيد مُجَّد بن عبد المؤمن زاوية كنتة.
- 13_ سيد مُجَّد المكني ديدي بن سيدي مُجَّد الجزولي.

¹ صدیق الحاج أحمد المغیلي، التاريخ الثقافي، المرجع السابق، ص 139.

- 14- سيد عبد الله الجزولي بتمنيط.
- 15- سيدي مُجَّد المكنى سيد الجزولي.
- 16- سيد مُجَّد البدواوى البكراوي.
- 17- سيد الحسن بن سيد سعيد.
- 18- سيد عمر بن المبروك البداوى.
- 19- سيدي مُجَّد بن سيد عبد العزيز التامرتي.
- 20- سيد أحمد بن دح الونقالي.
- 21- الشريف بن مولاي هبة العيساوي.
- 22- مُجَّد المكي بن مُجَّد عبد العزيز البركاني¹.

(ي)- توليه القضاء:

تولى الشيخ منصب القضاء الجماعة بالديار التواتية سنة 1214هـ، حيث اجتمعت الجماعة على رفع الشيخ العلامة مُجَّد بن عبد الرحمان لرسوخه في العلم والصلاح فزكوه لدى السلطان مولاي سليمان العلاوى فأرسل هذا الأخير كتاباً في تعيينه كقاضي قضاة توات، وتحدد له خطابه التكليفى الخطوط العريضة والعامه وذلك في شهر شوال من سنة 1798، وجاء في هذه الصحيفة للسلطان العلوي بعض النصائح: عليك بتقوى الله ومراقبته والأخذ بالمذهب المالكي والتعفف عن أموال الناس والقيام بحقوق المسلمين وأدائها على أحسن وجه.

وجاء نص الخطاب التكليفى للقاضي سيد الحاج: نص ما كتب في توليه لمن هو معروف بالعلم والحلم والإرضاء من السلطان مولانا سليمان بعلم منه بحول الله وقوته أننا ولينا الفقيه السيد الحاج البلبالي خطه القضاء في توات وبسطنا يده في التصرف في ما يرد عليه من الدعاوى الحكم الشرعي وعليه بالتقوى الله ومراقبته ومتابعة مشهور المذهب المالكي ﷺ وبالتقوى الله ومراقبته

¹ أسماء تلاميذه كلها واردة في تقييد ترجمة سيد الحاج بخزانة كوسام، ص 4.

ومتابعة مشهور المذهب المالكي رحمته الله والتعفف عن أموال الناس والقيام بحكم المسلمين ونأمر خديمنا الحاج مُحمَّد بلعباس أن يشد عصره في ما يحتاج إليه في تنفيذ أحكام الشريعة والله ولي التوفيق وسلام صدر به الأمر الشريف في الرابع شوال عام 1214هـ¹.

وماتؤكدده بعض الوثائق الموجودة بالخرزانة البلبالية بقصر ملوكة أن القاضي سيد الحاج واجه بعض المشاكل والصعوبات فهناك من شاء إطالة الخصومة بعد الرضي عن الحكم أو كونه لغير صالحه ولهذا فقد أدرك هذا الأخير ثقل مهمة القضاء وصعوبة أحواله وعسر حاله، ولهذا الأسباب والأخرى طلب ممن قلده خطه القضاء بتوات أن يعفيه منها ولكن السلطان أصدر عليه فخط له رسالة أخرى يطلب منه البقاء والصبر لأن القضاء ليس بالمهنة السهلة ورفع كل القضايا المستشكلة إلى دار القضاء بتفيلالت للحكم فيها، كما نصحه بضرورة المشاورة مع العلماء وكثرة الإطلاع وتوزيع نسخ الأحكام على المتخاصمين².

سار القاضي سيد الحاج البلبالي وفهم وحفظ الود³، فأرسل إلى تمنطيط ليطلب سجلات القاضي عبد الحق ليطلع عليها ولتكون بمثابة مشكلة قضائية فعمل على تصنيفها وترتيبها على حسب حالات الأفضية والخصومات وهي لازالت موجودة في خزانة البلبالين وبعض الخزائن الأخرى سماه بغنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا والمسائل وهكذا تولى الخطة القضائية بالبلاد التواتية فكان أحق بها وأهلها إذا لم يكن بها أحد فيها ممن يستحقه من أمثاله ولم يوجد من ينسج صنعة القضاء على منواله وبعد أن كبر سنّه ولي خليفته ابنه سيد عبد العزيز البلبالي⁴.

¹ رسائل السلطان للقاضي سيد الحاج وخطاب التكليف موجودة بخزانة ملوكة.

² وثيقة رسالة السلطان للقاضي موجودة بخزانة ملوكة وعثرت على نسخة منها.

³ جاء في معرض إجازته لتلميذه سيد المأمون البلبالي قائلاً: "...تؤذن باستحلافه إياي بالبلاد التواتية قاضياً ويجعله حكماً فيها ماضياً فاستعففته من ذلك مراراً فأبي (يقصد به السلطان مولاي سليمان) ثم قول من كان الله من منشباً بحيث لا أحكم إلا بعد مشورة ولا أهجم إلا يقول عالم يعضده نص حديث أو صورة.

⁴ طيب شاربي: تقييد خطي به ترجمة السيد الحاج البلبالي، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص3.

ك) - أخلاقه والتنويه العلماء به:

كان رحمه الله عالماً عاملاً فقيهاً صبوراً متطوعاً إلى العلم وشغوفاً به وبأهله منذ نعومة أظفاره، فهو شيخ الشيوخ والقدوة الحسنة، وجاء ذكره في مخطوط الذرة الفاخرة: العبقرى الذى لاحت عليه أعلام التوفيق، المحب للعلم وأربابه المنفق على تحصيله ربق شبابه المستفيد المفيد¹.

وصفه صاحب كتاب جوهر المعاني بقوله: "شيخ ورئيس الأيالة وطود الأمامة حائز السبو محراب الحق من طلعت شمسه دون سحاب على دياجر...مقام العلم من الراسخين وعند الخاصة والعامّة من المكرمين شيخاً عارفاً مجتهداً ملازماً للتدريس والمطالعة"².

ونظراً لما وصل له الشيخ ومكانته العلمية العالمية التي جعلت منه عالماً والتي جعلت العلماء ينوهون به رغم حداثة سنه، فاعترفوا له بالفضل والرسوخ في العلم ومنها ما شهد به شيخه محمد بن عبد الله الأدغاعي من الرسوخ في العلم حين أخبر خديمه المدعو بـ حم بن الحاج محمد الوشاني³ كما جاء في مقدمة الغنية قال له: قال لي الشيخ سمعتك تقرأ القرآن وتفسيره في سطح البيت الذي كنت فيه فقال في شأنك أن هذا يكون من الراسخين في العلم⁴.

وجاء في مقدمة الغنية أن الفقيه السيد الحاج محمد بن أحمد الراشد⁵ قال فيه أن الشيخ سيد الحاج سيكون قاضياً، وكذلك بعث شيخه الونقالي إلى خاله سيد المحفوظ يعلمه بأن ابن أخته صار عالماً وأورد هذه المكاتبة أحمد الحبيب في مقدمته للغنية والتي نصها "حفظ الله يمنه ورعى بحسن رعايته، مجيباً سيد المحفوظ، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

¹ محمد عبد القادر ابن عمر ابن عبد الرحمان التناي، الذرة الفاخرة، المخطوط السابق، الورقة 10.

² محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 43.

³ كان من أخذ عنه الفقه وغاب لبلد التكرور وأقام بها سنين عديدة لاسيما بلاد تنمبكتو.

⁴ البلبالي، مخطوط الغنية، المخطوط السابق، الورقة 6.

⁵ وهو من أجل الفقهاء الذين أخذوا عن الشيخ الونقالي وكان ممن يعاكفه ويلازمه وقد بلغ في الصلاح والنية الصالحة في أهل الله الدرجة القصوى.

"فالحمد لله على فضله ونعمه فإن ابن أختك صار عالماً، يقرأ خليلاً من أوله إلى آخره وكذا التفسير، وخليلاً لا يقرئهما الكبراء وقل لأمه ياسعداتك ويافرحتك قل لها ولدك أضحى من خيار علماء توات" ¹.

وقال تلميذ الشيخ أحمد الحبيب البلبالي "شيخنا الوقور، ذو العلم المشهور، والصيت المنشور، ذو المآثر العديدة والخصال الحميدة" ².

وبعد هذه الجولة العلمية التي قام بها صاحب الترجمة والتي ابتدأها منذ نعومة أظفاره بحثاً عن العلم والمعرفة ما هو إلا دليلٌ على نضجه منذ طفولته وعلو همته وشغفه بالتحصيل العلم من مكان إلى آخر ومن شيخ إلى آخر فحياته كلها كانت تحصيل وعطاء وملازمة لشيخوخه الأجلاء الذين شهدوا له بالعلم والنبوغ والتفوق، وكلهم في الديار التواتية لم يتطلع إلى خارجها إنما ظل ينتقل بداخلها فعرف كيف يستغل ظروفه وإمكانياته المتاحة بالأقاليم ونال منها ما نال من منابع العلمية والمعرفية مكنته من تقلد مناصب عديدة فتصدر التدريس بقصر أولاد أونقال وصلى بالناس صلاة التراويح في الشهر الكريم وهو بحداثة سنه وفي صيامه الأول.

وتولّى الإمامة والخطابة بتمنيط بجامع أولاد علي بن موسى لعدة سنوات ثم انتقل إلى زاوية ملوكة فأفتى بها ودرس فكان عالماً متواضعاً له يد طولى في مسائل الفقه والتفسير كثير التقيد يقبل على من يباحثه ولا يضرجر ولا يمل من طول المجلس ختم القرآن كل يوم من الأيام طوال شهور وأعوام ولم يزل على حاله حتى مات ³.

(2)- القاضي عبد العزيز بن مُجَّد بن عبد الرحمن البلبالي (1190هـ-1261م):

(أ)- مولده ونشأته:

هو أبو البكري مُجَّد بن عبد العزيز بن مُجَّد بن عبد الرحمن البلبالي، ولد في ضحوة يوم الإثنين 13 من شهر شوال عام (1190 هـ - 1776م)، مع أخت له في حمل واحد (توأم) من أم

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، مخطوط السابق، الورقة 11.

² نفسه، الورقة 10.

³ طيب شاري: تقييد به ترجمة الشيخ عبد الرحمن البلبالي سيدي الحاج، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص3.

وهي السيدة مريم موساوي من أولاد علي بن موسى من أعرق قبائل تمنطيط ومن أعلاها قدراً وشأناً، فهي الزوجة الأولى للقاضي سيد الحاج.

نشأ القاضي عبد العزيز¹ وترعرع في بيت علم وبساط معرفة ومعانقة القلم بجوار أبيه القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي الذي أخذ عنه شتى مزارع العلم من فقه وأدب وبلاغة ومنطق وصرف ولغة وحديث وتفسيراً، وفي الوقت نفسه كان يتردد على مجلس الشيخ محمد بن عبد الرحمان التلاني، فصال وجمال واكتسب خبرات تكوينية لشخصيته جعلت منه قطباً من الأقطاب العلمية وهذا ما أهله لخلافة والده المذكور في التدريس والقضاء والإفتاء ففاز بالتقوى بنشأته بنفس الطريقة التي نشأ بها والده الذي كان يلقبه بالسبوية وبذلك فقد حمل لقبين أبو فارس وسيباويه توات².

رباه أبوه على حب العلم والتعلم منذ صغره، فبدأ بحفظ القرآن الكريم بنفس الطريقة التي درس بها والده، ثم زاول دراسة النحو واللغة والفقه فكان متواضعاً له يد الطولى في مسائل الفقه والتعبير والإعتناء به مما أهله أن يكون شاعراً وسبب تلقبه بالسبوية، كما إشتهر بالمهارة في العلوم الشرعية بعد انتهائه من حفظ كتاب الله العزيز، فكان لا يمل ولا يضجر من القراءة لأنه كان كثير الإعتناء بالكتب وجمعها فيشترها ولا يهملها³.

ب)- تعليمه وشيوخه: تعلم وتفقه على يد والده - كما ذكرنا سابقاً- فنبغ في مجمل العلوم، فلا يخرج من النحل إلا العسل فقرأ عليه: القرآن الكريم على رواية ورش والأجرمية وعقيدة السنوسى الصغرى والبردة والهمزية وألفية ابن مالك ومختصر الخليل⁴ ثم بعدها تحول إلى دراسته عند الشيخ

¹ ورد في مخطوط جوهر المعاني للعلامة سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق أن الشيخ كان يؤتى له بالحشيش من الجنان ويستل عن تسميته فلا يعرفه لعدم مبالاته بالبساتين وحرصه الكبير لطلب العلم فقط.

² ترجمته واردة في العديد من المؤلفات منها: التهامي غيتاوي: سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات ص 102، وكذلك الشيخ محمد باي بالعالم، الرحلة العلية، ج 1، ص 104، وأيضاً كتاب قطف الزهرات، ص 55.

³ الوليد ابن الوليد: مجموع تقايد خطية بخزانة بن الوليد، با عبد الله، أدرار، الجزائر .

⁴ أجازة والده المذكور قائلاً: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، فقد أجزت ولدي محمد عبد العزيز في كل ما أجازني فيه شيخي أبو زيد المذكور أعلاه من روايته عن أبي العباس الشيخ السيد أحمد بن عبد العزيز الهلالي ولم أستثنى عنه من ذلك فضلاً لعلمي بأنه لجميع ذلك أهل وذلك بشرط المألوف عند أهله وأخيه بوصية والدعاء بما دعا به وكتب عبيد ربه تعالى محمد بن عبد الرحمان البلبالي رزقه الله الدوام مشاهدته الجمالي والجلالي نص الإجازة موجودة بخزانة الطيب الشاري بقصر كوسام، أدرار، الجزائر.

سيدي عبد الرحمن التلاني كما حصل لقاء مع العلامة أحمد الزروق الجعفري البداوي الذي أجازه في صحيح البخاري¹.

تعود على ختم القرآن كل يوم طول الشهور وأعوام، فكان منشغلاً بالقراءة² وقد نوه له الكثير من العلماء منهم: صاحب جوهر المعاني في ترجمة له قال عنه الشيخ الإمام العالم شيخ الدائرة الكبرى وحامل لواء المحجة الغراء، إمام العارفين ورئيس القانتين وكعبة الخاشعين أبو فارس فكان رحمه الله ممن فاضت عليه الفيوضات الرحمانية والأنوار الربانية والواردات الإلهية فحصل على فنون العلوم ما كان به من إمام الأئمة³.

أما الشيخ بالعالم الذي قال فيه "القدم الراسخ في سائر العلوم من بديع وبيان ومنطوق ومفهوم وجمع جواهر العلوم بأسلوب تستنير منه المفهوم خدم العلم طوال عمره استفادة وإفادة بصدق وإخلاص"⁴.

(ج)- تلاميذه: أخذ عنه شيوخُ آجلا منهم ابنه العلامة الشيخ سيدي البكري والشيخ العلامة أبو العباس سيد أحمد الحبيب بن مُحمَّد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي، والشيخ العلامة سيدي عبد الكريم بن مُحمَّد بن عبد الملك البلبالي والشيخ العلامة سيدي الحسن بن سعيد بن عبد الكريم البكري والشيخ سيد فتحا بن أحمد البدرى البكري، والشيخ العلامة سيد مُحمَّد الجزولي البكري وغيرهم⁵.

(د)- مؤلفاته وآثاره: تفنن الشيخ مُحمَّد عبد العزيز البلبالي في النحو والنبوع فيه، وفي صياغة الفتاوى والرد عليها والأطروحات الفكرية ولهذا حمل لقب السبوية لحرصه الشديد فكان فقيهاً وعالمًا في مختلف العلوم⁶ إلا أنه لم يعنى بالتأليف لإنشغاله بتأليف الرجال فكان له تلاميذ كثير، مؤلف واحد

¹ مُحمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، مخطوط جوهر المعاني، مخطوط السابق، الورقة 20-21.

² البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 1.

³ مُحمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنيطي، جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 20.

⁴ مُحمَّد باي بالعالم، الرحلة العلية، ج 1، المصدر السابق، ص 104.

⁵ مُحمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق، مخطوط جوهر المعاني، مخطوط السابق، الورقة 22.

⁶ كان من العلماء الذين جمعوا بين الشعر والعلوم المتعددة وله عدة قصائد شعرية منها قصيدة التي قالها بمناسبة فراقه لتلميذه والده الشيخ السيد عبد الله بن مُحمَّد بن عبد الكريم البكري الحاجب:

واحد ومشهور في الديار التواتية وهو جمعه لنوازل الغنية الشورى حيث واصل مهمة أبيه الشيخ سيد الحاج في جمع فتاوى المعروضة على مجلس القضاء بتمنيط في كتاب يحمل إسم "غنية المقتصد السائل فيما وقع بتوات من قضايا ومسائل"، وقد قال فيه الشيخ سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم التمنيطي في المخطوطه جواهر المعاني "أضاف لذلك ما ثبت، تحقيقه عندها حوادث الأمور التي نتجت بهن قريحتهما فكان من أحسن ما جمع وقال أيضاً: أجاد جمع نوازل الغنية الشورى فكانت أجمل ما ألف في أرض الصحراء لم يسبق له سابق ولم يلحق له لاحق سلمت له العلماء وركعت له الملوك والحكماء"¹.

وكان للشيخ العديد من المكاتبات والمراسلات والمحاورات التي تميزت بأسلوبه القوي وجزالة لغته بشدة الرد على الكثير من المسائل ومن أهمها: مكاتبتة للشيخ سيد أحمد زروق² بن سيد مُحَمَّد بن موسى من آل سيد يوسف بن صابر البداوي ثم الجعفري وكانت تحتوي على نحو تسعة عشر بيتاً شعرياً موجهاً خطاباً قائلاً:

إليكَ أبا العباس أنحوا واذهب ومَنك أورم الوصل الذي هُوَ أوجب
سَلكت طَريقاً واضحاً تُطالبُ الغلا فَنِلت مَقاماً شامخ الصرح أرحب.

فأجابه الشيخ أحمد المذكور بما نصه من جواباً شعرياً مكون من 21 بيتاً شعرياً
إستهله بقوله: أُحييك يا عبد العزيز وأُطنب تحية ذى ودّ من المسك أطيّب
أتاني قريض منكَ ياخير الفاضل بأخلاقك الحُسنى يروق ويعذب.

وكانت هذه المكاتبة بين صديقين الذين أشاد كل واحد منه الآخر بأخلاقه الحسنى وعلاقة القوية التي كانت تربطهما فدعى كل واحد منهما الآخر بالإخلاص والرحمة من الله واللقاء يوم اللقاء

¹ كيف اضطباري على خل شغف به قد كان بالفصل والتقوى قد انصفا.

أنظر: مُحَمَّد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المصدر السابق، ص139-140.

² مُحَمَّد بن عبد الكريم، جواهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 22-23.

² سيدي أحمد الزروق: كان فقيهاً حافظاً أديباً له في الشعر دواوين، إستوطن فاس دهرًا طويلاً بعد موت شيخه الولي الصالح المشهور بالفتح الرباني الشيخ مُحَمَّد فتحا بن عبد الله الونقالي التواتي، وكان رجوعه إلى توات عام 1244هـ ونزل ببلدته زاوية سيدي حيدة من قصور بودة، توفي بها في رمضان رحمه الله. أنظر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص58.

خليلاً¹، وله محاورات مع بعض علماء توات في فقارة بزاوية سيدي يوسف كان خديمها من بودة كما وجدنا في بعض الوثائق التي كانت عبارة عن تقارير خطية خطها الشيخ عبد القادر بن الوليد وهي محفوظة بخزانة الشيخ عبد العزيز البلبالي كان له تأليف ورد عليه من الفقيه السيد المغيلي بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب ابن حميدة وله قصيدته جاء في نصها:

يَا رَبَّنَا إِنْ ظَلَمْنَا يَا قَدِيرٍ فَخُذْ لَنَا بِالْكَارِ يَا نَعِيمِ النَّصِيرِ².

وكذلك مكاتبة الشيخ مُجَّد داود بن البوداوي الذي أمره والده أن يخطها له مطالباً منه العودة إلى بلاده بعد أن ورده كتاباً من شيخه عبد الله بن أبي بكر المكناسي يخبرهم فيها بقرب موعد رجوع تلميذه إلى توات، بعد أن تحصل العلم والمعرفة للمختلف العلوم الشرعية وقد تبين من هذه الرسالة رسوخه في فنون اللغة وجزالتها وقوة أسلوبه التي أرخ لها في أواخر شهر شوال 1223هـ/1808م وجاء قول عبد العزيز حيث كان بمكناس وطلب منه أخوه مُجَّد أن يكتبه لعله يقدم إلى بلده.

وفي آخرها قال: "وكتبه أسير ذنبه وفقير كسبه عبيد ربه تعالى مُجَّد عبد العزيز بن مُجَّد بن عبد الرحمن البلبالي أكرمه الله برحمته وأمد الأيام والليالي بأواخر شوال عام (1223هـ/1808م)³.

وترك نظم ومسائل كثيرة كتبها بعضها في مخطوط الغنية ومنها:

نظام الرّد على فقهاء توات في مسألة قولهم بفساد بيع الفقارة وكذلك نظم مسائل التي يستحق الحبس عليه الحبس من التمر بالإضافة إلى نظم في البيوع والألغاز الفقهية كلها موجودة بالخزانة البلبالية بقصر ملوكة⁴.

¹ مُجَّد عبد العزيز بن عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 55.

² مُجَّد عبد العزيز البلبالي: وثيقة مخطوطة بما قصيدة البلبالي مُجَّد عبد العزيز، خزانة برينكان، أدرار، الجزائر.

³ الوليد بن الوليد: وثيقة ذكر فيها العلامة سيد عبد العزيز نجل العلامة الشيخ سيد مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي، خزانة بن الوليد باعبد الله، أدرار، الجزائر.

⁴ مجموع هذه الوثائق موجودة بخزانة ملوكة وهي كلها للقاضي عبد العزيز البلبالي.

(د)-توليه القضاء:

كان القاضي مُحمَّد عبد العزيز ملازماً لوالده القاضي سيد الحاج في الحل والترحال وكان مطلعاً على أدق التفاصيل القضاء وسيرورته، حرر الأحكام القضائية حيناً من الدهر فبعد وفاة والده أقرأ السلطان مولاي عبد الرحمان بن هاشم العلوي بتزكية من الشيخ مُحمَّد بن عبد الله الكرزاي والشريف مُحمَّد بن هاشم الفنغالي اللذان قاما بمساعدته¹، فكتب السلطان مولاي عبد الرحمان العلوي خطاباً بالتكليف بالقضاء فواصل على منوال والده و منهجة في القضاء بين الناس والفصل في الخصومات وكذلك جمع منطوقات الأحكام القضائية والنوازل السابقة وجعلها مسطرة قضائية ودليل قضائي، فصال وجال في ربوع توات وأقاليمها الثلاث وقد جاء في بيان تولى القاضي عبد العزيز الموجودة بإحدى التقايد الخطية بخزانة ملوكة أن الشيخ مُحمَّد عبد العزيز عُرض عليه منصب القضاء مرارا وتكرار من قبل الولي الصالح سيدي مُحمَّد عزيزي إلا أنه كان يرفضه بقوله لا حاجة لي به ونسأل الله أن يجيرني منه إلا أن السلطان راسله ومع هذا فما كانت أفضل بين الناس إلا بالصلح عملاً².

تميزت جميع أفضيته بالمرونة وخاصة إذا تعلق الأمر بالمصلحة العامة بتوات، واصل نفوذ سلطته القضائية إلى تجورارين، كان عالماً جليلاً وقاضياً عادلاً فصل بين الناس بالعدل والإنصاف دون تفصيلاً وإنتهت إليه رياسة العلم بالديار الصحراوية وشارع ذكره ووالده في الإيالة المغربية.

(ه)-وفاته: وبعد مسيرة علمية تميزت بالعطاء والنفع فأفاد وإستفاد بالصدق وإخلاص وحسن الإقبال وجد وأجتهد، مراعيًا شؤون العامة قبل الخاصة مواظب على الكمالات، إنتفع بعمله جمع غفير، إذ انتهت إليه الرياسة العموم بعد وفاة والده وشيخه مُحمَّد بن عبد الرحمان التتلايني إذ لم يكن بتوات من يجاربه مواصلاً مسيرة شيخه الوالد في جميع ماتحصل عليه من فتاوى واجتهادات علماء توات ومنها إلى سجلات القاضي عبد الحق مع التوضيح ووضع الحلول وإصلاح الخلل، ومزال الفقهاء والقضاة يرجعون إليه ويعتمدون على هذه الجموع الذي سماها- كما ذكرنا سابقاً- بالغنية

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 1-2 .

² بيان تولى القاضي عبد العزيز الموجودة بإحدى التقايد الخطية بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

الشورى أو غنية المقتصد السائل في ماحل بتوات من قضايا ومسائل¹ وظل منشغلاً بالعلم حتى ناداه ربه قبل طلوع الشمس يوم الأحد 17 جمادى الأولى سنة 1261 هـ/1845م²، وظل منصبه شاغراً لمدة 40 عاماً لعدم وجود من يستحق هذا المنصب فتولى الفقهاء الفصل في الأمور القضائية إلى أن وقعت المنطقة تحت قبضة فرنسا حتى مطلع القرن العشرين³.

في حين أننا نجد في موسوعة تراجم العلماء توات وتلمسان أن بعد وفاة مترجمنا عاد أهل توات إلى فتوى العلماء بحكم الشيوخ إلى أوئل القرن الرابع عشر هجري حين أصدر السلطان مولاي الحسن بن محمد أمراً بإعادة تعيين القضاة⁴.

(3)- القاضي بن أحمد الحبيب البلبالي: تولى القضاء (1318-1319هـ).

هو محمد بن أحمد البلبالي من علماء كوسام البارزين، ولد بمسقط رأسه ملوكة سنة 1248هـ، أخذ مبادئ تعليمه الأولى عن أبيه سيدي أحمد الحبيب ثم أخذ بعدها علوماً كثيرة في مختلف العلوم الدينية من فقه وشرعية وتفسيراً عن علماء آخرين، نبغ في العلوم الشرعية فتصدر الفتوى⁵ وفي أوائل القرن الرابع عشر هجري صدر أمر من السلطان مولاي الحسن بتعيينه مترجماً للقاضي قاضياً على عرش تيمي، فطالب الإعفاء رفقة سيدي البكري بن محمد، فكان بمثابة منزلة قاضي الجماعة لما خصه الله به من فيضان بحور علمه في جميع الفنون وإختصاص برئاسة العلم في الديار الصحراوية لمعرفة حسن سياسته وإدراكه دقائق العلوم الضرورية والنظرية، فأقرّ بفضلته ووجوب تقديمه جميع القضاة، فإنتهت الخصومات إليه في توات وقورارة⁶ وتيدكلت وما إلى ذلك

¹ زهير قران: حاضرة توات المالكية أعلامها نوازها خصائصها، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف: محمد صالح حوتية، قسم الشريعة، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أدرار، 2010-2010، ص 99.

² البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المصدر السابق، الورقة 4.

³ فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 48-49.

⁴ عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص 481.

⁵ مبارك جعفري، عبد الله مقلاتي، معجم أعلام توات، المرجع السابق، ص 113.

⁶ قورارة: تقع قورارة شمال توات ويحيط بها العرق الغربي من الشمال الشرقي وهضبة تادمايت من الجنوب، الحوض الشرقي بواد الساورة شرقاً، أما مساحتها تقدر ب 270 كلم² تقريباً وذهب ابن خلدون (808هـ - 1406م) إلى أن موقعها يحدد على مسافة عشر مراحل من تلمسان في بسيط واد منحدر من المغرب إلى المشرق واصفاً أيها بأنها "...منطقة غاصة بالسكان،

مثل واد السّاورَة¹ ونحوها فلم يزل على ذلك حتى استولت فرنسا على توات وقورارة وتيدكلت والسّاورَة سنة (1318هـ-1900م)².

وفاته :

توفي الشيخ والقاضي أمّجد بن أحمد الحبيب في جمادى الأولى سنة (1319هـ-1901م)، بقصر ملوكة³ فبعد وفاته صار الأمر في مقام التحكيم فكل فقيه إتفق الخصمان عليه وألزمها أهل الحكم ماحكم به عليهما بعد الرضا منهما على حكمه وظل القضاء على ذلك إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمئة وألف هجري (1328هـ-1910م)، حيث تولى الحاكم الفرنسي بمحكمة تيمي جميع الفقهاء الثلاث وهم: الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد البلبالي، والشيخ سيدي الحاج بن البكري، بن عبد العزيز البلبالي⁴، والشيخ سيدي العربي بن أمّجد فتحا التمنيطي، وألزم الناس ما أتفق عليه الشيوخ فكان شيخ الجماعة المذكور القاضي أبو الفتح عبد الله بن أبي العباس أحمد البلبالي.

(4)-القاضي أمّجد بن أحمد الحبيب البلبالي: تولى القضاء (1319هـ-1901م).

ولد القاضي أمّجد بن أحمد الحبيب البلبالي سنة (1248هـ-1832م) بمسقط رأسه ملوكة من أسرة علمية إشتهرت بالعلم والصلاح.

مستبحرة في العمران، قصورها كثيرة تقارب المائة، تسمى تيكورارين. أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المصدر السابق، ص 77.

¹ واد السّاورَة: يقع في ولاية بشار بالجنوب الغربي من الجزائر وتعود تسمية هذا الإقليم في إنحاء جمع لكلمة السوار الذي تضعه المرأة في معصمها، ولكون الجبال تمتد على طول تلك المنطقة فهي تشبه الأساور ثم تحول هذا الإسم مع مرور الزمن إلى الساورَة. أنظر: الخلفي عبد الغاني: الفن الصخري في إقليم الساورَة ومظاهر تلفه وأهم مقترحات صيانتها (منطقة مرحومة بني عباس نموذجاً)، مذكرة ماجستير في آثار الصيانة والترميم، إشراف: أمّجد المصطفى فيلاح، قسم معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011-2012، ص 14-15.

² عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص 486.

³ صديق الحاج احمد آل المغيلي، المرجع السابق، ص 130.

⁴ نفسه، ص 486.

تعلم بملوكة وأخذ عن والده جميع العلوم العقلية والنقلية¹، فكان أحد شيوخه المميزين، أما عن تلاميذه ومؤلفاته فإن المصادر التاريخية التواتية لم تسعفني بوجود هذه المعلومات.

(أ)-**توليئه القضاء:** تولى مترجمنا خطة القضاء في يوم 3 جمادي الأولى سنة 1319هـ²، فكان بمنزلة قاضي الجماعة لما خصه الله به من فيضان بحور علمه في جميع الفنون، إختص برئاسة العلم في الديار الصحراوية لمعرفته وحسن سياسته وإدراكه دقائق العلوم الضرورية والنظرية، فاتفق الجميع على تقديمه للخطة القضائية فإنتهت إليه الخصومات في الديار التواتية وقورارة وتديكلت ووصل إلى خارجها بواد الساورة، وظل على ذلك إلى أن استولت فرنسا على توات سنة (1318 هـ-1900م)³ ففرض العمل مع فرنسا وتنازل من منصبه وأصبح بحكم بين الناس في السرية حتى وافته المنية 1901م.

(ب)-**وفاته:** توفي رحمه الله في جمادي الأولى سنة (1319هـ/1901م) بعد مسيرة علمية متميزة فكان فقيه ومتحدثاً ومفتي وصالحاً يحب الصالحين ومشهور بالدين والخير وماهراً في فنون كثيرة وبعد وفاة مترجمنا صار الامر في مقام التحكيم فكل فقيه اتفق الخصمان عليه ألزمهما أهل الحكم ما حكم به⁴ بهما بعد الرضاء منهما على حكمه ولم يزل على ذلك إلى سنة 1328هـ، حيث جمع الحاكم لفرنسي بمحكمة تيمي في فقهاء قاضي الجماعة وفقهان مشاورات⁵.

(5)-القاضي الحاج بن البكري بن عبد العزيز البلبالي:

في حقيقة الأمر أن المصادر التاريخية سواء كانت مخطوطة أو مؤلفه لم تسعفنا بترجمة وافية لسيرة هذا القاضي، فلم أعتز على تاريخ ولادته ميلادي وهجري وكذلك لم نجد مكان ولادته ولم

¹ زهير قران: المرجع السابق، ص95.

² الوليد ابن الوليد: تقيد خطي عن القاضي أمجد بن أحمد الحبيب البلبالي، خزانة ابن الوليد، باعبد الله، أدرار، الجزائر.

³ أمجد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج2، المصدر السابق، ص 200 - 199.

⁴ عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص

487.

⁵ سوف نتطرق إليه أثناء ترجمتنا للقاضي الحاج بن البكري بن عبد العزيز البلبالي.

أقف على شيوخه ولا على تلاميذه ولم تسعفني المراجع التي بين يدي بشيء عن مؤلفاته، فتحصلنا على بعض الوقفات المهمة في حياته مثل تاريخ تولى القضاء بتوات سنة (1328/1330هـ)¹.

والجدير بالذكر أن فرنسا لما استولت على توات أدخلت نظام الشورى بشكل آخر، فعملت على إنشاء مجلس قضائي مكون من فقيه الذي يمثل قاضي الجماعة وفقهين إثنين بمثابة مساعدين ومشاورين له اختير الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي والشيخ سيدي الحاج بن البكري ابن سيدي عبد العزيز البلبالي والشيخ سيدي العربي بن المجد فتحا التمنيطي وألزموا الناس بما إتفق عليه الشيوخ الثلاث²، فكان شيخ الجماعة المذكور القاضي أبو الفتح سيدي عبد الله بن أبي العباس أحمد الحبيب البلبالي قاضي الجماعة الذي توفي في سنة 1329هـ والشيخ الحاج بن الشيخ البكري البلبالي (مترجماً) بمثابة قاضي مشاور ثاني.

فلم تقدم المصادر التواتية المتاحة لنا إلا القليل عن هذه الشخصية البلبلية المهمة بتاريخ القضاء التواتي³.

وفاته: توفي الشيخ والقاضي الحاج بن البكري بن عبد العزيز البلبالي في رجب سنة (1330هـ / 1911م)⁴، فأقيم مقامة الشيخ القاضي أبو زيد سيدي عبد الرحمن ابن الشيخ القاضي أبي الفتح سيدي عبد الله⁵.

6- القاضي عبد الله البلبالي الملقب بأبي الفتح تولى القضاء: (1329هـ-1911م).

أ- المولد والنشأة:

هو عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي ولد عام (1250هـ-1834م)، بمسقط رأسه قصر ملوكة¹، من أسرة علمية أخذت العلم كابر عن كابر اشتهرت بالفضائل والصلاح تعلم وأخذ عن

¹ شاري طيب: تقييد خطي لقائمة قضاة ملوكة، خزنة كوسام، أدرار، الجزائر.

² عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص 283-382.

³ زهير قران، حاضرة توات المالكية، أعلامها، نوازها، خصائصها، المرجع السابق، ص 231.

⁴ الوليد ابن الوليد: تقييد لعلماء توات، بخزانة باعبد الله بن الوليد، أدرار، الجزائر.

⁵ محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، المصدر السابق، ص200.

والده أحمد الحبيب البلبالي، مبادئ العلم ثم لازم الشيخ المختار بن أحمد العالم، فكان من الموظفين على حلقات التدريس عنده فاستفاد منه وأخذ عنه علوماً كثيرة منها التفسير والفقه والحديث، كما أنه كان ملازماً لحلقات دروس الإعلام الآخرين الموجودين بقريته، كصونه الأكبر الشيخ محمد بن الحاج أحمد والشيخ عبد الكريم بن التقي التتلاي وغيرها، عُرف باجتهاده ورسوخ قدمه في العلم فكان يصل الليل بالنهار جداً واجتهاداً لطلب العلم حتى صار عالماً وفقياً يقتدي به وسيرته العلمية الفاضلة اشتهر بقوته وشدة في اللغة والبلاغة والنحو فكان عروضاً فرضياً كبير القدر وافر الحرمة مهاب الجانب نافذ الكلمة له اليد الطولى في العلوم الفقهية والشريعة وغيرها من العلوم الدين².

وبعد هذه الجولة العلمية التي قضاها صاحب الترجمة منذ صغره بحثاً في معرفة علوم الدين فحياته كانت تحصيل للعلم فكان شيخه عالماً عاملاً متفنناً، ممن سلمت له علماء عصره لما له من مكانة رفيعة في العلم لازم التدريس وكان مجلسه مجلس إفادة يواصل الدرس سائر فصول السنة لا يمل من القراءة مواظباً على المطالعة والبحث³، كان رحمه الله من الراسخين في العلم حيث انفرد في وقته برئاسة العلم في الأصقاع التواتية، له سيرة حسنة وممارسة سياسة انتقل منذ صغره إلى قصر كوسام وأسس مدرسته هناك في شهر الربيع الثاني 1278هـ-1861م وسميت بالمدرسة الكوسامية فمارس التدريس بعد أن بلغ 28 سنة من عمره وأنشأ بها خزانة المخطوطات، فسرى مجده في العلا سريان الماء تنافس الناس في الأخذ عنه فهم نفعه شرقاً وغرباً، عازفاً بضاعة التدريس والقضاء فصبح اللسان ورحب الجنان عند الخاصة والعامة⁴.

(ب)-تلاميذه: بعد أن جمع ونال من العلم مانال فتولى التدريس وقصده العديد من الطلبة ومن كل النواحي ومنهم من صاروا علماء أجلاء ومن بينهم:
السيد عبد الرحمن ابنه وخليفته بعده 1280-1353هـ.

¹ الوليد ابن الوليد: تقييد لعلماء توات، بخزانة باعبد الله بن الوليد، أدرار، الجزائر.

² عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص488.

³ محمد بن عبد الكريم البكري التمنطي، مخطوط جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 27.

⁴ طيب شاري: تقييد خطي القاضي عبد الله البلبالي، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

السيد مُجَّد بن أمَّجَّد بن الحاج أحمد الفلاني، سيدي بوعلام بن الحاج أمَّجَّد، سيدي عبد القادر بن مُجَّد بن مُجَّد بن سعيد توفي سنة 1964¹، سيدي عبد الكريم التمرقي البلبالي، أبناء الحاج النوار الورشاني، سيدي مُجَّد الصالح الراشد، سيدي مُجَّد عبد الرحمن الونقاني، سيدي مُجَّد بن مولاي عبد العالي أولاد عبود دلدول، سيدي العربي بن سيد المأمون، سيدي أحمد ديدي البكري التمنطيبي، والشيخ مُجَّد عبد الرحمان السكوتي أعلا يخاني والشيخ مُجَّد عبد القادر بلعالم وغيرهم².

(ج)-**توليه القضاء:** بعد إنتقال الشيخ سيدي عبد الله البلبالي ابن الشيخ سيدي أحمد الحبيب البلبالي إلى كوسام وتأسيس زاويته هناك أسس في سنة 1318هـ الموافق ل 1905م، ومجلس القضاء توات ويُنِي هذا المجلس أمام مدخل القصر بالقرب من المدرسة، وبلغت شهرته بطول الباع في العلم مارس الشيخ سيدي عبد الله بن الحبيب البلبالي خطة القضاء الجماعة سنة 1329 الموافق ل 1910م بعد أن توفي أخيه سيدي أمَّجَّد³ بمحكمة تيمي بمساعدة السيد بن الحاج بن البكري بن عبد العزيز البلبالي وسيد العربي بن الحاج التمنطيبي وقد مثل أول قاضي في عهد الإستعمار الفرنسي فساد فيها سيرة العدل والثقة والفضل والثبات فكان قاضياً وإماماً عارفاً قانتاً وخاشعاً ورعاً صدرراً في جميع الفنون فكانت ترد إليه المسائل العويصة والمشكلات المقفلة من توات فيفزع إليه علماء الصحراء في حل المشكلات، وعند وقوع الحوادث والملمات وإتفق العدو والصديق على براعته وصدق لهجته⁴.

(د)-**وفاته:** نزل به المرض المتوفي فيه، وهو مشغول بقراءة الحديث في المسجد في العاشر من رمضان، فتوفي متربعاً وبيده السبحة يذكر الله بعد الصلاة العصر من يوم الثلاثاء من ذي القعدة عام (1329هـ - 1911م) ودفن بقصر كوسام⁵.

¹ درس بقرية كوسام عند الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد البلبالي له أربعة أبناء وثلاثة بنات وهم الحاج مُجَّد، الحاج عبد الرحمن، الحاج عمر، والسيد أحمد .

² طيب شاري: تقييد خطي نبذة عن قصر كوسام، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر .

³ مطوية مطبوعة للتعريف بقصر كوسام وعلمائه، موجودة بالخزانة كوسام، أدرار، الجزائر، ص2.

⁴ قران زهير، حاضرة توات المالكية، المرجع السابق، ص 232.

⁵ مُجَّد بن عمر بن الحبيب البوداوي: نقل الرواة عن أبداع من قصور توات، دراسة وتحقيق: مولاي عبد الله اسماعيلي، دار الكلمة، (د ط)، (د ت)، ص43.

كان رحمه الله من الناشطين في مجال النسخ الكتب فجل كتبه نسخها بخط يده لخطه الواضح والجميل، رغم أنه لم تكن لديه مؤلفات إلا أن معظم كتبه نسخها بخط يده، ففضل تأليف الرجال الذين تتلمذوا على يده، فكانت له محبة عظيمة في الطلبة المنشغلين بالتعليم يواسيهم بماله ويدب عنهم نفسه، وقد قدم أحد أهم تلاميذه العلماء قصيدة مرثية هو مُحَمَّد بن عبد الكريم بن عبد الحق¹.

وقد أدنى عليه تلميذه سيدي مُحَمَّد بن عبد الكريم البكري التمنيطي بمخطوطه جوهر المعاني يقول: "أستاذي وملاذي ومنتهى ودادي ونور فؤادي وغاية مقصدي شيخ الشيوخ بالديار الصحراوية وحامل لواء الأمة المحمدية، قطب الشورى وقاضي الورى شيخنا شيخ الجماعة أبو الفتح كان رحمه الله"².

(7) -القاضي سيدي عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الحبيب تولى القضاء: (1330-1353).

هو عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الحبيب³، ولد عام (1280هـ/1863م)، بمسقط رأسه كوسام، من أسرة علمية إخذت من العلم وأشتهرت به، درس على يد والده سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي مبادئ تعليمه الأولى ثم أخذ بعدها علوماً كثيرة من الفقه والحديث والتفسير، فعرف باجتهاده ورسوخ قدميه في العلم، خلف والده في التدريس بمدرسة القرآنية كوسام وتخرج على يده العديد من التلاميذ منهم: عبد القادر البلبالي وأخوه الحاج البشير، وبعد نبوغه في

¹يقول فيها:

شَجَانِي فُرَاقِ السَّنَى فُؤَادِي وَضَقَّتْ ذِرْعاً بِالَّذِي كَهَانِي

يُلاحِظُنِي الهَوَى لِمَعَانِي بَرَقَ وَنَارِ الشُّوقِ ضَاءَاتٍ بَامْتِحَانِي.

أنظر: عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص 491.

² مُحَمَّد بن عبد الكريم التمنيطي، جوهر المعاني، المرجع السابق الورقة 27-28.

³ المكنى بأبي زيد البلبالي.

العلم، عين قاضياً خالفاً لوالده فتولى الخطة القضائية سنة 1330 هـ، وله مسائل وفتاوى كثيرة¹، سلك فيها مسلك العدل والإنصاف.

وفاته:

توفي الشيخ القاضي سيدي عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي في يوم السبت 22 من الربيع الثاني عام (1353هـ-1934م)، بمجلس القضاء الشرعي بمدينة أدرار وحمل على الأكتاف إلى قصر كوسام² ودفن فيها وكان رحمه الله مثل والده من راوده نسخ الكتب فسايس الأمور حسب الأوضاع وكانت كل أحكامه مبنية على الصلح قبل الإمتثال والمجلس، فيرضي الكثير بصلحه³.

(8)-القاضي محمد بن أحمد بن أحمد الحبيب البلبالي (1329-1354):

هو الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد الحبيب البلبالي ولد سنة (1277هـ-1860م)، مسقط رأسه كوسام، درس على يد عمه عبد الله بن أحمد الحبيب فحفظ القرآن وتفقه على يده ثم تولى الخطة القضاء في سنة 1329 هـ⁴، كانت له فتاوى كثيرة وتوفي رحمه الله في يوم السبت 10 رمضان (1354هـ-1935م) وتولى الخطة القضائية بديار التواتية لمدة 25 سنة فهي مرحلة مهمة في قضاء توات عموماً⁵ وشهد له أنه عالم من أسرة علم وفضل لا يختلف في ذلك إثنان.

(9)-القاضي محمد بن الطالب أحمد الشاري البلبالي:

ولد الشيخ القاضي محمد بن الطالب أحمد الشاري البلبالي سنة 1377 هـ بمسقط رأسه قصر ملوكة، حيث أخذ العلم عن محمد عبد الرحمان بن عبد الله البلبالي وعن الشيخ سيدي سالم بن عبد الله البلبالي، فبيغ في العديد من العلوم الشرعية وتصدر بها التدريس بمدرسة كوسام، كما تولى رحمه الله الخطة القضائية وكان آخر القضاة البلبالي وتخرج على يده العديد من الطلاب والأئمة

¹ عبد الحق خميس، محفوظ بوكراع بن ساعد، موسوعة تراجم العلماء الجزائر علماء تلمسان وتوات، المرجع السابق، ص486.

² صديق الحاج أحمد آل المغيلي، مرجع السابق، ص 130.

³ محاضرة في مطوية للزيارة العلماء بكوسام يوم 2018 /09/10.

⁴ ذكر الدكتور صديق الحاج محمد آل المغيلي تولى الخطة القضائية خلفاً لعمه السيد عبد الله البلبالي، المرجع السابق، ص 130.

⁵ جعفري مبارك، مقالاتي عبد الله، المرجع السابق، ص322.

وتوفي رحمه الله في يوم 11 أبريل 1977م ودفن بقصر كوسام، وبعد وفاته إنتقل منه القضاء إلى تمنطيط للحاج مُجَّد التمنطيطي ثم إلى السيد عبد الحق البكري التمنطيطي الذي كان بتونس¹.

(10)-القاضي والشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي (الجد):

(أ)-تعريفه: هو العالم العلامة الجليل سيدي مُجَّد عبد الكريم بن مُجَّد بن عبد الملك بن عبد القادر بن الحاج مُجَّد أحد الاخوة الخمسة القادمين من تلبالة، أمه فاطمة الزهراء وتعرف باسم (لاله هلو) وهي ابنة الولي الصالح سيدي الحاج عبد الله بن مُجَّد بن العوث بن عزيزي التامرتي².

(ب)-مولده:

لم تذكر التقايد التاريخية التي أرخت وترجمة له سنة ولادته، بينما ذكرت أنه ولد بقصر ملوكة ونشأ بها ثم إنتقل إلى بني تامرت سنة 1245هـ، حيث نزل ضيفاً على جده من أمه سيد الحاج عبد الله عزيزي، وكانت براسه قروح في صغره، وكان يتأذى بذلك من أبناء عمه، فجاءت به أمه المذكورة إلى والدها وشكت ذلك إليه، فأخذه وضمه ووضع يده على رأسه، ونفث عليه ودعا له بالشفاء والبركة، وقال لابنته يا "هلو" أن هذا الرأس ستكون أن شاء الله لحايا تقبله وأنا قد ضيفناه بالعلم الشريف والريح في بني تامر، فشفاه الله من ذلك في أقصر مدة وفتح عليه بمنه وحفظ القرآن الكريم على مقرئ البلدة آنذاك ثم انتقل إلى مجلس ابن عم والده الشيخ القاضي سيدي مُجَّد البلبالي المكنى سيد الحاج ولازم مجلسه إلى إن وافته المنية وواصل الدراسة بعد ذلك على يد الشيخ أبي فارس عبد العزيز فافتعم صدره بالعلوم وصار في مقدمة تلاميذه ذلك المجلس حيث أجازته³ إجازة مطلقة¹.

¹ طيب شاري: المشرف عن الخزانة، مقابلة شفوية بمقر الخزانة، في يوم 22/11/2018، على الساعة 17:28.

² عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التلاني: الذرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، المخطوط السابق، الورقة 15.

³ جاء نص إجازته من القاضي الشيخ مُجَّد عبد العزيز البلبالي:

الحمد لله وحده:

وعليك أيها الحب والخليل الصابي التقي الجليل ألف سلام يظلك بظله الظليل وعلى التعليقات، أما بعد أعلم أنك قد استسلمت منا الورم، وبمحث بغير ضرم، واسند الأمر لغير أهله، واستقطفت حلو الرطب من غير نخله، وشهد العسل من غير نخله وما ذلك إلا لحسن ظنك الجميل وقضائك الأثيل...إني قد أجزت أاخانا الفقيه التقاء الحريص على الإفادة والاستفادة في الأحيان والإمداد، الذي له في البراعة سهم عصيب وفي الدراية حظا ونصيب في كل ما أجازني فيه شيوخه المجيزين لي

(ج)-إنتقاله الى قصر بني تامر سنة 1945م:

يرجع سبب انتقال الشيخ المترجم له لقصر بني تامر إلى تدوين وثائق لأولاد أبي نعامة²، بما في ذلك زمام فقارة أبي عيسى³ بعد أن وقع ضياع لجميع أرسام البلد بسبب الإعتداء من طرف البرابرة سنة 1245 هـ، فعندها طلب منه أهل البلد في مقدمتهم أولاد أبي نعامة إصلاح ذلك فأقام مدة من الزمن ثم وهبوا له بعض من الأرض، وبنوا دار القراءة التي أصبحت تحت تصرفه للفتوى والقضاء والتدريس بجوار المسجد الذي هو مسجد الجمعة الآن، ثم بعدها امتلك بها الديار والبساتين والأبوار⁴.

(د)-مكانته ودرجته العلمية:

تقلد الشيخ سيدي عبد الكريم منصب التدريس بقصر بني تامر وأدى ذلك إلى حدوث نقلة علمية لتاريخ بني تامر، فأصبحت من أهم المراكز العلمية الفعالة خلال منتصف القرن الثالث عشر هجري، وتحديدًا بعد عام 1245 هـ، فأضحت مركزاً ثقافياً وحضارياً وصارت مزاراً لطلاب

رحمهم الله الذين هم سيدي ووالدي وشيخه أبو عبد الله سيدي مُجَّد بن الشيخ سيدي أبي زيد عبد الرحمان والعلامة الأديب أحمد زروق، فقد أجزته فيما أجازوني فيه على الإطلاق لعلمي بأنه لذلك أهل وكونه الحمد لله من نازلي المورد والمحل واشترط عليهم شرطهم المشهور والله يوفقنا وإياهم والتمس منا صالح الدعاء قاله وكتبه مكرها، أخاك لا بطل عبيد ربه تعالى مُجَّد عبد العزيز بن مُجَّد عبد الرحمن البلبالي الله وليه وذلك برمضان 1298 هـ، أنظر: تفيد خطي إجازته من القاضي الشيخ مُجَّد عبد العزيز البلبالي، بخزانة بني تامر وملوكه، أدرار، الجزائر.

¹ خزانة الشيخ القاضي سيدي عبد الكريم البلبالي: محاضرة منسوخة، بني تامر، أدرار، الجزائر.

² أبي نعامة: هي إحدى فروع قبيلة كنته التي إتخذت من اقبلي موطنها لها، ويرتبط تأسيس العائلة بالشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان الأعلى بن أبي بكر الحاج، أبي الولي الصالح الغوث، بما أعلام كثيرة منهم: الشيخ أحمد لحبيب والشيخ سيدي مُجَّد البكاي وسيد مُجَّد الأمني والشيخ سيدي مُجَّد بن عبد الرحمان وكانت لهم اسهامات علمية كثيرة ولهم خزانة تحتوي على مجموعة كبيرة من المخطوطات منها: ضياء التأويل في تفسير القرآن لعثمان دان فوديوي، ونسم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض وغيرهم كثير. أنظر: مُجَّد المحفوظ القسنطيني الدلدولي: روض الزهر البايع علة مشروح المقنع في علم كان لابي مفرع، دراسة وتحفيظ:

مولاي عبد الله اسماعيلي الجزائر، مقامات للنشر والتوزيع، 2012، ص 56-57.

³ فقارة أبي عيسى: وهي من أهم الفقارات الموجودة بالقصر وذكرت بعض القصص وجودها أنظر الملحق رقم:17، ص 329.

⁴ ينظر: النسخة المخطوطة في التعريف بخزانة بني تامر الموجودة بنفس الخزانة المذكورة.

العلم من كل الأقطاب يتلقون فيها الفقه والفتوى وسائر العلوم الأخرى وقد تخرج على يده كم هائل من التلاميذ وفي مقدمتهم الشيخ سيدي مُجَّد بن أمَّجَّد الطيب بن مُجَّد بن عمر التيلاني¹.

بعد وفاة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي حدث فراغاً كبيراً جعل الناس في حيرة من أمره على من يستخلفه فعندها قرر علماء المجلس وفي مقدمتهم الشيخ سيدي مُجَّد الحسان بن سعيد البكري على تعين الشيخ سيدي عبد الكريم مكان شيخه سالف الذكر، فجاء في نص ما نقل من أخبارهما² بعد موت شيخهما:

قال الشيخ مُجَّد الحسن بن سيدي سعيد التواتي: "...قد كرّر على بعض الأحبة السؤال في أن أعين لهم بعد موت شيخنا أبو عبد الله البلبالي من يستحق مقامه شرعي، فحول من ضمنا وأياهم مجلس الأقرء والمناظرة وذلك عامنا هذا عام 1264 هـ... فأقول والله الموفق بمنه المأمول أن الأولى بذلك أبو المكارم سيدي مُجَّد عبد الكريم ابن أبي عبد الله أبي مروان عبد الملك بحسب الزمان والوقت بعد الجولات معه في المعقول والمنقول..."³.

وصفه الشيخ سيدي مُجَّد الحسان بن سعيد البكري⁴ أن الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي له خيرة في كل فن من العروض والمنطق والحساب والتفسير وهذا ما جعله من أجل العلماء وأكرم الكرماء، فإن تكلم قلت أفصح الناس وإن تحدث قلت احفظ الناس، حتى أنه إن تكلم نصت لعدوبة كلامه الاسماع⁵ وهو الأحب المكرم الأمثل والفقيه النبيه الأنبل، خلاصة الوداد وجميل

¹ الصديق الحاج أحمد المغيلي، التاريخ الثقافي، المرجع السابق، ص 134.

² والمقصود بهما هو الشيخ سيدي مُجَّد الحسان بن سيد السعيد من آل سيد مُجَّد بن البكري صاحب الزاوية البكرية والسيد مُجَّد عبد الكريم بن عبد الملك البلبالي (المترجم له).

³ مُجَّد عبد العزيز، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 65.

⁴ الشيخ سيدي مُجَّد الحسان بن سعيد البكري من آل سيدي مُجَّد بن البكري صاحب الزاوية البكرية، للمزيد انظر: مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 65.

⁵ كما قال في البحر الوافر:

مَنْ أَنْصَرَ خَيْرَ الْخَلْقِ يُنْمَى وَبِالْبَلْبَالِيِّ سَمَّ بِلَا مَحَالٍ
يُرُومُ دُعَائِكُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَيُحْمَدُ رَبُّهُ وَبِلَا إِنْفِصَالٍ.

أنظر: مُجَّد عبد العزيز، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 72.

الأعتقاد¹، تولى الشيخ عبد الكريم الخطة القضائية بدار القراءة، حيث ساهم بفضل عقليته الفذة وبلوغه درجة كبيرة من العلم في إصلاح أمور المسلمين من عامة قصره ومراجعة القضايا التي كانت عالقة في وسطه الإجتماعي، وكذلك النظر في بعض الأحكام القضائية وحل النزاعات التي كانت عالقة خلال عصره².

(هـ) - مكاتباته ومراسلاته:

ارتبط الشيخ سيدي عبد الكريم بعلاقات متميزة في مجملها مع العديد من العلماء والأعيان في مختلف المناطق التواتية، وحتى خارجها، ووضعت بينهم مكاتبات ومراسلات في مختلف المجالات العلم أو المعرفة، ومن خلالها برزت لنا شخصية المترجم له عن شدة تواضعه ومع مشائخ وأبنائهم وتلاميذه، ومن المعلوم أن قوة العالم تنعكس في مدى انفتاحه على الآخرين وتواصله معهم بطريقة تمكن الطرفين من الإفادة والاستفادة منهم، ومن بينهما: مراسلة³ موجهة من الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي إلى الولي الصالح أحمد اليماني يطلب منه الدعاء له في العلم⁴، كما وجهت له العديد من الرسائل من شيوخ الزوايا ومن بينهم شيخ زاوية كرزاز⁵ يدعو فيها للحضور إلى الزيارة مع أحابيه⁶.

(و) - وفاته وأعماله:

توفي الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم البلبالي يوم الأحد 16 محرم عام 1286هـ بقصر بني تامر ودفن بضريح جده لأمه سيدي الحاج عبد الله بني تامر رحمه الله.

¹ محمد عبد العزيز، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 70 .

² ينظر: التقايد خطي عن القاضي عبد الكريم بلبالي، بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.

³ يكتب نص الرسالة كاملاً وهو مطبوع ص 42.

⁴ محمد المبدوي: تقييد خطي عن الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي، بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.

⁵ والواضح أن الشيخان كانت تربطهما علاقة وطيدة فكانا على إتصال دائم وخاصة أن المحبة قديمة ومتوارثة من جيل بعد جيل باعتباره واحد من الأحفاد الجد سيدي أحمد بن موسى المولود في سنة (863هـ-1443م) بأولاد موسى ذهب إلى فاس وهو لازال شاباً صغيراً، تعلم بها على يد الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد الفاسي وبعد انتهائه من الدراسة التحق بشيخه السيد أحمد بن يوسف الراشدي الملياني ثم عاد إلى بلاده واقام زاويته بها، للتعرف أكثر عن الموضوع أنظر: طيب شاري: تقييد عن الشيخ سيدي أحمد بن موسى بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

⁶ محمد المبدوي: تقييد خطي رسالة، بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.

أما عن أهم أعماله: جمع الشيخ عبد الكريم البلبالي بين العلم والتأليف حيث جمع العديد من النوازل وسماها غاية الأمانى في أجوبة أبي زيد التلاني الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عومر¹، وألف ديواناً صغيراً لقصائده الشعرية وهو موجود بخزانة بني تامر وتوجد نسخة منه بخزانة برينكان، كما قام بجمع العديد من النوازل التواتية كنوازل البلبالين والعالم الجزلاوي وله كتابات شعرية ونحوية وفقهية ورسائل وهي موجودة بخزانة بني تامر وملوكة وكوسام²، وعمل الشيخ على تأسيس خزانة المخطوطات³ وكان حريصاً على جمع الكثير من الكتب⁴.

ومن بين قصائده الشعرية الكثيرة قصيدة في مدح المصطفى وكذلك بعض الشيوخ والأعلام الأفاضل بها حوالى إثنان وثلاثين بيتاً شعرياً⁵، إضافة إلى قصيدة أخرى لمدح المصطفى⁶، وله أيضاً أيضاً في التوسل الالهى بحفظ سلامة الركب التلاني أيده الله بالأمانى وأمنحه التهانى⁷.

11- القاضي سيدي المأمون بن سيدي مبارك البلبالي (1276-1859):

هو من أسرة علمية عريقة مشهورة بالخير والصلاح، حفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظافره بمسقط رأسه برينكان على يد والده سيدي أمبارك وأخذ عنه مبادئ العلوم الشرعية واللغوية ثم انتقل إلى قرية ملوكة حيث مجالس الشيخ محمد بن عبد الرحمان سيدي الحاج البلبالي فوجده كبيراً في السن وهذا ما جاء في نص إجازته بقوله: "تم وفاني بعد ذلك إخوان ألبا وسادات فظناً أدباء

¹ محمد بن محمد بن عبد الكريم البلبالي، المصباح البياني من أخبار التابعين وراس الصالحين، المرجع السابق، ص 95.

² نفسه، 95.

³ للتعرف أكثر عن الخزانة أنظر: ص 231.

⁴ للتعرف أكثر على أعماله فهي موجودة مقر خزانته بقصر بني تامر.

⁵ جاء في مطلعها : حميد لدا محمد الموثل يحمده وشكر له مع الليالي.

⁶ جاء في مطلعها :

صاح المجد وأذكر سجايا محمد خير من قد مضى ومن قد يجدد

والزمن الصلاة في كل وقت وأعمل البر بعد ذلك يحمد.

أنظر: نص القصيدة موجودة بخزانة ملوكة.

⁷ جاء قوله: لك الحمد يا إلهي سر وجهه يسراً وعسراً يا مسير للأمر

كما لك الشكر في كل حالة يالطيف يا حفيظ مد الدهر.

أنظر: نص القصيدة بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.

فأخذوا عني ما تحصل في صدري بعدما هس عظمي وكبر سني وكان أجلمهم السيد المأمون بن الفقيه المبارك البلبالي نزيل بني ركان¹.

وأجازه في جميع العلوم التي درسها عليه من فقه وحديث ونحو الفرائض وغيرها فأخذ عنه علماً جماً وأجازه أيضاً بحسن ظنه الجميل ووقفه لصالح الأعمال، كما لازم حضور حلقات الشيخ عبد العزيز بن الشيخ مُجَّد بن عبد الرحمان سيد الحاج البلبالي، فاستفاد منه هو آخر فأخذ عنه علماً كثيراً وأدباً وفيراً مأهله ليأخذ شهادة تخرج تشهد بتقدمه، ورسوخ قدمه في العلوم إجازتين الأولى من شيخه مُجَّد بن عبد الرحمان سيد الحاج البلبالي، والثاني من ابنه الشيخ عبد العزيز.

وجاء نص إجازته: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا مُجَّد وآله وصحبه وسلم، تسليماً وبعد فقد أجزنا الأخ المذكور أعلاه بمثل ما أجزنا الأخ المذكور أعلاه بمثل ما أجزني شيخاوي سيدي ووالدي وشيخي سيدي مُجَّد بن سيدي عبد الرحمان بن عمر التلاني...².

إقتدى صاحب الترجمة لأوامر شيوخه واستجاب لفصائحهما فكان يرأسها في المسائل التي أشكل عليه فهمها ويراجعها في الكثير من القضايا التي استصعبت عليه وهذا مادفعه إلى تقييد كل ما يصدر عنهما في مجال الفتوى والقضاء، وبعد أن سمع خبر وفاة شيخه سيدي مُجَّد بن عبد الرحمان البلبالي تأثر كثيراً وراثه في قصيدته ذكرها العالم سيدي عبد الكريم البكراوي فيه كتابه جوهر المعاني³.

(أ)- ترأسه منصب القضاء:

لما رجع الشيخ سيدي المأمون بن سيدي أمبارك البلبالي رحمه الله إلى مسقط رأسه برينكان عمل على تأسيس مدرسة علمية تفرغ فيها للتعليم والإرشاد والتوجيه وتولى القضاء المحلي بها فكان الناس يرجعون إليه في مختلف القضايا والمشاكل التي يقع فيها النزاع والخلاف، فكانوا يستفتونه

¹ نص الإجازة موجود بخزانة الأسرة بقصر برينكان، أدرار، الجزائر.

² نص الإجازة الثانية موجودة بخزانة الأسرة بقصر برينكان، أدرار، الجزائر.

³ جاء فيها: مات صبري بين أحياء الكرام حين لف القوم منشور الخيام.

أنظر: عبد الكريم البكراوي، جوهر المعاني، المخطوط السابق، الورقة 47.

فيما يهتمهم في أمور دينهم ودنياهم، وكان رحمه الله مهرع الناس في الملمات ومفزعهم في المداهمات وترد عليه الأسئلة من جميع النواحي من داخل المنطقة تساييت وحتى من خارجها كمنطقة بودة وغيرها.

وما هذا إلا دليل واضح على تمكنه وشهرته وثقة الواسعة بين الناس وقد وجدنا الكثير من الرسائل والوثائق التي وردت إليه مثل الخصام بين إثنين أو توثيق عقد البيع وشراء أو غيرها مثل وثيقة الموجودة، ومن مميزات القضاة التواضع وسعة الصدر والبحث والتنقيب مع التدقيق في كل شيء، وهذا ما كان يتميز به القاضي البلبالي، كما إعتنى بجميع الفوائد المختلفة وتقيدها بما جاء في الأثر: الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجدها وأخذها.

(ب)-علاقاته:

كان رحمه الله من خيار العلماء وأشهرهم وله علاقات وطيدة مع الكثير من أعيان البلدان المجاورة فإثني عليه صاحب الذرة الفاخرة بقوله: سيد المأمون بن سيدي أمبارك البلبالي كان من أعيان العلماء والمشاهير الفضلاء وكان عديم النظر في العلم على إختلاف فنونه متبحراً في معرفة أحكامه مع الصلاح¹.

له علاقات وطيدة مع مشايخ الطريقة الموساوية والكرزانية فكان يتردد عليهم بزيارته ويقوم بها أياماً وشهوراً، فيرحبون به ويجمعون حوله وينتفعون بعلمه ويستفيدون من دروسه ومواعظه، وقد وجدنا في خزائنه العديد من الوثائق، كانت عبارة عن مراسلات مع المشايخ الطريقة الزبانية بالقنادسة فكان يكن لهم حياً جماً لجميع مرابطين أحفاد الولي الصالح سيدي أمجد أبوزيان رحمه الله².

وكانت له علاقات متينة مع الكثير من مشايخ الزاوية وعلمائها فكان يعمل على تقيدهم قصائدهم وأشعارهم التي تمجدهم وتعظم قيمتهم ومكانتهم كما توصلت هذه العلاقات الوطيدة

¹ عبد القادر بن عمر المهداوي: الذرة الفاخرة في ذكر مابوتات من العلماء والأشراف الأدارسة، المخطوط السابق، الورقة

² أحمد بن محمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص41.

بين الأسرة البلبلية الركانية ومشائخ الزاوية القندوسية من الأجداد إلى الأبناء ثم الأحفاد ودليل ذلك ما عثرنا عليه من رسائل خطية مدونة بالخرزانة لأحد الأصدقاء من بشار¹.

تلاميذه: تخرج على يده جمع من الطلبة داخل قصر برينكان وخارجه وأكملوا مسيرة شيخهم ومن بينهم: أبناءه محمد الطاهر وسيدي امبارك القاضي، وسيدي محمد العربي، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمان وأخوه الشيخ محمد المهدي وغيرهم كثير، بالإضافة إلى تعليم أبناء المسلمين ببلاد القنادسة فكان لهم تلاميذ هناك أيضاً².

(ج)-وفاته: توفي سيد المأمون رحمه الله في إحدى زيارته التي قام بها إلى بلاد القنادسة وكان ذلك في سنة 1276هـ الموافق لعام 1857م، تاركاً العديد من التقايد النفيسة ومنها تلك الرسائل التي كان يرسل بها شيوخه مثل الشيخ سيدي عبد العزيز البلبالي كما خلف العديد من الحواشي والطرر الراققة على نسخ كتبه بخرزنته بقصر برينكان بدائرة تساييت³.

12)-القاضي محمد الطاهر بن سيدي المأمون البلبالي:

كان رحمه الله من العلماء البارزين والفقهاء المشتهرين بالعلم والصلاح مجتهداً ورعاً زاهداً تقياً فاضلاً، تولى منصب التدريس والقضاء والفتوى بمسقط رأسه برينكان خلفاً لأبيه رحمه الله، فأقبل بجهد والإجتهد على تعليم الناس وإرشادهم وتبصيرهم لأمر دينهم وكان يحترم ساعات عمره ولا يصرّفها إلا في أمور دينية وتعود عليه بالنفع دنيا وآخرة، فكان شغوفاً بطلب العلم فيقضي معظم أوقاته في المذاكرة والمراجعة والنسخ والكتابة وهذا ما مكنه من كونه خطاطاً ماهراً ونبياً بقوة وسرعة حفظه وليس هذا الأمر بالغريب فالتحل يصنع إلا عسلاً، فتربى في أسرة معروفة بالعلم والمعرفة⁴.

¹ أنظر الملحق رقم: 20، ص 323.

² أحمد بن محمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 42.

³ زهير قران، حاضرة توات المالكية، المرجع السابق، ص 82 82.

⁴ أحمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 43-44.

شيوخه: حسب ما ذكره صاحب الذرة الفاخرة أن سيدي مُجَّد الطاهر درس عند الشيخ سيدي أحمد الحبيب وعن سيد الحاج بن سيدي الحاج سيد البكري البلبالي وجاء في نصه قائلاً: "عالم العلامة أخذ عن الشيخ سيدي أحمد الحبيب وعن سيد الحاج بن سيد البكري البلبالي"¹.

وأخذ أيضاً عن شيخه سيدي سالم بن سيدي مُجَّد عبد المُجَّد العزيز البلبالي والشيخ سيدي أحمد بن عبد الملك الكرزازي الذي قدم له إجازة في جميع العلوم التي قرأه عليهم من فقه ونحو وتفسير وعروض وغيرها، وقد جاء نص إجازة سيدي أحمد الكرزازي لسيدي مُجَّد الطاهر البلبالي بعد تقديم الحمد له ومقدمته عن فضل العلم وطلبه قال: "... وأن الفقيه النبيه سيدي مُجَّد الطاهر أصلح الله لنا وله الباطن والظاهر بن الفقيه المبارك سيدي مُجَّد المامون بن العلامة سيدي أمبارك طلب منا الإجازة المعهودة من ذوى العلم والإفادة فيما حضره وسمعه وفي غيره مما نحن ساعفناه على ذلك وساعدناه تشبيها بأهل الفضل من الشيوخ الذين ثبت لهم القدم في العلم والرسوخ"²، كما قدم له شيخه المذكور في إجازته بعض الوصايا ليكون بذلك رجل علم فقال له: "وأوصى الفقيه المذكور بالتقوى في السر والنجوى والبراءة من الدعوى فإن ذلك من أعظم البلوى يكسب الناس طغياناً وكفراً واحتقاراً الغير وليس من زاد الأخرى ولا من العلم النافع وإنما العلم النافع الذي تصطحبه الخشية لله والتواضع لجلاله واحتقار النفس وعدم الرضا عنها بحيث لا يستحسن شيئاً من أحوالها ولا يرى في الوجود أحقر منها لعلمه..."³، وفي آخر إجازته طلب الشيخ الكرزازي من فضيلة تلميذه سيدي مُجَّد الطاهر البلبالي بأن لا ينساه في الدعاء في معظم أوقاته وخصوصاً في الأوقات الطيبة وفي الحياة بعد الممات.

وقدّم سيدي المُجَّد الحبيب إجازة سيدي مُجَّد الطاهر في أواخر محرم 1278هـ وكتبها أحمد الحبيب بن المُجَّد بن عبد الله بن عبد الله بن إبراهيم بن الحاج علي بن أحمد بن أبي زيد البلبالي، فقدم له هذه الإجازة في كل ما قرأه عليه وكانت إجازة عامة ومطلقة كما قدم له شيخه النصح والإرشاد والإجتهاد والصبر والسكينة والطمأنينة وجاء في نصها "الفقيه الأجل حينا في الله عز وجل سيدي مُجَّد الطاهر الفقيه سيدي امبارك البلبالي أصلاً المستوطن بني ركان داراً ومنشأ طلب

¹ مُجَّد عبد القادر التلاني، الذرة الفاخرة، المخطوط السابق، الورقة 09.

² نص الإجازة موجودة بخزانة برينكان، أدرار، الجزائر.

³ نص الإجازة موجودة بخزانة برينكان، أدرار، الجزائر.

منا أن نجيزه فيما قرأه علينا، فأجزناه جميع ما أجازنيه أسياننا مما رويناه عنهم وحضرته قراءتنا إجازة عامة مطلقة وعليه بالتقوى الله في السر والعلانية"¹، وتحصل مُجَّد الطاهر البلبالي على إجازة ثالثة من شيخه سيدي سالم بن سيدي مُجَّد عبد العزيز في أواخر شهر محرم عام 1278هـ إجازة فيها في كل العلوم والفنون من نحو وفقه وفرائض وأحاديث وتفسير وعروض وغير ذلك، كما جاء في نص إجازته أن شيخه وجده عارفاً للعديد من العلوم فانتفع منه شيخه في فوائد كثيرة وتحصل من مصاحبته على مسائل كثيرة، وتميز صاحب الترجمة بحسن الظن الجميل وجاء قوله: " فأقول قد أجزت الأخ في الله والحبيب من أجله الفقيه المذكور إجازة الاطلاق العلمي والله الحمد أنه لذلك من ذوى الإستحقاق في جميع القروئات والمروريات وجميع الامهات"².

وتوفي رحمه الله سنة 1302 الموافق ل1884 ودفن بقصر برينكان بمقبرة العائلة البلبالية.

13)-القاضي سيدي أمبارك بن سيدي المأمون البلبالي:

كان رحمه الله من كبار العلماء وفقهائها متبحراً في العديد من العلوم والفنون وجاء وصفه في مخطوط الذرة الفاخرة بالعالم العلامة الذي أخذ عن والده جملة من الفنون والعلوم المختلفة، درس عنه بمسقط رأسه برينكان ثم نوى الهجرة السفر إلى قصر ملوكة التي كانت منارة علم وموطن العلماء فيجلس هناك مدة وحضر حلقات العلم العالم العلامة سيدي أحمد الحبيب بن سيدي أمجد بن سيدي عبد الله بن إبراهيم البلبالي، فحضر دروسه وأخذ عنه في الفقه والنحو والتفسير والسيرة والعروض وغيرها فجعل شيخه يمنحه إجازة مطلقة في جميع العلوم.

توليه القضاء: كان رحمه الله عالم مشهوراً ومعروفاً وله علاقات وطيدة مع مشائخ أجيال وعلماء أفاضل داخل توات وخارجها فتولى منصب القضاء بمدينة تيميمون³ سنة 1318هـ الموافق ل1900م، تصدر القضاء بالمنطقة عمل جاهداً على فصل المتخاصمين وفض النزاعات وشاركه في

¹ نص الإجازة موجودة بخزانة برينكان، أدرار، الجزائر.

² نص الإجازة موجودة بخزانة برينكان، أدرار، الجزائر.

³ تيميمون: توجد في هضبة تادميت وبها سبخة كبيرة وضخمة ومحدودة في الشمال بوجود العرق الغربي الكبير وتيميمون هي عاصمة قورارة يسكن بها حوالي 36 الف ساكن وفيها 800 شجرة موجودة على طول واحة والنخيل موجودة بها في كل مكان. أنظر:

G.Mercadier: l'oasis rouge, e'dition robert roini, paris, 1945, p:5.

ذلك بعض الفقهاء وقضاة قورارة كسيدي مُجَّد بن الجوزي وقاضي أولاد سعيد وسيدي مُجَّد الصالح بن سيدي علي القاضي أولاد راشد وسيدي مولاي أحمد بن سيدي مولاي عبد العلي قاضي دلدول، وغيرهم من العلماء المشهورين بالعلم والصلاح، فكان رحمه الله حريصاً على إقامة العدل بين الناس والتحري بالحق والصواب فلا يميز بين القوى والضعيف والغني والفقير فيما يصدره من الأحكام الشرعية، وكانت أحكامه مبنية على أساس المشاورة مع العلماء وخاصة في المسائل التي كان يتشكل عليه فهمها فتميز بجميع أخلاق القضاة التقاة فكان تسال عامة وحتى وإن كان عالماً، ولا يسمع من إحدى الدعوى إلا مع حضور خصمه ولا يقضي إلا بعد أن يفهم، توفي رحمه الله تعالى حوالي سنة 1342 هـ الموافق لـ 1923م، ودفن بمقبرة سيدي عثمان بمدينة تميمون وقبره ظاهر ومعلوم¹.

14- القاضي سيدي مُجَّد العربي بن سيدي المأمون البلبالي:

نشأ رحمه الله في أسرة فاضلة لها مكائنها الخاصة في عموم المنطقة كلها حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه برينكان أخذ مجموعة من العلوم والفنون تعلم على يد والده رحمه الله فالتحق منذ نعومة أظافره بركب الدعاة والمصلحين، فانتقل كعادة أسلافه إلى قصر ملوكة وأخذ عن الشيخ سيدي أمجد بن سيدي أحمد الحبيب البلبالي ثم أخذ عن أخيه الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي أحمد الحبيب البلبالي بقصر كوسام علوم شتى من فقه ولغة وتفسير وفرائض وغيرها من مختلف العلوم الشرعية والأدبية التي كانت تدرس في ذلك الوقت في حلقتهما²، لقبه صاحب الذرة الفاخرة بالعالم العلامة وما هو إلا دليلاً على علو شأنه³، وظهر أيضاً في نص الإجازة سيدي أمجد بن سيدي أحمد الحبيب التي نصها بأواسط رمضان المعظم عام 1306 هـ وجاء في نصها: " فلما كان طلب العلم فرض كفاية كان ممن اشتغل بطلبه وفارق أهله بسببه الأخ الفقيه والنبه سيدي مُجَّد العربي بن الفقيه سيدي مُجَّد المأمون بن الفقيه سيدي أمبارك البلبالي حتى حصل له منه أوفر نصيب وصار بتحصيله نجيب"⁴.

¹ أحمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 48-49.

² نفسه، ص 50.

³ مُجَّد عبد القادر التلاني، الذرة الفاخرة، المخطوط السابق، الورقة 09.

⁴ نص الإجازة موجودة بجزالة برينكان، أدرار، الجزائر.

وتحصل على إجازة أخرى من الشيخ سيدي عبد الله بن سيدي أحمد الحبيب لصاحب الترجمة وعندما طلب أن يجيزه اقشعر جلده وانحرق كبده لكونه ليس أهلاً لذلك وجاء في نص قوله: " فلما شافهي بذلك إقشعر جلدي وانحرق كبدي لكونه لست أهلاً لذلك ولا من سلك تلك المسالك"¹، وقد أجازته في جميع ما قرأه عليه وسمعه منه ولما تحصل على الإجازتين من قبل شيوخه توجه إلى مسقط رأسه برينكان وجلس لتعليم وتدرّيس وتوجيه وإرشاد أهله وأهل بلده فتصدر الفتوى والقضاء وبدل كل جهده لتوعية الناس وثقافتهم وغرس العقيدة الصحيحة في قلوبهم.

تلاميذه: بعد أن تصدر التدريس ببلده المذكورة تخرج على يده جمع غفير من الطلبة ومن بينهم: سيدي الحاج المهدي بن سيدي مُحمَّد بن عبد السلام بن مُحمَّد بن المهدي العريان الراسي، وسيجي مُحمَّد بن سيدي مُحمَّد بن عبد السلام بن سيدي المكّي بن عبد العزيز بن سيدي مُحمَّد بن عبد العزيز البركاني وغيرهم، توفي رحمه الله يوم الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة سنة 1348 هـ، ودفن بمركز برينكان².

(15)-القاضي مُحمَّد الحسين بن سيدي العربي بن المأمون البلبالي:

درس رحمه الله بمسقط رأسه برينكان وتلقى بعض مبادئ العلوم الشرعية على يد والده رحمه الله ثم بعدها انتقل إلى قرية العلم ومنارته كوسام فأخذ عن العالم سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد الحبيب البلبالي، فبرع في فنون العلم والمعرفة فظهرت نجابته وبرزت كفاءته وأصبح مرجعاً يعتبر به في المنطقة.

توليّه منصب القضاء:

تقلّد رحمه الله منصب القضاء في تسايبت بالمحكمة الشرعية التي كان مقرها آنذاك ببرج

بن طلحة وتولى الإمامة والتدريس بالمسجد العتيق بقصر برينكان خلفاً للمرابط الصالح سيدي عبد الحميد، وكان له بجانب المسجد مجلس علم يقصده الناس من داخل القصر وخارجه، فأخذ يجمع الناس على أمور دينهم ويفقههم في الدين وتطلع بهم على الكثير من أمور دينهم وعبادتهم

¹ نص الإجازتين بخزانة الأسرة بقصر برينكان أدرار، الجزائر.

² أحمد بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 53.

وظل على ذلك مدة من الزمن حتى دخل في محنة شديدة جعلته ينقطع عن القضاء وعن التدريس والإمامة ولزم بيته وقد تأثر تأثراً شديداً لما لحقه من أذى وتجلى ذلك في بعض القصائد الشعرية التي نظمها في أيام محنته¹ يطلب ويتوسل فيها الله وسيدنا الحبيب المصطفى وآله وصحبه ثم التابعين الصالحين وأخص بذلك طائفة الشدلي ومن ذلك القطب الشهير ابن أبي زيان القندوسي وأبناءه ووالده أئمة المأمون وجاء في نصها².

وبعد أن ضاقت به بلدته رحل إلى مدينة سعيدة حيث أقام هناك عند أخيه سيدي المدني مدة من الزمن وكان يعاني من الربو وقد زاد الأمر عليه فارتحل إلى مدينة وهران للمعالجة في المستشفى ثم رجع إلى مدينة سعيدة وأدركته المنية هناك سنة 1394 هـ ودفن هناك بسعيدة³.

16- القاضي سيدي محمد عبد القادر بن سيدي امبارك بن سيدي المأمون البلبالي:

ولد بمدينة تيميمون سنة 1325 هـ الموافق ل عام 1907م، درس في الكتاتيب القرية شأنه شأن سائر الصبية وتلقى بعض مبادئ العلم على يد والده القاضي الفاضل ثم بعده توجه إلى قرية كوسام بمدينة أدرار مع شقيقه سيد البشير⁴ فأخذ على العالم العامل سيدي عبد الرحمان بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد الحبيب البلبالي الذي أجازته مطلقة في جميع العلوم المتداولة آنذاك العقلية وغيرها وبعد أن تخرج من كوسام رجع إلى بلده تيميمون.

¹ تعرض في هذه الأيام إلى أذى في عرضه وحرمة وظهر من خلال قصيدته أن سب ذلك كيد الحساد وربما يكون من بلدته لأنه رحل منها متوجه إلى سعيدة.

² وجاء في نصها:

أخص طائفة الشدلي بأسرها من ذلك القطب الشهير محمد

ابن أبي زيان أعني نعتي قندوسياً أكرم به من عابد.

القصيدة كتبت في كتاب الشجرة المرجانية بما حوالي 17 بيت وبعض الأبيات ناقصة لأنها غير واضحة، أنظر: بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 57-58.

³ نفسه، ص 56-57-58.

⁴ وردة ترجمته ضمن علماء برينكان أنظر ص: 203.

توليه القضاء:

بعد أن رجع إلى بلده ومسقط رأسه تيميمون تقلد منصب القضاء قبل الإستقلال وحتى بعده فسار فيه بسيرة والده في التحري والعدل والانصاف وعدم الظلم وطلب الحق وعدم التمييز بين الناس، فنشر الخير والمحبة بين الناس، كان رحمه الله ذو المكانة بين الوجهاء فعمل على التقريب بين المتعادين وفض النزاع بين المتخاصمين فانتفع منه العامة والخاصة من أهله وظل على ذلك الحال إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة 1414هـ الموافق لـ 1993م وعن عمر يناهز 96 سنة فدفن في تيميمون رحمه الله تعالى¹.

المبحث الثالث: نماذج من الأقضية التي أفتى فيها القضاة البلباليون.

قدم القضاة البلباليون عدة إنجازات قضائية بإمدارهم إحكاماً متعددةً كما قدموا أروع إنجاز قضائي بتوات من خلال جمعهم لنوازل والفتاوى علماء مجلس الشورى والتي أصبحت مرجعاً أساسياً ومتمعداً لحلّ بعض المسائل، وقد ركزت هنا على أخذ نماذج من هذا المصدر - الغنية البلبالية - لبعض الأقضية الإجتماعية والإقتصادية للتعرف أكثر على طبيعة المشاكل السائدة في تلك الفترة وإبراز دورهم كقضاة لحلها دون تركيز وتقييم نص القضايا الفتوى الصادرة فيها:

(1) - نماذج من الأقضية الإجتماعية.

سنبدأ بعرض نماذج من الأقضية القاضي البلبالي سيد الحاج وابنه عبد العزيز باعتبارهما أهم القضاة البلبالين وأوائلهما من خلال النوازل الغينة البلبالية:

1- مسائل الطلاق²: وهي من أهم المواضيع الإجتماعية المتداولة في مخطوط الغنية والتي أفتى فيها القضاة البلبالين.

¹ بن حسان عريان الراس، الشجرة المرجانية، المرجع السابق، ص 62.

² الطلاق: وهو حل العصمة المنعقدة بين الزوجين وفك عقد الزواج وجاء في قوله تعالى: "الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان" سورة البقرة الآية 229. وقال أيضاً: " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ" سورة الطلاق الآية 1.

قضية حكم القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي في قضية الطلاق:

ومجمل القضية أن رجلاً طلق زوجته طلاقاً لا رجوع فيه، أو طلقاً لا رجعة فيها ثم زاد على ذلك قوله: لا تحل لي حتى تحل لي أُمِّي وأختي، فحكم القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي: أن الرجل أن كان طلق طلاقاً لا رجوع فيه فمعنى ذلك ثلاث تطليقات، أما قوله: لا تحل لي حتى تحل لي أُمِّي وأختي فهذا تنويه لزمه حكم الظَّهَار، وأن نوى به الطلاق لزمته الطلقات الثلاث¹.

كما سئل في قضية طلاق أخرى: فقال الرجل للقاضي أنه طلق زوجته فهل إليها من السبيل، فقال له كيف قلت لها؟ قال: قلت أنت مطلقة فحرمت ثلاث، فقال له لعلك تجد إليها سبيلاً بالعقد المجدد فذهب عنه ثم رجع إليه وقال له ليس كما أخبرتك أولاً صفة طلاقي بل قلت لها أنت مطلقة محرمة، وذهب عنه ثم رجع إليها ثالثاً فقال له: العمل على ما قلت لك أولاً، أما ما قلت لك ثانياً إنما لغة فلان وفلان.

فأجابه القاضي سيد الحاج البلبالي: وبعد فالرجل المذكور لا تحل له زوجته إلا بعد زواج آخر سواء قال قوله الأول لقوله ثلاث أو قوله الثاني، أنت مطلقة محرمة فهي ثلاث والله أعلم².

أما قضية طلاق التي أفتى فيها القاضي محمد بن عبد العزيز البلبالي نصّها: سئل عن رجل له صبي مع امرأة قد طلقها وأراد أن ينتقل إلى بلد آخر مع أخذ الولد معه، فعارضه خاله وأمه فقال: لا إلا إذا أبرأ تمان من كسوته ونفقته وتركتماه يدرس في الكتاب، فقبلا ذلك وأبرأه، وبعد غيابه أزيد من عام ورجع، فلقى ابنه يعمل عملاً لا يليق به، ولم يتعلم في الكتاب كما أمرهم، فهل له حمل ولده؟ وهل تسقط نفقته؟ وجاء جواب القاضي كالتالي: "إن الأب حيث أراد الانتقال عن بلد حاضنة ولده وليس للحاضنة منعه منه وما انفقت عليه ولا ترجع به حيث ثبت إسقاطها عليه بالشرط المذكور والله أعلم³.

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المصدر السابق، الورقة 101.

² نفسه، الورقة 18.

³ نفسه، الورقة 83.

إضافةً إلى بعض أقضية الطلاق التي قضى فيها الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي والتي جمعها تلميذه النبيه عبد العزيز سيدي عمر في كتاب سماه الجواهر اللثالي من فتاوى الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي منها:

سئل رحمه الله عن رجل طلبت منه زوجته أن يطلقها فقدم معها إلى الشاهد وقال له أكتب لها طلاقها، فقال له الشاهد أمسك زوجتك وأخز الشيطان فهل يلزمه الطلاق أم لا ؟

فأجابه: أن الطلاق يلزمه حيث عقده وعزم عليه وعليه فمن جاء مع زوجته إلى موثق وقال أكتب لهذه طلاقاً عازماً عليها ألزمه ذلك ولا ينفعه قول موثق ولا تفعل وكذا ولو قال لها ثلاث وهو عازم فيقول الموثق لا تفعل، وأكتب لها واحدة لا ينفعه ولزمه الثلاث وإن كان غير عازم¹.

كما سئل الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي عن من قال لزوجته: علي بالحرام علي بالحرام لا صرت لي زوجة بتكرار لفظة الحرام شئ وقع بينها وقد كان طلقها مرة قبل هذا، هل تحل له بعقد جديد وولي وصداق أم تحل له إلا بعد زواج لتكراره الحلف بالحرام ؟

فأجابه: بأنها تحل له بعقد جديد وولي وصداق حيث نوى بتكرار اللفظ التأكيد وبقي معها على طلاقه لجريان العمل الحلف بالحرام طلاقه بائنة لا ثلاث².

ومن خلال هذه القضايا يتوضح لنا صعوبة وقساوة الظروف المعيشية في ظل حالة الطلاق، كما أن الطلاق كان يقع لأسباب بسيطة وتافهة فإذا ترك الزوج نقوداً في منزله ولم يجدها في مكانها، أتهم زوجته بسرقتها وهددها بالطلاق وإذا تشاجر رجلان في مسألة ما يحلف كليهما بالطلاق³.

كما أن هناك أقضية إجتماعية أخرى مثل قضية سئل عنها القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي: عن أكثرى من شخص آخر جملاً" ليحصل (لينقل) عليه سلعاً له، فلما بقي له نحو

¹ عبد العزيز سيدي عمر، الجواهر اللثالي من فتاوى الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي، المرجع السابق، ص 122.

² عبد العزيز سيدي عمر، قطف الزهرات، المرجع السابق، ص 126.

³ بحية عبد المؤمن: وضعية المرأة التواتية من خلال نوازل العنية البلبالية خلال القرن 13هـ-19م، المجلة الجزائرية للمخطوطات،

جامعة وهران 1، العدد: 12 جانفي 2015، ص 83.

ثلاث أيام للوصول تعرض له لصوص فأخذت الجمل بما عليها فهل يجب على المكتري الكراء كاملاً أم لا؟ فأجابه : ليس عليه من الكراء شيء كما نص عليه في شرح العملية الفاسية¹.

وخصص القاضي سيد الحاج لهذا السؤال جواباً مقنعاً وكتاباً قدرت عدد صفحاته بحوالي أربعة صفحات مدعماً إجابته بمختلف الأدلة والفقهية لبعض الأئمة الكبار مثل مالك البرزلي كما استشهد بأقوال بعض شيوخ فاس، وهذا ما جعلنا نتأكد أن العلماء والفقهاء توات كانوا على إتصالات مع بعض علماء بلاد المغرب الإسلامي، وخاصة المغرب الأقصى.

ومن الأقضية الإجتماعية المهمة الواردة في مخطوط الغنية وبعض المراجع الأخرى بأقضية الميراث وسوف نكتفي بأقضية الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي حيث سئل: عن أمر من كرزار في أواخر رمضان عام 1360 هـ، عن امرأة هلكت وتركت أخويها لأمها فقط لا وارث لها ولا ذوي رحم سوى من ذكر، فهل يدفع الفاصل عنهم لقائد كرزار الذي هو سيدي أحمد بن سيدي محمد بن علي بن محمد يصرفه في مصرف بيت المال اويعين له زاويتهم حيث لم يكن في البلد من له كلام فيه أو هذا بصنع به لفقد بيت المال وأهله الآن هذا معنى السؤال مختصراً.

فجاء نص جوابه: أن ما فضل عنهما يرد عليهما حيث عدم من ذكر لجريان العمل بتوات بتوريث ذوي الأرحام والرد على ذوي السهام للعلة المذكورة ولاشك أن الآخرين من أهل الفروض أي السهام فكانت إجابة الشيخ المذكور في أربعة صفحات مدعماً إجابته بأقوال الفقهاء مثل: الدردي وأقوال الشافعية وابن عرفة وأبي عمر بن عبد البر وعن الطرطوشي والباجي وعن ابن رشد والشيخ سليمان البحيري والتسولي على شرح التحفة وقام بجمع هذا الرد في أبيات من الرجز².

ومن الأقضية الإجتماعية أيضاً التي سئل عنها القاضي محمد عبد العزيز البلبالي مسألة واردة في مضمونها أن المرأة عرفت بالسفه في المجتمع وترك أحد أقاربها مالاً بذمة رجل، فاستشار هذا

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 83.

² جاء في نصها:

وَبَعْدَ فَالْفَاضِلِ عَنْ وَارِثِهِ يَرِدُ عَنْ كُلِّ بِقَدْرِ سَهْمِهِ

أَوْ يَدْفَعُ الْكُلَّ إِلَى رَحْمِهِ عِنْدَ انْعِدَامِ وَارِثٍ أَوْ خْتَفِهِ .

أنظر: عبد العزيز سيدي عمر، الجواهر اللغالي، المرجع السابق، ص 256.

الأخير القاضي حول ما أن يعطيها ما تركه قريبها أو ينفقه عليها كل أسبوع أو كل شهر؟ فكانت إجابة القاضي: أن يعين عليها والي أمر يتولى شؤونها في صرف دراهمها بشهادة عدول¹.

كما سئل القاضي سيد الحاج عمّا شاع عند أهل قورارة من تقويم الجرح بالمال على الجراح ويبيعون في ذلك ماله أحب أم أكره وإن أنكر يكرهونه على اليمين فإن إمتنع حكموا عليه بالتقويم فهل لهذا أصل أن العقوبة بالمال؟

فأجاب: لا وجه لما يفعله أهل قورارة من تقويم الجراح بل هو مصادم لنص القرآن وهو قوله تعالى: "وَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ"، ولا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفسه فإذا صالح برضاه فلا بأس وإلا فلا يكره على إعطاء ماله ولا حجة لهم في قولهم بتعذر القصاص لعدم من يقتص أو عدم الحاكم فأما من يقتص فلا يعتذر إذ لا يتوقف على الطبيب لأن غالب الناس يعرف قطع اللحم وأما الحاكم فكما يتعذر في إستفاء القصاص يتعذر أيضاً في أستفاء المال وليس ذلك في العقوبة بالمال المختلف².

(2) - نماذج من الأقضية الإقتصادية:

إشتملت هذه الأقضية على بعض النزاعات المتعلقة بعقود البيع والشراء وكل ما يتعلق بأمور الزراعة والملكيات المشتركة وخاصة مسائل المياه وموردها آنداك الفقارة، من بين النزاعات والخلافات القائمة بين الناس التي تضمنتها نوازل الغنية والتي سئل عنها القاضي سيد الحاج البلبالي جاء في نصها: سئل عن مشتركين في فقارة قام فريق منهم واستأجر فريق آخر على خدمتها بنصف الماء فاشتغل بالخدمة فيها وخرج منها الماء وقام ببيع ما لهم من الماء قبل تمام الخدمة فيها، فلما سمع ذلك الأخير قام بنزاع المشتري عقد القاضي وطال بينهما النزاع، فأجابه القاضي سيدي الحاج بقوله: وبعد فلا يصح بيع الماء حتى ينهوا خراجه من الظلمات إلى النور، فإذا خرج فلهم بيع نصيبه ولا يمنع المشتري الأخير قبل تمام الخدمة والله أعلم³.

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة 67.

² نفسه، الورقة 241.

³ نفسه، الورقة 301.

كما عرض على القاضي مُحمَّد عبد العزيز البلبالي مسألة أخرى متعلقة بالماء والأرض جاء نصها:

سئل عمن اشترى ماء وأرض بنخلها، واستحق الماء ولم يجد عند المشتري ما هو حكم في الأرض؟ فعلق القاضي مُحمَّد عبد العزيز البلبالي على نص الفتوى بقوله: أنه لم يقف على نص غفلة وإلا فهو أجل أن يخفى عليه النص لكونه يحفظ المختصر على ظهر القلب ولكن الكمال لله، فرد بأن نصّ المسألة المذكورة في المختصر وقدم له الإجابة والأدلة على ذلك، فاعتبر ذلك البيع بيع فاسد ولا يجوز للبائع عرضه للبيع قبل التأكد من المسألة قبل دفع الثمن¹.

وسئل القاضي مُحمَّد عبد العزيز عن مسألة ورد فيها عمن باع جنان في وسط شهر يناير وكان الحرث الفصفاصة في شتيمبر² وتوبر³ وجزاها في آخر يناير، فهل الخلفة⁴ تكون للبائع مادام لم يتم حصاد الزرع له؟ وهل كان عرف في ذلك يتبع؟ وهل إذا غرس البصل بقرب من وقت الشراء وفي معناه من أشجار الصيف أم يحكم له بذلك؟

فجاء نص الجواب القاضي مُحمَّد عبد العزيز: وأما الفصة⁵ فهو غير مندرجة في البيع كالزرع لأن لها أمد تنتهي إليه، إلا أن وجدت عرف شهر فيكون حينئذ كالشرط، وهذا مأخوذ من كلامهم بعد البحث⁶، وأما البصل فهو كالزرع أن نبت أو تثبت بالأرض كما هو واضح، وأما أن لم يثبت بعد فلم أرى الآن فيه نص يثلج الصدور والله تعالى أعلم⁷.

وعرض على القاضي سيدي عبد الكريم البلبالي حفيد الأسرة البلبالية قضايا ومسائل عديدة تخص مسائل البيوع والربويات والشراكة والقراض، ومن بين هذه المسائل مسألة خاصة بمياه

¹ البلبالي، مخطوط الغنية البلبالية، المخطوط السابق، الورقة: 172.

² يقصد به شهر سبتمبر.

³ توبر: وهو أحد الأشهر المعروفة كبداية الموسم الفلاحي في المنطقة وتبدأ مع أواسط شهر أكتوبر.

⁴ الخلفة: يقصد بها الغلة.

⁵ الفصة: هي أحد المزروعات المشهورة بالمنطقة ويطلق عليها إسم الفصفاصة أيضاً.

⁶ يقصد بكلامهم بمعنى العلماء والقضاة الذين سبقوه في مهنة القضاء.

⁷ ويبدو أن هذه المسألة لم يثبتها القاضي بأي نص صريح لعدم عثوره على دليل قوي يدعمه في قوله بعد أن راجع وبحث في

مجمّل المصادر.

الفقارة فجاء نص السؤال: عمن اشترى ماجلا¹ ماء من فقارة كذا بطعام إلى تمام خدمة الفقارة هل يجوز ذلك أم لا؟

فأجاب: بأنه يجوز لأن الماء ليس بطعام ولأن تمام خدمة الفقاقير تقع غالباً في شتمبر فكلاهما دخل عليه ودليل الكل موجود، فإعتمد القاضي في نصه على أدلة الشيخ الخليل في شرح بهرام الكبير وعلى ما نصه الدردي وغيرها من الشيوخ والعلماء².

وسئل القاضي الشيخ سيد الحاج عن حبتين إشتراهما رجل بأمر الشرع ولم يشترط عليه أحد خدمة الحبتين المذكورتين، فامتنع عن الخدمة لكونه يخدم الحبتين المذكورتين ولا يكون له زائد في أصل الفقارة إلا حبتين لا غير فهل تلزمه الخدمة ليحزم على ما ذكر أولاً؟ وهل يكون عليها النقص والزيادة مثلاً إذا اعدم الماء أو إذا زيد أم لا يكون له إلا الحبتين كما كانتا عنده في عقد الشراء؟

فأجاب: ما نصه وبعد فيتبع العرف في الزيادة كأنه لا يكون إلا لم اشترى بالأصل عندنا وأما الخدمة فإذا انقطع الماء بالكلية ونقص عن معتاده نقصا فإن الخدمة تلزمه وإذا كان الماء جارياً على معتاده ولم ينقص منه نصيبه على الحبتين ولا تلزمه الخدمة³.

هذه بعض المسائل والأقضية الخاصة بالمياه والبساتين مع وجود أقضية أخرى تدخل حيز الأمور الإقتصادية منها:

مسألة كراء جاء في نصها: جنان يضم أربع مئة قمون ولما خرج المكثري منه ترك فيه نحو مئة قمون، فإستفسر صاحب القضية حكم على ذلك؟ وسئل أيضاً أن المكثري قام بجرث الشمة التي تضر بأرضه، وكان قد نهاه الكاري عن ذلك بقوله: المسألة الأولى بالألا يحاسبه صاحب الجنان على شئ والمسألة الثانية: بأن يجرث ما يضره إتلفه به ثم قال: وما أشرنا إليه العرف هو بحسب تم الوسطية فإن إختلف بحسب أطرافها فإنه يعمل في كل بلاد منها على عرفه والله أعلم، وأن كان يضر ولم يدخل عليه رب الجنان فإنه يغرم، والله أعلم.

¹ ماجلا: بمعنى الماجن وهي الحوض المستطيل الشكل يحفظ الماء الحقل تصب فيه مياه الفقارة لتتوجه بعد تجمعها إلى الحقل.

² البلبالي، مخطوط الغنية البلبلية، المخطوط السابق، الورقة 156.

³ نفسه، الورقة 137.

وسئل الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي القاضي على مسألة جاء في نصها: رجل إشتراك في سيارة وأقرض أحدهما الآخر ما يخصه من الثمن ليدفع المقرض ما أسلفه المقرض من خدمته في السيارة لكونه عالماً بسوق السيارة هل هذه المعاملة تجوز أم لا ؟ وإذا قلتهم بعدم جوازها فما العلة أم هل تصح بوجه غير هذا أم لا والمطلوب منكم البيان الكافي بالنص الشافعي، جاء في نص الإجابة: الحمد لله هذه المعاملة المذكورة بالوجه المذكور لا تجوز وعلة عدم الجواز من وجهتين: الأول أنه سلف أجر نفعاً للتهمة الحاصلة من أن المفروض ما أنفذ عن المقرض حظه من الثمن إلا لتبصره بشؤون السيارة، والثاني أن عقدة السلف وقعت على أجل مجهول لأنه لا يدرى متى يستوفي المقرض ماله من خدمة المقرض وحتى إن كانت أجرة السائق معلومة عادة أو شارطة بأن له في كل شهر كذا، فرمما بمرض وربما تفسد السيارة، فيؤول الأمر إلى الجهل والسلف بيع من البيوع لا يجوز إلى أجل مجهول، قال الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ"¹، فهذا الأمر وتعليم من الله لعباده ففي الرسالة لا يجوز بشيء مجهول ولا إلى أجل مجهول، وفيها أيضاً ولا يجوز سلف يجر منفعة².

خاتمة الفصل:

تميزت فتاوى القضاة البلباليون بدقة الإجابة وطول الشرح والتفسير وإعتمادهم على نصوص وأحكام مقيدة في العديد من المصادر، كما يظهر لنا من خلال هذه الفتاوى إطلاعهم الواسع لمختلف الأحكام المتعلقة بمجلس الشورى ومصادر علماء بلاد المغرب الإسلامي، كما تبين لنا من خلال القضايا الزراعية أهمية النشاط الزراعي بالمنطقة وبعض المزروعات الخاصة بكل فصل من فصول، وعنايتهم الكبيرة بالزراعة وما توصل بعض الحصول على أربع مائة قمون في بستان واحد ولشخص واحد فما هو إلا دليل على أن المجتمع التواتي كان مكتفياً ذاتياً بما ينتجه من محاصيل في حقوقهم، كما أن تحرير مجمل هذه النصوص كانت من العامة لأن بها كلمات من اللهجة المحلية بعيدة عن اللغة العربية الفصحى، وهكذا احتكر علماء هذه الأسرة وظائف دينية

¹ سورة البقرة: الآية 282.

² عبد العزيز سيدي عمر، الجواهر اللطال، المرجع السابق، ص 230.

مهمة لا سيما القضاء والإفتاء لمدة طويلة من الزمن، فكانوا أشد حزمًا وإلتزامًا بتطبيق الأحكام الشرعية.

الخاتمة

خاتمة:

وأخيراً نصل إلى ختام هذه الدراسة التي تضمنت في محتواها التعريف بإحدى الأسر العلمية التواتية ألا وهي الأسرة البلبالية وإسهاماتها العلمية بمنطقة توات وتوصلنا في الأخير إلى استخلاص بعض النتائج منها:

1- أن دراسة الأسر العلمية بتوات دراسة تاريخية، مبرزة أصولها النسبية وترجمة أعلامها المشهورين في المجتمع التواتي، لتوليهم بعض المناصب القضائية والاجتماعية وتأثيرهم في المجتمع بطريقة مباشرة وغير مباشرة تعريفاً بجهودهم العلمية لما بذلوه في سبيل العلم والتعليم والتأليف.

2- اتصفت الأسرة البكرية بدرجات معتبرة من الأخلاق والآداب الحسنة فكثرت فيهم التودد وحسن الصحبة للناس وحسن الوعظ والوقار والهيبة، فكانوا يأمرون الناس بالمعروف وينهون عن المنكر.

3- عُرفت الأسرة التلانية أنها الأسرة العلمية المشهورة بالعلم والفضل والصلاح ومحبة للصالحين فنشروا العلم وتصدروا التدريس والإفتاء بتوات، فبلغوا مكانة عالية وسط المجتمع التواتي بعدة اعتبارات في مقدمتها علاقتهم العلمية وصلاتهم بأخريين الذين استفادوا من خيراتهم وصفاء عقولهم

4- قدمت الأسرة الفلانية دوراً مميزاً في نشر تعاليم الإسلام، فتقلدت وسام العزة والشرف ونالت إعجاب العلماء و المشائخ وحتى الدارسين والمختصين في مراكز البحوث والجامعات، فأثبتوا نضال علمائها في العلم والمعرفة وأقروا أصولها وفروعها ونسبها فأصبحت مرجعاً مهماً يستعان به في حل الأمور الدينية والدنيوية.

5- تميزت حاضرة تلبالة بشساعة مساحتها وتباين مناطقها الجغرافية فضمت العديد من القصور والقصبات المميزة بتاريخها العريق مستمدة في بنائها من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف مبنية على الحرمة والنظافة والتعاون إلا أن الكثير منها تعرض للهدم والإنذار ولم يتبق منه سوى الأطلال مثل: قصر محادة وقاحدايو وقصر ماينسكافن.

- 6- نظراً لوقوع حاضرة تلبالة ضمن النطاق الصحراوي فقد تميز مناخها بشدة حرارته صيفاً وبرودته شتاءً وسقوط بعض الأمطار الفجائية، وهذا ما جعل سكانه يعتمدون على نظام الفقارة في جلب المياه الباطنية لنشاطهم الفلاحي لتلبية حاجياتهم اليومية والضرورية.
- 7- تعد حاضرة تلبالة من أكبر حواضر ولاية بشار من حيث المساحة التي جعلتها تكتسي أهمية سياسية واجتماعية وثقافية أهلتها أن تتبوأ مكانة مرموقة بالمنطقة جعلتها محطة لأنظار المستعمر الفرنسي الذي شن حملاته الإستطلاعية التي تحولت إلى هجمات إستعمارية استولت بها فرنسا نحو خمس عشرة سنة على المنطقة.
- 8- امتلكت تلبالة ميراثاً اجتماعياً شعبياً متميزاً خاصة بعد دخول العديد من القبائل العربية بلمستها العربية الإسلامية مكتسبة معتقداتها قدسية والسماوية، إضافة إلى تأثير القوافل التجارية على المنطقة والذي ظهر جلياً في انتشار لهجة الكورانجي التي تنتمي في أصولها إلى أهالي مالي وبورنو مع اختلاط مصطلحاتها بالقبائل المغاربية.
- 9- يعود نسب الأسرة البلبالية إلى البلبالين الأنصار الذين قدموا من تلبالة وهم سيدي الحاج أمجد وسيدي الحاج بلقاسم وسيدي الحاج علي وسيدي الحاج عبد الرحمان وسيدي الحاج عبد الله دفين السودان، وهم أبناء الفقيه سيدي أحمد بن أبي زيد دفين تافيلالت المغربية.
- 10- عرفت هذه الأسرة بكثرة تنقلاتها من تافالالت إلى تلبالة ثم إلى توات نزولاً بقصر تساييت ثم قصر المنصور بودة ثم قصر أدغاغ ليستقروا استقرارهم النهائي بقصر ملوكة في حين ارتحلت بعض فروعهم إلى مناطق متعددة منها: مركز كوسام وبني تامر وبرينكان وتيميمون وأولاد راشد.
- 11- ومن الواضح أن جميع القصور البلبالية لعبت أدواراً سياسية واقتصادية ذات أهمية تاريخية جعلتها تتبوأ مكانة مرموقة بالمنطقة كما أهلتها أن تمثل وحدات سياسية شبه مستقلة تدير شؤونها بنفسها متمثلة في طريقة بناء قصباتها وقصورها المتميزة بعلو أسوارها وحفر خنادق تحيط بها وأبراجها الأربعة لمراقبة كل مركز.

12- أفرزت الأوضاع الإجتماعية بعض المهن التي كان يمتثلها أهل القصور البلبالية المتمثلة في بعض الحرف اليدوية وبعض الصناعات التقليدية، كما أسهمت المرأة البلبالية بدورها المنوط بها مع حرص مجتمعا على إبقاء حقها كاملاً دون تقصير أو إجحاف.

13- اشتهر علماء الأسرة البلبالية بالعلم والإفتاء وبالصلح بين أفراد المجتمع والتسامح، وعلى هذا الأساس حظي أفراد هذه الأسرة بالإحترام والوقار وبمكانة إجتماعية خاصة، وهكذا رفعوا راية العلم والقضاء معاً بالديار التواتية طيلة القرنين 13 و14 هـ - 19 و20 م .

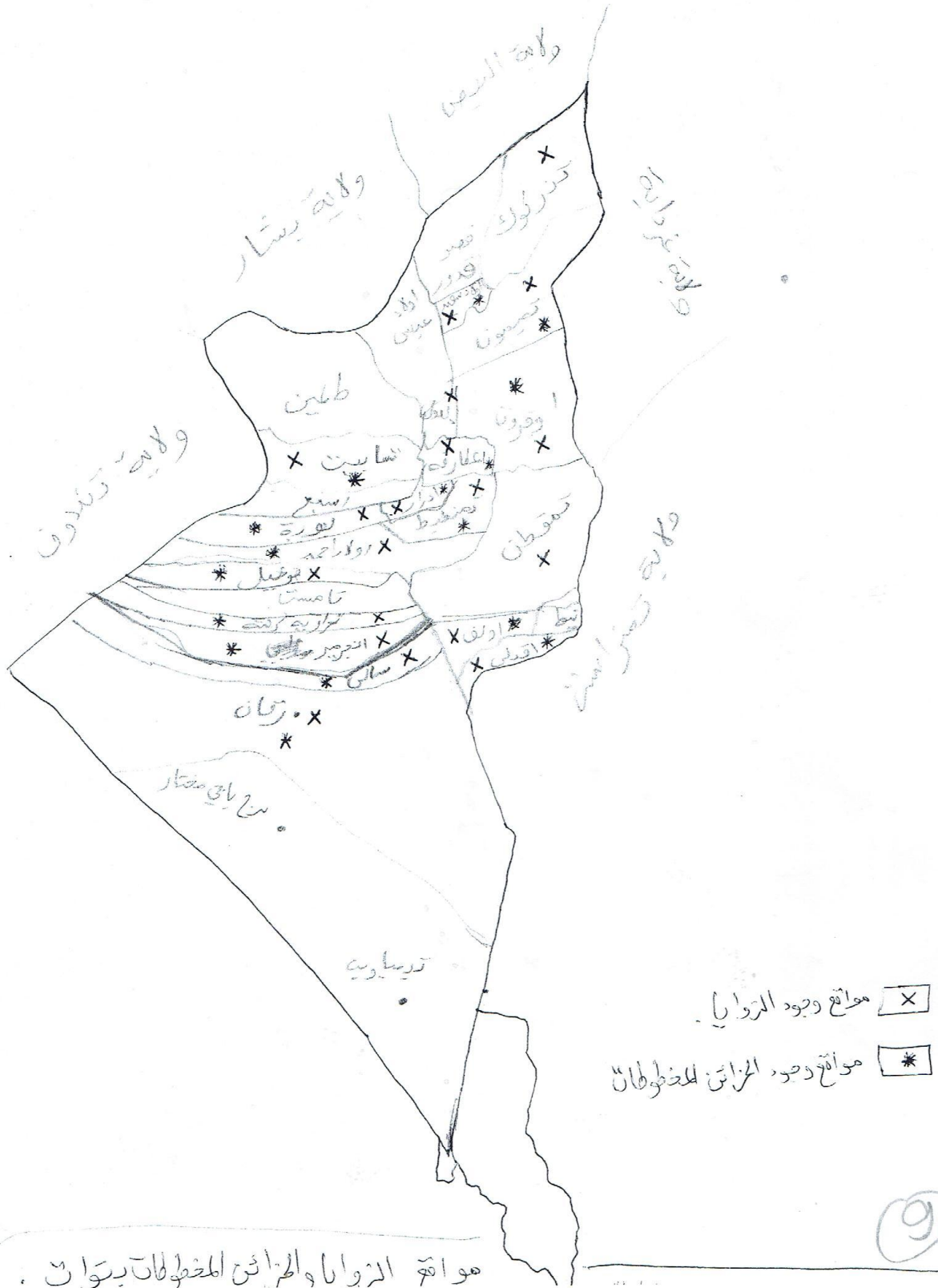
14- تعد الخزانة البلبالية من أثرى خزائن منطقة تيمي نظرا لوفرة المخطوطات التي قلما نجد لها وجود في الخزائن الأخرى، كما إن دراسة " مخطوط الغنية المقتصد السائل لما وقع في توات من أخبار ومسائل " بصفة خاصة من الدراسات المهمة لما فيها من اكتشاف لمختلف جوانب الحياة التواتية الإقتصادية والإجتماعية، فهي تحتوي على الكثير من الإشارات لأحوال المجتمع التواتي الأمر الذي يجعل منه مصدراً موثقاً للمؤرخ.

15- أفتى القضاة البلباليون في مجموعة من الأفضية الإقتصادية والتي تميزت بالدقة الإجابة وطول الشرح والتفسير وإعتمادهم على النصوص والأحكام المقيدة من بعض المصادر، ويظهر من خلالها إنتشار العلم والإطلاع الواسع لمختلف الفتاوى والأحكام المتعلقة بمجلس الشورى وبعض المصادر المعتمدة من بعض المصادر المعتمدة من بعض علماء بلاد المغرب الإسلامي، كما لعب بعض القضاة دور المنبه لبعض التجار في مسائل البيوع فكان يرشدون العامة إلى مراقبة السلع قبل البيع لتجنبهم النزاع والخصومات الكثيرة بين الطرفين.

16- كما تبين لنا من خلال القضايا الزراعية أهمية النشاط الزراعي بالمنطقة وبعض المزروعات الخاصة بكل فصل من الفصول، وعنايتهم الكبيرة بالزراعة وما توصل بعض الحصول على أربع مائة قمون في بستان واحد ولشخص واحد ما هو إلا دليل على أن المجتمع التواتي كان مكتفياً ذاتياً بما ينتجه من محاصيل في حقولهم، كما تحرير مجمل هذه النصوص كانت من العامة لان بها كلمات من اللهجة المحلية بعيدة عن اللغة العربية الفصحى.

وأملنا أن يساهم هذا العمل مساهمة بسيطة في معرفة الجانب العلمي للأسرة البلبالية بمنطقة توات خلال الفترة المدروسة وأن يميظ اللثام عن بعض أعلامها وقضاها وإسهاماتهم.

الملاحق



9

مواقع الزوايا والمخابر المخطوطات بتواتر .

من إعداد الطالبة.

الملحق رقم: 02

نص الوثيقة:

تقييد الدراهم التي تصدقوا بها على البلاد المنكوبة في فرنسا يوم 9 ديسمبر عام 1959م البلاد المسماة فريجيست عملة الفار أفرانسه.

نص الخطبة التي خطب بها الكومنداة بريوا على جميع قصور توات:

مصيبة كبيرة ضربت قطعة من الوطن عمالة الفار أفريجيست وهو برج تحطم وهو سدٌ وسبب في موت قوم كثيرة عائلات جياح محتاجين للمعونة في هذا الوقت من أفرانسا ومن الجزائر يون فالناس كلهم يجمعون الدراهم لهذا القوم الحزين وبلا مسكن، ففي الجزائر اجتمعت ملايين كثيرة من ل السكان مسلمين وأفرنسيين ومن جهتنا لا يخلصنا نبقوا ساكتين قدام المصيبة فإنني نحسب على كرم والوجود جميع السكان ناحية أدرار يوم 10 ديسمبر ياتيكم سيد الفسيان ونلي المتكلف بعرض تيمي وبودة يحوط القصور لجمع الدراهم فإنني نتكل عليكم لتكون أحنان زعينوا على ماضقتم به وأنتم نكثر خير لم وشكراً لكم والسلام.

الرقم	أسماء القصور	عدد الدراهم المدفوعة	الرقم	أسماء القصور	عدد الدراهم المدفوعة
01	أدغا	251000	16	أوقديم	11000
02	أولاد أوشن	50000	17	تردالت	20000
03	أولاد أونقال	9000	18	تيلان	21000
04	أولاد علي	16270	19	قصة القايد	17120
05	أولاد أحمد	30000	20	أولاد عيسى	11200
06	منصورية	25500	21	أولاد عروسة	13100
07	مهديّة	18000	22	أولاد إبراهيم	20000
08	بني تامر	14000	23	زاوية البكرية	7240
09	بوزان	17535	24	تملحا	
10	كوسام	5000			
11	ملوكة	4000			
12	ميمون	4000			
13		17000			

نقل حرفي لنص الوثيقة من تقييد موجود بخزانة ابن الوليد، بقصر باعبد الله، أدرار، الجزائر.

الملحق رقم: 03.

الجدول يوضح لنا المسافات بالكيلومتر والميل بين الأقليم والمدن التي كانت تمر بها القوافل.

من	إلى	الكيلومتر	الميل
تافيالنت	تبلبالة	300	187
تبلبالة	أردان	1163	723
أروان	تمبكتو	244	152
تنبكتو	كانو (التكرور)	1356	843
مراكش	دلاته	2091	1300
سجلماسته	كانو	3063	1906
تافيالنت	توات	637	396
توات	أردان	1383	859

هذا الجدول منقول من الموقع صفحة الفيس بوك الخاص بالأسرة:

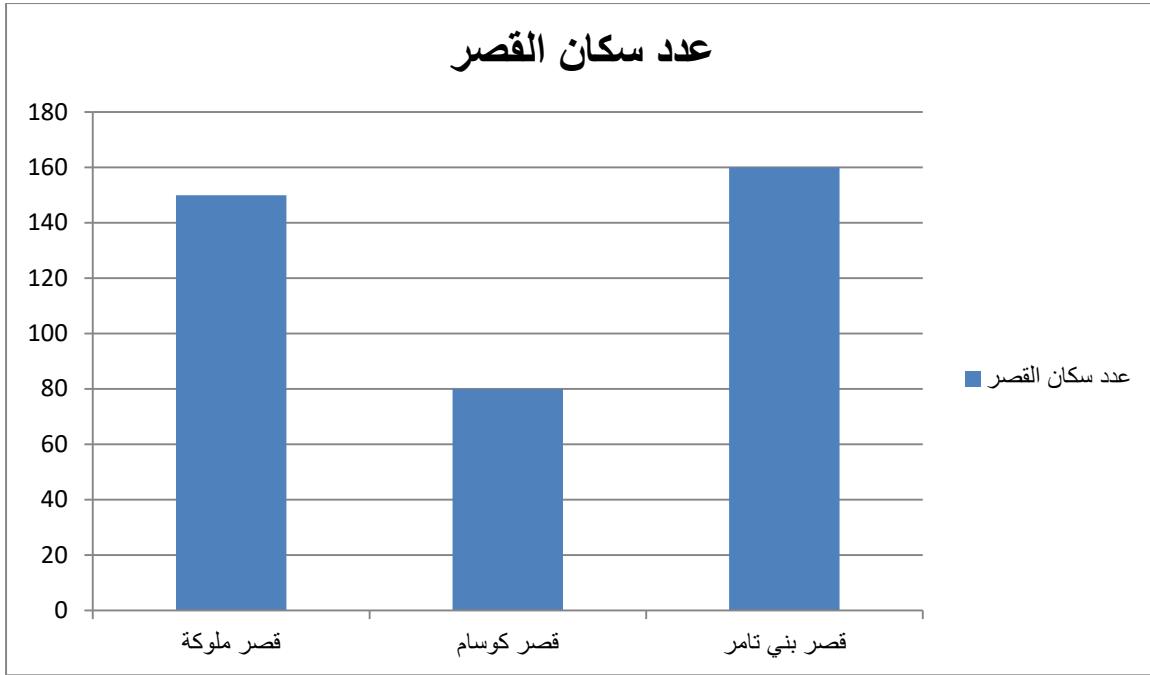
-Facebook.com/el belbali

الملحق رقم: 04.

إحصائيات فقاقير القصور البلبلية لعرش تيمي لسنة 1950م:

عدد القواريط	اسمها	عدد القواريط	اسمها	عدد القواريط	اسم الفقارة	عدد الفقاقير	
30	سيدي سالم	75	أقام	1760	بوعيسى	4	بني تامر
95	سواهل	1150	الحافية	40	العرب	3	ملوكة
53	لتعجيب	50	باعومر	200	تغمجت	7	كوسام

إنجاز الطالبة اعتماداً على المعلومات الواردة في الوثيقة بخزانة ابن الوليد بقصر باعبد الله أدرار، الجزائر.

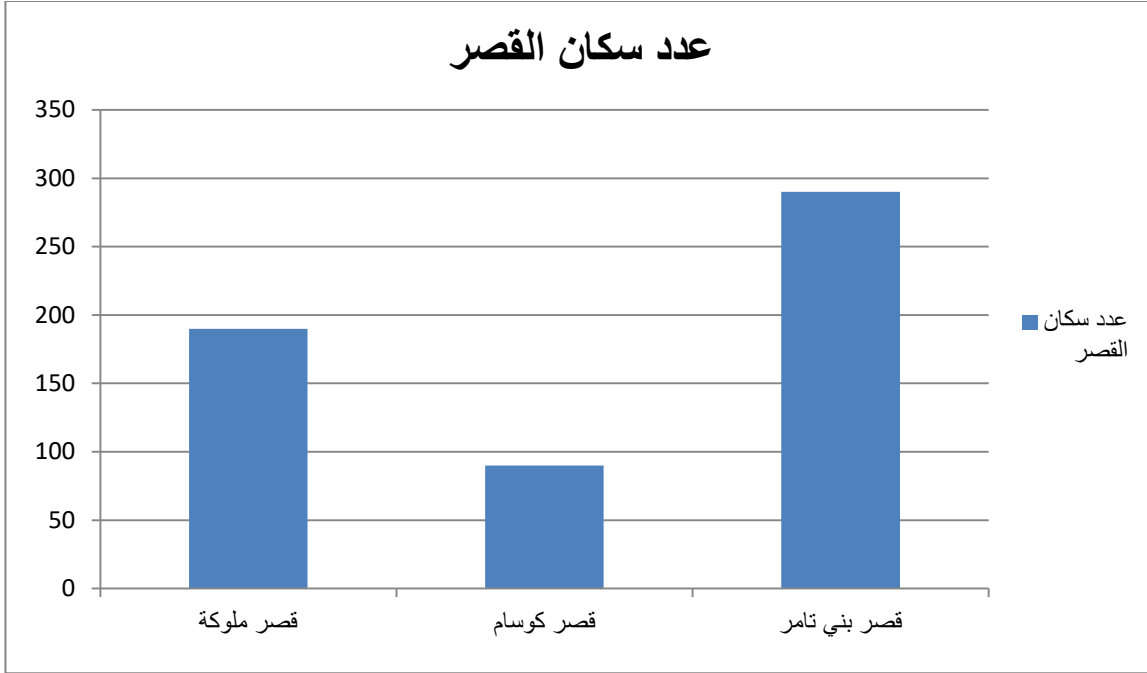


إحصائيات سكان القصور البلبالية بتيمي لعام 1909م.

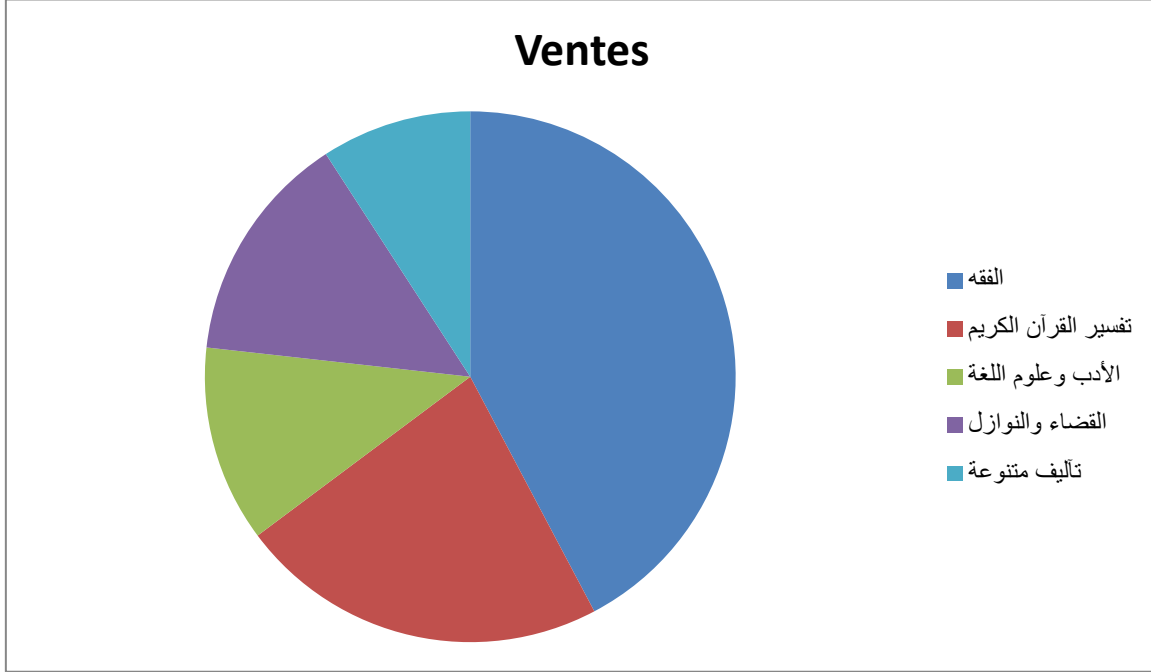
من إنجاز الطالبة معتمدة على الأرشيف ما وراء البحر "كشف المجموعة الجغرافية للجزائر بشمال إفريقيا" 20
سبتمبر 1922 العلية 20.136 الرقم: XXLLL ص: 524-525.

الملحق رقم: 06.

إحصائيات سكان القصور البلبالية بتيمي بتاريخ 12 جانفي 1950م



من إعداد الطالبة معتمدة على الوثيقة بخزانة ابن الوليد بقصر با عبد الله أدرار، الجزائر.



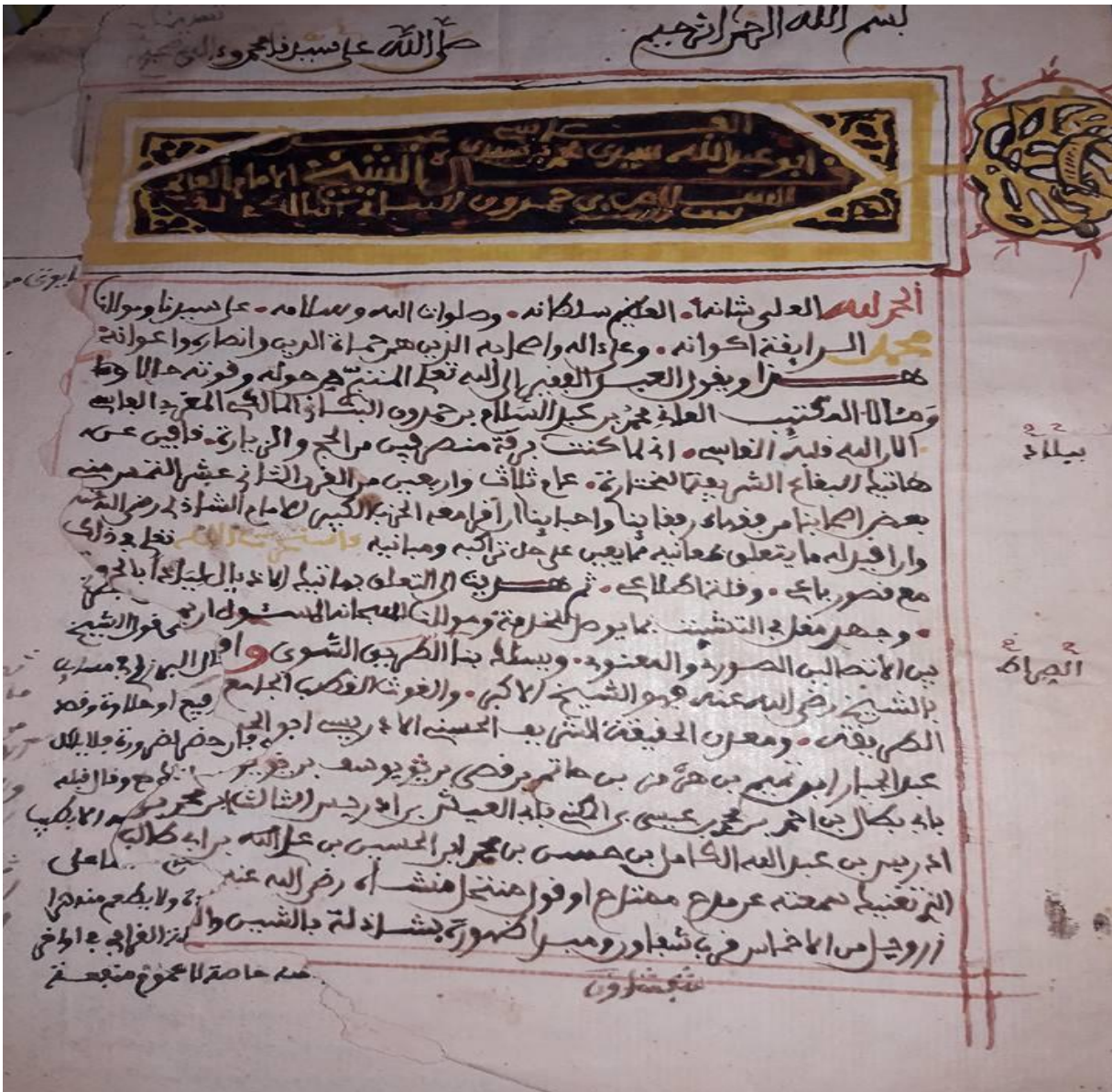
مواضع الكتب المخطوطة بالخزانة البلبالية خزانة برينكان أمودجاً.

من إنجاز الطالبة بناءً على معاينة الخزائن البلبالية بتوات.



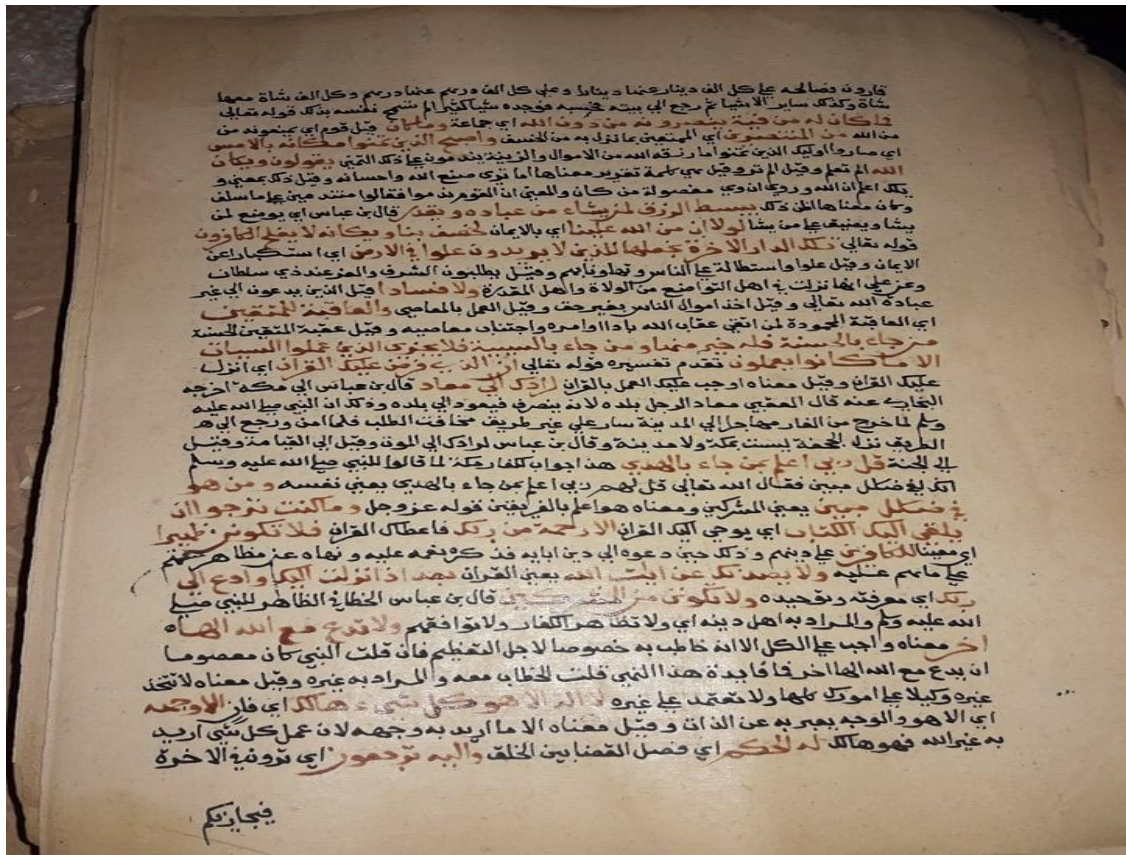
هذه الورقة المزخرفة وجدتها في المخطوط "شرح مختصر" ربما استخدمت للفصل جزء معين من

الكتاب بخزانة برينكان .



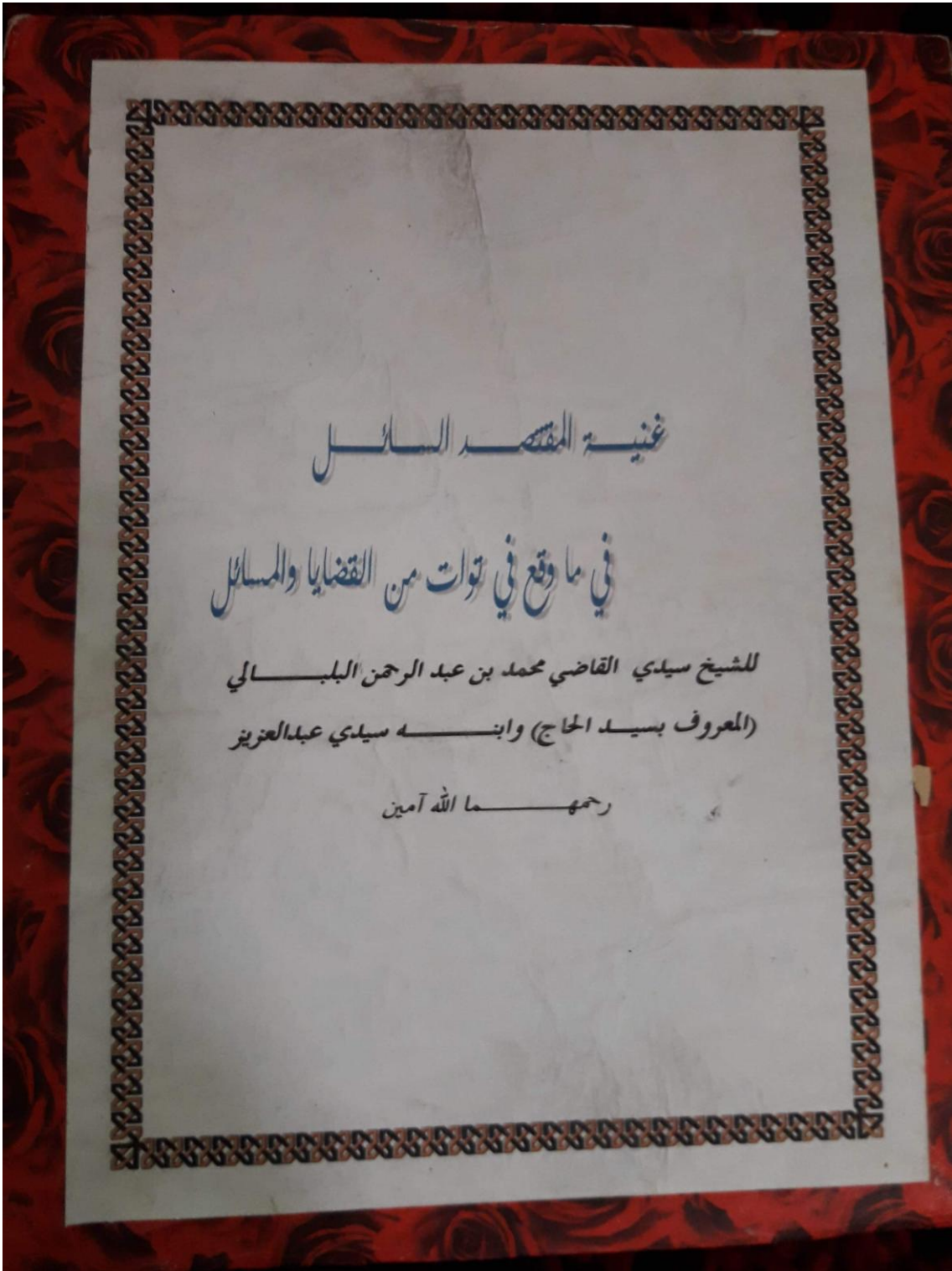
صفحة البداية لمخطوط "كتاب في الفقه" ل: محمد بن عبد السلام بن حمرون البناي المالكي المغربي

الفاسي بخزانة برينكان.



احدى صفحات مخطوط باب التاويل في معالم التنزيل تفسير القرآن الكريم مكتوب على الجلد

بخط جميل وواضح بخزانة برينكان.



غلاف مخطوط الغنية البلبلالية بجزانة قصر بني تامر.



إحدى صفحات مخطوط الغنية البلبالية الموجود بخزانة قصر بني تامر.

الملحق رقم: 14.



الباب الرئيسي للخزانة كوسام



مخطوط الغنية البلبالية بخزانة كوسام



شهادات شرفية لصاحب الخزانة كوسام السيد الطيب الشاري

الملحق رقم: 16.



مقبرة المجاهدين بقصر بني تامر

الملحق رقم: 17.



فقارة أبي عيسى بقصر بني تامر

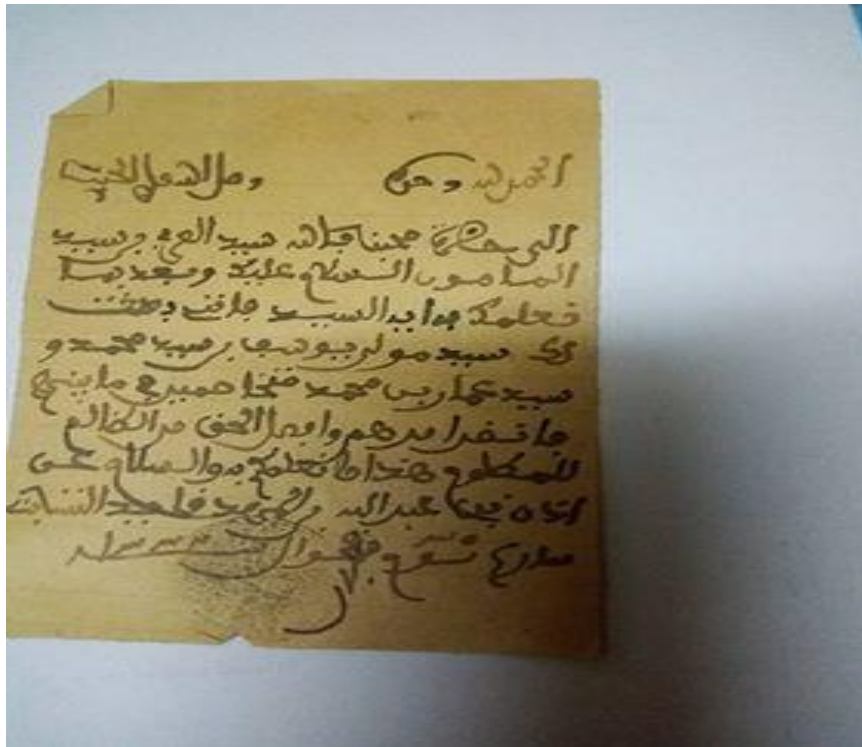
الملحق رقم: 18.



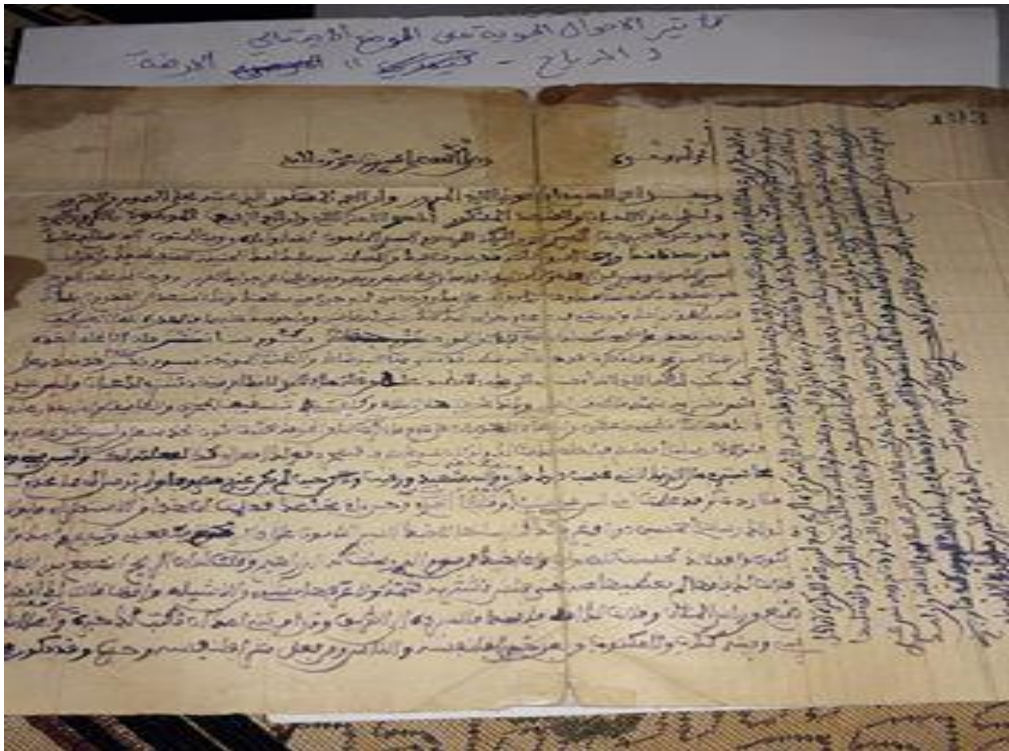
صور أضرحة العلماء البلبالين بقصر بني تامر.



البناء الجديد لدار الزاوية بقصر برينكان



وثيقة فك النزاع بين متخاصمين لقاضي برينكان.



وثيقة التي تبين تأثير كبير على المحاصيل الزراعية بسبب الرياح بخزانة برينكان.



رسالة خاصة من أحد أعيان الأسرة البلبالية إلى مشائخ الزاوية القندوسية بخزانة برينكان.

الملحق رقم: 21.



أدوات التدريس الخاصة بالعلماء البلباليون.



الأواني الفخارية الخاصة بالأسرة البلبالية .



الأواني الخشبية الخاصة التي استعملها البلباليون.

الملحق رقم: 24.



الزاوية والأضرحة البلبالية بقصر ملوكة.

الملحق رقم: 25.



التدارة



سفوف

المصادر
والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش.

الحديث النبوي الشريف صحيح مسلم والبخاري

المصادر المخطوطة:

1. الإدريسي أحمد الطاهر: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
2. البلبالي: مخطوط الغنية البلبالية، خزانة كوسام، خزانة بني تامر، خزانة المطارفة، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
3. البلبالي مُحمَّد بن عبد الكريم بن مُحمَّد بن عبد المالك: ديوان شعري، موجود بخزانة البلباليين بقصر برينكان، تساييت، أدرار، الجزائر.
4. الجعفري مُحمَّد البداوي: نقل الرواة عن أبداع من قصور توات، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
5. مخطوط: علامات على توات سكان قصور تجارة صناعة، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
6. مجهول المؤلف: مخطوط أجوبة تتعلق بالسبعة رجال دفنوا بمراكش، الخزانة الحسنية بالقصر الملكي، الرباط، المغرب.
7. العباس أحمد شيخ بن عبد العزيز الرشيد الهلالي سحلماسي: الرحلة الحجية 115-1737، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
8. التمنيطي مُحمَّد بن عبد الكريم: ذرة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
9. التمنيطي مُحمَّد بن عبد الكريم: الكواكب البرية المناوب البكرية، مخطوط بخزانة البكرية تمنيط أدرار، الجزائر.
10. التلاني مُحمَّد عبد القادر ابن عمر ابن عبد الرحمان: مخطوط الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء والأشراف والادريسين والعلويين، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

وثائق مخطوطة:

11. أبي زيد بن عبد الرحمان بن القاسم بن عبد الرحمن بن مخلوف: شجرة سيدي أحمد الفقيه مدونة بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
12. إجازة الشيخ أبي فارس تقييد بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.
13. إجازة الشيخ البلبالي مُحمَّد بن عبد الرحمان، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
14. وثيقة الأدوار المتتالية لفقارة بقصر برينكان، خزانة برينكان، تساييت، أدرار، الجزائر.
15. وثيقة شراء أرض ملوكة، خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.
16. وثيقة صادرة عن الفرع البلدي لبلدية أولاد إبراهيم تيمي، الإحصاء الأخير عام 2008.
17. الحُبس للفقير مُحمَّد عبد العزيز البلبالي، خزانة قصر ملوكة، أدرار، الجزائر.
18. حول تأسيس ملوكة، خزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.
19. مراسلة سيدي أمبارك بن سيدي المختار بن سيدي أمبارك البلبالي الركاني وسيدي مُحمَّد بن عبد الرحمان بن مُحمَّد السالم البلبالي الملوكي: نص الوثيقة بخزانة البلبالين بقصر برينكان، تساييت، أدرار، الجزائر.
20. سكان قصر ملوكة بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغا، أدرار، الجزائر.
21. سيدي أحمد بن سيد الحسان بن المكي البركاني: وثيقة ضمن رسوم أملاك أحفاده، قصر برينكان، خزانة الحاج الطيب، قصر برينكان، تساييت، أدرار، الجزائر.
22. القبائل التي سكنت قصور تيمي، بخزانة مولاي سليمان بن علي أدغا، أدرار، الجزائر.
23. رسالة السلطان المغربي للقاضي سيد الحاج موجودة بخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.
24. رسالة السلطان المغربي مولاي اسماعيل: موجودة بالخزانة البلبالية بقصر بني تامر، أدرار، الجزائر.

تقايد خطية:

25. بن الوليد الوليد: زكاة الثمار والزرع، تقييد خطي بخزانة بن الوليد باعبد الله، أدرار، الجزائر.
26. بن الوليد الوليد: تقييد خطي إحصائيات عدد فقاقير عرش تيمي، بخزانة بن الوليد، باعبد الله، أدرار، الجزائر.

27. بن الوليد الوليد: تقييد خطي الدراهم التي تصدقوا بها على البلاد المنكوبة في فرنسا، بخزانة بن الوليد باعبد الله، أدرار، الجزائر.
28. بن الوليد الوليد: مجموع تقييد خطية بها ترجمة للقاضي سيدي عبد العزيز البلبالي، بخزانة بن الوليد، باعبد الله، أدرار، الجزائر.
29. بن الوليد الوليد: تقييد خطي ترجمة القاضي أمجد بن أحمد الحبيب البلبالي، بخزانة ابن الوليد، باعبد الله، أدرار، الجزائر.
30. البلبالي أمجد عبد الكريم: تقييد خطي به نسب أجداده، خزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.
31. البلبالي سيدي أمجد بن عبد الكريم: أنشودة وطنية، نص القصيدة موجودة بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.
32. البلبالي سيدي أمجد بن عبد الكريم: وثيقة: في بيان حكم الجهاد ضد الإستعمار الفرنسي، نص القصيدة موجودة بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.
33. مبدوي أمجد: رسالة من الشيخ سيدي عبد الكريم البلبالي الشيخ أحمد اليماني، تقييد خطي بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.
34. مبدوي أمجد: رسالة من الشيخ زاوية كراز سيدي عبد الكريم البلبالي، تقييد خطي بخزانة بني تامر، أدرار، الجزائر.
35. سليمان مولاي علي: تقييد خطي القبائل التي سكنت قصور تيمي، بخزانة مولاي سليمان بن علي أدغاغ، أدرار، الجزائر.
36. سليمان علي: الولي الصالح سيد أمجد اعزير 1150هـ وولده سيد الحاج عبد الله نفعنا الله بهما أمين، تقييد خطي بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.
37. سليمان علي: تقييد سكان قصر ملوكة بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.
38. شاري طيب: تقييد إجازة سيدي البكري عبد العزيز البلبالي، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
39. شاري طيب: تقييد خطي بخزانة كوسام "ذكر كرامة سيد الحاج بلقاسم"، أدرار، الجزائر.
40. شاري طيب: الشيخ المغيلي، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

41. شاري طيب: تأسيس الزاوية البلبالية، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
42. شاري طيب: تقييد خطي عن تاريخ خزانة كوسام، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
43. شاري طيب: تقييد خطي حول نسب الأسرة البلبالية، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
44. شاري طيب: تقييد خطي حول شجرة أبي زيد، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
45. شاري طيب: تقييد خطي لقائمة قضاة ملوكة، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
46. شاري طيب: تقييد خطي نبذة عن قصر كوسام، أدرار، الجزائر.
47. شاري طيب: فضل وكرامة الشيخ الميموني تقييد خطي بخزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
48. التمنطيبي محمد بن عبد الكريم: تقييد تاريخ توات وتمنطيط، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.

المصادر المطبوعة:

49. ابن مليح: أنس الساري والساري من أقطار المغرب إلى منتهى الآمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب (1040-1042 هـ): تحقيق: محمد الفاسي، فاس، طبعة 1388هـ/1986م، المملكة المغربية.
50. العياشي أبو سالم: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج1، ط1، تحقيق: سعيد الفاضلي وسلمان القرشي، الإمارات، دار السويدي لنشر والتوزيع، 2006.
51. ابن بطوطة أبو عبد الله محمد: رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج1، تحقيق وتقديم: وتعلي على المنتصر الكتاني: نشر مؤسسة الرسالة، ط4، بيروت لبنان، 1405 هـ/1985.
52. أبي العافية المكناسي أحمد بن محمد: جدوة اقتباس في ذكري محل من الأعلام مدينة فاس، ج1، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، 1973.
53. ابن بابا حيدة (محمد الطيب بن الحاج عبد الرحيم)، تحقيق: فرج محمود فرج، معهد العلوم الاجتماعية، الجزائر، 1977.
54. ابن حوقل أبي قاسم بن حوقل النصبي: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1992.

55. أندري جوليان شارل: تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1968.
56. البكري ابن عبيد: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
57. بابا التمبكتي أحمد: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تحقيق علي عمر، ج2، ط1، مكتبة الثقافة الدينية مصر، القاهرة، 2004.
58. بابا التمبكتي أحمد : كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ط1، دار ابن الحزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2002.
59. بلعالم محمد باي: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعبادات وما يربط توات من جهات، ج1، ج2، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015 .
60. بلعالم محمد باي: قبيلة فلان في الماضي والحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والآثر، دار هومة، 2004.
61. بلعالم محمد باي: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، (د د ن)، (د س ن).
62. بلعالم محمد باي: المباحث الفكرية شرح على الأرجوزة البكرية، مطابع عمار قرني، باتنة، (د د ن)، (د س ن).
63. ج، هوبكنز: التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تقديم: محمد عبد الغني سعودي، ترجمة: أحمد فؤاد بليغ، طبع الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية.
64. جامع الشتات لما تفرق من تاريخ توات بأقلام علمائها التقات، تحقيق: بلقاسم بن عمر ضيف، محفوظ بن ساعد بوكراع، (د ط)، (د د ن).
65. الوزان حسن: وصف إفريقيا، تر: محمد صبحي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.
66. النمري يوسف: كتاب جامع بيان العلم وفضله، بيروت، دار الكتب العلمية، (د ت).

67. سكيديج سيدي الحاج أحمد الحاج العباسي: كشف الحجاب عنم كلابي مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، (1381هـ-1961م)، (د ط)، (د د ن).
68. السعدي عبد الرحمان: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس، 1981.
69. عمر مُجَّد عبد العزيز: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، طبع بمطبعة دار هومة، الجزائر، 2002.
70. العبودي مُجَّد بن ناصر: سطور المنظور والمأثور من بلاد التكرور رحلة في مالي وحديث ماضيها المجيد وحاضرها الجديد، ط1، 1420هـ/1999م، مكتبة الملك فهد، الرياض.
71. التسولي: البهجة شرح التحفة، دار الفكر، لبنان، 1412هـ/1991.
72. ابن خلدون عبد الرحمان: تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من زوى السلطان الأكبر، منشورات مؤسسة الإعلامى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص ب 1120.
- المراجع:
73. أعفيف مُجَّد: المسالك الصحراوية، توات حلقة إتصال بين المغرب وإفريقيا، منشورات جمعية وظيفي، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، (د ت).
74. أعفيف مُجَّد: واحات توات عبر التاريخ مجال لتواصل والتعايش، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، وجدة، المغرب، 2015.
75. بن حسان عريان الرأس أحمد بن مُجَّد: الشجرة المرجانية في التعريف بالأسرة البلبلية الركانية (بمنطقة تساييت)، (د ط)، (د د ن)، 2010.
76. بن الصغير خالد: واحات التخوم وحدود المغرب الشرقية (1800-1903)، مراجعة: لحسن حافظي علوي، تصدير: مُجَّد القبلي، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، المغرب، 2013.
77. بنكرمي حليلة: قبائل جيش العرب سايس ما بين الرواية الشفوية والمصادر الموثوقة 1832-1912، (د ط)، (د د ن)، (د س ن).

78. بن دهيبة مصطفى: قطوف من تاريخ تندوف مقارنة في مسيرة الكفاح الوطني بمنطقة تندوف وخلال فترة الإحتلال الفرنسي، الجزائر، أصدر المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، دار راجعي للنشر، 2010.
79. بن علوي بن حسن العطاس عبد الله: ظهور الحقائق في بيان اللطائف، مطبعة بكارز حسني (د،ط)، القاهرة، 1312هـ.
80. بوجلال مصطفى: العلاقات الإجتماعية في المؤسسة، محاضرات جامعة محمد بوضياف، المسيلة، السداسي الثالث علم الاجتماع تنمية موارد بشرية، 2017/2016.
81. بوعزيز يحي: تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط1، الجزائر، 1999.
82. بوعزيز يحي: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، طبع دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
83. البكري عبد الحميد: النبة في تاريخ توات وأعلامها، المطبعة العصرية، الجزائر، جانفي، 2010.
84. البوداوي محمد بن عمر بن الحبيب: نقل الرواة عن أبداع من قصور توات، دراسة وتحقيق: مولاي عبد الله اسماعيلي، دار الكلمة، (د ط)، (د ت).
85. جعفري أحمد أبا الصافي: محمد بن أب المزمري 1160هـ-حياته وآثاره، ط1، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر 2003.
86. جعفري أحمد أبا الصافي: رجال في الذاكرة، الشيخ سيدي أداو علي ق16، حياته شعره، ط2، مكتبة النهضة المصرية، 2009.
87. جعفري مبارك: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي، خلال القرن 12هـ، وزارة الثقافة، دار السبيل للنشر والتوزيع، ط1، 2009، الجزائر.
88. الجوهري محسن يوسف محمد: ابن خلدون إنجاز فكري متجدد، تقديم: إسماعيل سراج الدين، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2008.

89. الدالي الهادي المبروك: التاريخ السياسي والإقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن 15 إلى بداية 18، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر، ربيع الثاني 1420 هـ/ أوت 1999م.
90. الدراجي بوزياني: القبائل الأمازيغية أدوارها وموطنها وأعيانها، ج1، ط4، المغرب، 2010.
91. الدلدولي مُجَّد المحفوظ القسنطيني : روض الزهر اليباع علة مشروح المقنع في علم كان لأبي مفرع، دراسة وتحفيظ: مولاي عبد الله إسماعيلي، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
92. حسن بكر الشريف أحمد: عالم المناخ، دار المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000.
93. حلاب حسن: الحركة الصوفية بمراكش وأثرها في الأدب الحركة الصوفية بمراكش (ظاهرة سبعة رجال)، ط1، المطبعة الوراقة الوطنية، مراكش، 1994.
94. حميش عبد الحق ، بوكراع بن ساعد محفوظ: موسوعة تراجم علماء الجزائر، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
95. حمادي الإدريسي عبد الله: قاعدة المغرب الأقصى قبل فاس سلجماسة وورثتها تافيلالت تاريخاً وأمجادا وجهاداً، دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، 1971.
96. حمادي الإدريسي عبد الله: نبذة مختصرة من تاريخ تلبالة، ط1، دار بوسعادة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
97. حوتية مُجَّد الصالح: توات والأزواد، ج1، ج2، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر.
98. حامد عثمان محمود: المرشد إلى تحقيق المخطوطات العربية، دار الزخم للنشر والتوزيع، (د س ن).
99. لوكيح مُجَّد بن خلف بن حيان: أخبار القضاة، مراجعة: سعيد مُجَّد اللحام، (د د ن)، (د ط)، (د س ن).
100. لعروق مُجَّد الهادي: أطلس الجزائر والعالم، دار الهدى لنشر والتوزيع، (د ت ن)، (د م ن).
101. مبدوي مُجَّد فتحا بن عبد الكريم البلبالي: النبذة النيرة من حياة الذهب الإبريز الشيخ الحاج مُجَّد عبد العزيز سيدي عمر المهداوي الأموي (1342هـ/1429هـ) (1924م/2008م)، ط1، دار صبحي للطباعة والنشر، متليلي غرداية، الجزائر، 2013.

102. مبدوي مُحمَّد بن مُحمَّد عبد الكريم البلبالي: كتاب المصباح البياني من أختيار التابعين ورأس الصالحين أويس بن عامر القرني م ت 37هـ، (د ط)، بوزريعة، الجزائر، 2010.
103. مبدوي مُحمَّد فحتا بن مُحمَّد بن مُحمَّد عبد الكريم البلبالي الأنصاري: روائح وأزهار من أشواق البلبالين الأنصار في مدح سيدنا مُحمَّد النبي المختار، ط1، دار البلبالي مطبعة صبحي، 2015.
104. مبدوي مُحمَّد فحتا بن مُحمَّد بن مُحمَّد عبد الكريم البلبالي الأنصاري: القنديل العالي، ط1، دار صبحي لطباعة والنشر، متليلي، غرداية، الجزائر، 2014.
105. مياس إبراهيم: مقاربات في تاريخ الجزائر، 1830-1962 م، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
106. المنذري حافظ زكي الدين أبي مُحمَّد عبد العظيم بن عبد القوي: مجلس في فصل الصوم يوم عاشوراء، تحقيق: عبد اللطيف بن مُحمَّد الجيلاني، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1423هـ/2002م، بيروت، لبنان.
107. الميلي مُحمَّد مبارك: صحراؤنا، (د ط)، (د ن)، تونس، 1958.
108. نور الدين عبد الله: العمالة التقليدية لمنطقتي توات الوسطى وقورارة بين ضوابط النص الديني وحدود الواقع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
109. الندوي أبو الحسن علي الحسن: أسبوعان في المغرب الأقصى رحلة ومذكرة ومشاهدات وانطباعات، (د ط)، (د ن).
110. سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1998.
111. سعد الله أبو القاسم: رائد التجديد الإسلامي مُحمَّد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.
112. سيدي عمر عبد العزيز عبد القادر: الفوائد العربية المدهشة النادرة ألف وجبة روحية بألف فائدة متنوعة، ط2، دار البلبالين للنشر والتوزيع أدرار، الجزائر، 2015.
113. عبد الهادي مُحمَّد فتحي: المدخل إلى علم الفهرسة، ج1، ط4، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، (د س ن).

114. العطري عبد الرحيم: الرحامنة القبيلة بين المخزن والزاوية، منشورات دفاتر العلوم الإنسانية، طوب بريس، الرباط، ط4، 2013.
115. فرج فرج محمود: إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1977.
116. الفشتالي عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر مواليد الشرفا: تحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ج2، دون مكان النشر.
117. الصلابي محمد علي: فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة القاهرة، مصر، 2006.
118. الصديق حاج أحمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات، ط2، دار منشورات الحبر بني مسوس، الجزائر، 2011.
119. قويدر بشار، حساني مختار: مخطوط توات ولاية أدرار، وزارة الاتصال والثقافة، 1999.
120. قاسم عثمان: المرجع في علوم المكتبات، ط1، مركز قاسم للخدمات والمكتبات، الخرطوم، 2007.
121. القشاط محمد سعيد: أعلام الصحراء، ط1، دار الملتقى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (د س ن).
122. تركي رابح: التعليم القومي للشخصية الجزائرية، ط2، الجزائر، 1991.
123. خاوجي عبد الستار: المخطوط العربي، الرياس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1978.
124. خلف عادل: الملاحظات اللغوية للرحالة العربي ابن بطوطة، مكتبة الأدب، ط1، القاهرة، مصر، 1994.
125. غيتاوي التوهامي: سلسلة النوات في إبراز شخصيات من علماء وصالحى إقليم توات، ج1، المطبعة الحديثة، 2005.

مصادر أجنبية:

- 126.archives de l'institut pasteur d'Algérie piblication trimestrielle tome Ix. Année 1931 Alger.
- 127.Bulletin de la societe de gographie d'alger et de l'afrique du nord boite:20.136,n:xxlll.1922.
- 128.chait Imêm: le korandyé en question ,Doctorante en didactique du FLE, Laboratoire: DynalimedUniversité : Abou Bakr Belkaid Tlemcen/ Algérie .
- 129.Dominique champaul: Une oasis sahara Nord occidental tabelbala, In: Revue de l'occident musulman et de la Méditerranée n:8.1970 .
- 130.Imppimerie Administrative et militaire a maugun Blida "Historique de la campagne saharienne de la saoura de 1914 à 19 18 A2g .
- 131.Gerhard rohlfes: voyages et exoloration au sahara tome1 praa. Tafilalet. Sod oranais touat, Tidikelt ; Rhedan 1861-1864 centre d'études sur l'histoire du, paris edition karlhala83 rue viell- du temple,sahara 2001.
- 132.G.Mercadier: l'oasis roug, e'dition robert roini, paris, 1945.
133. Mohamed tilmatine:un parler berbèro .songhay du sud -ouest Algérien (tabalbal) éléments d'histoire et de linguistique: etudes et documents Berbères 14,1996.

134. martin(AGP): quarte siècles D'hitoire,marocannes au sehara de 1504a 1902au maroc de 1894 a 1912.
135. Watin leuis. (officier interprété): origines peuples toute par les romans. Populaires dans le pays géographique société bulletin, l'Algérie et l'Afrique du Nord l'année 10, 1905m, triple-seconde .
136. Suter(k): etude sur la population et l'habitat d' une region du sahara algerien le touat revue de gegraphe alpine n: 41 grenoble 1953.

رسائل جامعية:

137. أبلالي أسماء: الإسهامات الإجتماعية والثقافية للشيخ مُحَمَّد باي بلعالم بإقليم توات (1348-1430هـ/1930-2009م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، 2013/2012.
138. أسعد فايزة: العادات الإجتماعية والتقاليد في الوسط الحضاري بين التقاليد والحداثة مقارنة سوسيو انتروبولوجية للعادات الزواج والختان، بمديني وهران وندرومة أمودجاً، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، إشراف الأستاذ: حجيج أكيد، قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الإجتماعية، جامعة وهران، 2012/2011.
139. بوسعيد أحمد: ركب الحج الجزائري خلال العهد العثماني 1518 هـ-1830م، دراسة تاريخية وإجتماعية من خلال الرحلات الحجازية، إشراف: مُحَمَّد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، 2018/2017.
140. بوسعيد أحمد: الحياة الإجتماعية والثقافية بإقليم توات من خلال نوازل الجنطوري القرن 12 هـ 18م، مذكرة ماجستير، إشراف: مُحَمَّد حوتية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، 2012/2011.

141. بوعلالة جلول: قصر تمنطيط دراسة معمارية، مذكرة تخرج لنيل شهادة دولة في الهندسة المعمارية، المدرسة العليا للهندسة، الجزائر، 2006/2005.
142. بعثمان عبد الرحمان: القضاء في منطقة توات خلال القرنين 17-18، رسالة دكتوراه في تاريخ وحضارة الإسلامية، إشراف: محمد بن معمر، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران1، 2016/2015.
143. بعثمان عبد الرحمان: فهرسة التتلائي، عبد الرحمن بن عمر التتلائي، مذكرة ماجستير، معهد الأدب والعلوم الإجتماعية، جامعة بشار، 2009/2008.
144. بن سعيد سعاد: علاقة الجيرة في السكنات الحضرية، رسالة ماجستير، إشراف: بن السعدى إسماعيل، قسم علم الاجتماع، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2006.
145. بايوسف رشيد: غاية الأمايي في أجوبة أبي زيد التتلائي دراسة وتحفيظ، رسالة ماجستير، إشراف: عبد الحق زريوح، قسم الشريعة، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة تلمسان، 2013/1212.
146. بلعالم عبد السلام الأسمر: الحياة الفقهية في توات خلال القرنين 12 و13هـ، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، إشراف: سعيد فكرة، قسم الفقه وأصوله، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2016/2015.
147. بخدا مريم: أعلام العائلة التتلائية ودورهم العلمي بإقليم توات خلال القرنين 11 و12 هجري و17 و18 ميلادي، رسالة ماجستير في تاريخ المغاربي عبر العصور، إشراف: خير الدين شترة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، 2012/2011.
148. بوعاسل يوسف: دراسته تنميطية وتكنولوجية لصناعة حجرية على شطايا تبلباله منطقة الساورة، مذكرة ماجستير في الآثار، إشراف: عبد القادر حدوش، معهد الآثار مجموعة متحف الجيولوجيا، بجامعة الجزائر(1)، 2015/2014.

149. جعفري عز الدين: أطلس العادات والتقاليد بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2018/2017.
150. هرباش جازية: الوضع الاقتصادي في إقليم توات من خلال مخطوط الغنية في القرنين 12-13هـ / 18-19م، أطروحة دكتوراه، إشراف نعيمة عبد المجيد، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012/2011.
151. حلوى فتيحة: فن فهرسة المخطوطات العربية الإسلامية خزانة كوسام بمنطقة أدرار نموذجاً، أطروحة دكتوراه، إشراف: أحمد دكار، قسم الدراسات الأدبية والحضارة الإسلامية، كلية الأدب واللغات، 2016/2015.
152. الحمدي أحمد: مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وأثاره (870-909هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف: عبد المجيد بن نعيمة، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2000/1999.
153. موساوي عربية: الفقارة بمنطقة توات وأثرها في حياة المجتمع دراسة تاريخية وأثرية، أطروحة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية، إشراف: لعرج عبد العزيز، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007.
154. موساوي عبد السلام: غنية المقتصد السائل لما وقع بتوات من قضايا ومسائل (مسائل الطهارة والصلاة وسائر العبادات)، رسالة ماجستير، إشراف: مُحَمَّد دباغ، قسم الشريعة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة أدرار، 2010/2009.
155. نابت عليق ريجة: قصر ملوكة بأدرار (إقليم توات) دراسة تاريخية أثرية، بحث لنيل شهادة ماجستير، إشراف: صالح بن قربة، قسم الآثار، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2002/2001.
156. سليمان حليمة: قصر أدغاغ دراسة اجتماعيات وثقافية من القرن 12هـ-18م إلى النصف الثاني من القرن 14هـ-20م، مذكرة ماجستير في تاريخ الإجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور، إشراف: عبد الكريم بوصفصاف، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة أدرار، 2016/2015.

157. سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرن 8-9 هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ المغرب الإسلامي، إشراف: بوداوية مبخوت، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2012/2011.
158. علوش وسيلة: الثروة المائية في ريف المغرب الأوسط، منشأها استغلالها من القرن 1 هـ إلى نهاية القرن 6 هـ، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: إبراهيم بحار، جامعة قسنطينة 2، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية 2013/2012.
159. عماري فضيلة: في مشروع الخطاب القديم في الجزائر في عنوان فن الإجازة عند أحمد المقرئ التلمساني، رسالة ماجستير، إشراف: مختار حبار، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة وهران السانبا، 2010 / 2009.
160. قزان زهير: حاضرة توات المالكية أعلامها نوازها خصائصها، مذكرة ماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص الفقه المالكي، إشراف: مُجَّد الصالح حوتية، قسم الشريعة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة أدرار، 2011/2010.
161. رزقي عبد الله: الطرق الصوفية ومنطلقاتها الفكرية والأدبية بمنطقة توات، أطروحة دكتوراه، دراسة تاريخية وأدبية نماذج شعرية من ديوان سيدي عبد الكريم بن مُجَّد البلبالي، إشراف: مُجَّد بن منوفي، قسم الأدب، كلية الأدب واللغة، جامعة أدرار، السنة 2017/2016.
162. الخلفي عبد الغاني: الفن الصخري في إقليم الساورة ومظاهر تلفه وأهم مقترحات صيانتها (منطقة مرحومة بني عباس نموذجاً)، مذكرة ماجستير في آثار الصيانة والترميم، إشراف: مُجَّد المصطفي فيلاح، قسم معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012-2011.
163. غوزي سليمان: إشكالية التوسع الحضري بمدينة بشار، مذكرة ماجستير، إشراف: حداد مُجَّد، كلية العلوم الأرض الكون، تخصص تهيئة قطرية وتنمية المستدامة، جامعة وهران 2، 2016.

المعاجم والموسوعات:

164. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج 1، اسطنبول، مؤسسة الثقافة، 1989.
165. ابن منظور الفضل جمال الدين مُجَّد بن مكرم: لسان العرب المحيط، مجلد 5، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة عبد المنعم خليل أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2005.

166. ابن منظور مُجَّد بن مكرم: لسان العرب، مجلد 3، بيروت لبنان.
167. المنجد في اللغة والأعلام، ط40، بيروت، لبنان، دار المشرق، 2003.
168. خميس عبد الحق ، بوكراع بن ساعد محفوظ: موسوعة تراجم العلماء الجزائري علماء تلمسان وتوات، دار زمورة للنشر والتوزيع، الجزائر.
- مقالات وملتقيات ومحاضرات:**
169. أوزايد بالحاج: تجارة القوافل بين الجزائر وإفريقيا جنوب الصحراء في العهد العثماني ودورها الحضاري، مجلة روافد البحوث والدراسات، العدد2، جامعة غرداية، 2017 .
170. أدرار واحات الفن وقصور الأمان، مجلة صادرة عن طريق والي ولاية أدرار الإشراف العام: السيد أحمد عبد الحفيظ ساسي مع التنسيق مع سليمان أويدين مدير الثقافة تحرير النصوص: أبا الصافي جعفري، الصديق الحاج أحمد آل النغلي، جامعة أدرار.
171. بن خويا إدريس: الدور العلمي لزواوية الصالح سيدي سليمان بن علي، أعمال الندوة السنوية الثامنة تخليداً لإحياء مآثر الشيخ، طبعة بشركة وسط توات، 2014م.
172. بوشيبة بركة: دور الرقصات الشعبية في التعبير عن الهوية الثقافية لرقصة تكدة تلبالة نموذجاً، مجلة مقاربات للعلوم الإنسانية، المجلد 08، العدد 15، 2014.
173. بوجابة عبد القادر: دور الرحالة المستكشفين في عملية التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية (1827-1877)، مجلة جمعية الإنتفاضة الشعبية لـ 27 فيفري 1962، ورقة.
174. برشان مُجَّد: أثر ركب الحجيج في بناء حضارة المجتمع الصحراوي الجنوب الغربي الجزائري نموذجاً، المجلة الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد6، دار الكوثر للإنتاج والنشر والتوزيع، جامعة تيارت، الجزائر.
175. بلعالم مُجَّد: أهداف ونشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، ماي 2000 .
176. جعفري أحمد: الوقف الإسلامي في زوايا ومدارس إقليم توات "جنوب الجزائر" دور النهضة العلمية للأقاليم من القرن 7هـ إلى القرن 15هـ، والمؤتمر العالمي الخامس للوقف الإسلامي، التحديات وإستشراق المستقبل، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الخرطوم، السودان 17 شوال 1438، 11-12 يوليو 2018.

177. جعفري أحمد: دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط بإقليم توات الجزائر، مجلة التراث، العدد 112، الإمارات المتحدة، 2018/12 .
178. جعفري أحمد: الفقارة نظام السقي الصحراوي العجيب، مجلة التراث، صادرة عن تراث الإمارات أبوظبي، ع/131، أغسطس 2010.
179. جبر سعدان: بحث مقدم للمؤتمر الخاص بالأوقاف الإسلامية، جامعة القدس فلسطين، 2011.
180. الجريدة الرسمية 19 ديسمبر 1984 ولاية بشار، جريدة الرسمية اتفاقيات الدولية قوانين، مراسيم، قرارات و آراء، مقررات، منشور، إعلانات و بلغات .
181. حوتية مُجّد: مقال جهود جامعة أدرار الجزائرية في تحقيق المخطوطات، مخطوط الغنية نمودجاً، محاضرة، جامعة أدرار، الجزائر.
182. مساعدي زهر: في مفهوم الثقافة وبعض مكوناتها (العادات، التقاليد، الأعراف)، مجلة الذاكرة تصدر عن مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، العدد التاسع جوان 2017، المركز الجامعي ميلة الجزائر.
183. معروف نذير: نظام الفقارة بتيميمون ملتقى: 1^{er} seminaire entemational sur la ressource en eau au shara/ evaluation. .Economie protection. Le 19 et 20 janvier 2011 ougla.
184. محاضرة في مطوية للزيارة العلماء بكوسام يوم 10 سبتمبر 2018.
185. المصري مبروك: المدرسة الفقهية التواتية الملتقى الوطني الأول: المذهب المالكي في الجزائر، جامعة أدرار، 2-3 ربيع الأول 1425هـ/21-22 أفريل 2004 م .
186. سلامي عبد القادر: نماذج تعبيرية في لهجة بشار ونواحيها وسيل ترقيتها بلطف الصنعة والتأويل، مجلة الدراسات، جوان 2017، جامعة تلمسان، الجزائر.
187. عباس عبد الله: الدور الحضاري لإقليم توات، الملتقى الوطني الأول، العلاقات الحضارية بين إقليم توات وحواضر المغرب الإسلامي، أدرار، 2009.

188. عاطف مُحمَّد أبو هويد: أهمية القضاء في الإسلام ، مقال ليوم دراسي ديوان المظالم ودوره في تحقيق العدالة الشاملة في المجتمع الذي تنظمه كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية غزة، يوم 2009/12/21.
189. عبد المؤمن بهية: وضعية المرأة التواتية من خلال نوازل الغنية البلبالية خلال القرن 13 هـ- 19م، المجلة الجزائرية للمخطوطات، العدد 12، جانفي 2015.
190. قراوي عيسى: التصوف والطرق الصوفية وأثرها على المجتمع الجزائري، مجلة الأثر العدد 3، مجلة تصدر عن مديرية الثقافة لولاية بشار أبريل، 2009.
191. الرقادي مُحمَّد الكنتي: علاقة الأسرة الرقادية بآل السي حمو بلحاج: ندوة أولاد سي حمو بلحاج أعلاماً وآثار، ط1، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 2016.
192. شتره خير الدين: البعد الثوري للزوايا العلمية بالجزائر خلال المرحلة الإستعمارية جمعية زاوية الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي، أعمال الندوة السنوية السابعة تخليدا لإحياء مآثر الشيخ 14 ماي 2012، طبعة على نفقة شركة وسط توات، مولاي عبد الله اسماعيلي، مراجعة وتقديم: الدكتور ادريس بن خويا.
193. تواتي دحمان وآخرون: الثورة التحريرية في إقليم توات 1956 1962، منشورات جمعية مولاي سليمان بن علي لحماية أثر الثورة التحريرية، أدرار الجزائر.
194. غنيشل خديجة: التراث الكنتي المخطوط قراءة في الدور الحضاري لزاوية كنته، وأهم أعلام التراث الكنتي المخطوط، مجلة الذاكرة، العدد الخامس، جامعة ورقلة.

المواقع الإلكترونية:

195. أبو سفح سعد: مدينة بشار الجزائرية، متاح على الرابط: www.maudoo3.com تاريخ المشاهدة: السبت 2 جوان 2018 على الساعة: 9:52.
196. القديم جمال: أعلام القرن الحادي عشر هجري أبو سالم العياشي ت 1090هـ، مركز الدراسات والأبحاث والتراث، المملكة المغربية، تاريخ المشاهدة : 2018/05/03 ، متاح على الموقع الإلكتروني: www.almarkaz.ma: على الساعة: 12:52.

197. الياسيني مُجَّد ألى: لمحة تاريخية عن قبيلة أولاد حنين الأنصاري، الموقع: faculty.mdstate-edu/melyassini بتاريخ 2017/10/08، على الساعة: 23:22.
198. جميل أبو بكر: تبلبالة عادات وتقاليد متاح على الرابط: www.tabelbala.ahlamontada.net، تاريخ المشاهدة: 1018/03/15، على الساعة: 13:12.
199. زكراوي حمزة: تاريخ تبلبالة، متاح على الموقع: www.alwessal.alafdal.net تاريخ المشاهدة: 2018/04/15، على الساعة: 11:15.
- www.alwessal.alafdal.net تاريخ المشاهدة: 2018/04/15، على الساعة: 11:15.
200. عباد سالم مُجَّد سالم: الاعتزاز بالنسب في ضوء الشريعة الإسلامية، متاح على الموقع: www.ayad.com/forums/mdex.php، تاريخ الزيارة 2018/03/13 الساعة 18:12.
201. عودة عبد الباسط: واقع الزراعة النخيل وإنتاج التمور في الوطن العربي، الموقع الإلكتروني: www.iraqi.datepalms.net، 2018/11/02، على الساعة: 11:30.
202. عبد الله عبد الرحمان: دراسة ولاية بشار، الوكالة الوطنية لتطوير الإستثمار، متاح على الرابط: www.andi-dz/index.com، تاريخ المشاهدة: 2018/04/03 على الساعة 19:35.
203. عماد عبد الغني: العادات والأعراف والتقاليد والتراث الشعبي في العلوم الإجتماعية ، متاح على الرابط: www.tourathtripoli، تاريخ الإطلاع: 2018/05/13.
204. مقلاتي عبد الله، رحايلي حياة، دور إقليم توات في التواصل الحضاري مع منطقة السودان الغربي، متاح على الرابط: www.univ-eloued.dz، 2018 /05/13، على الساعة: 11:20.
205. موقع الجغرافي لبلدية تبلبالة: موقع الرئاسة العامة للأرصاد وحماية البيئة الثلاثاء، 19 يناير 2010 تاريخ النشر، على الساعة 15:10 تاريخ المشاهدة 2018/05/15.

206. مديرية السياحة لولاية أدرار: أهم التظاهرات السياحية والثقافية والإقتصادية بإقليم توات (ولاية أدرار)، متاح على الرابط: www.laouit.net بتاريخ: 2018/06/24.
207. نورة أ: عادات وتقاليد تلبالة، متاح على الموقع: www.aljazairress.com تاريخ المشاهدة: 02 جوان 2018، على الساعة: 12:16.
- 208.

حصص تلفزيونية:

209. حصة قراءت تستضيف الدكتور أحمد الجعفري على قناة الجزائرية الثالثة على الموقع: WWW.ENTV.DZ.
210. موقع تلفزيوني للقناة الشروق: لغة أهل تلبالة: www.echorouk.neus.tv، تاريخ المشاهدة: 03 ماي 2018.
- مجهول: فرقة سيدي بلال وأفراح تلبالة، التلفزيون بالشروق، متاح على الموقع: www.Echorouknews.tv.com، تاريخ المشاهدة 18 ماي 2018 على الساعة: 16:15.
211. مجهول الاسم: السواعد الناعمة لتطويع الأرض بتلبالة حصة أخبار بتلفزيون الشروق: متاح على الموقع الإلكتروني www.Echorouknews.tv.com تاريخ المشاهدة 08 ماي 2018، على الساعة: 20:13.
212. موقع تلفزيوني لقناة الشروق: قناة الشروق تحضر افتتاح المكتبة الالكترونية لمركز البلبالين، www.echorouk.neus.tv، يوم 11 جانفي 2018، تاريخ الزيارة: 2018/02/13.

مقابلات شفوية:

213. البوعمري عبد الكامل: أحد اعيان مراكش والمهتمين بالتاريخ المحلي، مقابلة شفوية، مراكش المغرب.
214. بلبالي عبد الرجمن: باحث تاريخي ومشرف على الخزانة ملوكة حالياً، مقابلة شفوية بمقر الخزانة ملوكة، أدرار، الجزائر.

215. بلبالي مليكة: ابنة المسؤول عن الخزانة، مقابلة معها بمقر الخزانة برينكان تساييت، أدرار، الجزائر.
216. بلبالي فوزية، ابنة أخ المسؤول عن الخزانة، مقابلة معها بمقر الخزانة برينكان تساييت، أدرار، الجزائر.
217. بلبالي فاطمة الزهراء: من أعيان قصر ملوكة، مقابلة شفوية معها بمنزلها، قصر ملوكة، أدرار، الجزائر.
218. بلبالي عائشة: من أعيان قصر برينكان، مقابلة شفوية معها بمنزلها، قصر برينكان تساييت أدرار، الجزائر.
219. بلبالي محمد بن البكري: أحد أعيان ملوكة مقابلة شفوية بمقر الخزانة ملوكة أدرار، الجزائر.
220. بهوطي فاطمة: من أعيان قصر برقع، مقابلة شفوية معها في بيتها، بقصر برقع، أدرار، الجزائر.
221. بكيرات أمينة: من سكان تلبالة، مكالمة هاتفية، الجزائر.
222. مبدوي الحاج محمد: المشرف على الخزانة، مقابلة شفوية بمقر خزانة دار القراءة، بني تامر، أدرار، الجزائر.
223. مبدوي عائشة: من أعيان قصر بني تامر، مكالمة هاتفية، أدرار، الجزائر.
224. موساوي زهراء: مقابلة معها في بيتها، بقصر أولاد بوحفص، أدرار، الجزائر.
225. سليمان علي بن سيدي محمد الصافي الأدغاعي: خبير الفقارات والمسالك والزمادات فقارة أدغاغ وضواحيها، مقابلة معه بمقر خزانته أدغاغ، أدرار، الجزائر.
226. شاري طيب: المشرف على خزانة، مقابلة شفوية بمقر خزانة المخطوطات كوسام، أدرار، الجزائر.
227. شاري عائشة مباركة: من أعيان قصر كوسام، مكالمة هاتفية، أدرار، الجزائر.
228. شاري سميرة: من أعيان قصر كوسام، مقابلة معها في بيتها، بقصر كوسام، أدرار، الجزائر.

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

أب المزمرى: 240-28.

أبا جودة صالح: 110.

ألفسيان ونلبي: 121.

أبي عبد الله مُجَّد: 40.

(ب)

باي بن عمر: 31.

بادي بن مُجَّد: 31.

بلعالم مُجَّد: 91-18.

بلكبير مُجَّد: 27.

برايو: 121.

بونافو: 51.

البوداوي مُجَّد بن عمر: 130.

البكاي مُجَّد: 31.

البكري مُجَّد بن عبد الكريم: 273-145-122-118-177-20-17-13.

البكري بن عبد الرحمان بن الطيب: 25.

البكري عبد الحميد: 26.

البلبالي عبد الله بن أحمد الحبيب: 281-280-24.

البلبالي مُجَّد بن عبد الرحمان: 78-87-243-244-248-258-260-264-266-269-304.

البلبالي عبد العزيز: 78-87-243-244-271-273-274-279-292-303.

البلبالي عبد الكريم (الحفيد): 78-82-124-190-192-196-199-214-233-234-235-236-299-300-301.

البلبالي مختار مبارك: 79.

البلبالي مُجَّد الطاهر بن سيدي مأمون: 292.

البلبالي أمبارك بن سيدي مأمون: 160-202-294-284.

البلبالي سالم بن الشيخ عبد العزيز: 123.

البلبالي عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد الحبيب: 283.

البلبالي مُجَّد بن أحمد الحبيب: 285.

البلبالي عبد الكريم (الجد): 284-288.

البلبالي بلقاسم: 185-186-226.

البلبالي أحمد الحبيب: 186-229-243-244-270-277-278-280.

البلبالي البكري بن سيدي مُجَّد عبد العزيز: 87-118-279.

البلبالي بوعلام بن أمجد: 189.

البلبالي سالم بن عبد الله بن أحمد الحبيب: 189.

البلبالي الطيب: 189.

البلبالي مُجَّد بن سيدي المأمون: 203.

البلبالي البشير بن امبارك بن مُجَّد: 204.

البلبالي عبد الرحمان بن عبد القادر: 228.

البلبالي مخلوف بن علي بن صالح: 47.

(ج)

جعفري أحمد أبا الصافي: 200-237.

الجزولي مُجَّد بن سليمان: 24-63-64.

(هـ)

الهيباوي عبد الرحمان بن مولاي عبد الله: 19.

(و)

الوزان الحسن: 41-71.

الونقالي مُجَّد بن عبد الأدغافي: 262.

الوقروي المُجَّد بن اعلي: 20.

(ح)

حمادي عبد الله الإدريسي: 46-48.

الحلاب حسن: 61.

الحسن بن سعيد: 25.

(ك)

كاميل دولس: 119.

كليرمون: 65.

كومت فيبرر: 57.

كيتيو: 65.

الكنتي مُجَّد: 31.

(ل)

لويس فليب: 119.

(م)

مبدوي المُجَّد: 236-189-107-81.

مارتان: 65.

المريني اسماعيل: 22-17.

المريني ابو الحسن: 45.

المريني عبد الحق: 29.

المغيلي عبد الكريم: 132.

المكناس الغازي: 20.

المنوفي عبد الله: 29.

(س)

سليماني على بن سيدي الصافي: 131.

سولت مارشال: 119.

السبتي ابو العباس: 64-63.

(ع)

العياشي أبو سالم: 13.

العيادي المُجَدِّ: 110.

العصنوني عبد الله: 20.

(ف)

فوديو مُجَدِّ بن عثمان: 18.

الفلائي مُجَدِّ الحسن: 30.

(ص)

الصديق الحاج آل المغيلي: 26.

الصنهاجي يوسف بن علي: 62-64.

(ق)

قدورة سعيد بن ابراهيم: 21.

القبلاوي حمزة: 30-31-32.

القبلاوي مُجَدِّ عبد القادر: 32.

(ر)

رولف جيراد: 126-127-153.

رونه كاييه: 119.

ريفنولت: 65.

الرقادي عمر بن مصطفى: 28.

(ش)

شاري الطيب: 231.

شومبوا دومينيك: 83-67-58-57-54-53-48-45.

(ت)

تلمتين مُجد: 42.

التمبكتي أحمد بابا: 47.

التامرتي عبد الرحمان: 108.

التباع عبد العزيز: 64-63.

التنلاني أحمد بن يوسف: 29-27.

التينلاني عبد الرحمان بن عمر: 263-261-29-28.

(خ)

ابن خلدون: 224-146-132.

(غ)

غيتاوي التهامي: 200.

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

أدرار: 232-206-197-161-127-120-106-105-93-38-32.

أوقروت: 21.

أولف: 33-32-30.

أقبلي: 32-30.

ايرزان: 50-44.

أروان: 46.

أولاد ابراهيم: 193-93-92-90.

أولاد أونقال: 93-90.

أولاد اعروسة: 93-93.

أولاد أوشن: 93-91-90.

أوقديم: 93-90.

أولاد أعلي: 93-90.

أولاد أحمد: 100-93-90.

أولاد بوحفص: 162-105-93-90.

أمراقن: 108-90.

اينغر: 124.

إيكيس: 205

إفريقيا: 120-52.

(ب)

بشار: 206-49-39-36.

بني عباس: 38-37.

بورنيق: 45.

برينكان: 134-133-126-114-112-110-109-89-82-81-80-79-49-

295-294-238-237-241-202-167-160-159-153-137-136

بلاد ونغارة: 19.

بورنو: 19.

بني تامر: 133-124-123-122-121-108-107-106-105-102-89-81-

286-235-232-193-191-190-163-159-136-134

بربع: 97-96-85.

بوزان: 190-100-96-93-90.

بن دراعو: 90.

بخلا: 90.

باعمور: 206.

(ج)

الجزائر: 232-61-37-21.

الجزيرة العربية: 48.

(د)

درعة: 46.

(و)

ورقلة: 32.

وهران: 40.

(ز)

زاوية سيدي زكري: 45-46-47.

زاوية كنتة: 197-221.

زاوية سيدي البكري: 90-93.

زاوية الشيخ بن عومر: 90.

زاجلو: 147.

(ح)

حمير: 16-19.

حماد: 127-302.

الحجاز: 15-220.

(ي)

اليمن: 16-19.

(ك)

كوسام: 24-49-81-89-90-100-101-103-114-121-133-134-230-
234-135-156-156-159-163-189-190-203-229.

كرزاز: 30-40.

كربلاء: 154.

(ل)

لواتة: 38.

لحمر: 206.

(م)

مصر: 15-20-33-61.

مالي: 19-31-43.

مراكش: 21-48-61-63.

ملوكة: 22-49-80-84-89-90-94-95-97-98-102-114-121-133-
134-151-152-159-166-179-211-214-226-243-245-294.

مكناس: 33-46.

مخادة قاحدايو: 44-47.

مخلوف: 45-47-48-49.

ميمون: 85-96-97-162.

مهدية: 90-193.

(س)

سنغاي: 147.

الساهل: 30-31-32.

السودان: 52-72-141-142-144-145-219-220.

(ع)

عين صالح: 32-110-222.

عريان الراس: 84-127-238.

(ف)

فنوغيل: 90.

فرنسا: 118-120-121-124-205.

(ق)

قورارة: 120-302.

القليعة: 48-49-51.

(ر)

رقان: 142-147-201.

(ش)

شنقبيط: 142.

شرايا: 45.

الشام: 15.

(ت)

تبلبالة: 37-38-39-40-41-42-43-44-45-46-47-48-49-50-51-52-
53-54-55-56-57-58-59-60-65-67-71-72-74-75-77-79-
80-81-82-83-84-85-114.

تندوف: 37.

تسايت: 38-81-84-110-126-127-144-203-205-221.

تمبكتو: 43.

تافياللت: 77-83-142-144.

تونس: 15-21-33.

تمنطيط: 20-21-22-24-26-146-191-219-257-259-271.

تقرت: 21.

تيمي: 29-80-81-82-89-90-91-94-100-114-121-257.

تيميون: 80-114-161-205-297.

تنلان: 90.

تطوان: 106.

تامست: 205.

تيطاف: 206.

تيديكلت: 225.

تيجنتورين: 225.

توات: جل صفحات الأطروحة.

(د)

درعة:46.

(غ)

غانا:19 - 97.

غدامس: 242.

فهرس الموضوعات:

02.....	مقدمة
الفصل الأول: الأسر العلمية بمنطقة توات خلال القرنين 14/13هـ – 11..20/19	
11.....	المبحث الأول: الأسر العلمية بتوات ومواصفاتها.
14.....	المبحث الثاني: أهم الأسر العلمية بتوات.
الفصل الثاني: حاضرة تبلبالة الموقع والتاريخ	
32.....	المبحث الأول: نشأة حاضرة تبلبالة.
33.....	أولاً: الموقع الجغرافي لحاضرة تبلبالة.
34.....	ثانياً: المناخ والشبكة المائية.
36.....	ثالثاً: أصل التسمية حاضرة تبلبالة.
38.....	رابعاً: القصور البلبالية بتلبالة.
40.....	المبحث الثاني: الأوضاع الإجتماعية بحاضرة تبلبالة.
47.....	أولاً: التركيبة السكانية والطبقات الإجتماعية.
47.....	ثانياً: الترتيب الإجتماعي لسكان تبلبالة.
49.....	ثالثاً: الإحتفالات الدينية.
50.....	رابعاً: المرأة في حاضرة تبلبالة.
52.....	خامساً: الأطباق التقليدية المعروفة بالمنطقة.
53.....	سادساً: اللهجة بحاضرة تبلبالة.
54.....	

57.....	سابعاً: مقبرة سبعة رجال بتبلالة وعلاقتها بمراكش.
61.....	المبحث الثالث: الأوضاع التاريخية والإقتصادية بتبلالة.
61.....	أولاً: تبلالة وحركية الأحداث التاريخية.
63.....	ثانياً: الأوضاع الإقتصادية بتبلالة.
71.....	الفصل الثالث : الأسرة البلالية ومراكزها بتوات.
72.....	المبحث الأول: التعريف بالأسرة البلالية.
	أولاً:
72.....	نسبها.
78.....	ثانياً: تنقلاتها.
81.....	ثالثاً: شجرة أصولها وفروعها.
85.....	المبحث الثاني: نشأة المراكز العلمية للأسرة البلالية بتوات.
89.....	أولاً: مركز ملوكة.
96.....	ثانياً: مركز كوسام.
100.....	ثالثاً: مركز بني تامر.
104.....	رابعاً: مركز برينكان.
109.....	الفصل الرابع: الأوضاع العامة للمراكز البلالية بتوات.
110.....	المبحث الأول: الأوضاع التاريخية بالمراكز البلالية.
111.....	أولاً: حرب يحمّد وسفيان.
112.....	ثانياً: السيطرة الإستعمارية.

- 115..... ثالثاً: الأوضاع التاريخية بمركز ملوكة وكوسام.
- 116..... رابعاً: بعض الأحداث التاريخية التي عصفت بمركز بني تامر.
- 120..... خامساً: الأوضاع التاريخية التي عصفت بمركز برينكان.
- 122..... المبحث الثاني: الأوضاع الإقتصادية للمراكز البلبلية.
- 122..... أولاً: الزراعة.
- 132..... ثانياً: الصناعة (الحرف اليدوية).
- 135..... ثالثاً: التجارة.
- 139..... المبحث الثالث: الأوضاع الإجتماعية للمراكز البلبلية.
- 139..... أولاً: التركيبة السكانية والترتيب الإجتماعي.
- 144..... ثانياً: الإحتفالات الدينية والشعبية.
- 157..... ثالثاً: العادات والتقاليد.
- 167..... رابعاً: العلاقات الإجتماعية للأسرة البلبلية.
- 176..... الفصل الخامس: أعلام الأسرة البلبلية وإجازاتهم العلمية.
- 176..... المبحث الأول: أهم الشخصيات العلمية البارزة في مركز ملوكة.
- 181..... المبحث الثاني: أهم الشخصيات العلمية البارزة في مركز كوسام.
- 182..... المبحث الثالث: أهم الشخصيات العلمية البارزة في مركز بني تامر.
- 194..... المبحث الرابع: أهم الشخصيات العلمية البارزة في مركز برينكان.
- 199..... الفصل السادس: الزوايا والخزائن العلمية البلبلية.
- 200..... المبحث الأول: الزوايا.

المبحث الثاني: الخزائن العلمية البلبالية.....	205
الفصل السابع: مهنة القضاء عند علماء الأسرة البلبالية.....	242
المبحث الأول: ظروف انتقال القضاء إلى الأسرة البلبالية	243
أولاً: التعريف اللغوي والإصطلاحي للقضاء.....	243
ثانياً: أركان وشروط القضاء.....	243
ثالثاً: هياكل القضاء بتوات.....	246
رابعاً: أسباب إنتقال القضاء من تمنطيط إلى ملوكة.....	247
المبحث الثاني: أهم قضاة الأسرة البلبالية.....	249
المبحث الثالث: نماذج من الأفضية التي أفتى فيها القضاة البلباليون.....	289
أولاً: نماذج من الأفضية الإجتماعية.....	289
ثانياً: نماذج من الأفضية الإقتصادية.....	293
خاتمة.....	229
ملاحق.....	305
فهارس.....	352

ملخص الأطروحة:

الأسرة البلبالية وإسهاماتها العلمية بمنطقة توات خلال القرنين 13 و14 هـ/19 و20 م.

عالج موضوع البحث الحديث عن الأسرة البلبالية ومكانتها العلمية، معرفةً بموطنها الأصلي تبلبالة، وطريق قدومهم إلى توات وإستقرارهم بقصر ملوكة وقصوراً أخرى، معرجةً على أثرها في الحياة السياسية والإقتصادية والإجتماعية وإسهاماتها القضائية وذكر نماذج من الأفضية الإقتصادية والأجتماعية التي أفتى فيها القضاة البلباليون.

الكلمات المفتاحية:

الأسرة البلبالية؛ تبلبالة؛ توات؛ الخزائن المخطوطات؛ العلماء البلباليون؛ القضاة البلباليون؛ ملوكة؛ كوسام؛ بني تامر؛ برينكان.

Résumé

La famille Balbalin et ses apports scientifiques dans la région de Touat aux 13 et 14 siècles de l'hégire / 19 et 20 siècles grégorien.

Les recherches ont porté sur le thème de la famille Balbalin et de son statut scientifique, sur la connaissance de leur peuple d'origine, dans la façon dont ils sont arrivés à Touat et ce sont stabilité dans le palais de Melouka et d'autres palais, limitant ainsi son impact sur la vie politique, économique et sociale, ainsi que ses contributions judiciaires. Ils ont cité des exemples d'affaires économiques et sociales dans lesquelles les gouverneurs ont rendu Balbalin.

Mots-clés

La famille Balbalin; tabelbala; Touat; Armoires à manuscrits; Scientifiques balbalins; Juges balbalins; Melouka; Cosam; Beni Tamer; Brinkan.

Abstract

The Balbalin family and its scientific contributions in the Tuat region in the 13 and 14 centuries of the Hegira / 19 and 20 centuries Gregorian.

The research focused on the theme of the Balbalin family and its scientific status, the knowledge of their original people, how they arrived in Tuat and their stability in the palace of Melouka and other palaces. , thus limiting its impact on political, economic and social life, as well as its judicial contributions. They cited examples of economic and social causes in which the judges made Balbalin.

Key words

The family of Balbali ; tabelbala ; Touat ; manuscripts lockers ; scientifics balbali ; Juges balbalins ; Melouka ; Cosam ; Beni Tamer ; Brinkan.